



إلى ٱلْعُلُوم ٱلْعَرَبِيّةِ

تاكيف

العَرَّكُمَةُ اللَّغُوكِيِّ النَّاقِدِ الأُديب

جُسِين بن أَجْ مَدَ بن جُسِين المرْصَفِيّ

مدرِّسُ العُلوم العَربيَّةِ وَعُلوم الأدبِ بِدَارِ العُلوم الخديويَّة المَصريَّة

رَحمَهُ الله تعَالَىٰ (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م)

عني به الدّكنورمحدّعبدالرّحن بشبيلنه الأهدل





#### الطّبَّعَة الأولى ١٤٤٠هـ \_ ٢٠١٩م جَمَيْع الحُقوق مَحْفِعُوظَة للنَّاشِر

## كاللبيناع للنشخوالي

المملكة العربية السعودية \_ جدة

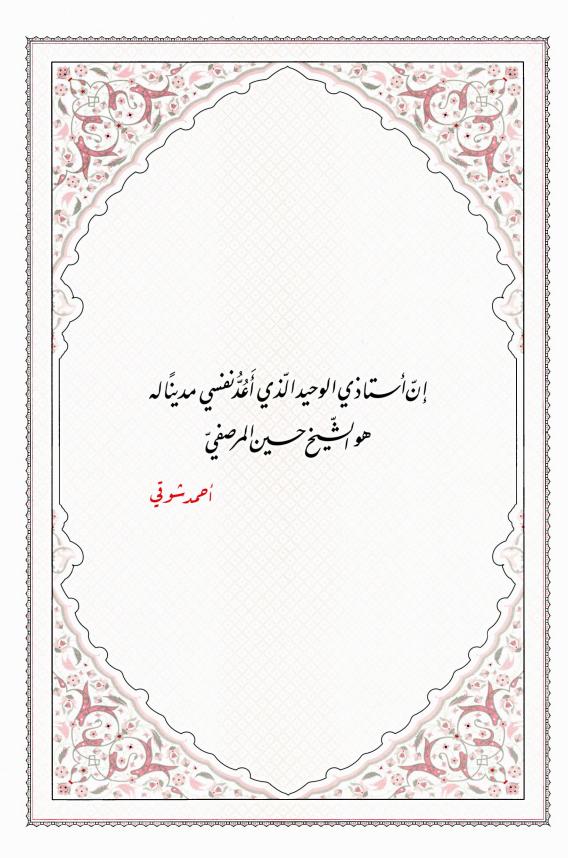
حي الكندرة \_ شارع الملك فهد \_ جانب البنك الفرنسي هاتف رئيسي 6326666 12 6326666

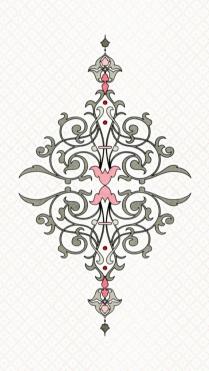
. المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

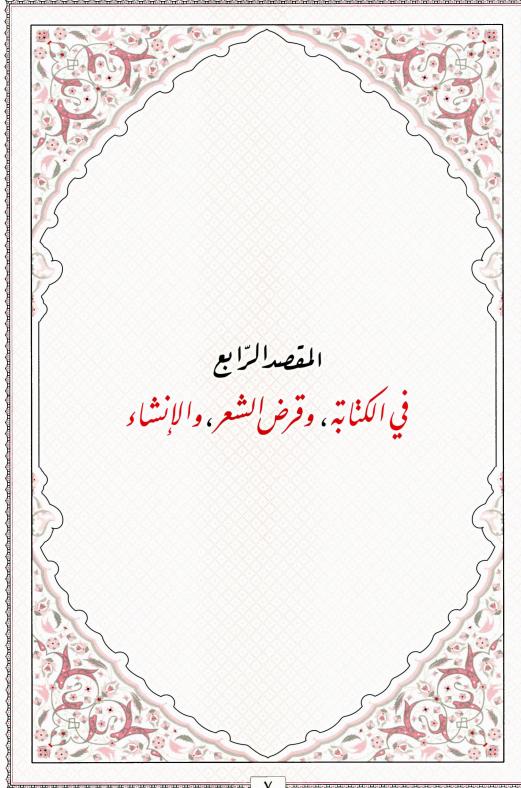
ص. ب 22943 ـ جدة 21416

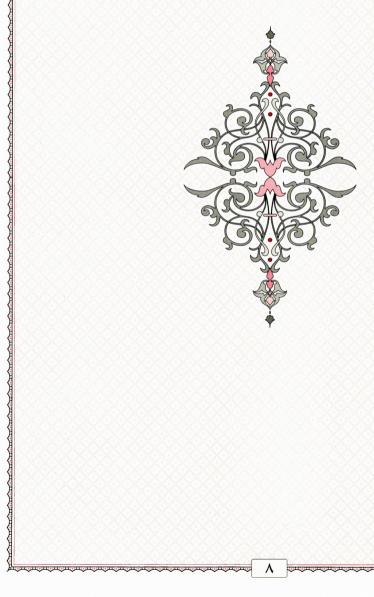
www.alminhaj.com E-mail: info@alminhaj.com

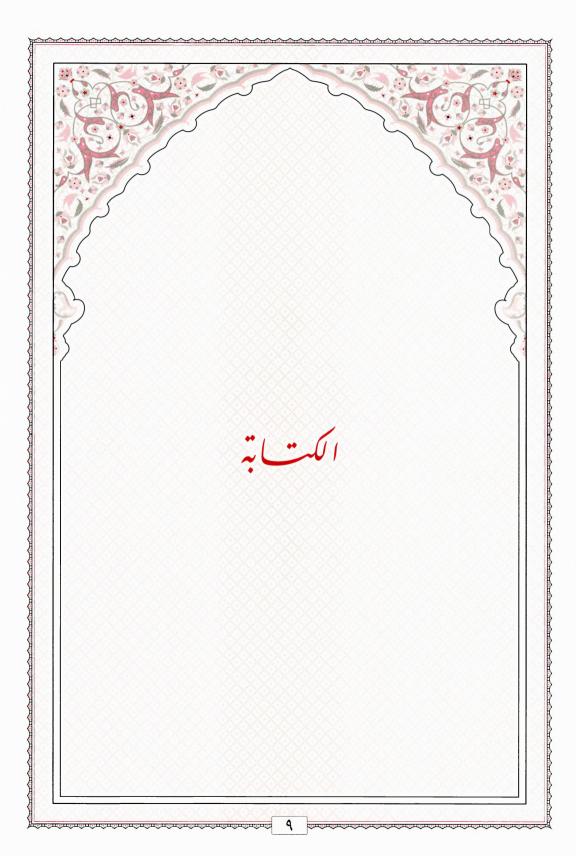
ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6













#### [ تعريفُ الكتابةِ ]

ويُقالُ: عِلْمُ الخطِّ القياسيِّ في مقابلةِ خطَّينِ لا يُقاسُ عليهِما ؛ وهُما: خطُّ المصحفِ العثمانيِّ الذي تَحرُمُ مخالفتُهُ أو تُكرَهُ علىٰ خلافِ المذاهبِ في ذلكَ ، وخطُّ العَروضيِّينَ عندَ بيانِ أوزانِ الشعرِ .

وهيَ فنُّ معرفةِ الكتابةِ على الصُّورةِ المُصطلَحِ عليها .

وبيانُ ذلك : يَحسُنُ أن يكونَ في أربعةِ أبوابٍ ؛ اتِّباعاً لِمَنِ اختَصَّ بفضيلةِ ضبطِ هاذا الفنِ عنِ انتشارٍ ، ومِنْ كتابِهِ المُسمَّىٰ به « المطالعِ النصريَّةِ » تلخيصُ ما سنُلخِّصُ ، رحمَهُ اللهُ تعالى ؛ الشيخُ أبو الوفاءِ نصرٌ الهورينيُّ ، إمامُ عصرِهِ وحافظُ وقتِهِ .

### البابُ الأوَّلُ في الهمزةِ ، والأَلِفِ ، ونونِ التوكيدِ ، والتنوينِ ونونِ ( إذاً ) ، وهاءِ التأنيثِ

#### الكلامُ على الهمزةِ (١)

الهمزةُ وتسميتُها أَلِفاً يابسةً [ نظراً ] لتصويرِها في بعضِ الأحوالِ ؛ إذا كانَتْ أُوَّلَ كلمةٍ . . رُسِمَتْ مطلقاً أَلِفاً ، ولا تكونُ حينَئذٍ ساكنةً ؛ لِمَا ثبتَ في اللغةِ مِنْ عدمِ الابتداءِ بالساكنِ ، بل إذا كانَتْ ساكنةً أُوَّلَ أصولِ كلمةٍ وأُرِيدَ الابتداءُ بكلمتِها . . اجتُلِبَ لذلكَ الهمزةُ التي تُسمَّىٰ همزةَ الوصلِ ؛ مثلُ : أؤْمرْ ، أنْتِ .

# [ أحوالُ الهمزةِ من حيثُ الرسمُ ] ولهاذهِ الهمزةِ في الرَّسم أحوالٌ :

فتُرسَمُ أَلِفاً بعدَ الفاءِ والواوِ ؛ نحوُ : فأمرْ ، وأتِ ، وبعدَ غيرِهِما : فإن كانَتْ همزةُ الوصلِ مضمومةً ؛ مثلُ : اؤْمرْ . . رُسِمَتْ همزةُ الكلمةِ واواً ، وإن كانَتْ همزةُ الوصل مكسورةً ، نُطِقَ بها أو لم يُنطَقْ . . رُسِمَتْ ياءً ؛ مثلُ : ثمَّ ٱتْتوا .

<sup>(</sup>١) قال الشيخ عبد اللطيف الخطيب في «أصول الإملاء» (ص ١٩): (الهمزة حرف لا صورة له في الخط، وهي تكتب غالباً بصورة الألف أو الواو أو الياء؛ وذلك لأنها إن سُهِّلت . . انقلبت إلى الحرف الذي كُتبت بصورته).

وقال العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » ( ص ٨٨ ) : ( وأما وضع القطعة  $_{-}$  أي : التي هي كرأس العين «  $_{-}$  »  $_{-}$  في محل الهمزة إذا حُذفت أو فوق الياء أو الواو المصوَّرتين بدل الهمزة  $_{-}$  . فذلك حادث بعد حدوث الشكل ؛ مراعاةً لتحقيق الهمز ) .

وإذا وقعَتْ حشواً ؛ فإن كانَتْ ساكنةً . . رُسِمَتْ حرفاً مِنْ جنسِ الحركةِ السابقةِ عليها ؛ فتُرسَمُ أَلِفاً في نحوِ : رأسٍ ، وياءً في نحوِ : بئرٍ ، وواواً في نحوِ : نُؤي وسُؤْلٍ .

وإنْ كانَتْ مكسورةً . . رُسِمَتْ ياءً (١) ، وفي الواقعة بعد ضمَّة خلافٌ بينَ سيبويهِ وتلميذِهِ الأخفشِ ؛ فالأخفشُ يقولُ برسمِها واواً حينئذٍ ، واستحسنَ بعضُهُمُ الجريَ على مذهبِهِ إذا وقعَ بعدَها ياءٌ (٢) .

وإن كانَتْ مضمومةً . . رُسِمَتْ واواً ؟ مثلُ : رؤوفٍ .

وإن كانَتْ مفتوحةً . . رُسِمَتْ بعدَ فتحةٍ أَلِفاً ؛ مثلُ : رَأَسَ القومَ : صارَ لهُم رئيساً ، وبعدَ كسرةٍ ياءً ؛ مثلُ : فئةٍ ومئةٍ ، وبعدَ ضمَّةٍ واواً ؛ مثلُ : سُؤَالٍ وفُؤَادٍ ، وبعدَ سكونٍ تُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ الساكنُ صحيحاً (٣) ، وإلَّا . . حُذِفَتْ إن لم يَحصُلْ لَبْسٌ ، فتُرسَمُ أَلِفاً للتمييزِ (١٠) .

#### تنبية

#### [ في رسم الهمزةِ الواقعةِ بعدَ همزةِ الاستفهام]

الهمزةُ الواقعةُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ في نحوِ : أَوُنْبِئُ ، أَوُنْزِلُ ، أَأَسْجُدُ ، أَيْفكاً ، أَيْذا ، والواقعةُ بعدَ اللَّامِ المُوطِّئةِ ؛ نحوُ : لَئِن جئتَ ، وبعدَ (حينَ ) وأمثالِهِ في : حينئذٍ ويومئذٍ ، وهمزةُ (لِئَلَّا) دونَ (لِأَنْ جاءَ) مثلاً ، وهمزةُ ( هنؤلاءِ ) على خلافٍ في بعضِ ذلكَ . . تُنَزَّلُ منزلةَ المُتوسِّطةِ ، فتَجري ( هنؤلاءِ ) على خلافٍ في بعضِ ذلكَ . . تُنَزَّلُ منزلةَ المُتوسِّطةِ ، فتَجري

<sup>(</sup>١) مثالها : ( سُئِل ، ودُئِل ، وسُئِل ) .

<sup>(</sup>٢) فمثال الهمزة المكسورة الواقعة بعد ضمة على مذهب سيبويه : (رُئِيَ ) ، ومثالها على مذهب الأخفش : (رُئِيَ ) .

<sup>(</sup>٣) مثالها: ( يَسْأَل ، ويَسْأَم ، ومَرْأَة ) .

<sup>(</sup>٤) مثال الهمزة المفتوحة المسبوقة بساكن معتل : ( تضاءَل وتفاءَل ، وتوْءَم وسموْءَل ، وجيئل وهيئة ) .

عليها أحكامُها ؛ فتُرسَمُ المضمومةُ واواً ، وتُرسَمُ المفتوحةُ أَلِفاً بعدَ فتحةٍ ، وياءً بعدَ كسرةٍ ، وتُرسَمُ المكسورةُ ياءً .

#### [ رسمُ الهمزةِ الواقعةِ آخرَ الكلمةِ ]

وإذا وقعَتْ آخِرَ الكلمةِ ؛ فإن تلتْ فتحةً . . رُسِمَتْ أَلِفاً ؛ كقراً ويقرأً ، وإن تلتْ كسرةً . . رُسِمَتْ ياءً ؛ كبَرِئَ ولم يَجِئْ ، وإن تلتْ ضَمَّةً . . رُسِمَتْ واواً ؛ كوَضُوَّ لُؤْلُوُ ، وإن تلتْ سكوناً . . لم تُصوّرُ ('') ، للكنْ قالَ صاحبُ « أدبِ الكاتبِ » : (إنَّ همزةَ نحوِ « رأى ونأى » مِنَ المنقوصِ . . تُرسَمُ ياءً ) ('') .

وهاذا إذا لم يتصلْ بالكلمةِ علاماتُ الإعرابِ الحرفيَّةُ ، ولا إحدى الياءاتِ الثلاثِ : ياءِ المُتكلِّمِ ، وياءِ المُخاطَبةِ ، وياءِ النَّسَبِ ، ولا الضَّمائرُ المُتصِلةُ ، فإنِ اتصلَ بها شيءٌ مِنْ ذلك . عُدَّتْ حشواً ، وحينَئذٍ إذا اتصلَ بالتي تُرسَمُ أَلِفاً ضميرٌ . فالمُتقدِّمونَ كانوا يرسمونَها حرفاً مِنْ جنسِ حركتِها نفسِها ، والمُتأخِّرونَ يرسمونَها أَلِفاً ، ولا يعتبرونَها مُتوسِّطةً ؛ كيقرؤُهُ ويملؤُهُ ، ومِنْ خَطائِهِ (٣) ، قيلَ : والراجحُ مذهبُ المُتقدِّمينَ (١٠) .

وإذا اتصلَ بنحوِ ( قرأً ويقرأً ) ألفُ الاثنينِ . . رُسِمَتِ الهمزةُ أَلِفاً ؛ لدفع

<sup>(</sup>١) مثال الهمزة إن تلَتْ سكوناً : ( وَطْءٌ وجُزْءٌ ، وجاءَ وشاءَ وكساءٌ ورداءٌ ، ويجيءُ ويضيءُ وهنيءٌ ومنيءٌ ، ويبوءُ وينوءُ ووضوءٌ وهدوءٌ ) .

<sup>(</sup>Y) أدب الكاتب (ص ٢٦٨) ، وانظر « المطالع النصرية » (ص ١٠٩) ، والمراد: اسم الفاعل المنقوص ؟ نحو: ( الرائي والنائي ) .

<sup>(</sup>٣) ولغير المتقدِّمين ؛ نحو : ( مَنْ كان يقرأُه . . فالله يكلأُه ) ، ونحو : ( لا يظهر خطأُه عند ملأه ) فيبقيها ألفاً كما لو لم يتصل بها شيء .

<sup>(</sup>٤) انظر «المطالع النصرية» (ص ١١١) ففيه أنَّ الراجعَ المقدَّمَ: المذهبُ الأول؛ وهو مذهب المتقدمين.

اللَّبسِ بفعلِ الواحدِ في نحوِ: الزيدانِ قرأًا ؛ ليخالفَ: الزيدانِ قرأً أخوهُما ، وبفعل الإناثِ (١١).

وإذا ثُنِّي نحوُ (نبأً) . . لم تُرسَمْ أَلِفُهُ (٢) .

وإذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمعِ . . حُذِفَتْ ؛ كقرءُوا ، ويقرءُون ، وقارءُون .

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُخاطَبةِ . . كُتِبَتْ ياءً ؛ نحوُ : لم تقرئِي .

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُتكلِّمِ أو بياءِ النَّسَبِ ؛ نحوُ: ملجئِي ، وسبئِيِّ نسبةً إلى سبأً . . فحقُها أن تُرسَمَ ياءً ، والجاري كتبُها ألفاً (٣) .

وإذا اتصلَتْ بياءِ الجمع ؛ كقارئينَ وناشئينَ . . رُسِمَتْ ياءً .

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ ياءً ضميرٌ تَتغيَّرُ معَهُ حركاتُها الإعرابيةُ . لم يَتغيَّرُ معَهُ حركاتُها الإعرابيةُ . لم يَتغيَّرُ رسمُها ؛ كقارئِنا ومُنشئِكُم ، وكذا إذا اتصلَ بها أَلِفُ الاثنينِ أو أَلِفُ التثنيةِ ، وكذا إذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمع (١٠) .

وإذا اتصلَ بها ياءُ الجمع . . حُذفَتْ (٥) .

وإذا اتصلَ بها ياءُ المُتكلِّمِ أو ياءُ المُخاطَبةِ عندَ رفعِ الفعلِ . . حُذِفَتْ أيضاً (١٠) .

وعندَ نصبِهِ وجزمِهِ . . قيلَ : تُرسَمُ ، وقيلَ : تُحذَفُ .

<sup>(</sup>١) ومثال مخالفته لفعل الإناث : ( النسوة يقرأن الدرس ) .

<sup>(</sup>٢) مثال التثنية : ( نبآن ) .

<sup>(</sup>٣) علىٰ مذهب غير المتقدِّمين ، من أن الهمزة المتطرفة إذا اتصل بها شيء ؛ كياء النسب أو المتكلم . . تبقىٰ علىٰ أصلها حال الانفراد ، فتُرسَم هلكذا : ( ملجأي وسبأي ) .

<sup>(</sup>٤) أمثلتها على الترتيب : ( يُقرِئُنا وقارِئُنا ، ويُقرِئَانِ وقارِئَانِ ، ولم يُقرِئُوا وهم المُقرِئُون ) .

<sup>(</sup>٥) مثالها: ( القارين والمبتدِين والمستهزين ) .

<sup>(</sup>٦) مثالهما : ( نفعني مَجِيَّ إليك ، أنتِ تتَّكينَ وتُقرِينَ ) من ( مجيئي ، وتتكئين ، وتُقرئين ) .

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ واواً ضميرٌ ؛ نحوُ : أخذتُ مِنْ لؤلؤِكَ ، ولتكافُؤهِم . . رُسِمَتْ واواً على المُختار .

وإذا اتصلَ بنحوِ ([رَدُوَا]) و(بَطُوَا) اللهُ الاثنينِ ، أو ثُنِّيَ نحوُ (لؤلوًا) ، أو اتصلَ بنحوِ (وَضُوَا) واوُ الجماعةِ . . رُسِمَتِ الهمزةُ واواً أيضاً ، وكذا إذا اتصلَ بنحوِ (لؤلوًا) ياءُ المُتكلِّم أو ياءُ النَّسبِ (١) .

وإذا اتصلَ بالتي تُحذَفُ ضميرٌ . . صُوِّرَتْ بحرفِ مِنْ جنسِ حركتِها ؟ فتُرسَمُ واواً في مثلِ : خُذْهُ بمِلْئِهِ ، وأَلِفاً في مثلِ : خُذْهُ بمِلْئِهِ ، وأَلِفاً في مثلِ : رأيتُ الجيشَ وردْأَهُ .

وإذا ثَنَّيتَ نحوَ (جزْءٍ).. صَوَّرتَ الهمزةَ أَلِفاً معَ الياءِ فقطْ (٢).

وإذا اتصلَ بنحوِ ( جزءٍ ) ياءُ المُتكلِّمِ ، أو ياءُ النَّسبِ . . رُسِمَتِ ٱلْهَمْزَةُ ياءً النَّسبِ . . رُسِمَتِ ٱلْهَمْزَةُ ياءً (٢٠) .

وإذا اتصلَ بنحوِ (جاءَ) ضميرُ المفعولِ . . لا تُرسَمُ الهمزةُ أَلِفاً (١٠) .

وكذا تُحذَفُ الهمزةُ مِنْ نحوِ (جاءَ) و(شاءَ) حيثُ يُسنَدُ لواوِ الجماعةِ (٥٠).

وإذا أَضيفَ نحوُ (كساءٍ) و(رُواءٍ) إلى ضميرٍ (ألم به ياءُ النَّسبِ . . صُوِّرَتِ الهمزةُ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ، إلَّا حالةَ النصبِ فتُحذَف ؛ فتُرسَمُ واواً في نحوِ : هاذا كساؤك ، وياءً في نحوِ : كسائِي وكسائِهِ ، والكسائِيّ .

وإذا اتصلَ بنحوِ ( يجيءُ ) و( يُفِيءُ ) مِنْ أَفاءَ : ضميرُ المفعولِ . . لم تُرسَمِ

<sup>(</sup>١) الأمثلة على الترتيب: ( رَدُوًا وبَطُوًا ، ولُؤْلُوَانِ ، ووَضُؤُوا ، ولُؤْلُوَيْ ، ولُؤْلُويٌّ ).

<sup>(</sup>۲) مثاله: (جُزأين).

<sup>(</sup>٣) مثالهما : ( جُزْئِيْ ، وجزئيٌّ ) .

<sup>(</sup>٤) مثاله: ( جاءَهُ ) .

<sup>(</sup>٥) مثاله: ( جاءُوا ، وشاءُوا ) .

<sup>(</sup>٦) الرُّواء : حسن المنظر .

الهمزةُ (۱) ، وكذا إذا تُنِّيَ نحوُ (مجيءٍ) (۱) ، وكذا في أمرِ المُخاطَبةِ بنحوِ: (جِيئِي وفِيئِي ) .

وإذا أُضيفَ مثلُ ( وضوءٍ ) و (قروءٍ ) لضميرٍ ؛ كوضوئي وقروئِهِنَّ . . رُسِمَتِ الهمزةُ ياءً حالَ جرِّهِ ، ولم تُرسَمْ حالَ رفعِهِ ونصبِهِ (٣) .

وإذا أُضيفَ نحوُ (شيءٍ) و(فيءٍ) . . لم تُصَوَّرُ همزتُهُ أصلاً (١٠) .

والهمزةُ الواقعةُ قبلَ هاءِ التأنيثِ ؛ قيلَ : إنَّها مُتطرِّفةٌ تقديراً ؛ لأنَّهُم يقولونَ : إنَّ هاءَ التأنيثِ في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلمةٌ مُستقِلَّةٌ ، وتُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ قبلَها حرفٌ صحيحٌ ، وإلَّا . . حُذِفَتْ (٥٠) .

#### الكلامُ على الألفِ

الألفُ إن كانَتْ حشواً ولو تقديراً ؛ بأن كانَ بعدَها هاءُ التأنيثِ ، أو كانَتْ طرَفاً في الحروفِ أو في الأسماءِ المبنيَّةِ . . رُسِمَتْ أَلِفاً ، إلَّا في : (بلي) ، و(علي) ، و(إلي) ، و(حتي) ، مِنَ الحروفِ ، فتُرسَمُ ياءً ؛ لقولِكَ : عليكَ ، وإليكَ ، وإمالةِ (بلي) ، وحمل (حتي) علي (إلي) ، وإلَّا في : (لدي) ، و(متي) ، و(أنَّى) التي بمعنيٰ كيفَ ، أو مِنْ أينَ ، [و(الألي)] الموصولةِ ، و(أولى) الإشاريةِ ، مِنَ الأسماءِ المبنيةِ ، فتُرسَمُ ياءً أيضاً ، و(مهما) على القول بأنَّها بسيطةٌ وضعاً ، والجارى رسمُها أَلِفاً .

<sup>(</sup>١) مثاله : ( يجيئه ، ويُفيئه ) ، قال في « المطالع النصرية » ( ص ١٢٥ ) : ( لم ترسم الهمزة ، وإنما ترفع نبرة لتركز عليها قُطعة الشكل ، سواء كان الفعل مرفوعاً أو منصوباً ؛ نظراً لتحقيق الهمزة ) .

<sup>(</sup>٢) مثاله : ( مجيئان ) .

<sup>(</sup>٣) مثال عدم رسمها حال الرفع والنصب : ( أعجبني وُضوءُك ، ورأيت وضوءَكَ ) .

<sup>(</sup>٤) مثالهما: ( هاذا فيئي وشيئي ، وفيئُكَ وشيئُكَ ، وفيئُه وشيئُه ).

<sup>(</sup>٥) مثال الهمزة التي قبلها حرف صحيح: ( مَرْأَة ، وكَمْأَة ، وفَجْأَة ) ، ومثال التي قبلها معتل: ( فُجاءَة وعباءَة ، ومقرُوءَة وشنُوءَة ، وسَوْءَة ، وخطيئة ورديئة ، وهَيْئَة وفَيْئَة ) .

وإن كانَتْ طرفاً في الأسماءِ المعربةِ أوِ الأفعالِ . . رُسِمَتْ ياءً لأحدِ مُقتضِيَين :

الأُوَّلُ : أَن تزيدَ على ثلاثةِ أحرفٍ ولو بالتضعيفِ ؛ نحوُ : جلَّىٰ مُضعَّفِ جلا .

الثاني: أن تكونَ مُنقلِبةً عن ياءٍ ، ويُعرَفُ ذلكَ بالنقلِ ، ويُسهِّلُ معرفتَهُ النظرُ لتثنيةِ الكلمةِ وجمعِها جمعَ تأنيثٍ ، وإلى المضارعِ في الأفعالِ ، والمصدر (١٠).

#### ويَمنعُ مِنْ كتابتِها ياءً أمرانِ :

الأوَّلُ: أَن تَسبِقَها ياءٌ ؛ ك ( يحيا ) ، فتُرسَمُ أَلِفاً ، إلَّا إذا جُعِلَ عَلَماً ، فتُرسَمُ ياءً على القاعدةِ .

والثاني: أن يتصلَ بها ما يَجعلُها حشواً ؛ كالضَّميرِ في: أعطاهُ إحداهُنَّ ، [ وبمقتضامَ ] فعلتَ ، وحتَّامَ ، وإلامَ ؛ استفهاماً ، وحتَّاكَ وحتَّاهُ هـٰذا ؟

وإذا وقعَ ما يُرسَمُ ياءً في شعرٍ أو سجعٍ على الألفِ . . فالأحسنُ كَتْبُهُ أَلِفاً ؛ للمشاكلةِ (٢) .

والكلماتُ التي وردَتْ مقصورةً وممدودةً . . يجوزُ كَتْبُ مقصورِها بالياءِ

يَا سَيِّدَا جَازَ رِقِّي بِمَا حَبَانِي وَأُولًا أَحْسَنْتَ بِرَّا فَقُلْ لِي أَحْسَنْتُ فِي ٱلشُّكُر أَوْ لَا

ويقول الآخر: (من الرمل)

حَارَ فِي سُفْمِيَ مِنْ بَعْدِهِمُ كُلُّ مَنْ فِي ٱلْحَيِّ دَاوَىٰ أَوْ رَفَا بَانُ ٱلْحِمَىٰ لَا أَوْرَفَا بَعْدَهُمْ لَا ظَلَّ وَادِي ٱلْمُنْحَنَىٰ وَكَلَا بَانُ ٱلْحِمَىٰ لَا أَوْرَفَا

<sup>(</sup>١) أمثلتها على الترتيب : ( فتى : فتيان ، حصى : حصيات ، عصى : يعصى ، سعى : السعى ) .

<sup>(</sup>٢) وقد مثَّل له العلامة الهوريني في « المطالع النصرية » ( ص ١٤٨ ) : 

أ من المجتث )

أُوِ الْأَلِفِ، وفي المقصورِ إذا نُوِّنَ خلافٌ، ومذهبُ سيبويهِ: رسمُهُ بالأَلِفِ نصباً (١٠).

وبعضُ النحاةِ يَرىٰ رسمَ الأَلِفِ أَلِفاً مطلقاً ؛ تبعاً للَّفظِ ، وليتَهُ جرى العملُ علىٰ ذٰلكَ ، فقد أوقعَ هاذا الرسمُ الاصطلاحيُّ في غَلَطٍ كثيرٍ ، فتسمعُ الناسَ مثلاً يقولونَ : مَنْ لدى الحضرةِ .

#### ورُسِمَتْ أَلِفاً لأحدِ مُقتضِيَينِ أيضاً (٢):

الأوَّلُ : أن تكونَ مُنقلِبةً عن واوٍ ؛ كه ( تلا ) و( دعا ) مِنَ الأفعالِ ، و( عصاً ) و( مهاً ) مِنَ الأسماء .

والثاني: أن تكونَ في كلمةٍ أعجميَّةٍ (٢) ، أو في كلمةٍ عربيةٍ مجهولةِ الأصلِ ؛ كر [ الدَّدا] ) اللعبُ ، و(خسا) و( زكا) للفردِ والزوجِ ، وللكنْ جَوَّزُوا كَتْبَ مثل هلذا ياءً أيضاً .

وإذا سبقَ هاذهِ الألفَ همزة ؛ نحو : شأى وبأى ؛ بمعنى افتخر . . رُسِمَتْ ياءً .

#### الكلامُ على نونِ التوكيدِ ، ونونِ ( إذاً ) ، والتنوين

تُرسَمُ نونُ التوكيدِ الخفيفةُ أَلِفاً إلَّا عندَ خوفِ اللَّبسِ ؛ نحو: لا تضربَنْ زيداً ، واضربَنْ عمراً ؛ إذا أمرتَ واحداً مِنِ اثنَينِ .

وتُرسَمُ نونُ ( إذاً ) بالأَلِفِ على اختيارِ بعضٍ ، وبالنونِ على اختيارِ بعضٍ آخَرَ ، وبالأَلِفِ عندَ عملِها ، وبالنونِ عندَ إلغائِها ، أو بالعكسِ ، على اختلافِ النقل في اختيار بعض آخَرَ .

<sup>(</sup>١) انظر « المطالع النصرية » (ص ١٥١ ) .

<sup>(</sup>٢) أي : الألف التي وقعت طرفاً .

<sup>(</sup>٣) مثالها: ( بُغا ، يهودا ، زليخا ) .

و(إذاً) هاذه هي الجوابيةُ الواقعةُ في قولِكَ : إذاً تصيبَ ؛ جواباً لِمَنْ يقولُ : أريدُ أن أفعلَ كذا .

وأمَّا التنوينُ . . فلا يُصوَّرُ في الكتابةِ إلَّا حالةَ النصبِ ، فيُصوَّرُ أَلِفاً إن لم يكنْ بعدَ تاءِ تأنيثٍ ، أو همزةٍ تُرسَمُ أَلِفاً ، أو همزةٍ تُحذَفُ لوجودِ أَلِفٍ قبلَها ؛ كعطاءٍ وجزاءٍ .

#### الكلامُ على هاءِ التأنيثِ

هيَ تاءُ التأنيثِ التي تَمنعُ الصَّرفَ في الأعلامِ ، ويُوقَفُ عليها بالهاءِ ؛ كتاءِ فاطمةَ وطلحةَ ، وراويةٍ وعلَّامةٍ وخليفةٍ وعِدَةٍ ، فتُرسَمُ بالهاءِ ، بخلافِ تاءِ التأنيثِ مِنْ أختٍ وبنتٍ .

#### البابُ الثاني في زيادةِ حروفٍ

#### [ مواضع زيادة الألف ]

#### تُزادُ الأَلِفُ:

أَوَّلاً ؛ وهيَ همزةُ الوصل التي سبقَ بيانُ مواضعِها (١١) ، وحشواً في لفظِ ( مائةٍ ) علىٰ خلافٍ في ذٰلكَ ، وهـٰذا الرسمُ أوجبَ غلطَ الناس في النطق بالكلمةِ : ( مايةٍ ) كغايةٍ ، وطرفاً بعدَ واوِ الضَّميرِ المُتطرِّفةِ مِنْ نحو : كتبوا ، واكتبوا ، ولم يكتبوا .

#### [ مواضع زيادة الواو]

#### وتُزادُ الواوُ:

حشواً في ( أُولى ) الإشاريةِ ، و( أُولو ) و( أُولاتُ ) اللَّذَين بمعنى أصحاب وصاحباتٍ ، وطرفاً في لفظِ ( عَمْرو ) عَلَماً غيرَ منصوبِ ، ولا مضافٍ لضمير ، ولا قافيةِ بيتِ ، ولا مزيدٍ فيهِ ( أل ) (٢٠).

#### [ مواضعُ زيادةِ هاءِ السَّكتِ ]

وتُزادُ هاءُ السَّكتِ : في مواضعِها .

بَاعَدَ أُمَّ ٱلْعَهُر مِنْ أَسِيرِهَا حُرَّاسُ أَبْسِوَابٍ عَلَىٰ قُصُودِهَا

<sup>(</sup>١) انظر ( ٢٠٩/١ ).

<sup>(</sup>٢) مثال عدم زيادتها في المنصوب: ( رأيتُ عَمراً ) ، وفي المضاف لضمير: ( أعجبني عَمْرُكُم ) ، وفي الذي يقع قافية كما في « المطالع النصرية » ( ص ١٩٧ ) : ( من الخفيف )

إنَّـمَا أَنْـتَ مِنْ سُلَيْمَىٰ كَـوَاو أُلْحِقَتْ فِي ٱلْهِجَاءِ ظُلْماً بِعَمْر وفي المزيد بر ( أل ) كما في « المطالع النصرية » ( ص ١٩٧ ) : ( من الرجز )

#### البابُ الثالثُ في حذفِ بعضِ الحروفِ

#### [ مواضع حذف الهمزة ]

تُحذَفُ الهمزةُ (١) مِنْ نحوِ : (تثاءَبَ ) ماضياً ، و(جاءَهُ ) ، و(كساءً ) منصوباً .

ومِنْ نحوِ : ( سَمَوْءَلٍ ) و( تَوْءَم ) بفتح الهمزةِ وسكونِ الواوِ .

ومِنْ نحوِ: (ضوءُهُ) و(وضوءُهُ) في غيرِ حالةِ الكسرِ.

ومِنْ نحوِ: ( جَيْئَلِ ) بفتح الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و( بَئِسَ ) بكسرِ الهمزةِ .

ومِنْ نحوِ: (شيئِّكَ) و(فيئِّكَ).

ومِنْ نحوِ: ( قرءُوا ) و ( يقرءُون ) و ( رءُوسٍ ) جمع رأْسٍ .

ومِنْ نحوِ : ( دعاءٍ ) و( فجاءةٍ ) .

ومِنْ نحوِ : ( وُضُوءٍ ) و( ضَوْءٍ ) و( سَوْءَةٍ ) و( شَنُوءَةَ ) بفتح الشينِ وسكونِ الواوِ وضمِّ النونِ .

ومِنْ نحوِ : ( هنيءٍ ) و( شيءٍ ) و( خطيئةٍ ) و( هيئةٍ ) .

ومِنْ نحو : ( تراءَاهُ ) [ و ( تسُوءُونَ ) ] و( لا تسيئي يا هندُ ) .

ومِنْ نحوِ : ( إسرائيلَ ) .

[ ومِنْ ] نحوِ : ( باءُوا ) و( جاءُوا ) .

ومِنْ نحوِ : ( السُّوءىٰ ) .

<sup>(</sup>١) أي : صورتها ؛ وهي : إمَّا الألف ، وإمَّا الواو ، وإمَّا الياء .

ومِنْ نحو: (لم [يبوءا]).

ومِنْ نحو: (لم يجيئا) ، و(لم يفيئا).

ومِنْ نحو : ( [ المَوْءُودةِ ] ) .

ومِنْ نحوِ : ( فيءٍ ) .

قالوا: القياسُ حذفُها في (تراءَاهُ) وما بعدَهُ، والعملُ الآنَ على عدمِ حذفِها في مثلِ (فيءٍ) مِنْ: هذا فيئي.

#### [ مواضع حذف همزة الوصل]

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ مِنْ ( أل ) إذا دخلَ عليها همزةُ الاستفهامِ ولم يكنْ لَبسٌ ، وإذا دخلَ عليها اللَّامُ الحرفيَّةُ خافضةً أو غيرَها (١١).

كما تُحذَفُ مِنْ ( بَلْعنبرِ ) و ( بَلْحارثِ ) اللَّذَينِ أصلُهُما : بنو العنبرِ وبنو الحارثِ ، وفي لغةِ مَنْ يقولُ : مِلْماءِ و( عَلْماءِ ) في : مِنَ الماءِ وعلى الماءِ .

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ أيضاً مِنْ نحوِ: (اصطفىٰ) و(استخرجَ) فعلَينِ، و(اصطفاءٍ) و(استخراجٍ) مصدرَينِ ؛ إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهام (۱).

وتُحذَف مِنْ لفظِ ( اسمٍ ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهامِ (٢٠).

<sup>(</sup>١) مثال دخول همزة الاستفهام على (أل): (آلرَّجلُ خير أم المرأة؟)، ومثال دخول اللام الحرفية: (لِلحقِّ دولة، وللباطل جولة).

<sup>(</sup>٢) مثال دخول همزة الاستفهام على الفعل قوله تعالى: ﴿ أَصَطَانَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَيِنَ ﴾ [الصافات: ١٥٣]، ونحو: ( أَفْتراءً على الله قلتَ كيت وكيت أم اجتراءً ؟!).

<sup>(</sup>٣) مثاله : (أسمُك زيد أم عمرو؟).

ومِنْ (بسمِ اللهِ الرحمانِ الرحيمِ) إذا لم يُذكَرْ مُتعلَّقٌ مُقدَّماً أو مُؤخَّراً (١). ومِنْ لفظِ (ابنِ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهام، أو (يا) الندائيةُ .

ومنهُ ومِنِ (ابنةِ) إذا وقعَ كلُّ منهُما صفةً لعَلَمٍ شخصيٍ أو جنسيٍ ، وأُضيفَ لعَلَمٍ كذلكَ ولو تنزيلاً ، ولم يكنْ لفظُ ابنٍ أو ابنةٍ أوَّلَ سطرٍ ؛ ك (أنسُ بنُ مالكٍ ، ومالكُ بنُ أنسٍ ، ومحمدُ بنُ مالكٍ ، وفلانُ أو فلانةُ بنُ أو بنةُ فلانٍ أو فلانةً ، وضلُّ بنُ ضلٍ ، وهيُّ بنُ بيٍّ ؛ لِمَنْ لا يُعرَفُ أبوهُ ، ومحمدُ بنُ الخطيبِ ، وأبو بكرٍ بنُ أمّ جعفرٍ ) .

#### [ مواضع حذفِ الألفِ]

وتُحذَفُ الأَلِفُ مِنْ نحوِ: (آدمَ ، وآثرَ ، ومآلٍ ).

ومِنْ نحوِ : ( السماواتِ ) .

ومِنْ لفظِ : ( اللهِ ) و( الإلهِ ) و( إلاهِ العالَم ) .

ومِنْ لفظِ : ( الرحمانِ ) مُعرَّفاً كسابقِهِ دونَ النكرةِ منهُما .

ومِنْ لفظِ ( [ الحرثِ والسَّلم ] ) مُعرَّفَينِ أيضاً .

ومِنْ كلِّ عَلَمٍ على وزنِ ( فاعل ) ، ك ( ملكٍ وصلحٍ ) ، بخلافِ الأوصافِ ؛ كرجلٍ صالحِ مالكٍ .

ومِنْ بعضِ الأعلامِ المُشتهِرةِ ؛ ([كإبلهيمَ ، وإسمعيلَ ، وإسحاق] ، ومعاوية) ، ولا تُحذَفُ لخوفِ اللَّبسِ مِنْ نحو: (عبَّاسٍ) ، ولا مِنْ نحو: (السرائيلَ) لوجودِ حذفٍ فيه ، فلا يُجمَعُ فيهِ حذفانِ .

<sup>(</sup>١) مثال ذكر المتعلَّق مقدَّماً: ( أتبرَّك باسم الله الرحمان الرحيم ) ، ومثال ذكر المتعلَّق مؤخراً:

<sup>(</sup> باسم الله الرحمان الرحيم أستفتح ) .

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ ( ثلاثٍ ) في : ثلثمائةٍ ، وثلثِ نسوةٍ ، [ وثلثةِ ] رجالٍ ، وثلثٍ وثلاثينَ ، ومِنْ لفظِ ( الثلاثاءِ ) اسم اليوم .

وتُحذَفُ جوازاً مِنْ نحوِ: ثماني ليالٍ ؛ إن لم تُحذَفِ الياءُ ، وإلَّا . . وجبَ إثباتُها ؛ كقولِهِ (۱):

لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعٌ حِسَانُ وَأَرْبَعٌ فَ ثَغْرُهَا ثَمَانُ وَأَرْبَعٌ فَ ثَغْرُهَا ثَمَانُ وَتُحذَفُ مِنْ لفظِ (للكنْ) مُخفَّفةً أو مُشدَّدةً .

وتُحذَفُ مِنْ ( مَا ) الاستفهاميةِ التي لم تُركَّبْ معَ ( ذا ) ، مخفوضةً بحرفٍ أو مضافٍ ؛ مثلُ : على مَهْ ؟

ومِنْ (ما) الموصولةِ في نحوِ: [بمَ] شئتَ فقط (٢٠)، ومِنْ لفظِ (أَمَا) إذا وقعَ بعدَها القسمُ ؛ مثلُ: [أمَ] وأبيك (٣٠).

وتُحذَفُ مِنْ ( ذا ) الإشاريةِ ، و( يا ) الندائيةِ ، و( أنا ) ضميرِ المُتكلِّمِ ، وها التنبيهيةِ معَ اسمِ إشارةٍ ليسَ أولَهُ تاءٌ ولا هاءٌ ، ولا بعدَهُ كافٌ ؛ مثلُ : هذا وها ذاذ وأيُّهاذا ، بخلافِ : هاتا وها هنا وها ذاكَ ، ومِنْ لفظِ : هاللهِ وآللهِ في القسم ، ومِنْ [ هاأنا ، وهاأنتَ ] لا مِنْ ها هو وها هي .

ولا تُحذَفُ أَلِفُ ( ذا ) إلَّا مُثنّى ، أو مع لامِ التبعيدِ ، ولا تُحذَفُ أَلِفُ ( أنا ) الضَّمير إلَّا في هاءِ نداءٍ .

وتُحذَفُ أَلِفُ ( يا ) الندائيةِ في : يٰأيُّها ويٰأَهْلَ ، ونحوِ : [ يٰإبراهيمُ ويٰإسحاقُ ] ، بخلافِ نحوِ : يا آدمُ ويا آزرُ ، ممَّا حُذِفَ ثانيهِ .

<sup>(</sup>١) انظر « خزانة الأدب » ( ٣٦٥/٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « المطالع النصرية » ( ص ٢٣١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « المطالع النصرية » ( ص ٢٣٢ ) .

#### [ مواضع حذفِ ياءِ المنقوص]

وتُحذَفُ ياءُ المنقوصِ ؛ كقاضِ ومفتٍ ، مُنكَّراً غيرَ منصوبِ ولا مضافٍ .

#### [ مواضع حذف الواو]

وُتحذَفُ الواوُ مِنْ لفظِ: داوُدَ وطاوُسٍ وناوُسٍ، ونحوِ: رءُوسٍ، ولا تُحذَفُ مِنْ مثلِ قَوْولٍ وصَوْلٍ على فَعولٍ للمبالغةِ ؛ لدفعِ اللَّبسِ بقَوْلٍ وصَوْلٍ مصدرَين.

#### [ مواضع حذف اللَّام]

وتُحذَفُ لامٌ مِنَ الثلاثِ في نحوِ: لم يُخلَقِ الإنسانُ للَّعبِ ولا للَّهوِ ، وقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « لَلهُ أَرْحَمُ بِٱلْمُؤْمِنِ » (١) بفتحِ اللَّم ؛ وهي لامُ الابتداءِ ، كما تُحذَفُ مِنَ الموصولاتِ ، تُكتَبُ بلامَينِ إذا دخلَ عليها لامُ الخفض أو لامُ الابتداءِ .

#### [ مواضع حذفِ التاءِ ]

وتُحذَفُ التاءُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا أُسنِدَ لتاءِ [الفاعلِ] ؛ نحوُ: لَعَنِتُّم.

#### [ مواضع حذف النونِ ]

وتُحذَفُ النونُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا اتصلَ بكلمةِ ( نَا ) الفاعلِ أو نونِ النسوةِ أو نونِ النسوةِ أو نونِ النسوة أو نونِ الوقايةِ في نحو: آمنًا ، والنسوةُ بِنَّ ، وأعنِّي ، ولم يمكنِّي .

وتُحذَفُ النونُ أيضاً مِنْ كلمتَيْ ( مِنْ ) و( عَنِ ) الجارَّتَينِ إذا اتصلَ بهِما ( ما ) أو ( مِنْ ) (٢٠ .

<sup>(</sup>١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » ( ٦٧٣٠ ) عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالى مرسلاً بنحوه .

<sup>(</sup>۲) مثاله: (ممّا، عمّا).

وتُحذَفُ نونُ (إِنِ) الشرطيةِ إذا اتصلَ بها (ما) الزائدةُ أو (لا) النافيةُ (١).

وتُحذَفُ نونُ (أَنِ) المصدريةِ حيثُ تكونُ ناصبةً إذا اتصلَ بها (ما) أو (لا) (١)، وتُحذَفُ مِنْ نِعِمًا في نحوِ: ﴿ إِن تُبُدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمًا في خوبًا .

\* \* \*

<sup>(</sup>١) مثال الأول قوله تعالى : ﴿ إِمَّا يَبَلَغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَر . . . ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، ومثال الثاني قوله تعالى :

<sup>﴿</sup> إِلَّا نَتَصُرُوهُ فَقَدَ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠].

<sup>(</sup>٢) مثال الأول : ( أمَّا أنت ذا مالٍ تفتخر !! ) ، ومثال الثاني : ( أرجو ألَّا تهجرني ) .

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة : ( ٢٧١ ) .

#### البابُ الرابعُ في وصلِ بعضِ الكَلِمِ ببعضٍ علىٰ خلافِ الأصلِ الذي هوَ الفصلُ ليناسبَ الخطُّ اللفظَ

إذا كانَتِ الكلمةُ مِنْ حرفٍ واحدٍ ؛ كباءِ الجرِّ ولا مِهِ ولامِ الابتداءِ . . وُصِلَتْ بما بعدَها ؛ وذلكَ لأنَّهُ لا يَصِحُّ الوقفُ عليها ، وابتناءُ الكتابةِ على الوقفِ والابتداءِ ، ولذلكَ وجبَ وصلُ الكلماتِ التي لا يَصِحُّ الابتداءُ بها بما قبلَها ؛ كالضَّمائرِ البارزةِ المتصلةِ ، وعلاماتِ التأنيثِ والتثنيةِ ، فكلُّ ما لا يُوقَفُ عليهِ وما لا يُبدَأُ بهِ . . يُوصَلُ بما بعدَهُ وبما قبلَهُ .

ولو صارَتِ الكلمةُ بالتصرُّفِ على حرفٍ واحدٍ ؛ كالأمرِ مِنْ ( وقى ) ومِنْ ( وعى ) ومِنْ ( وعى ) . . فإنَّهُ يُوصَلُ بما بعدَهُ إن كانَ ضميراً ؛ لعدم صحةِ الوقفِ عليهِ ، وعدمِ صحةِ الابتداءِ بالضَّميرِ ، فيكونُ الوصلُ في مثلِهِ لمُقتضِيَينِ ، فلو وليَهُ اسمٌ ظاهرٌ . . وجبَ أن تَلحَقَهُ هاءُ السكتِ ، ويُلفَظُ بها وقفاً لا وصلاً ، إلَّا إذا أجريتَ الوصلَ مُجرى الوقفِ ؛ فلك الوجهانِ في النطقِ بقولِ الشاعرِ (١٠) : [من البسط] فيه بِالْعُقُودِ وَبِالْأَيْمَانِ لَا سِيَّمَا عَهْدٌ وَفَاءٌ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْقُرَبِ ويجبُ وصلُ المُركَّباتِ المزجيَّةِ ؛ كبعلبكَ ومعديكربَ وقالي [ قلا ] (٢٠) ، وليسَ منها الأعدادُ المُركَّباتِ المزجيَّةِ ؛ كبعلبكَ ومعديكربَ وقالي [ قلا ] (٢٠) ،

نعم ؛ وصلوا ثلاثَ مائةٍ إلى تسع مائةٍ ، وأُلحِقَ بالمُركَّباتِ المزجيَّةِ بابُ ( يومئذٍ ) إذا لم تُضَفْ كلمةُ ( إذْ ) كما سبقَ التنبيهُ على رسمِهِ (٢) ، وينبغي

<sup>(</sup>١) انظر « المطالع النصرية » ( ص ٥٥ ) .

<sup>(</sup>٢) قالى قلا: من مدن أرمينية .

<sup>(</sup>٣) انظر ( ١٣/٣ ).

أَن يُتنبَّهَ لَلضَّميرِ الواقعِ بعدَ الكلمةِ : هل هوَ مُنفصِلٌ أَو متصلٌ ؟ لاختلافِ الحالِ في الكتابةِ ؛ فليسَ حالُ : ﴿ يَوْمَ هُوْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (١) مثلَ حالِ : ﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوْعَدُونَ ﴾ (١) .

#### [ وصلُ ( ما ) بما بعدَها وضابطُ الوصل ]

وتُوصَلُ (ما) الاستفهاميةُ بحرفِ جرٍ وبمضافٍ ؛ نحوُ: ممَّ ، وعمَّ ، وفيمَ ، وبمقتضامَ فعلتَ كذا ؟

وتُوصَلُ ( ما ) الموصولةُ و( ما ) النكرةُ بمِنْ وفي وعن فقطْ (") ، وتُوصَلُ ( ما ) الزائدةُ كافَّةً وغيرَ كافَّةٍ مهيئةً وغيرَ مهيئةٍ بما قبلَها ، إلَّا في أيَّانَ ما ، ومتى ما ؛ كقلَّما وطالَما وإنَّما وكأنَّما وربَّما وبما وأيَّما .

وتُوصَلُ ( ما ) المصدريةُ في : كلَّما جئتَني . . أكرمتُكَ ، وأينَما صنعتَ ، ومثلِهِما ، لا في مثل : إنَّ ما صنعتُ معجبٌ .

وضابطُ الوصلِ : أن يكونَ معنى شرطٍ أوِ استفهام .

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ بكلمةِ (سيٍّ) بمعنى: مثلٍ في قولِهِم: لا سيَّما، وبكلمةِ (مثلٍ) مِنْ نحوِ: أسلمْنا مثلَما أسلمتُم، وبكلمةِ (ريثٍ) كما في قولِ الشنفري (١٠):

وَلَكِنَّ نَفْساً حُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

مصدرُ راثَ ؛ أي : بُطْئاً ما ، فهوَ مِنَ المصادرِ الواقعةِ ظروفاً بالنيابةِ عنِ المضافِ المحذوفِ ؛ أي : وقتَ ريثِ التحوُّلِ .

<sup>(</sup>١) سؤرة الذاريات : (١٣).

<sup>(</sup>٢) سورة الزخرف: ( ٨٣).

 <sup>(</sup>٣) أمثلتها على الترتيب: قوله تعالىٰ : ﴿ فَكُلُواْ مِنَا أَشَكُنَ عَلَيْهُ ﴾ [المائدة : ٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لّا تُتَعُونَا وَلَا تُتَعَلَّو مُنَا لَهُ عَمَا تَعَمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٢٥] ، و( لا تخض فيما خاصَ فيه الناس ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان الشنفريٰ » ( ص ٧٣ ) .

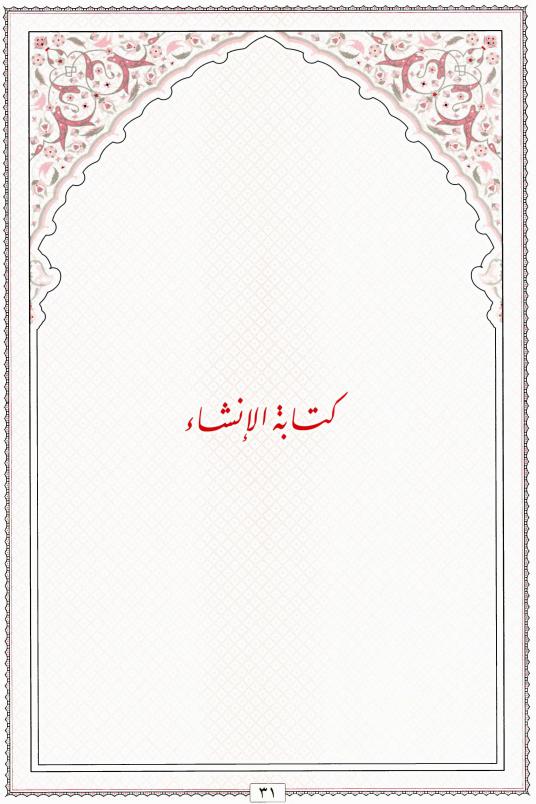
وتُوصَلُ كلمةُ ( مَنْ ) شرطيةً أو غيرَها بحرفَيْ مِنْ وعن فقطْ ؛ مثلُ : ممَّنْ أنتَ ؟ ورضيتُ عمَّن رضيتَ عنهُ ، فلا تُرسَمُ النونُ بينَ الميمَين .

وتُوصَلُ كلمةُ ( لا ) بهمزتَيْ ( إن ) الشرطيَّةِ و( أن ) الناصبةِ للفعلِ ، سواءٌ صُوِّرَتا أَلِفاً أو ياءً على ما سبقَ (١٠).

هذا؛ ولمّا كانتِ الحروفُ الهجائيةُ إنّما تَدُلُّ على ماذَّةِ اللَّفظِ .. مَسَّتِ الحاجةُ لوضعِ علاماتٍ لبيانِ الحركاتِ تُسمَّىٰ شَكْلاً ، كما أنّهُم لمّا اصطلحوا على تصويرِ بعضِ الحروفِ بغيرِ صورِها الأصليةِ أو عدمِ تصويرِها . احتاجوا أيضاً لعلاماتٍ تَدُلُّ على المادَّةِ ؛ مثلاً : العلامةُ التي تُسمَّىٰ : قطعةً ؛ تُوضَعُ فوقَ الهمزةِ القطعيةِ ، والأحرفِ المصورةِ بها الهمزةُ ، وموضعِ الهمزةِ التي ليسَ لها صورةٌ ، كما أنَّ الأحرف لمّا اشتركَ بعضُها في الصورةِ . . لزمَ النقطُ ؛ ليسَ لها صورةٌ ، كما أنَّ الأحرف لمّا اشتركَ بعضُها في الصورةِ . . لزمَ النقطُ ؛ لتمييزِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، ولم يكنْ ذلكَ إلَّا بتنبيهِ التحريفِ والتصحيفِ ، ومعَ الداعي إلىٰ هنذهِ الاحتراساتِ فربَّما لم يحافظوا عليها ، بل هوَ الأكثرُ ، ولذلكَ فسدَتِ اللغةُ العربيةُ ، وكانَتْ هنذهِ الاصطلاحاتُ غيرَ مفيدةٍ إفادةَ الضَّبطِ الذي كانَ يلزمُ لحفظِ صورةِ اللغةِ ، ومعرفةِ المنقوطِ مِنْ غيرهِ مِنَ التعاليم الأوليَّةِ .

غيرَ أنَّ الاصطلاحَ الرسميَّ يُوجِبُ التنبية على أنَّ هاءَ التأنيثِ لا يجوزُ نقطُها إذا وقعَتْ طرفاً في سجعٍ أو قافيةٍ ، وفي غيرِ ذلكَ يجبُ نقطُها بنقطتي التاءِ عندَ خوفِ اللَّبسِ ، وإلَّا . . جازَ الأمرانِ ، وأنَّ الياءَ إذا وقعَتْ طرفاً أو وسطاً بدلاً عن همزةٍ . . لا تُنقَطُ ؛ كالفاءِ والقافِ والنونِ إذا وقعَتْ طرفاً ، أو إذا كانَتِ الياءُ وسطاً مُحقَّقةً ؛ كمعايشَ . . وجبَ نقطُها ، وإذا كانَتْ بدلَ همزةٍ بعدَ كسرةٍ ساكنةٍ أو مفتوحةٍ ؛ كبئر ومئةٍ . . جازَ فيها الأمرانِ .

<sup>(</sup>۱) انظر ( ۱۳/۳ ).





 $\frac{1}{2}\left(\frac{1}{2}\right)\right)\right)}{\frac{1}{2}}\right)\right)}\right)\right)}\right)\right)}\right)\right)}\right)\right)}\right)}\right)}$ 

#### [ إضاءةٌ على كتابةِ الإنشاءِ ]

ويُقالُ: صناعةُ الترسُّلِ؛ وهي المُسمَّاةُ في زمانِنا: كتابةَ التحريراتِ؛ أي : الإتيانُ بالحرِّ مِنَ الكلامِ، في مقابلةِ كتابةِ الأموالِ المُسمَّاةِ الآنَ: كتابةَ العساباتِ؛ وهي تأليفُ كلامٍ بأي لسانٍ متميزٍ عنِ المعتادِ في غرضٍ مِنْ أغراضِ الشركةِ الإنسانيةِ، وهي صناعةٌ تَقْوَى بقُوَّةِ الدولةِ، وتتَسعُ باتساعِ أحوالِها وعمومِ نشوةِ الفرحِ بينَ الناسِ؛ لأنَّ أهلَ الصِّناعةِ إذ ذاكَ يشتغلونَ بابتداءِ المكاتباتِ عن أُمرائِهِم، والإجابةِ عنهُم، وتدورُ بينَهُمُ المُخاطَباتُ في التهاني والتشكُّراتِ والتسلياتِ والشفاعاتِ والاستعطافِ والعتابِ والاعتذارِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ المعاني .

وقد بلغَتِ الكتابةُ العربيةُ حيثُ كانَتِ الدولةُ عربيةً والأيامُ في إقبالِها مَبلغاً جازَتْهُ الكتابةُ التركيَّةُ حيثُ قامَتْ دولتُها ؛ كما نطقَ بذلكَ عقلاءُ العارفينَ باللسانينِ ، ويُنبِّهُكَ على شرفِ كتابةِ الإنشاءِ ما نالَهُ أهلُها مِنَ الرفعةِ ونباهةِ الذِّكرِ ؛ فقد كانَ اسمُ الوزيرِ في الدولةِ العباسيَّةِ وما قارنَها مِنَ الدُّولِ الإسلاميةِ مُختصًا برئيسِ ديوانِ الرسائلِ ، وهوَ الديوانُ المُعيَّنُ لكتابةِ الإنشاءِ ، المُسمَّىٰ في زمانِنا بالمعيَّةِ السنيّةِ .

فممَّنِ اشتَهرَ بهاذه الصِّناعةِ \_ وكانَ وزيرَ دولتِهِ ومُدبِّرَ أمرِها \_ : الربيعُ والفضلُ ابنُهُ ، وبنو برمكَ يحيى وابناهُ الفضلُ وجعفرٌ ، وبنو الفراتِ ، والفضلُ ابنُهُ ، وبنو برمكَ يحيى وابناهُ الفضلُ وجعفرٌ ، وبنو الفراتِ وغيرُهُم في الدولةِ العباسيةِ ، والأستاذُ ابنُ العميدِ والصَّاحبُ ابنُ عبادٍ إسماعيلُ وغيرُهُما في سلطنةِ بني بويهَ ، وعبدُ الرحيمِ المشهورُ بالقاضي الفاضلِ والعمادُ الأصبهانيُّ في سلطنةِ بني أيوبَ ، وابنُ زيدونَ ولسانُ الدِّينِ ابنُ الخطيبِ بالمغربِ ، كلُّ أولئكَ سادوا بصنعةِ الكتابةِ ، وعلَتْ أقدارُهُم ابنُ الخطيبِ بالمغربِ ، كلُّ أولئكَ سادوا بصنعةِ الكتابةِ ، وعلَتْ أقدارُهُم

حتى أُلِّفَتِ الكتبُ في ذكرِ مناقبِهِم ، وأخبارِ أيَّامِهِم ، ونقلُ اسمِ الكتابةِ إلى الفنِّ المُتعلِّقِ بها ، المعدودِ في فنونِ الأدبِ وعلومِ العربيةِ .

#### [ طريقتانِ لتعلُّم الإنشاءِ]

وهاذا الفنُّ عبارةٌ عن تنبيهاتٍ تُرشِدُ مَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ تلكَ الصِّناعةَ ، وليسَ كغيرِهِ مِنَ الفنونِ ذا قواعدَ مضبوطةٍ ، بمعرفتِها تكونُ نهايةُ العلمِ بها ، فإنَّ لمَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ الإنشاءَ في كيفيةِ التعلُّمِ - كما قالَهُ ابنُ الأثيرِ - طريقتَين :

إحداهُما: أن يَحفظ القرآنَ ، ويَفهمَ معناهُ ، وجملةً مِنَ الأحاديثِ والآثارِ والأشعارِ ، معَ تحصيلِ ما يلزمُ تحصيلُهُ مِنَ الفنونِ السابقةِ ، ثمَّ يجتهدُ في الإنشاءِ على نحوِ أساليبِ الكلامِ الذي حفظَهُ ؛ فتارةً يصيبُ ، وتارةً يخطئ ، حتى يحكمَ لنفسِهِ طريقةً ، قالَ : ( وهيَ أصعبُ الطريقتينِ ) (١).

الطريقةُ الثانيةُ: أن يزيدَ على ما تَقدَّمَ الاطِّلاعَ على منشآتِ مَنْ تَقدَّمَهُ، وحفظَ الكثيرِ منها، واستعمالَ الفكرِ في انتقادِ تراتيبِها، واختيارِ ما اختيرَ في ابتداءاتِها، وانتهاءاتِها، ثمَّ يأتيَ بما قَدَرَ عليهِ مِنِ اتباعٍ أوِ اختراعٍ.

#### [حصر تعلُّم الإنشاء في جهاتٍ ثلاثٍ]

إذا وعيتَ ذٰلكَ . . فاختصارُ ما أطالَ بهِ المُؤلِّفونَ في هـٰذا الفنِّ علىٰ تفاوتِهم في ذٰلكَ يَحسُنُ أن يكونَ في ثلاثِ جهاتٍ :

<sup>(</sup>١) انظر « المثل السائر » ( ٩١/١ ) .

الجهةُ الأُولىٰ : في ذكرِ ما يلزمُ تحصيلُهُ لِمَنْ يريدُ أن يكونَ منشئاً .

الجهةُ الثانيةُ: في أمورٍ كليَّةٍ.

الجهةُ الثالثةُ: في ذكرِ طرفٍ مِنْ طرائفِ منشآتِ أذكياءِ أهلِ الصِّناعةِ.

※ ※ ※

# الجهةُ الأُولىٰ فيما يجبُ تحصيلُهُ علىٰ مَنْ يريدُ أن يكونَ كاتباً حَسَبَ ما كانَتْ تقتضيهِ أحوالُ الأزمنةِ السالفةِ

يجبُ عليهِ أن يَتوسَّعَ في حفظِ منتقياتِ اللغةِ ، فاصلاً بينَ مُشترَكِها ومُختصِّها ومتباينِها ، ومترادفِها ومتكافئِها ، ومطلقِها ومُقيَّدِها ، ملاحظاً مجازاتِها وكناياتِها ، حتَّىٰ إذا دُفِعَ لصفةِ خيلٍ وسلاحٍ وجيشٍ ، أو صورةِ حربٍ ، وكيفَ بدأَتْ وحَمِيَ فيها الوطيسُ وانتهتْ ، والنصرِ والهزيمةِ ، أو صفةِ غِلمانٍ وجَوارٍ ، أو حيواناتٍ وحشيَّةٍ أو غيرِ وحشيةٍ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ المعاني التي يَعرِضُ للكاتبِ أن يَصفَها ويَتَسعَ في الكلامِ عليها . . لم يَعجِزْ أن يأتي بالعباراتِ الدالَّةِ علىٰ حقيقةِ الغَرَضِ الذي أخذَ في تفهيمِهِ . يعجِزْ أن يأتي بالعباراتِ الدالَّةِ علىٰ حقيقةِ الغَرَضِ الذي أخذَ في تفهيمِهِ .

### [ إجادة النحو]

وأن يُجِيدَ معرفةَ النحوِ ، حتى يأمنَ بملاحظتِهِ حينَ يقرأُ وحينَ يكتبُ مِنَ اللَّحنِ ، وقد كانوا يستقبحونَ اللَّحنَ جدًا ، حتى إنَّ بعضَ الملوكِ كالمأمونِ أبعدَ بلَحْنةٍ عن الخدمةِ ، وقيلَ (١):

اَلنَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ ٱلْأَلْكَنِ وَٱلْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ وَٱلْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ ٱلْعُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيمُ ٱلْأَلْسُنِ

وإن يكنْ قد تَغيَّرَ الحالُ في ذلكَ ، حتى إنَّهُ يُحكىٰ : أنَّ كاتباً كتبَ في صدرِ كتابٍ يخبرُ فيهِ عن تمامِ برجِ أمرَ السلطانُ ببنائِهِ : قد نَجِزَ ما أمرَ بهِ

<sup>(</sup>١) انظر « عيون الأخبار » ( ١٥٧/٢ ) .

أبو فلانٍ ، فلمَّا سمعَهُ الأميرُ المأمورُ بذلكَ العملِ . . غضبَ على الكاتبِ ، وقالَ لهُ : تقولُ عنِ السلطانِ : (أبو) وهي كلمةٌ مُبتذَلةٌ بألسنةِ العامَّةِ ؟! قُلْ : (أبي) فإنَّها المناسبةُ للتعظيمِ ، فقالَ لهُ الكاتبُ : (أبو) فاعلٌ ، حقُّهُ الرفعُ ، فقالَ الأميرُ : وهذهِ أعجبُ !! متى رأيتَ السلطانَ يحملُ طيناً أو حجراً حتى تقولَ : إنَّهُ فاعلٌ ؟!

فإنَّ ذلكَ لا يمنعُ مِنْ تحصيلِ الفضيلةِ التي بها الشَّرفُ بينَ أهلِ الفضلِ . وأن يَعرِفَ التصريفَ ؛ حتى يأمنَ مِنَ الخطأ في مثلِ أبنيةِ المصادرِ ، والمصدرِ الميميِّ ، واسمِ المكانِ ، واسمِ الزمانِ ، والتأنيثِ والتذكيرِ ، والتثنيةِ ، وصيغِ الجموع ، والتصغيرِ ، والنَّسبِ .

### [ تحصيلُ علوم البلاغةِ ]

وأن يُحصِّلَ علومَ البلاغةِ ؛ ليَستعمِلَ كلَّ حالٍ مِنْ أحوالِ التراكيبِ في موضعِها ، ويَعرِفَ متى تَحسُنُ الاستعارةُ والكنايةُ والمجازُ ، وكيفَ يَستَعمِلُ المُحسِّناتِ البديعةَ ، قالَ الشيخُ شهابُ الدِّينِ محمودٌ الحلبيُّ في كتابِهِ «حسنُ التوسُّلِ إلى صناعةِ الترسُّلِ » : (وهانهِ العلومُ الثلاثةُ وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذِّهنِ الثاقبِ ، والطبعِ السليمِ ، والقريحةِ المطاوعةِ ، والفكرةِ المنقحةِ ، والبديهةِ المجيبةِ ، والرويَّةِ المُتصرِّفةِ ، للكنَّ العالِمَ بها يَتمكَّنُ مِنْ أَرْمَّةِ المعاني وصناعةِ الكلامِ ؛ يقولُ عن علمٍ ، ويتصرَّفُ عن معرفةٍ ، وينتقدُ بحُجَّةٍ ، ويَتخيَّرُ بدليلِ ، ويَستحسنُ ببرهانٍ ، ويصوغُ الكلامَ بترتيبٍ ) (١) .

فقد أبانَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ عمومَ الحاجةِ إلىٰ معرفةِ هـٰذهِ العلومِ ، ولم يقفْ عندَ استغناءِ الأذكياءِ عنها ، كما فعلَ ابنُ السبكيّ رحمَهُ اللهُ في خطبةِ كتابِهِ

<sup>(</sup>١) حسن التوسل ( ص ١١ ) .

«عروسُ الأفراحِ شرحُ تلخيصِ المفتاحِ » حيثُ قالَ: (أمَّا أهلُ [ بلادِنا ] . . فهُم مستغنونَ عن ذلك ؛ بما طبعَهُمُ اللهُ عليهِ مِنَ الذَّوقِ السليمِ ، والفهمِ المستقيمِ ، والأذهانِ التي هي أرقُ مِنَ النَّسيمِ ، وألطفُ مِنْ ماءِ الحياةِ في المُحيَّا الوسيمِ ، أكسبَهُمُ النبلُ تلكَ الحلاوة ، وأشارَ إليهِم بأصابعِهِ فظهرَتْ عليهِم هاذهِ الطُّلاوةُ ، فهُم يدركونَ بطباعِهِم ما أفنتْ فيهِ العلماءُ فضلاً عنِ الأغمارِ الأعمارَ ، ويرونَ في مرآةِ قلوبِهِمُ الصَّقيلةِ ما احتجبَ مِنَ الأسرارِ خلفَ الأستار .

وَٱلسَّيْفُ مَا لَمْ يُلْفَ فِيهِ صَيْقَلٌ مِنْ طَبْعِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالِ

فيا لها غنيمةً لم يُوجَف عليها مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ ، ولم يُزحَف إليها بعدوِ عيديَّةٍ (٢) ، ولا بلحاقِ لاحقِ ، وانسكابِ سكابِ !! ) (٣) .

وأراد \_ أكرمَ اللهُ مثواهُ ، وأبلغَهُ وافرَ حظِّهِ مِنْ رضاهُ \_ أذكياءَ أهلِ مصرَ ، وجاراهُ في ذلكَ أبو العباسِ أحمدُ القَلْقَشَنديُّ ، حيثُ نقلَ ذلكَ في كتابِهِ «صبحِ الأعشىٰ » (\*) ، وأُوردُ استشهاداً علىٰ ذلكَ بعضَ كلامٍ مِنْ كلامِ عوامِّهم ؛ كقولِ بعضِهم في الزَّجَل :

قف نقولك يا فهيم ما صنع وجد لغزال أرخ ليل شعر لبهيم وتلثم بالهلال وكشف ذاك للثام ورفع ليل لشعر اهتتك فيه بالغرام كل ما كان استتر

<sup>(</sup>١) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » ( ١٤٥/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) العيدية : كرام نجائب النُّوق .

<sup>(</sup>٣) عروس الأفراح ( ١٤٦/١ ) ، ولاحق وسكاب : فرسان .

<sup>(</sup>٤) صبح الأعشى (١٨٢/١).

ويُراعىٰ في النطقِ بالزَّجلِ اللَّحنُ المعتادُ ؛ لحفظِ الوزنِ ، ووزنُ هـٰذا الزَّجلِ : فاعلات فاعلات .

## [حفظُ القرآنِ الكريم]

وأن يحفظ القرآن الشريف ، مُتأمِّلاً مقاصد فصولِهِ ، ومواقع آياتِهِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، وحسنَ الارتباطِ بينَها ؛ حتىٰ يكونَ لهُ نوراً يهتدي بهِ في طريقِهِ التي يريدُ أن يسلكَها ، وبعد ذلكَ فإنَّهُ يستشهدُ بآياتِهِ بعدَ المقارنةِ بينَها وبينَ الأغراضِ التي يحاولُ إنشاءَ الكلامِ لأجلِها علىٰ ما شاءَ مِنَ المعاني ، ويُحلِّي كتبَهُ بالاقتباسِ منهُ في مواضعِ الاقتباسِ ، علىٰ ما سبقَ التنبيهُ لهُ في علمِ البديع .

ويَعتبِرُ حسنَ الاقتباسِ بمثلِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على ما حكاهُ في «تاريخِهِ» القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ الجرجانيُّ ، في كتابٍ لأكثمَ بنِ صيفيٍّ وقد كتبَ لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يَستعلمُهُ عن أُمرِهِ حينَ شاعَ ذكرُ مَبعثِهِ ، وهنذا نصُّ الكتابِ : «بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ أَلرَّحِيمٍ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَىٰ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ : أَحْمَدُ ٱللهَ إِلَىٰ قُلْلَهُ ، أَقُولَهَا وَآمُرَ ٱلنَّاسَ بِهَا ، وَٱلْخَلْقُ لَا اللهُ ، وَهُو [ يَنشُرُهُمْ ] ، وَلتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ خَلْقُ ٱللهِ ، وَلَا عَلْمَ أَمْرُ ٱللهِ ، خَلَقَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ ، وَهُو [ يَنشُرُهُمْ ] ، وَلتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين » .

وقولِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ في عهدِهِ بالخلافةِ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ: (بسمِ اللهِ الرَّحمانِ الرحيمِ ، هاذا ما عهدَ أبو بكرٍ خليفةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عندَ آخِرِ عهدِهِ بالدنيا ، وأوَّلِ عهدِهِ بالآخِرةِ ، في الحالِ التي يؤمنُ فيها الكافرُ ، ويَتَّقي فيها الفاجرُ ؛ أنِّي استعملتُ عليكُم عمرَ بنَ الخطاب ، فإن برَّ وعدلَ . . فذاكَ علمي بهِ ، وإن جارَ وبَدَّلَ . . فلا

علمَ بالغيبِ ، والخيرَ أردتُ ، ولكلِّ امرئ ما اكتسبَ مِنَ الإثمِ ، وسيعلمُ الذينَ ظلموا أيَّ منقلبِ ينقلبونَ ) (١١) .

#### [ الإكثارُ من حفظِ صحاح الأحاديثِ ]

وأن يحفظ كثيراً مِنْ صحاحِ الأحاديثِ للأغراضِ التي لأجلِها يَحفظُ القرآنَ .

# [ قراءة التاريخ مع الاعتبار ]

وأن يَقرأَ التواريخَ التي يَغلِبُ عليها التحقيقُ ؛ ك « تاريخِ الخطيبِ البغداديِّ » ، و « تاريخِ الحافظِ الذهبيِّ » ، و « تاريخِ ابنِ الأثيرِ » ؛ ليحكمَ في الوقائع بحكم نظائرِها ، ويَعرِفَ الأحوالَ الحاضرةَ بمعرفةِ أمثالِها الغابرةِ .

#### [معرفة الأمثالِ العربيةِ]

وأن يَحفظ كثيراً مِنَ الأمثالِ العربيةِ وغيرِها ، والأقوالِ الصادرةِ عنِ الحكماءِ ؛ فإنَّها خزائنُ الحِكمِ ، ومُستودعاتُ المعاني ، ومنها تَعرِفُ حسنَ الإيجازِ ، وبراعةَ العباراتِ .

<sup>(</sup>١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » ( ١٨٣/٣ ) .

#### [ ذكرُ بعض الأمثالِ العربيةِ ]

وحيثُ كنتَ آخذاً في التعلُّمِ . . وجبَ أن نوردَ لكَ هنا زيادةً على ما سبقَ في البديعِ شيئاً مِنَ الأمثالِ والحِكَمِ ؛ لتكونَ لكَ داعيةً لطلبِ مثلِها مِنْ مواضعِها .

#### فمِنَ الأمثالِ العربيةِ:

### « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »

قالَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حينَ وفدَ عليهِ عمرُو بنُ الأهتمِ والزِّبْرِقانُ ابنُ بدرٍ وقيسُ بنُ عاصمٍ ، فسألَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عمرَو بنَ الأهتمِ عنِ الزِّبرقانِ ، فقالَ عمرٌو : مُطاعٌ في أَدْنَيهِ ، شديدُ العارضةِ \_ أي : البيانِ واللَّسنِ \_ ، مانعٌ لِمَا وراءَ ظهرِهِ ، فقالَ الزِّبرقانُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّهُ لَيعلمُ منِّي أكثرَ مِنْ هاذا ، وللكنَّهُ حسدَنى .

فقالَ عمرُّو: أمَّا واللهِ إنَّهُ لزَمِرُ المروءةِ - أي: قليلُ - ضيِّقُ العَطنِ ، أحمقُ الوالدِ ، لئيمُ الخالِ ، فرأى الغضبَ في وجهِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لمكانِ التناقضِ في كلامِهِ ، فقالَ : واللهِ يا رسولَ اللهِ ؛ ما كذبتُ في الأُولى ، ولمكانِ التناقضِ في الأُخرىٰ ، وللكنِّي رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، ولقد صدقتُ في الأُخرىٰ ، وللكنِّي رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وسخطتُ فقلتُ أقبحَ ما وجدتُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً » (١) ؛ يعنى : أنَّ بعضَ البيانِ يعملُ عملَ السِّحرِ .

ومعنى السِّحرِ: إظهارُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ، والبيانُ: اجتماعُ الفصاحةِ

<sup>(</sup>١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » ( 70/9 ) ، والمتن عند البخاري ( 3070 ) عن سيدنا ابن عمر رضى الله عنهما .

والبلاغة وذكاء القلبِ معَ اللَّسَنِ ، وإنَّما شُبِّهَ بالسِّحرِ ؛ لحِدَّةِ عملِهِ في سامعِهِ ، وسرعةِ قَبولِ القلبِ لهُ ، يُضرَبُ في استحسانِ المَنطِقِ ، وإيرادِ الحُجَّةِ البالغةِ (١) .

## « إِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ : لَا أَرْضاً قَطَعَ ، وَلَا ظَهْراً أَبْقَىٰ »

المُنبتُ : المُنقطِعُ عن أصحابِهِ في السفرِ ، والظَّهرُ : الدابةُ ، قالَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لرجلِ اجتهدَ في العبادةِ حتى هجمَتْ عيناهُ ؛ أي : غارتا ، فلمَّا رآهُ . . قالَ لهُ : « إِنَّ هَلْذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ؛ إِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ . . . » فلمَّا رآهُ . . قالَ لهُ : « إِنَّ هَلْذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ؛ إِنَّ ٱلْمُنْبَتَ . . . » أي : الذي يَجِدُ في سيرِهِ حتى يَنبتَ أخيراً ، سمَّاهُ بما تؤولُ إليهِ عاقبتُهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتُ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (١٠) ، يُضرَبُ لِمَنْ يبالغُ في طلبِ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتُ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (١٠) ، يُضرَبُ لِمَنْ يبالغُ في طلبِ الشيءِ ويفرطُ حتىٰ ربَّما يفوتُهُ علىٰ نفسِهِ (١٠) .

### إنَّ المُوَصَّيْنَ بنو سَهُوانَ

يُضرَبُ عندَ التعجُّبِ مِنْ نسيانِ مَنْ وصَّىٰ بعملِ شيءٍ بكثرةِ وقوعِهِ ، والسَّهْوانُ: السَّهوُ أو الساهي ، و( بنو السَّهوِ ) يكونُ ك ( أبي الفضلِ ) و( أخي الكرم) ، وعلىٰ كونِهِ الساهيَ . . فالمرادُ بهِ أبو البشر (١٠) .

### إنَّ المعافيٰ غيرُ مخدوع

يُضرَبُ لِمَنْ يُخدَعُ فلا ينخدعُ ، والمعنى : أَنَّ مَنْ عُوفِيَ ممَّا خُدِعَ بهِ . . لم يَضرُّهُ ما كانَ خُودِعَ بهِ .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٧٢/١ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر : ( ٣٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ٧٣/١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « مجمع الأمثال » ( ٧٥/١ ) .

وأصلُ المثلِ : أنَّ رجلاً مِنْ بني سليمٍ يُسمَّىٰ قادحاً كانَ في زمنِ أميرٍ يُكنىٰ أبا مظعونٍ ، وكانَ في ذلكَ الزمنِ رجلٌ آخَرُ مِنْ بني سليمٍ أميرٍ يُكنىٰ أبا مظعونٍ ، وكانَ عَلِقَ امرأةَ قادحٍ ، فلم يزلْ بها حتىٰ أجابَتُهُ وواعدَتُهُ ، فأتىٰ سليطٌ قادحاً وقالَ : إنِّي علقتُ جاريةً لأبي مظعونٍ ، وقد واعدَتْني ، فإذا دخلتَ عليهِ . . فاقعدْ معَهُ في المجلسِ ، فإذا أرادَ القيامَ . . فاسبقْهُ ، فإذا انتهيتَ إلىٰ موضعِ كذا . . فاصْفُرْ حتىٰ أعلمَ بمجيئِكُما فآخذَ حذري ، ولكَ كلَّ يومٍ دينارٌ ، فخدعَهُ بهاذا ، وكانَ أبو مظعونٍ الى امرأتِهِ . آخِرَ الناسِ قياماً مِنَ النادي ، ففعلَ قادحٌ ذلكَ ، وكانَ سليطٌ يختلفُ إلى امرأتِهِ .

فجرى ذكرُ النساءِ يوماً ، فذكرَ أبو مظعونٍ جواريَهُ وعفافَهُنَّ ، فقالَ قادحٌ وهوَ يُعرِّضُ بأبي مظعونٍ : ربَّما خُرَّ الواثقُ ، وخُدِعَ الوامقُ ، وكذبَ الناطقُ ، ومَلَّتِ العاتقُ ؛ أي : ربَّما سَئِمَتِ الأُنثى مِنْ فحلِها فعَهِرَتْ ، ثمَّ قالَ :

لَا تَنْطِقَنَّ بِأَمْرٍ لَا تَيَقَّنُهُ يَا عَمْرُو إِنَّ ٱلْمُعَافَىٰ غَيْرُ مَخْدُوعِ

وعمرٌو اسمُ أبي مظعونٍ ، فعلمَ عمرٌو أنَّه يُعرِّضُ بهِ ، فلمَّا تَفرَّقَ القومُ . . وثبَ على قادحٍ ، فخنقَهُ وقالَ : اصدقْني ، فحَدَّثَهُ قادحٌ بالحديثِ ، فعرفَ أبو مظعونٍ أنَّ سليطاً قد خدعَهُ ، فأخذَ عمرٌو بيدِ قادحٍ ثمَّ مرَّ بهِ على جواريهِ ، فإذا هنَّ مُقبِلاتٌ على ما وُكِلنَ بهِ ، لم يَفقِدْ منهُنَّ واحدةً ، ثمَّ انطلقَ آخذاً بيدِ قادحٍ إلى منزلِهِ ، فوجدَ سليطاً قدِ افترسَ امرأتهُ ، فقالَ لهُ أبو مظعونٍ : ( إنَّ المُعافى غيرُ مخدوعٍ ) تهكُّماً بقادحٍ ، فأخذَ قادحٌ السيفَ وشدَّ على سليطٍ ، فهربَ فلم يُدرِكْهُ ، ومالَ إلى امرأتِهِ فقتلَها (١١) .

<sup>. (</sup> ۸۰  $_{\rm V9/1}$  ) ( ۱) انظر « مجمع الأمثال » ( ۷۹/۱ ) .

### إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفلِحُ

الفلح : الشقُّ ، ومنهُ الفلَّاحُ للحَرَّاثِ ؛ لأنَّهُ يَشُقُّ الأرضَ ؛ أي : يُستعانُ في الأمر الشديدِ بما يشاكلُهُ ويقاويهِ (١).

### إنَّ الدَّواهيَ في الآفاتِ تَهترسُ

ويُروىٰ : ( تَرتهِسُ ) وهوَ قلبُ ( تَهترِسُ ) مِنَ الهَرْسِ ؛ وهوَ الدقُّ ؛ يعني : أنَّ الآفاتِ يموجُ بعضُها في بعضٍ ، ويَدُقُّ بعضُها بعضاً كثرةً ، يُضرَبُ عندَ اشتدادِ الزمانِ واضطرابِ الفتنِ .

وأصلُهُ: أنَّ رجلاً مرَّ بآخَرَ وهوَ يقولُ: يا ربِّ ؛ إمَّا مهرةً أو مهراً ، فأنكرَ عليهِ ذلكَ وقالَ: لا يكونُ الجنينُ إلَّا مهرةً أو مهراً!! فلمَّا ظهرَ الجنينُ . . كانَ مُشَيَّاً الخَلْقِ مختلفَهُ ؛ أي: فيهِ شيءٌ غيرُ شيءٍ ، فقالَ الرجلُ عندَ ذلكَ (٢):

قَدْ طَرَّقَتْ بِجَنِينِ نِصْفُهُ فَرَسٌ إِنَّ ٱلدَّوَاهِيَ فِي ٱلْآفَاتِ تَهْتَرِسُ

#### إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ

قالَ أبو عبيدٍ: (هنكذا قالَ الأصمعيُّ ، وأنا أحسبُهُ: العُصَيَّةُ مِنَ العصا ، إلَّا أن يُرادَ أنَّ الشيءَ الجليلَ يكونُ في بدءِ أمرِهِ صغيراً ، كما قالوا: إنَّ القَرْمَ مِنَ الأَفِيلِ (٣) ، فيجوزُ حينَئذٍ على هنذا المعنى أن يُقالَ: العصا مِنَ العُصيَّة ) (١٠) .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٨٠/١ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « مجمع الأمثال » ( ۸۲/۱ ) .

<sup>(</sup>٣) الأفيل: الفتيُّ من الإبل ، والقرم: الفحل.

<sup>(</sup>٤) انظر « الأمثال » ( ص ١٤٥ ) .

قالَ المُفضَّلُ: أولُ مَنْ قالَ ذلكَ الأفعى الجُرْهميُّ ؛ وذلكَ أنَّ نزاراً لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . جمعَ بنيهِ مُضَرَ وإياداً وربيعةَ وأنماراً ، فقالَ : يا بَنِيَّ ؛ هذهِ القُبَّةُ الحمراءُ \_ وكانَتْ مِنْ أدمٍ \_ لمُضَرَ ، وهنذا الفرسُ الأدهمُ والخِباءُ الأسودُ لربيعةَ ، وهنذهِ الخادمُ \_ وكانَتْ شمطاءَ \_ لإيادٍ ، وهنذهِ البدرةُ والمجلسُ لأنمارٍ يجلسُ فيهِ ، فإن أشكلَ عليكُم كيفَ تقتسمونَ . . فأتوا الأفعى الجُرْهميَّ ومنزلَهُ بنجرانَ .

فتشاجروا في ميراثِهِ ، فتوجَّهوا إلى الأفعى الجُرْهميِّ ، فبينَما هم في مسيرِهِم إليهِ . . إذ رأى مُضَرُ أثرَ كلاً قد رُعِيَ ، فقالَ : إنَّ البعيرَ الذي رعىٰ هـٰذا لَأعورُ ، قالَ ربيعةُ : إنَّهُ لأزورُ ، قالَ إيادٌ : إنَّهُ لأبترُ ، قالَ أنمارٌ : إنَّهُ لَشرودٌ .

فساروا قليلاً ؛ فإذا هُم برجل يَنشُدُ جملَهُ ، فسألَهُم عنِ البعيرِ ، فقالَ مُضَرُ : أهوَ أعورُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ إيادٌ : مُضَرُ : أهوَ أعورُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ إيادٌ : أهوَ أبترُ ؟ قالَ : نعم ، وهاذهِ واللهِ صفةُ أهوَ أبترُ ؟ قالَ : نعم ، وهاذهِ واللهِ صفةُ بعيري ، فدلُّوني عليهِ ، قالوا : واللهِ ؛ ما رأيناهُ ، قالَ : هاذا واللهِ الكذبُ ، وتَعلَّقَ بهم ، وقالَ : كيفَ أُصدِّقُكُم وأنتُم تصفونَ بعيري بصفتِهِ ؟!

فساروا حتى قدموا نجرانَ ، فلمَّا نزلوا . . نادى صاحبُ البعيرِ : هلؤلاءِ أخذوا جملي ، ووصفوا لي صفتَهُ ، ثمَّ قالوا : لم نرهُ !! فاختصموا إلى الأفعى وهوَ حَكَمُ العربِ ، فقالَ الأفعى : كيف وصفتُموهُ ولمْ تروهُ ؟ قالَ مُضَرُ : رأيتُهُ رعى جانباً وتركَ جانباً ، فعلمتُ أنَّهُ أعورُ ، وقالَ ربيعةُ : رأيتُ إحدى يدَيهِ ثابتةَ الأثرِ والأخرى فاسدتَهُ ، فعلمتُ أنَّهُ أزورُ ؛ لأنَّهُ أفسدَهُ لشدّةِ وطئِهِ لازورارِهِ ، وقالَ إيادٌ : عرفتُ أنَّهُ أبترُ باجتماعِ بعرِهِ ، ولو كانَ ذيّالاً . . لمَصَعَ بهِ ، وقالَ أنمارٌ : عرفتُ أنَّهُ شَرودٌ ؛ لأنَّهُ كانَ يرعىٰ في المكانِ المُلتفِ نبتُهُ ،

ثمَّ يجوزُهُ إلى مكانٍ أرقَّ منهُ وأخبثَ نبتاً ، فعلمتُ أنَّهُ شَرودٌ ، فقالَ للرجلِ : ليسوا بأصحاب بعيركَ ، فاطلبْهُ .

ثمّ سألَهُم: مَنْ أنتُم؟ فأخبروه ، فرَحَّبَ بهِم، ثمّ أخبروه بما جاء بهِم، فقالَ: أتحتاجونَ إليَّ وأنتُم كما أرىٰ ؟! ثمّ أنزلَهُم، فذبحَ لهُم شاة ، وأتاهُم بخمرٍ ، وجلسَ لهُمُ الأفعىٰ حيثُ لا يُرىٰ وهوَ يسمعُ كلامَهُم، فقالَ ربيعة : لم أرَ كاليومِ لحما أطيبَ منهُ لولا أنَّ شاتَهُ غُذِيَتْ بلبنِ كلبةٍ ، فقالَ مُضَرُ: لم أرَ كاليومِ خمراً أطيبَ منهُ لولا أنَّ حُبْلَتَها نبتَتْ علىٰ قبرٍ ، فقالَ مُضَرُ: لم أرَ كاليومِ رجلاً أسرىٰ منهُ لولا أنَّ حُبْلَتَها نبتَتْ علىٰ قبرٍ ، فقالَ إيادٌ: لم أرَ كاليومِ رجلاً أسرىٰ منهُ لولا أنَّهُ ليسَ لأبيهِ الذي يَدَّعي لهُ ، فقالَ أنمارٌ: لم أرَ كاليومِ كلاماً أنفعَ في حاجتِنا مِنْ كلامِنا ، وكانَ كلامُهُم بأذنِهِ .

فقالَ: ما هاؤلاءِ إلّا شياطينُ ، ثمّ دعا القهرمانَ ، فقالَ: ما هاذهِ الخمرُ ؟ وما أمرُها ؟ قالَ: هي مِنْ حُبْلَةٍ غرستُها على قبرِ أبيكَ ، لم يكنْ عندَنا شرابٌ أطيبُ مِنْ شرابِها ، وقالَ للراعي : ما أمرُ هاذهِ الشاةِ ؟ قالَ : هي عَناقٌ أرضعتُها بلبنِ كلبةٍ ؛ وذلكَ أنّ أمّها كانَتْ قد ماتَتْ ، ولم يكنْ في الغنمِ شاةٌ ولدَتْ غيرَها ، ثمّ أتى أمّهُ فسألَها عن أبيهِ ، فأخبرَتْهُ أنّها كانَتْ تحتَ مَلِكِ كثيرِ المالِ ، وكانَ لا يُولَدُ لهُ ، قالَتْ : فخفتُ أن يموتَ ولا ولدَ لهُ فيذهبَ الملكُ ، فأمكنتُ مِنْ نفسي ابنَ عمّ لهُ كانَ نازلاً عليهِ .

فخرجَ الأفعى إليهِم، فقصَّ القومُ عليهِ قصَّتَهُم، وأخبروهُ بما أوصى بهِ أبوهُم، فقالَ: ما أشبهَ القُبَّةَ الحمراءَ مِنْ مالٍ . . فهوَ لمُضَرَ ، فذهبَ بالدنانيرِ والإبلِ الحمرِ، فشمِّي: مُضَرَ الحمراءِ لذلكَ ، وقالَ : وأمَّا صاحبُ الفرسِ الأدهمِ والخِباءِ الأسودِ . . فلهُ كلُّ شيءٍ أسودَ ، فصارَتْ لربيعةَ الخيلُ الدُّهُمُ ، فقيلَ : ربيعةُ الفرس ، وما أشبهَ الخادمَ الشمطاءَ . . فهوَ لإيادٍ ، فصارَ لهُ

الماشيةُ البُلْقُ مِنْ الحَبَلَّقِ والنَّقَدِ (١) ، فسُمِّيَ : إيادَ الشمطاءِ ، وقضى الأنمارِ بالدراهِم وبما فضلَ ، فسُمِّيَ : أنمارَ الفضل .

فصدروا مِنْ عندِهِ علىٰ ذلكَ ، فقالَ الأفعىٰ : إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ ، وإنَّ خُشَيْناً مِنْ أخشنَ ، ومساعدةُ الخاطل تُعَدُّ مِنَ الباطل ، فأرسلَهُنَّ مثلاً .

وخُشَيْنٌ وأخشنُ : جبلانِ ؛ أحدُهُما أصغرُ مِنَ الآخَرِ ، والخاطلُ : الجاهلُ ، والخَطَلُ في الكلامِ : اضطرابُهُ ، والعُصَيَّةُ : تصغيرُ تكبيرٍ ؛ مثلُ : أنا عُذَيْقُها المُحَكَّكُ ، والمرادُ : أنَّهُم يُشبِهونَ أباهُم في جودةِ الرأيِ ، ولمرجَّبُ وجُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، والمرادُ : أنَّهُم يُشبِهونَ أباهُم في حودةِ الرأيِ ، وقيلَ : إنَّ العصا اسمُ فرسٍ ، والعُصَيَّةُ اسمُ أُمِّهِ ؛ يُرادُ أنَّهُ يحكي الأُمَّ في كرمِ العرقِ وشرفِ العتقِ (۱) .

### إنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِق

قالَ المُفضَّلُ: يُقالُ: إِنَّ أُولَ مَنْ قالَ ذَلكَ أَبو بكرِ الصديقُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ فيما ذكرَهُ ابنُ عبّاسٍ ، قالَ: حدَّثَني عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ: لمَّا أُمِرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أن يَعرِضَ نفسَهُ علىٰ قبائلِ العربِ . . خرجَ وأنا معَهُ ، فدفَعْنا إلىٰ مجلسٍ مِنْ مجالسِ العربِ ، فقالَ العربِ ، فقالَ : ممَّنِ القومُ ؟ فتقدَّمَ أبو بكرٍ وكانَ نسَّابةً ، فسَلَّمَ ، فردُّوا عليهِ السلامَ ، فقالَ : ممَّنِ القومُ ؟ قالوا : مِنْ ربيعة ، فقالَ : أمِنْ هامتِها أم مِنْ لهازمِها ؟ قالوا : مِنْ هامتِها العظمىٰ أنتُم ؟ قالوا : دُهلُّ الأكبرُ ، قالَ : أفمِنْكُم بسطامٌ عوفٌ الذي يُقالُ لهُ : لا حُرَّ بوادي عوفٍ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم بسطامٌ ذو اللواءِ ومنتهى الأحياءِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ حامي النِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها النِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها النِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها

<sup>(</sup>١) الحبلق والنَّقد: نوعان من الغنم ، والبَلِّق: السواد والبياض .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر «مجمع الأمثال » ( ۸۸/۱ ـ ۹۰ ) .

أنفسَها ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم المزدلفُ صاحبُ العِمامةِ الفردةِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : فلستُم ذُهْلاً لا ، قالَ : فلستُم ذُهْلاً الأكبرَ ، أنتم ذهلٌ الأصغرُ ، فقامَ إليهِ غلامٌ قد بقلَ وجهه مُ يُقالُ له : دَغْفَلٌ ، فقالَ :

إِنَّ عَلَىٰ سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعِبُءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهُ

يا هنذا ؛ إنَّكَ قد سألتَنا ، فلم نكتمْكَ شيئاً ، فمَن الرجلُ أنتَ ؟ قالَ : رجلٌ مِنْ قريشِ ، قالَ : بخ بخ ، أهلُ الشرفِ والرئاسةِ ، فمِنْ أيِّ قريشٍ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ تيم بن مُرَّةِ ، قالَ : أمكنتَ واللهِ الراميَ مِنْ صفا الثغرةِ ؛ أفمِنْكُم قصيُّ بنُ كلابٍ الذي جمعَ القبائلَ مِنْ فهرِ وكانَ يُدعَىٰ مُجَمِّعاً ؟ قالَ : لا ، قالَ : أَفْمِنْكُم هاشمٌ الذي هشمَ الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكةَ مُسنِتونَ عِجافٌ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْكُم شيبةُ الحمدِ مطعمُ طير السماءِ الذي كأنَّ في وجههِ قمراً يضيءُ ليلَ الظلام الداجي ؟ قالَ : لا ، قالَ : أَفْمِنَ المفيضينَ بالناس أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أَفْمِنْ أَهِلِ الندوةِ أَنتَ ؟ قال : لا ، قالَ : أَفْمِنْ أَهْلِ الرفادةِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْ أهل الحِجابةِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أَفْمِنْ أَهْلِ السِّقايةِ أَنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : واجتذبَ أبو بكر زمامَ ناقتِهِ ، فرجعَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فقالَ دَغْفَلٌ : صادفَ دَرْءُ السيل درءاً يَصدَعُهُ ، أما واللهِ لو ثبتَ . . لأخبرتُكَ أنَّكَ مِنْ زمعاتِ قريش ، أو ما أنا بِدَغْفَل ، قالَ : فتبسَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسَلَّمَ ، قالَ عليٌ : قلتُ لأبي بكرِ : لقد وقعتَ مِنَ الأعرابيّ على باقعةٍ ، قالَ : أجلْ ، إنَّ لكلّ طامَّةٍ طامَّةً ، وإنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِقِ (١).

<sup>(</sup>١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ( ٢٩٦/١٧ \_ ٢٩٨ ) ، وانظر « مجمع الأمثال » ( ٩١/١ \_ ٩٣ ) .

وفي قصةِ المثلِ أمثالٌ:

قولُهُ: ( لا حرَّ بوادي عوفٍ ) يُتمثَّلُ بهِ في هضمِ مَنْ يتعاظمُ بنواحي مَنْ يقدِرُ علىٰ قهرِهِ .

وقولُهُ : ( إِنَّ على سائلِنا أن نسألَهُ ) ؛ ومحلُّ التمثُّلِ بهِ ظاهرٌ .

وقولُهُ: ( والعبءُ لا تَعرِفُهُ أو تحملُهُ) ؛ يُتمثَّلُ بهِ في طلبِ الاختبارِ ، وتركِ الاكتفاءِ بما يبدو ؛ فإنَّ الشيءَ الذي تريدُ حملَهُ فيكون عبئاً ربَّما يكونُ كبيراً في النظرِ خفيفاً في الوزنِ ، وربَّما كانَ ثقيلَ الوزنِ وهوَ صغيرُ الحجم .

## أُمُّ فرشَتْ فأنامَتْ

يُضرَبُ في برِّ الرجلِ بصاحبِهِ ، قالَ قرادُ (١): [من الطويل]

وَكُنْتُ لَهُ عَمّاً لَطِيفاً وَوَالِداً رَؤُوفاً وَأُمّاً مَهَّدَتْ فَأَنَامَتِ

#### إذا تَرضَّيتَ أخاكَ . . فلا أخا لكَ

الترضِّي : الإرضاءُ بجهدٍ ومشقَّةٍ ؛ يقولُ : إذا ألجأَكَ أخوكَ إلىٰ أن تَترضَّاهُ وتداريَهُ . . فليسَ هوَ بأخ لكَ (٢) .

### أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيسُ

يُتمثَّلُ بهِ عندَ الأمرِ بالاقتصادِ في المعيشةِ والمحافظةِ على قليلِهِ وإن كانَ واثقاً بحصولِ كثيرٍ لهُ في المستقبلِ ، وأصلُهُ في المسافرِ عرفَ قُربَهُ مِنَ المنهلِ ، فأسرفَ في استعمالِ ما حملَ مِنَ الماءِ (٣) .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٠٤/١ ) .

<sup>(</sup>Y) انظر «مجمع الأمثال» ( ١٠٧/١).

<sup>(</sup>٣) انظر «مجمع الأمثال» (١٢٨/١).

#### إحدى خُظَيَّاتِ لقمانَ

الحُظَيَّةُ: تصغيرُ الحَظْوةِ بفتحِ حائِهِ ؛ وهيَ المرماةُ (١) ، قالَ أبو عبيدٍ: (هيَ التي لا نصلَ لها )(٢).

ولقمانُ هاذا: هوَ لقمانُ بِنُ عادٍ ، وحديثُهُ : أنَّهُ كانَ بينَهُ وبينَ رجلَينِ مِنْ عادٍ يُقالُ لهُما : عمرٌو وكعبُ ابنا تِقْنِ بِنِ معاويةَ ، وكانا ربَّيْ إبلِ ، وكانَ لقمانُ ربَّ غنمٍ ، فأعجبَتْ لقمانَ الإبلُ ، فراودَهُما عنها ، فأبيا أن يبيعاهُ ، فعَمَدَ إلىٰ ألبانِ غنمِهِ مِنْ ضأنٍ ومِعزىٰ ، وأنافحَ مِنْ أنافحِ السخلِ ، فلمَّا رأيا فعَمَدَ إلىٰ ألبانِ غنمِهِ مِنْ ضأنٍ ومِعزىٰ ، وأنافحَ مِنْ أنافحِ السخلِ ، فلمَّا رأيا ذلكَ . . لم يلتفتا إليهِ ، ولم يرغبا في ألبانِ الغنمِ ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ لقمانُ . . قال : اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ، أقبلَتْ مَيْساً ، وأدبرَتْ هَيْساً ، وملاَّتِ البيتَ أقطاً وحيساً ، اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ؛ إنّها الضَّأْنُ تُجَزُّ جُفَالاً ، وتُنتَجُ رِخالاً ، وتُحلَبُ كُثباً ثقالاً ، فقالا : لا نشتريها يا لقمُ ؛ إنّها الإبلُ ؛ حملنَ فاتسَقْنَ ، وجرينَ فأعنقنَ ، وبغيرِ ذلكَ أفلتْنَ ، يغزرنَ إذا قَطَنَّ ، فلم يبيعاهُ الإبلَ ، ولم يشريا الغنمَ .

فجعلَ لقمانُ يداورُهُما ، وكانا يهابانِهِ ، وكانَ يلتمسُ أن يغفُلا فيشدَّ على الإبلِ ويطردَها .

فلمَّا كَانَ ذَاتَ يومٍ . . أصابا أرنباً وهوَ يَرصدُهُما رجاءَ أن يصيبَهُما فيذهبَ بالإبلِ ، فأخذا صفيحةً مِنَ الصَّفا ، فجعلَها أحدُهُما في يدِهِ ، ثمَّ جعلَ عليها كومةً مِنْ ترابٍ قد أحمياهُ ، فملَّا الأرنبَ في ذلكَ الترابِ ، فلمَّا أنضجاها . . نفضا عنها الترابَ فأكلاها ، فقالَ لقمانُ : يا ويلتا !! أنيئةً أكلاها ، أم الريحَ أقبلاها ، أم بالشيح اشتوياها ؟

<sup>(</sup>١) المرماة: السهم الصغير الضعيف.

<sup>(</sup>٢) الأمثال (ص ٨٠) للقاسم بن سلام .

ولمَّا رآهُما لقمانُ لا يغفلانِ عن إبلِهِما ، ولم يجدْ فيهِما مطمعاً . . لقيَهُما ولم يحدُ فيهِما مطمعاً . . لقيَهُما ومعَ كلِّ واحدٍ منهُما جفيرٌ مملوءٌ نَبْلاً ، وليسَ معَهُ غيرُ نبلينِ ، فخدعَهُما فقالَ : ما تصنعانِ بهاذهِ النَّبْلِ الكثيرةِ التي معَكُما ؟! إنَّما هي حطبٌ ، فواللهِ ؛ ما أحملُ معي غيرَ نبلينِ ، فإن لم أصبْ بهِما . . فلستُ بمصيبٍ ، فعَمَدا إلى نبلِهِما فنثراها غيرَ سهمَينِ ، فعَمَدَ إلى النَّبْلِ فحواها ، ولم يصبْ لقمانُ منهُما بعدَ ذلكَ غِرَّة .

وكانَ فيما يذكرونَ لعمرِو بنِ تِقنِ امرأةٌ ، فطلَّقَها ، فتزوجَها لقمانُ ، وكانَ المرأةُ وهي عندَ لقمانَ تكثرُ أن تقولَ : لا فتى إلَّا عمرٌو ، وكانَ ذلكَ يغيظُ لقمانَ ويسوءُهُ كثرةُ ذكرِها ، فقالَ لقمانُ : لقد أكثرتِ في عمرٍو ، فوالله ؛ لأقتلنَّ عمراً ، فقالَتْ : لا تفعلْ .

وكانَتْ لابنيْ تِقْنِ سَمُرةٌ يَستظلّانِ بها حتىٰ تردَ إبلُهُما فيسقيانِها ، فصَعِدَها لقمانُ واتخذَ فيها عُشّا رجاء أن يصيبَ مِنِ ابنيْ تِقْنِ غِرَّة ، فلمّا وردَتِ الإبلُ . . تَجرَّدَ عمرٌ و ، وأكبَّ على البئر يستقي ، فرماهُ لقمانُ مِنْ فوقِهِ بسهمٍ في ظهرِهِ ، فقالَ : حَسِّ (١) ، إحدىٰ حُظَيّاتِ لقمانَ ، فذهبَ مثلاً ، ثمّ أهوىٰ إلى السهمِ فانتزعَهُ ، فوقعَ بصرُهُ على الشجرةِ ، فإذا هوَ بلقمانَ ، فقالَ : انتقِ بهاذهِ الدلوِ ، فزعموا أنَّ لقمانَ لمَّا أرادَ أن يرفعَ الدلوَ حينَ امتلاً تُخرَ اليومِ الدلوَ حينَ امتلاً تُ فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ إِنَّ عمراً أرادَ أَن يقتلَ لقمانَ ، فتبسَّمَ لقمانُ ، فقالَ عمرٌو: أضاحكُ أنتَ ؟ قالَ لقمانُ : ما أضحكُ إلَّا مِنْ نفسي ، أما إنِّي نُهيتُ عمَّا ترىٰ ، فقالَ : ومَنْ نهاكَ ؟ قالَ : فلانةُ ، قالَ عمرٌو : أفلي عليكَ إِن وهبتُكَ لها أَن

<sup>(</sup>١) حسِّ : اسم فعل بمعنى أتألم .

تعلمَها ذلك ؟ قالَ: نعم ، فخلَّىٰ سبيلَهُ ، فأتاها لقمانُ فقالَ: لا فتىٰ إلا عمرٌو ، فقالَتْ : أقد لقيتَهُ ؟ قالَ: نعم ، لقيتُهُ فكانَ كذا وكذا ، ثمَّ أسرَني ، فأرادَ قتلي ، ثمَّ وهبَني لكِ ، قالَتْ : لا فتىٰ إلا عمرٌو .

يُضرَبُ لِمَنْ عُرِفَ بِالشرِّ ، فإذا جاءَتْ هَنةٌ مِنْ جنسِ أفعالِهِ . . قيلَ : إحدى حُظَيَّاتِ لقمانَ ؛ أي : إنَّهُ فعلةٌ مِنْ فعلاتِهِ (١) .

المَيْسُ والهَيْسُ: كالحَيْسِ بفتحٍ فسكونٍ ، يصفُ مشيَ الغنمِ عندَ إقبالِها مِنَ المراعي للبيوتِ وهيَ بِطانٌ ممتلئةُ الضُّروعِ ، وعندَ إدبارِها عنِ البيوتِ للمراعي وهيَ خِماصٌ ، والجُفالُ: كغُرابٍ ؛ الصُّوفُ الكثيرُ ، والكُثبةُ بضمٍ فسكون : مِلْءُ القدحِ ، والرِّخالُ بكسرِ الراءِ : جمعُ رِخلةٍ أو رِخلٍ كذلكَ ؛ وهيَ الأُنثىٰ [ مِنْ ] ولدِ الضأنِ .

### إِنَّكَ خيرٌ مِنْ تفاريقِ العصا

قالوا: هاذا مِنْ قولِ غُنيةَ الأعرابيةِ لابنِها، وكانَ عارماً كثيرَ التلقُّتِ إلى الناسِ معَ ضَعفِ أسرٍ ودِقَّةِ عظمٍ، فواثبَ يوماً فتى فقطعَ الفتى أنفَهُ، فأخذَتْ غنيةُ ديةَ أنفِهِ، فحسَّنَتْ حالَها بعدَ فقرٍ مُدقِعٍ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ أذنَهُ، فأخذَتْ ديتَها، فزادَتْ حسنَ حالٍ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ شفتَهُ، فأخذَتِ الديةَ.

فلمَّا رأَتْ ما صارَ عندَها مِنَ الإبلِ والغنمِ والمتاعِ ، وذلكَ مِنْ كسبِ جوارحِ البنها . . حَسُنَ رأيُها فيهِ ، وذكرَتْهُ في أُرجوزتِها فقالَتْ : [من مشطور الرجز]

أَحْلِفُ بِٱلْمَرْوَةِ حَقّاً وَٱلصَّفَا إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ ٱلْعَصَا

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٣٤/١ ) .

قيلَ لأعرابيّ : ما تفاريقُ العصا ؟ قالَ : العصا تقطعُ ساجوراً ، والسواجيرُ تكونُ للكلابِ وللأسرى مِنَ الناسِ ، ثمَّ تقطعُ عصا الساجورِ فتصيرُ أوتاداً ، ويُفرقُ الوتدُ فتصيرُ كلُّ قطعةٍ شِظاظاً \_ ككتابٍ \_ خشبةٌ تُعقَفُ لتُجعَلَ في عروتَيْ جوالقينِ ، فإن جُعِلَ لرأسِ الشِّظاظِ كالفلكةِ . . صارَ للبختيّ مِهاراً بكسرِ الميمِ ، وهوَ العودُ الذي يُدخَلُ في أنفِ البختيّ ، وإذا فرقَ المِهارُ . . جاءَتْ منهُ توادٍ ؛ وهيَ الخشبةُ التي تُشَدُّ على خِلْفِ الناقةِ إذا صُرَّتْ .

هاذا إذا كانَتْ عصاً ، فإذا كانَتْ قناةً . . فكلُّ شقٍ منها قوسُ بندقٍ ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ . . صارَتْ حِظاءً ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ . . صارَتْ حِظاءً ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ . . صارَتْ حِظاءً ، فإن فُرِّقَتِ المغازلُ . . شعبَ بهِ الشَّعَابُ فُرِّقَتِ المخازلُ . . شعبَ بهِ الشَّعَابُ أَدِّقَتِ المحدوعةَ وقِصاعَهُ المشقوقة ، على أنَّهُ لا يجدُ لها أصلحَ منها وأليقَ بها .

يُضرَبُ فيمَنْ نفعُهُ أعمُّ مِنْ نفع غيرِهِ (١١).

## إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البشرةِ

المعاتبة : المعاودة ، وبشرة الأديم : ظاهره الذي عليه الشَّعر ؛ أي : أنَّ ما يُعادُ إلى الدِّباغ مِنَ الأديم ما سلمَتْ بشرتُهُ .

يُضرَبُ لِمَنْ فيهِ مراجعةٌ ومُستعتبٌ ، قالَ الأصمعيُّ : كلَّ ما كانَ في الأديمِ مُحتمِلٌ ما سلمَتِ البشرةُ ، فإذا نَغِلَتِ البشرةُ . . بطلَ الأديمُ ، ومِنْ هنا أُخِذَ العتابُ بينَ الإخوانِ لذكرِ الهفواتِ ، ثمَّ الاعتذارُ أو الاعتراف ، والمسامحة ، والعودُ إلى المصافاةِ ، فيكونُ ذلكَ بمنزلةِ دبغِ الجلدِ لإزالةِ فضلاته .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٣٧/١ \_ ١٣٨ ) .

## إنَّ العصا قُرعَتْ لذي الحِلْم

قيل : إنَّ أولَ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصاعمرُو بنُ مالكِ بنِ ضبيعة ، أخو سعدِ بنِ مالكِ الكنانيِ ؛ وذلكَ أنَّ سعداً أتى النعمانَ بنَ المنذرِ ومعَهُ خيلٌ لهُ قادَها وأخرىٰ عَرَّاها ، فقيلَ لهُ : لمَ عَرَّيتَ هاذهِ وقُدتَ هاذهِ ؟ قالَ : لم أَقُدْ هاذهِ لأمنعَها ، ولم أُعَرِّ هاذهِ لأهبَها ، ثمَّ دخلَ على النعمانِ ، فسألَهُ عن أرضِهِ ، فقالَ : أمَّا مطرُها . . فغزيرٌ ، وأمَّا نبتُها . . فكثيرٌ .

فقالَ لهُ النعمانُ: إنَّكَ لقَوَّالٌ، وإن شئتَ أتيتُكَ بما تعياعن جوابِهِ، قالَ: نعم، فأمرَ وصيفاً لهُ أن يلطمَهُ ، فلطمَهُ لطمةً ، فقالَ: ما جوابُ هاذه ؟ قالَ: قالَ: سفيهٌ مأمورٌ ، قالَ: الطمْهُ أخرى ، فلطمَهُ ، قالَ: ما جوابُ هاذه ؟ قالَ: لو أُخِذَ بالأُولى . . لم يَعُدْ للأخرى ، وإنَّما أرادَ النعمانُ أن يَتعدّى سعدٌ في المَنطِقِ فيقتلَهُ ، قالَ: ما جوابُ هاذه ؟ قالَ: المَنطِقِ فيقتلَهُ ، قالَ: ما جوابُ هاذه ؟ قالَ: ربٌّ يُؤدِّبُ عبدَهُ ، قالَ: الطمْهُ أخرى ، فلطمَهُ ، قالَ: ما جوابُ هاذه ؟ قالَ: ملكتَ [ فأسجحْ ] ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ النعمانُ: أصبتَ ، فامكث عندي ، وأعجبَهُ ما رأى منهُ ، فمكثَ عندهُ ما مكثَ .

قامَ بينَ يَدي الملكِ ، فقالَ له : أخبرْني ، هل حمدتَ خصباً أو ذممتَ جدباً ؟ فقالَ عمرٌو: لم أذمم هُزلاً ، ولم أحمد بقلاً ، الأرضُ مشكلةٌ ، لا خصبُها يُعرَفُ ، ولا جدبُها يُوصَفُ ، رائدُها واقفٌ ، ومنكرُها عارفٌ ، وآمنُها خائفٌ ، قالَ الملكُ : أُولَىٰ لكَ ، فقالَ سعدُ بنُ مالكٍ يذكرُ قرعَ العصا : [ من الطويل ] وَلَمْ تَكُ لَوْلَا ذَاكَ فِي ٱلْقَوْم تُقْرَعُ وَلَا سَارِح فِيهَا عَلَى ٱلرَّعْي يَشْبَعُ وَلَا صَابَهَا غَيْثٌ غَزيرٌ فَتَمْرُعُ وَقَدْ كَادَ لَوْلَا ذَاكَ فِيهِمْ تُقَطَّعُ

قَرَعْتُ ٱلْعَصَاحَتَّىٰ تَبَيَّنَ صَاحِبى فَقَالَ رَأَيْتُ ٱلْأَرْضَ لَيْسَتْ بِمُمْحِل سَوَاءٌ فَلَا جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُهَا فَتَحْيَا بِهَا حَوْبَاءُ نَفْسِ كَرِيمَةٍ

هاذا قولُ بعضِهم.

وقالَ آخَرونَ في قولِهِم : إنَّ العصا قُرعَتْ لذي الحِلم : إنَّ ذا الحِلم هـٰذا هوَ عامرُ بنُ الظُّربِ العدوانيُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، لا تَعدِلُ بفهمِهِ فهماً ، ولا بحكمِهِ حكماً ، فلمَّا طعنَ في السنِّ . . أنكرَ مِنْ عقلِهِ شيئاً ، فقالَ لبنيهِ : إنَّهُ قد كَبرَتْ سنِّي ، وعرضَ لي سهوٌ ، فإذا رأيتموني خرجتُ مِنْ كلامي ، وأخذتُ في غيرهِ . . فاقرعوا ليَ المِجَنَّ بالعصا .

وقيلَ : كَانَتْ لهُ جَارِيةٌ يُقَالُ لها : خصيلةٌ ، فقالَ لها : إذا أنا خُولِطتُ فاقرعى ليَ العصا .

وأَتِيَ عامرٌ بِخُنثي ليحكمَ فيهِ ، فلم يدر ما الحكمُ ، فجعلَ يَنحَرُ لهُم ويُطعِمُهُم ويدافعُهُم بالقضاءِ ، فقالَتْ خصيلةُ : ما شأنُكَ قد أتلفتَ مالكَ ؟ فخبَّرَها أنَّهُ لا يدري ما حكمُ الخنثى ، فقالَتْ : أتبعْهُ مبالَهُ .

قالَ الشعبيُّ : فحدَّ تُني ابنُ عباس بها ، قالَ : فلمَّا جاءَ اللهُ بالإسلام . . صارَتْ سُنَّةً فيه .

وعامرٌ هوَ الذي يقولُ:

أَرَىٰ شَعَرَاتٍ عَلَىٰ حَاجِبي

ظَلِلْتُ أُهَاهِي بِهِنَّ ٱلْكِلَابَ

وَأَحْسِبُ أَنْفِي إِذَا مَا مَشَيْتُ

يُقالُ: إنَّهُ عاشَ ثلاثَ مئةِ سنةٍ ، وهوَ الذي يقولُ:

تَقُولُ ٱبْنَتِي لَمَّا رَأَتْنِي كَأَنَّنِي سَلِيمُ أَفَاع لَيْلُهُ غَيْرُ مُودَع وَمَا ٱلْمَوْتُ أَفْنَانِي وَلَاكِنْ تَتَابَعَتْ عَلَيَّ سِنُونٌ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَع ثَلَاثُ مِئِينَ قَدْ مَرَرْنَ كَوَامِلاً وَهَاأَنَا هَاذَا أَرْتَـجِـي مَـرَّ أَرْبَـع

[من المتقارب]

[ من الطويل ]

بيضاً نَبَتْنَ جَمِيعاً تُؤَامَا

أَحْسِبُهُ نَّ صِوَاراً قِيَامَا

شَخْصاً أَمَامِي رَآنِي فَقَامَا

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ ٱلنَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ إِذَا رَامَ تَـطْـيَـاراً يُـقَـالُ لَـهُ قَـع

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ ٱلْقُرُونِ ٱلَّتِي مَضَتْ وَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ يُطَارَ بِمَصْرَعِي

قَالَ ابنُ الأعرابيّ : أُوَّلُ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصا : عامرُ بنُ الظَّربِ العدوانيُّ ، وربيعةُ تقولُ : بل هوَ قيسُ بنُ خالدِ بنِ ذي الجدَّينِ ، وتميمٌ تقولُ : بل هوَ ربيعةُ بنُ مخاشنٍ أحدُ بني أسيدِ بنِ عمرِو بنِ تميمٍ ، واليمنُ تقولُ : بل هوَ عمرُو بنُ حممةَ الدوسيُّ .

قالَ : وكانَتْ حُكَّامُ تميم في الجاهليةِ : أكثمَ بنَ صيفيّ ، وحاجبَ بنَ زرارةَ ، والأقرعَ بنَ حابسٍ ، وربيعةَ بنَ مخاشنٍ ، وضمرةَ بنَ ضمرةَ ، غيرَ أنَّ ضمرة حكم فأخذ رشوة فغدر .

[ وحُكَّامُ ] قيس : عامرُ بنُ الظَّرِبِ ، وغيلانُ بنُ سلمةَ الثقفيُّ ، وكانَتْ لهُ ثلاثةُ أيام ؛ يومٌ يحكمُ فيهِ بينَ الناسِ ، ويومٌ يُنشِدُ فيهِ شعرَهُ ، ويومٌ ينظرُ فيهِ إلىٰ جمالِهِ ، وجاءَ الإسلامُ وعندَهُ عشرُ نسوةٍ ، فخَيَّرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فاختارَ أربعاً ، فصارَتْ سُنَّةً .

وحُكَّامُ قريشٍ : عبدُ المطلبِ ، وأبو طالبٍ ، والعاصي بنُ وائلٍ .

وحكيماتُ العربِ: صخرُ بنتُ لقمانَ ، وهندٌ بنتُ الخُسِّ ، وجمعةُ بنتُ حابسٍ ، وابنةُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ: ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عريدُهُ (١٠):

لِذِي ٱلْحِلْمِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ ٱلْعَصَا وَمَا عُلِّمَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا وَالْمِثلُ يُضرَبُ لِمَنْ إِذَا نُبَّهَ . . انتبَهَ (٢) .

#### أنا النذيرُ العُرْيانُ

قالَ ابنُ الكلبيّ: كانَ مِنْ حديثِ النذيرِ العُريانِ: أنَّ أبا دؤادِ الشاعرَ كانَ جاراً للمنذرِ بنِ ماءِ السماءِ ، وأنَّ أبا دؤادٍ نازعَ رجلاً بالحِيرةِ مِنْ بهراءَ يُقالُ لهُ: رقبةُ بنُ عامرٍ ، فقالَ لهُ رقبةُ: صالحْني وحالفْني ، قالَ أبو دُؤادٍ: فمِنْ أبا دؤادٍ ؟ فوالله ؛ لولا ما تصيبُ مِنْ بهراءَ . . لهلكتَ ، ثمَّ افترقا علىٰ تلكَ الحالةِ .

وإنَّ أبا دُؤادٍ أخرجَ بنينَ لهُ ثلاثةً في تجارةٍ إلى الشامِ ، فبلغَ ذلكَ رقبة ، فبعثَ إلىٰ قومِهِ فأخبرَهُم بما قالَ لهُ أبو دؤادٍ عندَ المنذرِ ، وأخبرَهُم أنَّ القومَ ولدُ أبي دؤادٍ ، فخرجوا إلى الشامِ ، فقتلوهُم وبعثوا برؤوسِهِم إلىٰ رقبةَ ، فلمَّا أتتْهُ الرؤوسُ . . صنعَ طعاماً كثيراً ، ثمَّ أتى المنذرَ فقالَ لهُ : قدِ اصطنعتُ لكَ طعاماً ، فأنا أحبُّ أن تَتغدَّىٰ عندي ، فأتاهُ المنذرُ وأبو دؤادٍ معَهُ ، فبينا الجِفانُ تُرفَعُ وتُوضَعُ . . إذ جاءَتْ جَفنةٌ عليها أحدُ رؤوسِ بني أبي دؤادٍ ، فقالَ أبو دُؤادٍ : أبيتَ اللعنَ ؛ إنّي جارُكَ ، وقد ترىٰ ما صنعَ بي ، وكانَ رقبةُ فقالَ أبو دُؤادٍ : أبيتَ اللعنَ ؛ إنّي جارُكَ ، وقد ترىٰ ما صنعَ بي ، وكانَ رقبةُ

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » ( ص ٢٦ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « مجمع الأمثال » ( ۱۳۸/۱ \_ ۱٤٣ ) .

جاراً للمنذرِ ، قالَ : فوقعَ المنذرُ منهُما في سوءةٍ ، وأمرَ برقبةَ فحُبِسَ ، وقالَ لأبي دؤادٍ : ما يرضيكَ ؟ قالَ : أن تبعثَ بكتيبتَيكَ الشهباءِ والدَّوسرِ إليهِم ، فقالَ لهُ المنذرُ : قد فعلتُ ، فوَجَّهَ إليهِم الكتيبتَينِ .

قالَ: فلمّا رأى ذلك رقبةُ مِنْ صنعِ المنذرِ.. قالَ لامرأتِهِ: الحقي بقومِكِ فأنذريهِم، فعَمَدَتْ إلى بعضِ إبلِ البهرانيّ، فركبَتْهُ، ثمّ خرجَتْ حتى أتَتْ قومَها، فعرَّفَتْ، ثمّ قالَتْ: أنا النذيرُ العريانُ، فأرسلَتْها مثلاً، وعرفَ القومُ ما تريدُ، فصَعِدوا إلى علياءِ الشامِ، وأقبلَتِ الكتيبتانِ، فلم تصيبا منهُم أحداً، فقالَ المنذرُ لأبي دؤادٍ، قد رأيتَ ما كانَ منهُم، أفيسكتُكَ عنِي أن أعطيكَ بكلِّ رأسٍ مئتَيْ بعيرٍ، قالَ: نعم، فأعطاهُ ذلكَ ، وفيهِ يقولُ قيسُ بنُ زهيرٍ العبسيُّ:

سَأَفْعَلُ مَا بَدَا لِي ثُمَّ آوِي إلَـىٰ جَارٍ كَـجَارِ أَبِي دُوَّادِ

وقالَ غيرُهُ: إنَّما قالوا: النذيرُ العريانُ ؛ لأنَّ الرجلَ إذا رأى الغارة قد فجأَتْهُم ، وأرادَ إنذارَ قومِهِ . . تَجرَّدَ مِنْ ثيابِهِ ، وأشارَ بها ليعلمَ أنَّهُ قد فجأَهُم أمرُ ، ثمَّ صارَ مثلاً لكلِّ أمرٍ تُخافُ مفاجأتُهُ ، ولكلِّ أمرٍ لا شبهةَ فيهِ .

#### إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارَةُ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : سهلُ بنُ مالكِ الفزاريُّ ؛ وذلكَ أنَّهُ خرجَ يريدُ النعمانَ ، فمرَّ ببعضِ أحياءِ طيءٍ ، فسألَ عن سيدِ الحيِّ ، فقيلَ لهُ : حارثةُ بنُ لأم ، فأمَّ رحلَهُ ، فلم يُصِبْهُ شاهداً ، فقالَتْ لهُ أختُهُ : انزلْ في الرَّحبِ والسَّعةِ ، فنزلَ ، فأكرمَتْهُ ولاطفَتْهُ ، ثمَّ خرجَتْ مِنْ خِبائِها ، فرأى أجملَ أهلِ دهرِها وأكملَهُم ، وكانَتْ عقيلةَ قومِها وسيدةَ نسائِها ، فوقعَ في نفسِهِ منها شيءٌ ، فجعلَ لا يدري كيفَ يرسلُ إليها ، ولا ما يوافقُها مِنْ ذلكَ ، فجلسَ بفِناءِ فجعلَ لا يدري كيفَ يرسلُ إليها ، ولا ما يوافقُها مِنْ ذلكَ ، فجلسَ بفِناءِ

الخِباءِ يوماً وهي تسمعُ كلامَهُ ، فجعلَ ينشدُ ويقولُ :

يَا أُخْتَ خَيْرِ ٱلْبَدْهِ وَٱلْحَضَارَهُ

كَيْفَ تَرِيْنَ فِي فَتَى فَزَارَهُ

أَصْبَحَ يَهْ وَى حُرَّةً مُعْطَارَهُ

إِيَّاكِ أَعْنِى وَٱسْمَعِى يَا جَارَهُ

إِيَّاكِ أَعْنِى وَٱسْمَعِى يَا جَارَهُ

فلمَّا سمعَتْ قولَهُ . . عرفَتْ أَنَّهُ إِيَّاها يعني ، فقالَتْ : ما ذا بقولِ ذي عقلٍ أريبٍ ، ولا رأي مصيبٍ ، ولا أنفٍ نجيبٍ ، فأقمْ ما أقمتَ مُكرَّماً ، ثمَّ ارتحلْ متى شئتَ مُسلَّماً ، ويُقالُ : أجابَتْهُ نظماً فقالَتْ : [من مشطور الرجز]

إِنِّي أَقُولُ يَا فَتَى فَزَارَهُ لَا أَبْتَغِي ٱلزَّوْجَ وَلَا ٱلدَّعَارَهُ وَلَا فِرَاقَ أَهْلِ هَلَذِي ٱلْحَارَهُ فَارْحَلْ إِلَى أَهْلِكَ بِٱسْتِخَارَهُ

فاستحيا الفتى وقال : ما أردتُ مُنكراً ، وا سوءتاه ، قالَت : صدقت ، فكأنّها استحيت مِنْ تَسرُّعِها إلى تهمتِه ، فارتحل ، فأتى النعمان ، فحيّاه وأكرمَه ، فلمّا رجع . . نزلَ على أخيها ، فبينا هو مقيمٌ عندهُم . . تَطلّعت إليه نفسُها ، وكانَ جميلاً ، فأرسلَت إليه : أنِ اخطُبْني إن كانَ لكَ إليّ حاجة يوماً مِنَ الدَّهرِ ؛ فإنِي سريعة إلى ما تريد ، فخطبَها وتَزوَّجَها ، وسارَ بها إلى قومِه .

يُضرَبُ لَمَنْ يَتكلَّمُ بكلامٍ ويريدُ بهِ شيئاً غيرَهُ (١).

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٦٥/١ \_ ١٦٦ ) .

## إنَّ غداً لناظرهِ قريبٌ

أي : لمنتظرهِ ، يُقالُ : نظرتُهُ ؛ أي : انتظرتُهُ .

وأوّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : قُرادُ بنُ أجدع ؛ وذلكَ أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ خرجَ يَتصيَّدُ على فرسِهِ اليحمومِ ، فأجراهُ على أثرِ عَيْرٍ ، فذهبَ بهِ الفرسُ في الأرضِ ولم يقدرْ عليهِ ، وانفردَ عن أصحابهِ ، وأخذَتْهُ السماءُ ، فطلبَ ملجأ يلجأ إليهِ ، فدفعَ إلى بناءٍ ، فإذا فيهِ رجلٌ مِنْ طيءٍ يُقالُ لهُ : حنظلةُ ومعَهُ المرأةُ لهُ ، فقالَ لهُ ما : هل مِنْ مأوى ، فقالَ حنظلةُ : نعم ، فخرجَ إليهِ فأنزلَهُ ، ولم يكنْ للطائيِّ غيرُ شاةٍ وهوَ لا يَعرِفُ النعمانَ ، فقالَ لامرأتِهِ : أرى رجلاً ذا هيئةٍ وما أخلقَهُ أن يكونَ شريفاً خطيراً ، فما الحيلةُ ؟ قالَتْ : عندي شيءٌ مِنْ طحينٍ كنتُ اذّخرتُهُ ، فاذبحِ الشاةَ لأتخذَ مِنَ الطّحينِ مَلّةً .

قالَ: فأخرجَتِ المرأةُ الدقيقَ ، فخبزَتْ منهُ مَلَّةً ، وقامَ الطائيُّ إلىٰ شاتِهِ فاحتلبَها ، ثمَّ ذبحَها ، فاتخذَ مِنْ لحمِها مَرَقَةً مَضِيرةً ، وأطعمَهُ مِنْ لحمِها ، وسقاهُ مِنْ لبنِها ، واحتالَ لهُ شراباً فسقاهُ ، وجعلَ يُحدِّثُهُ بقيةَ ليلتِهِ .

فلمَّا أصبحَ النعمانُ . . لبسَ ثيابَهُ ، وركبَ فرسَهُ ، ثمَّ قالَ : يا أخا طيءٍ ؟ اطلبْ ثوابَكَ ، أنا الملكُ النعمانُ ، قالَ : أفعلُ إن شاءَ اللهُ ، ثمَّ لحقَ الخيلَ ، فمضىٰ نحوَ الحِيرةِ .

ومكثَ الطائيُّ بعدَ ذلكَ زماناً حتى أصابَتْهُ نكبةٌ وجهدَ ، وساءَتْ حالُهُ ، فقالَتْ لهُ امرأتُهُ: لو أتيتَ الملكَ . . لأحسنَ إليكَ ، فأقبلَ حتى انتهىٰ إلى الحيرةِ ، فوافقَ يومَ بؤسِ النعمانِ ؛ فإذا هوَ واقفٌ في خيلِهِ في السلاحِ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ . . عرفَهُ ، وساءَهُ مكانُهُ ، فوقفَ الطائيُّ المنزولُ به بينَ يَديِ النعمانِ ، فقالَ لهُ : أنت الطائيُّ المنزولُ بهِ ، قالَ : نعم ، قالَ : أفلا جئتَ في غيرِ هاذا اليومِ ؟! قالَ : أبيتَ اللَّعنَ ، وما كانَ علمي بهاذا اليومِ ،

قَالَ : واللَّهِ ؛ لو سنحَ لي في هاذا اليوم قابوسُ ابني . . لم أجدْ بدّاً مِنْ قتلِهِ ، فاطلُبْ حاجتَكَ مِنَ الدنيا ، وسلْ ما بدا لكَ ؛ فإنَّكَ مقتولٌ ، قالَ : أبيتَ اللَّعنَ ، وما أصنعُ بالدنيا بعدَ نفسي ، قالَ النعمانُ : إنَّهُ لا سبيلَ إليها ، قالَ : فإن كانَ لا بدَّ ، فأجِّلْني حتى ألمَّ بأهلي فأوصيَ إليهم وأُهيّئ حالَهُم ، ثمَّ أنصرفَ إليكَ ، قالَ النعمانُ : فأقمْ لي كفيلاً بموافاتِكَ ، فالتفتَ الطائيُّ إلى شريكِ بنِ عمرِو بنِ قيسٍ مِن بني شيبانَ ، وكانَ يكني أبا الحوفزانِ ، وكانَ صاحبَ الرّدافةِ ، وهوَ واقفٌ بجنبِ النعمانِ ، فقالَ لهُ : [ من مجزوء الكامل] هَلْ مِنَ ٱلْمَوْتِ مَحَالَهُ يَا شَريكاً يَا بُنَ عَمْرو يَا أُخَا مَنْ لَا أُخَا لَهُ يَا أَخَا كُلّ مُضَافٍ يَوْمَ ضَيْفاً قَدْ أَتَىٰ لَهْ يَا أَخَا ٱلنُّعْمَانِ فُكَّ ٱلْ حَمَـوْتِ لَا يَـنْعَـمُ بَـالَـهُ طَالَ مَا عَالَجَ كَرْبَ ٱلْ

فأبئ شريكٌ أن يَتكفَّلَ بهِ ، فوثبَ إليهِ رجلٌ مِنْ كلبٍ يُقالُ لهُ : قرادُ بنُ أجدعَ ، فقالَ للنعمانِ : أبيتَ اللَّعنَ ، هوَ عليَّ ، قالَ النعمانُ : أفعلتَ ؟ قالَ : نعم ، فضمَّنهُ إيَّاهُ ، ثمَّ أمرَ للطائيِّ بخمسِ مئةِ ناقةٍ ، فمضى الطائيُّ إلىٰ أهلِهِ ، وجعلَ الأجلَ حولاً مِنْ يومِهِ ذلكَ إلىٰ مثلِ ذلك اليومِ مِنْ قابل ، فلمّا حالَ عليهِ الحولُ وبقيَ مِنَ الأجلِ يومٌ قالَ النعمانُ لقُرادٍ : ما أُراكَ إلَّا هالكاً غداً ، فقالَ قُرادٌ :

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَلْذَا ٱلْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَداً لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ فلمَّا أصبحَ النعمانُ . . ركبَ في خيلِهِ ورَجِلِهِ مُتسلِّحاً كما كانَ يفعلُ ، حتى أتى الغَرِيَّينِ فوقفَ بينَهُما ، وأخرجَ معَهُ قُراداً ، وأمرَ بقتلِهِ ، فقالَ لهُ وزراؤُهُ : ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتى يستوفي يومَهُ ، فتركَهُ ، وكانَ النعمانُ يشتهي أن يُقتَلَ قُرادٌ ليفلتَ الطائيُّ مِنَ القتلِ ، فلمَّا كادتِ الشمسُ تجبُ وقرادٌ قائمٌ مُجرَّدٌ في إزارٍ على النطعِ والسيَّافُ إلىٰ جنبِهِ . . أقبلَتِ امرأتُهُ وهيَ تقولُ :

أَيَا عَيْنُ بَكِّي لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا رَهِيناً لِقَتْلٍ لَا رَهِيناً مُودَّعَا أَيَا عَيْنُ بَكِّي لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا وَهِيناً لِهَا لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا أَضْرَعَا أَشْهَىٰ أَسِيراً حَاضِرَ ٱلْبَيْتِ أَضْرَعَا

فبينَما هُم كذلكَ . . إذ رفعَ لهُم شخصٌ مِنْ بعيدٍ وقد أمرَ النعمانُ بقتلِ قرادٍ ، فقيلَ لهُ : ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتىٰ يأتيكَ الشخصُ فتعلمَ مَنْ هوَ ، فكفَّ حتى انتهىٰ إليهِمُ الرجلُ ؛ فإذا هوَ الطائيُّ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ . . شقَّ عليه مجيئُهُ ، فقالَ لهُ : ما حملَكَ على الرجوعِ بعدَ إفلاتِكَ مِنَ القتلِ ؟! قالَ : الوفاءُ ، قالَ : وما دعاكَ إلى الوفاءِ ؟ قالَ : ديني ، قالَ النعمانُ : وما دينُكَ ؟ قالَ : النصرانيةُ ، قالَ النعمانُ : فاعرضها عليَّ ، فعرضها عليهِ ، فتنصَّرَ النعمانُ وأهلُ الحِيرةِ أجمعونَ ، وكانَ قبلَ ذلكَ علىٰ دينِ العربِ ، فتركَ القتلَ منذُ ذلكَ اليومِ ، وأبطلَ تلكَ السُّنَةَ ، وأمرَ بهدمِ الغَرِيَّينِ ، وعفا عن قُرادٍ والطائيِّ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما أدري أيُّهُما أوفىٰ وأكرمُ ، أهذا الذي عن قُرادٍ والطائيُّ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما أدري أيُّهُما أوفىٰ وأكرمُ ، أهذا الذي نجا مِنَ القتلِ فعادَ ، أمِ الذي ضمنَهُ ؟! واللهِ ؛ لا أكونُ ألأمَ الثلاثةِ ، فأنشأَ الطائيُّ يقولُ :

أَسْدَىٰ إِلَيَّ مِنَ ٱلْفَعَالِ ٱلْخَالِي فَأَبَيْتُ غَيْرَ تَمَجُّدِي وَفَعَالِي وَجَـزَاءُ كُـلِّ مُـكَارِمٍ بَـنَّالِ [من الطويل] مَخَارِيقُ أَمْثَالِ ٱلْقُرَادِ بْنِ أَجْدَعَا مَا كُنْتُ أُخْلِفُ ظَنَّهُ بَعْدَ ٱلَّذِي وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ ضَلَالَتِي إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنِّي ٱلْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وقالَ أيضاً يمدحُ قُراداً:

أَلَا إِنَّمَا يَسْمُو إِلَى ٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَا

مَخَارِيتُ أَمْثَالِ ٱلْقُرَادِ وَأَهْلِهِ فَإِنَّهُمُ ٱلْأَخْيَارُ مِنْ رَهْطِ تُبَّعَا

#### إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ

يُقالُ : آسيتُ فلاناً بمالي أو غيرِهِ ؛ إذا جعلتَهُ أُسوةً لكَ ، و( واسيتُ ) لغةٌ فيهِ .

ومعنى المثل : إنَّ أخاكَ حقيقةً مَنْ قَدَّمَكَ [ وآثرَكَ ] على نفسِهِ ، يُضرَبُ في الحثِّ على مراعاةِ الإخوانِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : خزيمُ بنُ نوفلِ الهَمْدانيُّ ؛ وذلكَ أنَّ النعمانَ بنَ ثوابٍ العبديُّ ثمَّ الشنيَّ كانَ لهُ بنونَ ثلاثةٌ : سعدٌ ، وسعيدٌ ، وساعدة ، وكانَ أبوهم ذا شرفٍ وحكمةٍ ، وكانَ يوصي بنيهِ ويَحملُهُم علىٰ أدبِهِ ؛ أمَّا ابنُهُ سعدٌ . . فكانَ شجاعاً بطلاً مِنْ شياطينِ العربِ ، لا يُقامُ لسبيلِهِ ، ولم تفتهُ طَلِبَتُهُ قطُّ ، ولم يَفِرَ عن قِرْنٍ ، وأمَّا سعيدٌ . . فكانَ يشبهُ أباهُ في شرفِهِ وسُؤددِهِ ، وأمَّا ساعدة . . فكانَ صاحبَ شراب وندامي وإخوانٍ .

فلمَّا رأى الشيخُ حالَ بنيهِ . . دعا سعداً \_ وكانَ صاحبَ حربٍ \_ فقالَ : يا بُنَيَّ ؛ إنَّ الصارمَ ينبو ، والجوادَ يكبو ، والأثرَ يعفو ، فإذا شهدتَ حرباً فرأيتَ نارَها تَستعِرُ ، وبطلَها يُخطِرُ ، وبحرَها يَزخَرُ ، وضعيفَها يَنصُرُ ، وجبانَها يَجسُرُ . . فأقللِ المكثَ والانتظارَ ، فإنَّ الفِرارَ غيرُ عارٍ ، إذا لم تكنْ طالبَ ثار ، فإنَّما يُنصَرونَ هُم ، وإيَّاكَ أن تكونَ صيدَ رماحِها ، ونطيحَ نطاحِها .

وقالَ لابنِهِ سعيدٍ وكانَ جواداً: يا بُنَيَّ ؛ لا يبخلُ الجوادُ ، فابذلِ الطارفَ والتِّلادَ ، وأقلِلِ التلاحِ . . تذكرْ عندَ السماحِ ، وابلُ إخوانَكَ ؛ فإنَّ وافيَهُم قليلٌ ، واصنع المعروف عندَ محتملِهِ .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢١٣/١ \_ ٢١٦ ) .

وقالَ لابنِهِ ساعدةَ وكانَ صاحبَ شرابٍ: يا بُنَيَّ ؛ إنَّ كثرةَ الشرابِ تفسدُ القلبَ ، وتُقلِّلُ الكسبَ ، وتَجِدُّ اللعبَ ، فأبصرْ نديمَكَ ، واحمِ حريمَكَ ، وأعنْ غريمَكَ ، واعلمْ : أنَّ الظمأَ القامحَ خيرٌ مِنَ الرِّيِّ الفاضحِ ، وعليكَ بالقصدِ ؛ فإنَّ فيهِ بلاغاً .

ثمَّ إِنَّ أَبِاهُمُ النعمانَ بِنَ ثُوابٍ تُوُفِّي ، فقالَ ابنه سعيدٌ وكانَ جواداً سيداً : لآخذنَّ بوصيةِ أبي ، ولأبلونَّ إخواني وثقاتي في نفسي ، فعَمَدَ إلىٰ كبشٍ فذبحه ، ثمَّ وضعَه في ناحيةِ خِبائِهِ وغشَّاهُ ثوباً ، ثمَّ دعا بعض ثقاتِهِ فقالَ : يا فلانُ ؛ إِنَّ أخاكَ مَنْ وفي لكَ بعهدِهِ ، وحاطَكَ برفدِهِ ، ونصرَكَ بودِّهِ ، قالَ : علم ؛ إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهو الذي تراهُ في صدقتَ ، فهل حدثَ أمرٌ ؟ قالَ : نعم ؛ إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهو الذي تراهُ في ناحيةِ الخباءِ ، ولا بدَّ مِنَ التعاونِ عليهِ حتىٰ يُوارىٰ ، فما عندَكَ ؟ قالَ : يا لها سوءةً وقعتَ فيها ، قالَ : فإنِّي أريدُ أن تعينني عليهِ حتىٰ أُغيِّبَهُ ، قالَ : لستُ لكَ في هاذا بصاحبٍ ، فتركَهُ وخرجَ .

فبعثَ إلىٰ آخَرَ مِنْ ثقاتِهِ ، فأخبرَهُ بذلكَ ، وسألَ معونتَهُ ، فردَّ عليهِ مثلَ ذلكَ ، حتىٰ بعثَ إلىٰ عددٍ منهُم ، كلُّهُم يَرُدُّ عليهِ مثلَ جوابِ الأوَّلِ .

ثم بعث إلى رجلٍ مِنْ إخوانِهِ يُقالُ لهُ: خزيمُ بنُ نوفلٍ ، قالَ لهُ: يا خزيمُ بنُ نوفلٍ ، قالَ : إنّي قتلتُ يا خزيمُ ؛ ما لي عندَكَ ؟ قالَ : ما يَسُرُكَ ، وما ذاكَ ؟ قالَ : إنّي قتلتُ فلاناً ، وهو الذي تراهُ مُسجّى ، قالَ : أيسرُ خطبٍ ، فتريدُ ماذا ؟ قالَ : أريدُ أن تعينني حتى أُغيّبَهُ ، قالَ : هانَ ما فزعتَ فيهِ إلى أخيكَ ، وغلامُ سعيدٍ قائمٌ معَهُما ، فقالَ لهُ خزيمٌ : هلِ اطلعَ على هاذا الأمرِ أحدٌ غيرُ غلامِكَ هاذا ؟ قالَ : لا ، قالَ : انظرْ ما تقولُ ، قالَ : ما قلتُ إلّا حقّاً ، فأهوى خزيمٌ إلى غلامِهِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ : ليسَ عبدٌ بأخٍ لكَ ، فأرسلَها مثلاً .

وارتاعَ سعيدٌ وفزعَ لقتلِ غلامِهِ ، فقالَ : ويحَكَ ما صنعتَ ؟! وجعلَ يلومُهُ فقالَ خزيمٌ : إِنَّ أَخاكَ مَنْ آساكَ ، فأرسلَها مثلاً .

قالَ سعيدٌ: فإنِّي أردتُ تجربتَكَ ، ثمَّ كشفَ عنِ الكبشِ وخَبَّرَهُ بما لقيَ مِنْ إخوانِهِ وثقاتِهِ ، وما ردُّوا عليهِ ، فقالَ خزيمٌ: سبقَ السيفُ العذلَ ، فذهبَتْ مثلاً (١١) .

## ألا مَنْ يشتري سهراً بنوم

قالوا: إنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ ذو رُعَينِ الحميريُّ ؛ وذَلكَ أنَّ حِمْيَرَ تَفرَّقَتْ على ملكِها حَسَّانَ ، وخالفَتْ أمرَهُ ؛ لسوءِ سيرتِهِ فيهِم ، ومالوا إلى أخيهِ عمرو ، وحملوهُ على قتلِ أخيهِ حَسَّانَ ، وأشاروا عليهِ بذَلكَ ، ورغَّبوهُ في الملكِ ، ووعدوهُ حسنَ الطاعةِ والمؤازرةَ ، فنهاهُ ذو رُعَينٍ مِنْ بينِ حِمْيرَ عن قتلِ أخيهِ ، وعلمَ أنَّهُ إن قتلَ أخاهُ . . ندمَ ونفرَ عنهُ النومُ ، وانتقضَ عليهِ أمورُهُ ، وأنَّهُ سيُعاقِبُ الذي أشارَ عليهِ بذَلكَ ، ويَعرفُ غِشَّهُم لهُ .

فلمَّا رأى ذو رُعَينٍ أنَّهُ لا يقبلُ ذلكَ منه ، وخشي العواقبَ . . قالَ هلاَينِ البيتَينِ ، وكتبَهُما في صحيفةٍ ، وختم عليها بخاتم عمرو ، وقالَ : هلذه وديعةٌ لي عندَكَ إلىٰ أن أطلبَها منكَ ، فأخذَها عمرٌو فدفعَها إلىٰ خازنِهِ ، وأمرَهُ برفعِها إلى الخزانةِ ، والاحتفاظِ بها إلىٰ أنْ يُسأَلَ عنها .

فلمَّا قتلَ أخاهُ ، وجلسَ مكانَهُ في الملكِ . . مُنِعَ منهُ النومُ ، وسُلِّطَ عليهِ السهرُ ، فلمَّا اشتدَّ ذلكَ عليهِ . . لم يدعْ باليمنِ طبيباً ولا كاهناً ولا منجماً ولا عرَّافاً ولا عائفاً إلّا جمعَهُم ، ثمَّ أخبرَهُم بقصَّتِهِ ، وشكا إليهِم ما بهِ ، فقالوا لهُ : ما قتلَ رجلٌ أخاهُ أو ذا رحم منهُ على نحوِ ما قتلتَ أخاكَ . . إلّا أصابَهُ

<sup>.</sup> (1) انظر « مجمع الأمثال » (117/1 - 117) .

السهرُ ، ومُنِعَ منهُ النومُ ، فلمَّا قالوا لهُ ذٰلكَ . . أقبلَ على مَنْ كانَ أشارَ عليهِ بقتلِ أخيهِ وساعدَهُ عليهِ مِنْ أقيالِ حميرَ فقتلَهُم حتى أفناهم ، فلمَّا وصلَ إلىٰ ذي رُعَيْنٍ . . قالَ لهُ : أيُّها الملكُ ؛ إِنَّ لي عندَكَ براءةً ممَّا تريدُ أن تصنعَ بي ، قالَ : وما براءتُكَ وأمانُكَ ؟ قالَ : مُرْ خازنَكَ أن يخرجَ الصَّحيفةَ التي استودعتُكَها يومَ كذا وكذا ، فأمرَ خازنَهُ ، فأخرجَها ، فنظرَ إلىٰ خاتمِهِ عليها ، استودعتُكَها يومَ كذا وكذا ، فأمرَ خازنَهُ ، فأخرجَها ، فنظرَ إلىٰ خاتمِهِ عليها ، أمَّ فضَّها ، فإذا فيها :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهَراً بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ فَأَمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَصَعْدِرَةُ ٱلْإِلَهِ لِذِي رُعَيْنِ

ثمَّ قالَ : أَيُّهَا الملكُ ؛ قد نهيتُكَ عن قتلِ أخيكَ ، وعلمتُ أنَّكَ إن فعلتَ ذَلكَ . . أصابَكَ الذي قد أصابَكَ ، فكتبتُ هاذينِ البيتَينِ براءةً لي عندَك ممَّا علمتُ أنَّكَ تصنعُ بمَنْ أشارَ عليكَ بقتلِ أخيكَ ، فقبلَ ذَلكَ منهُ ، وعفا عنهُ ، وأحسنَ جائزتَهُ .

يُضرَبُ لِمَنْ غمطَ النعمةَ ، وكرهَ العافيةَ (١).

## إن كنتَ كذوباً . . فكنْ ذَكُوراً

يضربُ للرجلِ يكذبُ ثمَّ ينسى ، فيُحدِّثُ بخلافِ ذلكَ (٢).

#### إذا اشتريت . . فاذكر السوق

يعني : إذا اشتريتَ . . فاذكرِ البيعَ ؛ لتجتنبَ العيوبَ (٣) .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢١٨/١ \_ ٢١٩ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « مجمع الأمثال » ( ۲۲۰/۱ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢٢٠/١ ) .

### بلغَ السيلُ الزُّبكِ

هيَ جمعُ زُبْيةٍ ؛ وهيَ حفرةٌ تُحفَرُ للأسدِ إذا أرادوا صيدَهُ ، وأصلُها الرابيةُ لا يعلوها الماءُ ، فإذا بلغَها السيلُ . . كانَ جارفاً مُجحِفاً .

يُضرَبُ لِمَنْ جاوزَ الحدَّ ، قالَ المُؤرِّجُ : حدَّثَني سعيدُ بنُ سماكِ بنِ حربٍ عن أبيهِ ، عنِ ابنِ [ المعتمرِ ] قالَ : أُتِيَ معاذُ بنُ جبلِ بثلاثةِ نفرٍ قتلَهُم أسدُ في زُبيةٍ ، فلمْ يدرِ كيفَ يفتيهِم ، فسألَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ محتبِ بفِناءِ الكعبةِ ، فقالَ : قُصُّوا عليَّ خبرَكُم ، قالوا : صِدْنا أسداً في زُبيةٍ ، فاجتمعنا عليهِ ، فتدافعَ الناسُ عليهِ ، فرمَوا برجلٍ [ فيها ] فتَعلَّقَ الرجلُ بآخَرَ ، وتَعلَّقَ الآخَرُ ، وتَعلَّقَ الرجلُ بآخَرَ ، وتَعلَّقَ الآخِرُ ، وتَعلَّق ربعَ اللهُ عنهُ : أنَّ للأولِ المَخرُ بآخَرَ ، فهوَوا فيها ثلاثتُهُم ، فقضى فيها عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ للأولِ ربعَ الديةِ ، وللثاني النصف ، وللثالثِ الديةَ كلَّها ، فأخبِرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم بقضائِهِ ، فقالَ : « لَقَدْ أَرْشَدَكَ ٱللهُ لِلْحَقِ » (١) .

# بخِ بخِ ساقٌ بخَلْخالٍ !!

بخ : كلمةٌ يقولُها المُتعجِّبُ مِنْ حسنِ الشيءِ وكمالِهِ الواقعِ موقعَ الرضاءِ ، كأنَّهُ قالَ : ما أحسنَ ما أراهُ !! وهو ساقٌ محلَّاةٌ بخلخالٍ ، ويجوزُ أن يريدَ بالباءِ معنى ( معَ ) ، فيكونُ التعجُّبُ مِنْ حسنِهِما .

يُضرَبُ في التهكُّمِ والهزءِ مِنْ شيءٍ لا موضعَ للتهكُّمِ فيهِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الوِرْثةُ بنتُ ثعلبةَ امرأةُ ذُهْلِ بنِ شيبانَ بنِ ثعلبة ؟ وذٰلكَ أنَّ رقاشِ بنتَ عمرو بنِ عثمانَ مِنْ بني ثعلبةَ طَلَّقَها زوجُها كعبُ بنُ مالكِ بنِ تيمِ اللهِ بنِ ثعلبةَ بنِ [عكابة] ، فتزوَّجَها ذُهلُ بنُ شيبانَ زوجُ الوِرْثةِ ، ودخلَ بها ، وكانَتِ الورثةُ لا تتركُ لهُ امرأةً إلَّا ضربَتُها وأجلَتُها ، فخرجَتْ

<sup>(1)</sup> انظر « البدر المنير » ( 10/1 ) ، و« مجمع الأمثال » ( 1001 - 707 ) .

رقاشِ يوماً وعليها خلخالانِ ، فقالَتِ الورثةُ : بخٍ بخٍ ساقٌ بخلخالِ !! فذهبَتْ مثلاً ، فقالَتْ رقاشِ : أجلْ ساقٌ بخلخالٍ ، لا كخالِكِ المختالِ ، فوثبَتْ عليها الورثةُ لتضربَها ، فضبطَتْها رَقاشِ وضربَتْها وغلبَتْها ، حتى حُجِزَتْ عنها ، فقالَتِ الورثةُ :

[ أَيَا ] وَيْحَ نَفْسِي ٱلْيَوْمَ أَدْرَكَنِي ٱلْكِبَرْ الْأَبْكِي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرْ فَي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرْ فَي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرُ فَي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرُ فَي عَلَىٰ مَا لَاقَىٰ صَوَاحِبُكِ ٱلْأُخَرْ فَـوَاللّٰهِ لَـوْ أَدْرَكْتِ فِي بَيقِيَّةً لَلْاَقَيْتِ مَا لَاقَىٰ صَوَاحِبُكِ ٱلْأُخَرْ

فولدَتْ رَقاشِ لذهلِ بنِ شيبانَ مُرَّةَ وأبا ربيعةَ ومُحَلِّماً والحارثَ بنَ ذهلِ .

# أبلغُ مِنْ قُسٍ

هوَ قُسُّ بنُ ساعدة بنِ حذافة بنِ زهيرِ بنِ أيادِ بنِ نزارِ الإياديُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، وأعقلِ مَنْ سُمِعَ بهِ منهُم ، وهوَ أوَّلُ مَنْ كتبَ : مِنْ فلانِ إلى فلانٍ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : أمَّا بعدُ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : أمَّا بعدُ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : أمَّا بعدُ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : البينةُ على مَنْ أنكرَ ، وقدْ عُمِّرَ مئةً وثمانينَ قالَ : البينةُ على مَنْ أنكرَ ، وقدْ عُمِّرَ مئةً وثمانينَ سنةً ، قالَ الأعشى (۱):

وَأَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ وَأَجْرَىٰ مِنَ ٱلَّذِي بِذِي ٱلْغَيْلِ مِنْ خَفَّانَ أَصْبَحَ خَادِرَا

وأخبرَ عامرُ بنُ شراحيلَ الشعبيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ وفدَ بكرِ بنِ وائلٍ قدموا على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلمَّا فرغَ مِنْ حوائجِهِم . . قالَ : « هَلْ فِيكُمْ أَحَدُ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ٱلْإِيَادِيَّ ؟ » ، قالوا : كلُّنا نَعرِفُهُ ، قالَ : « فَمَا فَعَلَ ؟ » ، قالوا : هلكَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « كَأَنِّي بِهِ عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ بِعُكَاظَ قَائِماً يَقُولُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ عليهِ وسَلَّمَ : « كَأَنِّي بِهِ عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ بِعُكَاظَ قَائِماً يَقُولُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛

<sup>(</sup>١) كذا في « مجمع الأمثال » ( ٣٠٢/١ ) .

ٱجْتَمِعُوا وَٱسْتَمِعُوا وَعُوا ؛ كُلُّ مَنْ عاشَ ماتَ ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُو آتٍ آتٍ ، إِنَّ فِي ٱلسَّمَاءِ لَخَبَراً ، وَإِنَّ فِي ٱلْأَرْضِ لَعِبَراً ، مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، هُو آتٍ آتٍ ، إِنَّ فِي ٱلسَّمَاءِ لَخَبَراً ، وَإِنَّ فِي ٱلْأَرْضِ لَعِبَراً ، مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَبِحَارٌ تَمُوجُ ، وَتِجَارَةٌ تَرُوجُ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، أَقْسَمَ قُسُّ حَقّاً ؛ لَئِنْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ رِضاً . . لَيَكُونَنَّ بَعْدَهُ سُخْطٌ ، وَإِنَّ لِللهِ عَنَّ تُولُومُ وَلَا يَعُدَهُ سُخْطٌ ، وَإِنَّ لِللهِ عَنَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ دِيناً هُو أَحَبُ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ دِيناً هُو أَحَبُ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ عَزَّتْ قُدُرَتُهُ دِيناً هُو أَحَبُ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ يَرْجِعُونَ ؟ أَرَضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُركُوا فَنَامُوا ؟! » (١١) ، ثمَّ أنشدَ أَبُو بكرِ رضيَ اللهُ عنهُ شعراً حفظَهُ له ؛ وهو قولُهُ : [من الكامل]

فِي ٱلنَّاهِ بِينَ ٱلْأَوَّلِي نَ مِنَ ٱلْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ لَنَا بَصَائِرْ لَنَا بَصَائِرْ لَلَّمَ اللَّهَا مَصَادِرْ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ وَرَأَيْتُ مَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ وَرَأَيْتُ قَوْمِ فِي نَحْوَهَا يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرُ وَٱلْأَكَابِرْ لَا يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرُ وَٱلْأَكَابِرْ لَا يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرُ وَٱلْأَكَابِرْ لَا يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرَ وَٱلْأَكَابِرْ لَا يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرَ وَٱلْأَكَابِرْ لَلْ يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرَ وَٱلْأَكَابِرْ لَلْ يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرَ وَٱلْأَكَابِرْ لَلْ يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرَ وَٱلْأَكَابِرْ لَلْ يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرَ وَٱلْقَوْمُ صَائِرْ لَلْ يَسْعَى اللَّهُ وَمُ صَائِرُ لَلْ يَسْعَى الْقَوْمُ صَائِرُ لَلْ يَسْعَى الْأَسْعَالِ اللَّهَ وَمُ صَائِرُ لَيْ عَلَى يَسْعَى اللَّهُ وَمُ صَائِرُ لَى اللَّهُ وَمُ صَائِرُ لَا مَحَالَ لَا مَحَالَ لَلْهَ حَيْثُ صَارَ ٱلْقَوْمُ صَائِرُ لَا مَا عَلَى اللَّهُ وَالْمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَالْمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمَلِيلُ الْمَلْمُ الْمُ لَلْمُ عَلَى اللْمُ الْمُ عَلَى اللْمُ الْمُ الْمُلْعِلَى الْمُلْعِلَى الْمُلْعِلَى اللَّهُ عَلَى الْمُلْعُلِيْ الْمُلْعِلْمُ الْمُ الْمُ الْمُلْعُلِيْلُ الْمُلْعِلَى الْمُ الْمُعْمَى الْمُ الْمُلْعُلُولِ الْمُلْعِلَى الْمُلْعُلِيلُ الْمُلْعُلُولُ الْمُ الْمُلْعُلِيلُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعِلَى الْمُلْعُلِيلُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعِلَى اللْمُلْعِلَى الْمُلْعُلِيلُ الْمُلْعِلِيلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعِلَى الْمُلْعُلِيلُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعِلَى الْمُلْعِلِيلُولُ الْمُلْعِلْمُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعِلَى الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلِيلِ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلِيلُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلِيلُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعِلِيلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعِلِيلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلِيلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعِلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْعُلُو

## أبخلُ مِنْ مادِرٍ

هوَ رجلٌ مِنْ بني هلالِ بنِ عامرِ بنِ صعصعة ، وبلغَ مِنْ بخلِهِ أنَّهُ سقى إبلَهُ ، فبقيَ في أسفلِ الحوضِ ماءٌ قليلٌ ، فسلحَ فيهِ ، ومدرَ الحوضَ بهِ ، فسُمِّيَ مادراً لذلكَ ، واسمُهُ مُخارقٌ .

قالَ أبو الندى : وذكروا أنَّ بني فزارة وبني هلالِ بنِ عامرٍ تنافروا إلى أنسِ بنِ مدركٍ الخثعميِّ وتراضَوا بهِ ، فقالَتْ بنو عامرٍ : يا بني فزارة ؛ أكلتُم أيرَ حمارٍ ، فقالَتْ بنو فزارة : قد أكلنا ولم نَعرِفْهُ .

<sup>(</sup>١) أخرجه البزار في « مسنده » ( ٥٣٤٧ ) .

وحديثُ ذلكَ : أنَّ ثلاثةَ نفرٍ اصطحبوا ؛ فزاريُّ و ثعلبيُّ وكلابيٌّ ، فصادوا حماراً ، ومضى الفزاريُّ في بعضِ حاجتِهِ ، فطبخا وأكلا ، وخَبَأا للفزاريِّ جُرْدانَ الحمارِ ، فلمَّا رجعَ الفزاريُّ . قالا : قد خَبَأنا لكَ فكُلْ ، فأقبلَ يأكلُهُ ولا يكادُ يسيغُهُ ، فقالَ : أكلُّ شواءِ العَيْرِ جُوفانُ ؟ يعني بهِ الذَّكرَ ، وجعلا يضحكانِ ، ففطنَ ، وأخذَ السيفَ وقالَ : لَتأكلانِّهِ أو لاقتلنَّكُما ، ثمَّ قالَ لأحدِهِما وكانَ اسمُهُ مَرْقَمَةَ : كُلْ منهُ ، فأبى ، فضربَهُ فأبانَ رأسَهُ ، فقالَ الخرُ : طاحَ مَرْقَمةُ ، فقالَ الفزاريُّ : وأنتَ إن لم تَلْقَمَهُ .

قالَ محمدُ بنُ حبيبٍ : أرادَ إن لم تلقمْهَا ، فِلمَّا تركَ الألفَ . . ألقى الفتحةَ على الميم قبلَ الهاءِ ، كما قالوا : وَيْلُمُ الحِيرةِ وأيُّ رجالٍ بَهْ ؛ أي : بها .

قلتُ (١): إنَّما قَدَّرَ الهاء في تلقمَها إرادةَ المضغةِ أو البضعةِ ، وإلَّا . . فليسَ في الكلامِ الذي مضى تأنيثُ تَرجِعُ الهاءُ إليهِ .

فقالَتْ بنو فزارةَ : وللكنْ منكُم يا بني هلالٍ مَنْ قرى في حوضِهِ ، فسقى إبلَهُ ، فلمَّا رَوِيَتْ . . سلحَ فيهِ ومدرَهُ ؛ بخلاً بهِ أَنْ يُشرَبَ فضلُهُ !!

فقضىٰ أنسُ بنُ مدركِ على الهلاليينَ ، فأخذَ الفزاريونَ منهُم مئةَ بعيرٍ ، وكانوا تراهنوا عليها .

وفي بني فزارةَ يقولُ الكميتُ بنُ ثعلبةَ ، والكميتُ مِنَ الشُّعراءِ ثلاثةٌ ، أقدمُهُم هاذا ، ثمَّ كميتُ بنُ معروفٍ ، ثمَّ كميتُ بنُ زيدٍ ، وكلُّهُم مِنْ بني أسدِ :

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخٌ إِذَا خُيِّرْتَ تُخْطِئُ فِي ٱلْخِيَارِ أَصَيْحَانِيَّةٌ أُدِمَتْ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ ٱلْحِمَارِ

<sup>(</sup>١) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

بَلَىٰ أَيْرُ ٱلْحِمَارِ وَخِصْيَتَاهُ أَحَبُّ إِلَىٰ فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِ

فحذفَ الهاءَ مِنْ فزارةَ كما تُحذَفُ في الترخيمِ ، وإن كانَ هاذا في غيرِ النداءِ ، ويجوزُ أن يكونَ أرادَ مِنْ فزاري ، فخَفَّفَ ياءَ النسبةِ .

وفي بني هلالٍ يقولُ الشاعرُ:

[لَقَدْ] جَلَّلَتْ خِزْياً هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ فَأُفِّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا ٱلْفَخْرَ بَعْدَهَا

وفي بني فزارةَ يقولُ ابنُ دارةَ :

لَا تَأْمَنَنَ فَزَارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ لَا تَأْمَنَنْهُ وَلَا تَأْمَنْ بَوَائِقَهُ أَطْعَمْتُمُ ٱلضَّيْفَ جُوفَاناً مُخَاتَلَةً

[من الطويل] بَنِي عَامِرٍ طُرّاً بِسَلْحَةِ مَادِرِ بَنِي عَامِرٍ أَنْتُمْ شِرَارُ ٱلْمَعَاشِرِ [من البسيط]

عَلَىٰ قَلُوصِكَ وَٱكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ بَعْدَ ٱلَّذِي ٱمْتَلَّ أَيْرَ ٱلْعَيْرِ فِي ٱلنَّارِ فَلَا سَقَاكُمْ إِلَهِي ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِي

قالَ حمزةُ: وحدَّثَني أبو بكرِ بنُ دريدٍ قالَ: حدَّثَني أبو حاتمٍ عن أبي عبيدة : أنَّهُ قرأً عليهِ حديثَ مادِرٍ ، فضحكَ ، قالَ : فقلتُ لهُ : ما الذي أضحكَكَ ؟ فقالَ : تَعجُّبي مِنْ تسييرِ العربِ لأمثالٍ لها ، لو سيَّرُوا ما هو أهمُّ منها . . لكانَ أبلغَ لها ، قلتُ : مثلُ ماذا ؟ قالَ : مثلُ مادرٍ هنذا جعلوهُ عَلَماً في البخلِ بفَعْلةٍ تَحتمِلُ التأويلَ ، وتركوا مثلَ ابنِ الزبيرِ معَ ما يؤثرُ علىٰ لفظِهِ وفعلِهِ مِنْ دقائقِ البخل ، فتركوهُ كالغُفْل .

مِنْ ذَلكَ : أنَّه نظرَ إلى رجلٍ مِنْ أصحابِهِ وهوَ يومَئذٍ خليفةٌ يقاتلُ المَحَجَّاجَ بنَ يوسفَ على دولتِهِ وقد دقَّ الرجلُ في صدورِ أهلِ الشامِ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ على دولتِهِ وقد دقَّ الرجلُ في صدورِ أهلِ الشامِ أرماحاً ، فقالَ لهُ : يا هنذا ؛ اعتزلْ عن حربِنا ، فإنَّ بيتَ المالِ لا يقوى على هنذا .

وقالَ في تلكَ الحربِ لجماعةٍ مِنْ جندِهِ : أكلتُم تمري ، وعصيتُم أمري .

وسمعَ أَنَّ مالكَ بنَ أشعرَ الرزاميَّ مِنْ بني مازنٍ أكلَ مِنْ بعيرٍ وحدَهُ ، وحملَ ما بقيَ على ظهرِهِ ، فقالَ : دلُّوني علىٰ قبرهِ . . أَنبشْهُ .

وقالَ لرجلٍ أتاهُ مجتدياً وقد أبدعَ بهِ ، فشكا إليهِ حفا ناقتِهِ ، قالَ : اخصفْها بهُلْبٍ ، وارقعُها بسِبْتٍ ، وأنجدْ بها . . يبردْ خفُّها ، فقالَ الرجلُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ جئتُكَ مستوصلاً ، ولم آتكَ مُتوصِّفاً ، فلا بقيَتْ ناقةٌ حملَتْني إليكَ ، فقالَ : إنَّ وصاحبَها ، ولهاذا الرجل فيهِ شعرٌ قد نُسِيَ .

قلتُ (١): وفي بعضِ النسخِ مِنْ كتابِ «أفعلُ »: كانَ هاذا الرجلُ عبدَ اللهِ بنَ فضالةَ الأسديَّ ، ولمَّا انصرفَ مِنْ عندِهِ . . قالَ :

أَرَى ٱلْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِٱلْبِلَادِ وَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِ إِلَى ٱبْنِ ٱلْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ

في أبياتٍ ، وابنُ الكاهليَّةِ هوَ عبدُ اللهِ بنُ الزَّبِيرِ ؛ لأنَّ جدَّةً مِنْ جدَّاتِهِ كانَتْ مِنْ بني كاهلٍ ، فلمَّا بلغَ الشعرُ ابنَ الزبيرِ . . قالَ : لو علمَ لي أمّاً ألأمَ مِنْ عمَّتِهِ . . لسبَّني بها .

قالَ أبو عبيدة : فلو تَكلَّفَ الحارثُ بنُ كلدة طبيبُ العربِ ، أو مالكُ بنُ زيدِ مناةٍ وحنيفُ الحناتمِ آبِلا العربِ مِنْ وصفِ علاجِ ناقةِ الأعرابيِ ما تَكلَّفهُ هـٰذا الخليفةُ . . لَمَا كانوا يَعْشُرُونَهُ ، وكانَ مَعَ هـٰذا يأكلُ في كلِّ أسبوعٍ أكلةً ، ويقولُ في خُطبتِهِ : إنَّما بطني شبرٌ في شبرٍ ، وعندي ما عسى يكفيني ، فقالَ فيهِ الشاعرُ :

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شِبراً قَدْ شَبِعْتَ وَقَدْ أَفْضَلْتَ فَضْلاً كَثِيراً لِلْمَسَاكِينِ فَيْ كَانَ بَطْنُكَ مِن ٱلْأَيَّام جَائِحَةٌ لَا نَبْكِ مِنْكَ عَلَىٰ دُنْيَا وَلَا دِين

<sup>(</sup>١) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

<sup>(</sup>۲) انظر « مجمع الأمثال » ( ۳۰۳/۱ \_ ۳۰۷ ) .

## تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثدييها

أي : لا تكونُ ظئراً وإن آذاها الجوعُ ، ويُروىٰ : ولا تأكلُ ثديَيها .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : الحارثُ بنُ سليلِ الأسديُّ ، وكانَ حليفاً لعلقمةَ بنِ خصفةَ الطائيِّ ، فزارَهُ ، فنظرَ إلى ابنتِهِ الزبَّاءِ وكانَتْ مِنْ أجملِ أهلِ دهرِها ، فأعجِبَ بها ، فقالَ لهُ : أتيتُكَ خاطباً وقد ينكحُ الخاطبُ ، ويدركُ الطالبُ ، ويمنحُ الراغبُ ، فقالَ لهُ علقمةُ : أنت كفؤٌ كريمٌ ، يُقبَلُ منكَ الصَّفوُ ، ويُؤخَذُ منك العَفوُ ، فأقمْ . . ننظرْ في أمركَ .

ثمَّ انكفاً إلىٰ أُمِّها فقالَ: إنَّ الحارثَ بنَ سليلٍ سيدُ قومِهِ حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزبَّاءَ ، فلا يَنصرفَنَّ إلَّا بحاجتِهِ .

فقالَتِ امرأتُهُ لابنتِها: أيُّ الرجالِ أحبُّ إليكِ: الكهلُ الجحجاحُ، الواصلُ المناحُ، أمِ الفتى الوضَّاحُ؟ قالَتْ: لا، بلِ الفتى الوضَّاحُ، قالَتْ: والله الفاضلُ الفاضلُ، الكثيرُ النائلُ.. إنَّ الفتى يُغيرُكِ، وإنَّ الشيخَ يَميرُكِ، وليسَ الكهلُ الفاضلُ، الكثيرُ النائلُ.. كالحديثِ السِّنِ، الكثيرِ المَنِّ، قالَتْ: يا أُمَّتاهُ؛ إنَّ الفتاةَ تُحِبُّ الفتى؛ كحبِّ الرعاءِ أنيقَ الكلا، قالَتْ: أي بنيَّةُ؛ إنَّ الفتى شديدُ الحجابِ، كثيرُ العتابِ، قالَتْ: إنَّ الشيخَ يبلي شبابي، ويُدنِّسُ ثيابي، ويُشمِتُ بي كثيرُ العتابِ، قالَتْ: إنَّ الشيخَ يبلي شبابي، ويُدنِّسُ ثيابي، ويُشمِتُ بي أترابي.

فلم تزلْ أُمُّها بها حتى غلبَتْها على رأيها ، فتَزوَّجَها الحارثُ على مئةٍ وخمسينَ مِنَ الإبلِ ، وخادمٍ ، وألفِ درهمٍ ، فابتنى بها ، ثمَّ رحلَ بها إلى قومِهِ ، فبينا هوَ ذاتَ يومٍ جالسٌ بفِناءِ قومِهِ وهيَ إلىٰ جانبِهِ . . إذ أقبلَ إليهِ شبابٌ مِنْ بني أسدٍ يعتلجونَ ، فتَنفَّسَتْ صُعَدَاءَ ، ثمَ أرخَتْ عينَيها بالبكاءِ ، فقالَ لها : ما يبكيكِ ؟ قالَتْ : ما لي وللشيوخِ ، الناهضينَ كالفروخِ ؟! فقالَ لها : ثكلتْكِ أُمُّكِ ، تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثديَيها .

قالَ أبو عبيدٍ: ( فإن كانَ الأصلُ على هذا الحديثِ . . فهوَ على المثلِ السائرِ : لا تأكلُ ثدييها ، وكانَ بعضُ العلماءِ يقولُ : هذا لا يجوزُ ، وإنّما هوَ : لا تأكلُ بثديها ) (١٠) .

قلتُ (٢): كلاهُما في المعنى سواءٌ؛ لأنَّ معنى ( لا تأكلُ ثديَيها ): لا تأكلُ ثديَيها ): لا تأكلُ أجرة ثدييها ، ومعنى ( بثدييها ) أي: لا تعيشُ بسببِ ثديَيها وبما يغلَّنِ عليها .

تطلبُ أثراً بعدَ عين

العينُ : المعاينةُ ، يُضربُ لِمَنْ تركَ شيئاً يراهُ ثمَّ تبعَ أَثرَهُ بعدَ فوتِ عينهِ .

قالَ الباهليُّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : مالكُ بنُ عمرِو العامليُّ ، وفي كتابِ

<sup>(</sup>١) الأمثال (ص ١٩٦ ـ ١٩٧) للقاسم بن سلام .

<sup>(</sup> $\Upsilon$ ) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ٣٢٧/١ \_ ٣٢٩ ) .

أبي عبيدٍ: مالكُ بنُ عمرِو الباهليُّ ، قالَ : وذلكَ أنَّ بعضَ ملوكِ غَسَّانَ كانَ يطلبُ في عاملةَ ذَحْلاً ، فأخذَ منهُم رجلينِ يُقالُ لهُما : مالكُ وسماكُ ابنا عمرٍو ، فاحتبسَهُما عندَهُ زماناً ، ثمَّ دعاهُما فقالَ لهُما : إنِّي قاتلُ أحدَكُما ، فأيَّكُما أقتلُ ؟ فجعلَ كلُّ واحدٍ منهُما يقولُ : اقتلْني مكانَ أخي ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ . قتلَ سماكاً ، وخلَّىٰ سبيلَ مالكِ ، فقالَ سماكُ حينَ ظنَّ أنَّهُ مقتولٌ :

أَلَا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةٌ عَامِدَهُ كَمَا [أَبَداً] لَيْلَةٌ وَاحِدَهُ فَأَبْلِغْ قُضَاعَةَ إِنْ جِئْتَهُمْ وَخُصَّ سَرَاةَ بَنِي سَاعِدَهُ وَأَبْلِغْ نِزَاراً عَلَىٰ نَأْيِهَا بِأَنَّ ٱلرِّمَاحَ هِيَ ٱلْعَائِدَهُ وَأَبْلِغْ نِزَاراً عَلَىٰ نَأْيِهَا بِأَنَّ ٱلرِّمَاحَ هِيَ ٱلْعَائِدَهُ وَأَقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهُ وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهُ بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَىٰ مَرْقَبٍ وَيَوْماً عَلَىٰ طُرُقٍ وَارِدَهُ فَا أُمَّ سِمَاكٍ فَلَا تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ [ٱلْوَالِدَهُ]

وانصرفَ مالكٌ إلى قومِهِ ، فلبثَ فيهِم زماناً ، ثمَّ إنَّ رَكْباً مرُّوا وأحدُهُم يَتغنَّىٰ بهاذا البيتِ :

وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهُ

فسمعَتْ بذلكَ أمُّ سماكٍ ، فقالَتْ : يا مالكُ ؛ قَبَّحَ اللهُ الحياة بعدَ سماكٍ ، اخرجْ في الطَّلبِ بأخيكَ ، فخرجَ في الطَّلبِ ، فلقيَ قاتلَ أخيهِ يسيرُ في ناسٍ مِنْ قومِهِ ، فقالَ : مَنْ أحسَّ ليَ الجملَ الأحمرَ ؟ فقالوا لهُ وعرفوهُ : يا مالكُ ؛ لكَ مئةٌ مِنَ الإبلِ ، فكُفَّ ، فقالَ : لا أطلبُ أثراً بعدَ عينٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ حملَ علىٰ قاتلِ أخيهِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذلك : [من المنسرح]

يَا رَاكِباً بَلِّغَنْ وَلَا تَدَعَنْ بَنِي قُمَيْرِ وَإِنْ هُمُ جَزِعُوا

كُنْتُ حَزِيناً قَدْ مَسَّنِي وَجَعُ يَنْفَعُنِي فِي ٱلْفِرَاشِ مُضْطَجَعُ وَجُدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ وَجُدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ يَوْمَ تَوَافَى ٱلْحَجِيجُ وَٱجْتَمَعُوا يَعْرِفُ شَيْعاً وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ يَعْرِفُ شَيْعاً وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ مَعْرِفُ شَيْعاً وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ مَعْرِفُ شَيْعاً وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ مَعْرِفُ شَيْعاً وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ مَعْرَابُ وَفِيهِ سَفَاسِقٌ لُمَعُ مَعْرَابُ وَفِيهِ سَفَاسِقٌ لُمَعُ يَعْمُ الْحَرَابِ وَمِنْ دِمَائِهِ دُفَعَ يَعْمُ وَالْحَرَابُ وَالْرَأَسُ مُنْصَدِعُ فَالْمَيْعُ وَالْمَرَابُ مُنْ مَنْ عَمْرَعُ فَالْمَا مُنْصَدِعُ وَلَا جَنْعُ وَلَا جَنْعُ وَلَا جَنَعُ وَلَا جَنْعُ وَا الْمَسْتُ فَلَا وَلَا الْعَلَا فَي وَالْمِ وَالْمُ لَا مُنْ عَلَى وَالْمُ لَا مُنْ الْمُنْعُ وَا الْمَالُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا جَنْعُ وَا الْمَالِمُ وَا الْمَالُولُ وَلَا جَنْعُ وَا الْمُلْمُ وَا الْمَالِمُ الْمُولُولُ الْمُ الْمُنْ مُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُلْمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِولُ الْمُلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤُلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤُلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْم

فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ لاَ أَسْمَعُ ٱللَّهُو فِي ٱلْحَدِيثِ وَلاَ لاَ أَسْمَعُ ٱللَّهُو فِي ٱلْحَدِيثِ وَلاَ لاَ وَجْدُ ثَكْلَىٰ كَمَا وَجَدْتُ وَلاَ وَلاَ كَبِيبٍ أَضَل نَاقَتَهُ وَلاَ كَبِيبٍ أَضَل نَاقَتَهُ يَنْظُرُ فِي أَوْجُهِ ٱلرِّكَابِ فَلاَ يَنْظُرُ فِي أَوْجُهِ ٱلرِّكَابِ فَلاَ جَلَّلْتُهُ صَارِمَ ٱلْحَدِيدَةِ كَالْ بَيْنَ ضُميرٍ وَبَابِ جِلِّقَ فِي أَضْرِبُهُ بَادِياً نَواجِدُهُ أَضْرِبُهُ بَادِياً نَواجِدُهُ بَيْنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ فَا عَلَى ٱلسَّواءِ فَإِنْ فَالْيَوْمَ قُمْنَا عَلَى ٱلسَّواءِ فَإِنْ

السَّفاسقُ: جمعُ سفسقةٍ بفتحتَينِ أو كسرتَينِ بينَهُما سكونٌ ، فِرِندُ السيفِ ؛ وهيَ نقطٌ تلمعُ في صفائِهِ .

# تَسمعُ بالمُعَيْديِّ خيرٌ مِنْ أن تراهُ

ويُروىٰ : لأن تَسمعَ بالمُعيديِّ خيرٌ ، وأن تسمعَ ، ويُروىٰ : تَسمعُ بالمعيديِّ لا أن تراهُ ، والمختارُ : أن تسمعَ .

يُضرَبُ لِمَنْ خبرُهُ خيرٌ مِنْ مرآهُ ، ودخلَ الباءُ على تقديرِ : تُحدَّثُ بهِ خيرٌ . قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّ كُبَيشَ بنَ جابرٍ أخا ضمرةَ بنِ جابرٍ مِنْ بني نهشلٍ . . كانَ عرضَ لأَمَةٍ لزرارةَ بنِ عدس يُقالُ لها : رُشيَّةُ ، كانَتْ سبيةً أصابَها زُرارةُ مِنَ الرفيداتِ ،

وهم حيٌّ مِنَ العربِ ، فولدَتْ لهُ عمراً وذؤيباً وبرغوثاً ، فماتَ كُبيشٌ وترعرعَ الغِلمةُ .

فقالَ لقيطُ بنُ زرارة : يا رُشيَّة ؛ مَنْ أبو بنيكِ ؟ قالَتْ : كُبيشُ بنُ جابرٍ ، قالَ : فاذهبي به لؤلاءِ الغِلمةِ فعبِّسي بهِم وجه ضمرة وخبِّريهِ مَنْ هم ، وكانَ لقيطٌ عدوّاً لضمرة ، فانطلقَتْ بهِم إلى ضمرة ، فقالَ : ما هلؤلاءِ ؟ قالَتْ : بنو أخيكَ ، فانتزعَ منها الغِلمة وقالَ : الحقي بأهلِكِ .

فرجعَتْ فأخبرَتْ أهلَها بالخبرِ ، فركبَ زرارةُ وكانَ رجلاً حليماً ، حتى أتى بني نهشلٍ ، فقالَ : ردُّوا عليَّ غلمتي ، فسبَّهُ بنو نهشلٍ وأهجروا لهُ ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ . . انصرفَ ، فقالَ لهُ قومُهُ : ما صنعتَ ؟ قالَ : خيراً ، ما أحسنَ ما لقيني بهِ قومي !! فمكثَ حولاً ، ثمَّ أتاهم ، فأعادوا عليهِ أسوأ ما كانوا قالوا لهُ ، فانصرفَ ، فقالَ لهُ قومُهُ : ما صنعتَ ؟ قالَ : خيراً ، قد أحسنَ بنو عمِّي وأجملُوا ، فمكثَ بذلكَ سبعَ سنينَ يأتيهِم في كلِّ سنةِ فيردُّونَهُ بأسوأ الردِّ .

فبينمَا بنو نهشلٍ يسيرونَ ضحى . . إذ لحق بهِم لاحقٌ ، فأخبرَهُم أنَّ زرارة قد مات ، فقالَ ضمرة : يا بني نهشلٍ ؛ إنَّهُ قد ماتَ حليمُ أخوتِكُمُ اليومَ ، فاتقوهُم بحقِّهِم ، ثمَّ قالَ ضمرةُ لنسائِهِ : قِفَنَ أقسمْ بينَكُنَّ الثكلَ ، وكانَتْ عندَهُ هندُ بنتُ كربِ بنِ صفوانَ ، وامرأةٌ يُقالُ لها : خُليدةُ مِنْ بني عجلٍ ، وسبيةٌ مِنْ عبدِ القيسِ ، وسبيّةٌ مِنَ الأزدِ مِنْ بني طمثانَ ، وكانَ لهُنَّ أولادٌ غيرُ خُليدةَ ، فقالَتْ لهندٍ وكانَتْ لها مصافيةً : وَلِّي الثكلَ بنتَ غيرِكِ على سبيلِ الدعاءِ ، فأرسلَتُها مثلاً ، فأخذَ ضمرةُ شقَّة بنَ ضمرة وأمُّهُ هندٌ ، وشهابَ بنَ ضمرة وأمُّهُ العبديةُ ، وعنوة بنَ ضمرة وأمُّهُ الطمثانيةُ ، فأرسلَ بهم إلىٰ لقيطِ بن زرارة ، وقالَ : وعنوة بنَ ضمرة وأمُّهُ الطمثانية ، فأرسلَ بهم إلىٰ لقيطِ بن زرارة ، وقالَ :

هَا وَلا ءِ رهِ نُ لَكَ بِعَلَمْتِكَ حَتَىٰ أَرْضِيَكَ مِنْهُم ، فَلَمَّا وَقَعَ بِنُو ضَمِرةً فِي يَديْ لقيطٍ . . أَسَاءَ ولايتَهُم ، وجفاهُم وأهانَهُم ، فقالَ في ذلكَ ضمرة بن جابر :

صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةَ يَوْمَ غَوْلٍ
كَأَنِّي إِذْ رَهَنْتُ بَنِيَّ قَوْمِي
وَلَمْ أَرْهَنْتُ بَنِيَّ قَوْمِي
صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةَ يَوْمَ غَوْلٍ
فأجابَهُ لقيطٌ:

أَبَا قَطَنٍ إِنِّي أَرَاكَ حَزِينَا أَفِي أَنْ صَبَرْتُمْ نِصْفَ عَامٍ لِحَقِّنَا فقالَ ضمرة :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ حِبِّي لَعِمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ حِبِّي لَمِنْ نَوْكَى ٱلشُّيُوخِ وَكَانَ مِثْلِي

وَإِخْ وَتِهِ فَ لَا حَلَّتْ حِلَالِي دَفَعْتُهُمُ إِلَى ٱلصُّهْبِ ٱلسِّبَالِ دَفَعْتُهُمُ إِلَى ٱلصُّهْبِ ٱلسِّبَالِ رَهَنْتُهُمُ بِصُلْحٍ أَوْ بِمَالِ وَحُقَّ إِخَاءُ شِقَّةَ بِٱلْوِصَالِ وَحُقَّ إِخَاءُ شِقَّةَ بِٱلْوصَالِ [من الطويل]

وَإِنَّ ٱلْعَجُولَ لَا يُبَالِ حَنِينَا وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلُ سَبْعَ سِنِينَا [من الوافر]

وَتَرْكَ بَنِيَّ فِي ٱلشُّطُرِ ٱلْأَعَادِي إِذَا مَا ضَلَّ لَمْ يُنْعَسْ بِهَادِ

ثمَّ إنَّ بني نهشلٍ طلبوا إلى المنذرِ بنِ ماءِ السماءِ أن يَطلبَهُم مِنْ لقيطٍ ، فقالَ لهُمُ المنذرُ: نحُوا عنِي وجوهَكُم ، ثمَّ أمرَ بخمرٍ وطعامٍ ودعا لقيطاً ، فأكلا وشربا ، حتى إذا أخذَتِ الخمرُ منهُما . قالَ المنذرُ للقيطِ : يا خيرَ الفتيانِ ؛ ما تقولُ في رجلٍ اختارَكَ الليلةَ علىٰ ندامىٰ مُضَرَ ؟ قالَ : وما أقولُ فيهِ ؟ أقولُ : إِنَّهُ لا يَسألُني شيئاً إلَّا أعطيتُهُ إيَّاهُ غيرَ الغِلمةِ ، قالَ المنذرُ : أمَّا إذا استثنيتَ . . فلستُ قابلاً منكَ شيئاً حتى تعطيني كلَّ شيءٍ سألتُكَ ، قالَ : سلْني قالَ : فذلكَ ، قالَ : فإنِّي أسألُكَ الغِلمةَ أن تَهبَهُم لي ، قالَ : سلْني غيرَهُم ، قالَ : ما أسألُكَ غيرَهُم ، فأرسلَ لقيطٌ إليهِم ، فدفعَهُم إلى المنذرِ ، غيرَهُم ، قالَ : ما أسألُكَ غيرَهُم ، فأرسلَ لقيطٌ إليهِم ، فدفعَهُم إلى المنذرِ ،

فلمَّا أصبحَ لقيطٌ . . لامَهُ قومُهُ ، فندمَ ، فقالَ في المنذرِ : [من الطويل] وَإِنَّكُ لَوْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَةٍ مُغَمَّسَةٍ لَا يُسْتَثَارُ تُرَابُهَا وَإِنَّكُ لَوْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَةٍ مُغَمَّسَةٍ لَا يُسْتَثَارُ تُرَابُهَا بِثَوْبِكَ فِي ٱلظَّلْمَاءِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي لَجِئْتُ إِلَيْهَا سَادِراً لَا أَهَابُهَا فَأَصْبَحْتُ مَوْجُوداً عَلَيَّ مُلَوَّماً كَأَنْ نُضِيَتْ عَنْ حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا فَأَصْبَحْتُ مَوْجُوداً عَلَيَّ مُلَوَّماً كَأَنْ نُضِيَتْ عَنْ حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا

قالَ: فأرسلَ المنذرُ إلى الغِلمةِ ، وقد ماتَ ضمرةُ ، وكانَ صديقاً للمنذرِ ، فلمّا دخلَ عليهِ الغِلمةُ وكانَ يسمعُ بشِقّةَ ، ويُعجِبُهُ ما يَبلغُهُ عنهُ ، فلمّا رآهُ . . قالَ : تَسمعُ بالمُعيديِّ خيرُ مِنْ أن تَراهُ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ شِقَّةُ : أبيتَ اللعنَ وأسعدَكَ إللهُكَ ، إنَّ القومَ ليسوا بجُزْرٍ ؛ يعني : الشاءَ ، إنَّ ما يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ ؛ لسانِهِ وقلبِهِ ، فأعجبَ المنذر كلامُهُ ، وسَرَّهُ كلُّ ما رأى منهُ ، قالَ : فسمّاهُ ضمرةَ باسمِ أبيهِ ، فهوَ ضمرةُ بنُ ضمرةَ ، وذهبَ قولُهُ : يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ . . مثلاً ، وينشدُ على هلذا :

ظَنَنْتُ بِهِ خَيْراً فَقَصَّرَ دُونَهُ فَيَا رُبَّ مَظْنُونٍ بِهِ ٱلْخَيْرُ يُخْلِفُ

قلتُ (۲): وقريبٌ مِنْ هاذا ما يُحكى : أنَّ الحَجَّاجَ أرسلَ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بكتابٍ معَ رجلٍ ، فجعلَ عبدُ الملكِ يقرأُ الكتابَ ، ثمَّ يسألُ الرجلَ ، فيشفيهِ بجوابِ ما يسألُهُ ، فيرفعُ عبدُ الملكِ رأسَهُ إليهِ فيراهُ أسودَ ، فلمَّا أعجبَهُ ظَرْفُهُ وبيانُهُ . . قالَ مُتمثِّلاً :

فَإِنَّ عَرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ ٱلْجَوْنَ ذَا ٱلْمَنْكِبِ ٱلْعَمَمْ

فقالَ لهُ الرجلُ: يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هل تدري مَنْ عرازٌ ؟ أنا واللهِ عرارُ بنُ عمرو بنِ شاس الأسديّ الشاعرِ (٣).

<sup>(</sup>١) في الأصل و « مجمع الأمثال » : ( إنك ) ولا يستقيم وزنه .

<sup>(</sup> $\Upsilon$ ) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

<sup>(</sup>٣) انظر «مجمع الأمثال» ( ٣٤٢/١ - ٣٤٥ ).

# ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ

الدَّخْلُ: العيبُ الباطنُ ، يُضرَبُ لذي المنظرِ لا خيرَ عندَهُ .

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: عَثْمةُ بنتُ مطرودٍ البجيليَّةُ ، وكانَتْ ذَاتَ عقلٍ ورأي مُستمَع في قومِها ، وكانَتْ لها أختٌ يُقالُ لها: خَوْدٌ ، وكانَتْ ذَاتَ جمالٍ وميسمٍ وعقلٍ ، وإنَّ سبعةَ إخوةٍ غِلمةٍ مِنْ بطنِ الأزدِ خطبوا خَوداً إلىٰ أبيها ، فأتوهُ وعليهِمُ الحُللُ اليمانيَّةُ ، وتحتَهُمُ النَّجائبُ الفُرْهُ ، فقالوا: إلىٰ أبيها ، فأتوهُ وعليهِمُ الحُللُ اليمانيَّةُ ، وتحتَهُمُ النَّجائبُ الفُرْهُ ، فقالوا: نحنُ بنو مالكِ بنِ غفيلةَ ذي النحيَينِ ، فقالَ لهُمُ : انزلوا على الماءِ ، فنزلوا ليلتَهُم ، ثمَّ أصبحوا غادينَ في الحُللِ والهيئةِ ومعَهُم ربيبةٌ لهُم يُقالُ لها: الشعثاءُ كاهنةٌ ، فمرُّوا بوصيدِها يَتعرَّضون لها وكلُّهُم وسيمٌ جميلٌ ، وخرجَ الشعثاءُ كاهنةٌ ، فمرُّوا بوصيدِها يَتعرَّضون لها وكلُّهُم وسيمٌ جميلٌ ، وخرجَ أبوها ، فجلسوا إليهِ ، فرحَّبَ بهِم ، فقالوا : بلغنا أنَّ لكَ بنتاً ، ونحنُ \_ كما ترئ \_ شبابٌ ، وكلُّنا يمنعُ الجانبَ ، ويمنحُ الراغبَ ، فقالَ أبوها : كلُّكُم خيارٌ ، فأقيموا نرئ رأينا .

ثمَّ دخلَ على بنتِهِ ، فقالَ : ما ترينَ ؟ فقد أتاكِ هنؤلاءِ القومُ ، فقالَتْ : أنكحْني على قدري ، ولا تَشطُطْ في مهري ؛ فإن تُخطِئْني أحلامُهُم . . لا تُخطِئْني أجسامُهُم ، لعلِّي أصيبُ ولداً ، وأكثرُ عدداً .

فخرجَ أبوها فقالَ : أخبروني عن أفضلِكُم ، قالَتْ ربيبتُهُمُ الشعثاءُ الكاهنةُ : اسمعْ أخبرُكَ عنهُم ، هم إخوةٌ ، وكلُّهُم أسوةٌ ، أمَّا الكبيرُ . . فمالكٌ ، جريءٌ فاتكُ ، يتعبُ السنابكَ ، ويستصغرُ المهالكَ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فالغمرُ ، بحرٌ غمرٌ ، يقصرُ دونَهُ الفخرُ ، نهدٌ صقرٌ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فعلقمةُ ، صليبُ المعجمةِ ، منيعُ المشتمةِ ، قليلُ الجمجمةِ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فعاصمٌ ، سيدٌ ناعمٌ ، جَلدٌ صارمٌ ، أبيٌّ حازمٌ ، جيشُهُ غانمٌ ، وجارُهُ سالمٌ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فثوابٌ ، سريعُ الجوابِ ، عتيدُ الصَّوابِ ، كريمُ النصابِ ؛ كليثِ الغابِ ، وأمَّا فثوابُ ، وأمَّا الذي الغابِ ، وأمَّا الذي

۸٠

الذي يليهِ . . فمُدْرِكُ ، بذولٌ لما يملكُ ، عزوبٌ عمَّا يتركُ ، يفني ويهلكُ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فجندلٌ ، لقرنِهِ مجدلٌ ، مُقِلُّ لما يحملُ ، يعطي ويبذلُ ، وعن عدقِهِ لا ينكلُ .

فشاورَتْ أختَها فيهِم ، فقالَتْ أختُها عشمةُ : ترى الفتيانَ كالنخلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ ، اسمعي منِّي كلمةً : إنَّ شرَّ الغريبةِ يُعلَنُ ، وخيرَها يُدفَنُ ، انكحي في قومِكِ ولا تغررُكِ الأجسامُ ، فلم تقبلْ منها ، وبعثَتْ إلىٰ أبيها : أنكحْني مُدرِكا ، فأنكحَها أبوها على مئةِ ناقةٍ ورعاتِها ، وحملَها مُدرِكٌ ، فلم تلبثْ عندَهُ إلاَّ قليلاً حتى صبَّحَهُم فوارسُ مِنْ بني مالكِ بنِ كنانةَ ، فاقتتلوا ساعةً ، ثمَّ إنَّ ورَجَها وإخوتَهُ وبني عامرِ انكشفوا ، فسبَوْها فيمَنْ سبَوْا ، فبينا هي تسيرُ . بكَتْ ، فقالوا : ما يبكيكِ ؟ أعلىٰ فِراقِ زوجِكِ ؟ قالَتْ : قبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد بكنْ معللاً ، قالَتْ : قبَّحَ اللهُ ، قالوا : لقد كانَ جميلاً ، قالَتْ : قبَّحَ اللهُ جمالاً لا نفعَ معه ، إنَّما أبكي على عصياني أختي ، وقولِها : ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ ، وأخبرَتْهُم كيفَ خطبوها ، فقالَ لها رجلٌ منهُم يُكنىٰ أبا نواسٍ ، شابٌّ أسودُ أفوهُ مُضطرِبُ خطبوها ، فقالَ لها رجلٌ منهُم يُكنىٰ أبا نواسٍ ، شابٌّ أسودُ أفوهُ مُضطرِبُ الخَلْقِ : أترضينَ بي علىٰ أن أمنعَكِ مِنْ ذئابِ العربِ ؟ فقالَتْ لأصحابِهِ : أكذالكَ الخملُ جمالاً ، وأكملُ كمالٍ ، قد رضيتُ بهِ ، فزوَّجُوها منهُ (١) .

#### تعِسَتِ العجلةُ

أُوَّلُ مَنْ قَالَ هَاذَا: فِنْدُ مولى عائشةَ بنتِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ ، وكانَ أحدَ المُغنِّينَ ] من الخفيف ]

قُلْ لِفِنْدٍ يُشَيِّع ٱلْأَظْعَانَا طَالَمَا سَرَّ عَيْشَنَا وَكَفَانَا

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٣٥٦/١ ـ ٣٥٨ ) .

وكانَتْ عائشةُ أرسلَتْهُ يأتيها بنار ، فوجدَ قوماً يخرجونَ إلى مصرَ ، فخرجَ معَهُم ، فأقامَ بها سنةً ، ثمَّ قدمَ فأخذَ ناراً وجاءَ يعدو ، فعثرَ وتَبدَّدَ الجمرُ ، فقالَ : تعسَتِ العجلةُ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ : [من الرمل]

مَا رَأَيْنَا لِغُرَابٍ مَثَلاً إِذْ بَعَثْنَاهُ يَجِي بِٱلْمِشْمَلَهُ عَبْرَ فِنْدٍ أَرْسَلُوهُ قَابِساً فَثَوَىٰ حَوْلاً وَسَبَّ ٱلْعَجَلَهُ

المِشْملة : كساءٌ تُجمَعُ فيهِ المِقدحةُ بآلاتِها ، وقالَ بعضُهُمُ : الرواية : المَشْملةُ بفتحِ الميمِ ، وهيَ مَهبُّ الشمالِ ؛ يعني : الجانبَ الذي بعثَ نوحٌ عليهِ السلامُ الغرابَ إليهِ ليأتيَهُ بخبرِ الأرضِ : أجفَّتْ أم لا .

#### تجمعين خِلابةً وصدوداً

يُضرَبُ لِمَنْ يَجمعُ بينَ خصلتَيْ شرِّ ، قالوا : هوَ مِنْ قولِ جريرِ بنِ عطيةَ ؟ وذلكَ أنَّ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ أرادَ قتلَهُ ، فمشَتْ إليهِ مُضَرُ فقالوا : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لسانُ مضرَ وشاعرُها ، هبْهُ لنا ، فوهبَهُ لهُم .

وكانَتْ هندُ بنتُ أسماء بنِ خارجة ممَّنْ طلبَ فيهِ ، فقالَتْ للحَجَّاجِ : ائذنْ لي فأسمع مِنْ قولِهِ ، قالَ : نعم ، فأمرَ بمجلسٍ لهُ وجلسَ فيهِ هوَ وهندٌ ، ثمَّ بعثَ إلىٰ جريرٍ ، فدخلَ وهوَ لا يعلمُ بمكانِ الحَجَّاجِ ، فقالَتْ : يا بنَ الخَطَفَىٰ ؛ أنشدْني قولَكَ في التشبيبِ ، قالَ : واللهِ ؛ ما شببتُ بامرأةٍ قطُّ ، وما خلقَ اللهُ شيئاً أبغضَ إليَّ مِنَ النساءِ ، وللكنِّي أقولُ في المديحِ ما بلغكِ ، فإن شئتِ . . أسمعتُكِ ، قالَتْ : يا عدوَّ نفسِهِ ؛ فأينَ قولُكَ : [من الكامل]

يَجْرِي ٱلسِّوَاكُ عَلَىٰ أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ ٱلْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ ٱلزِّيَارَةِ فَٱرْجِعِي بِسَلَامِ لَوْ كُنْتِ صَادِقَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنَا لَوَصَلْتِ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامِ

قالَ جريرٌ : لا واللهِ ؟ ما قلتُ هاذا ، وللكنِّي أقولُ (١٠) : [من الطويل]

لَقَدْ جَرَّدَ ٱلْحَجَّاجُ بِٱلْحَقِّ سَيْفَهُ أَلَّا فَٱسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ

وَلَا يَسْتَوِي دَاعِي ٱلضَّلَالَةِ وَٱلْهُدَى وَلَا حُجَّةُ ٱلْخَصْمَيْنِ حَقٌّ وَبَاطِلُ

فقالَتْ هندٌ : دعْ ذا عنكَ ، فأينَ قولُكَ :

خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَشْعِرَا ٱلنَّوْمَ إِنَّنِي أُعِيذُكُمَا بِٱللهِ أَنْ تَجِدَا وَجْدِي ظَمِئْتُ إِلَىٰ بَرْدِ ٱلشَّرَابِ وَغَرَّنِي جَدَا مُزْنَةٍ يُرْجَىٰ جَدَاهَا وَمَا تُجْدِي

قَالَ جريرٌ: بل أنا الذي أقولُ (٢):

[ وَمَنْ ] يَأْمَنُ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ فَـمُرُّ وَأَمَّا عَـقْدُهُ فَـوَثِـيـقُ ( ) ( ) ( ) لَخِفْتُكَ حَتَّى أَنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي وَقَدْ كَانَ مِنْ دُونِي عَمَايَةُ نِيقُ لَخِفْتُكَ حَتَّى أَنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي

عرصت عبى الرصبي المعاجبي الوصد عال رس درجي عبديا رحيق

يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

قالَتْ : دعْ ذا عنكَ ، وللكنْ هاتِ قولَكَ (١٠) :

يَا عَاذِلَيَّ دَعَا ٱلْمَلَامَةَ وَٱقْصُرَا طَالَ ٱلْهَوَىٰ وَأَطَلْتُمَا ٱلتَّفْنِيدَا

إِنِّي وَجَدْتُكِ لَوْ أَرَدْتِ زِيَادَةً فِي ٱلْحُبِّ مِنِّي مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا

أَخْلَيْتِنَا وَصَدَدْتِ أُمَّ مُحَمَّدٍ أَفَتَجْمَعِينَ خِلَابَةً [ وَصُدُودَا ]

المستيقِت وطلق الصّبابَةِ أَنْ يُرَىٰ حَجَراً أَصَمَّ وَأَنْ يَكُونَ حَدِيدَا لَا يَسْتَطِيعُ أَخُو ٱلصّبَابَةِ أَنْ يُرَىٰ حَجَراً أَصَمَّ وَأَنْ يَكُونَ حَدِيدَا

(۱) انظر « دیوان جریر » ( ٤٠٣/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان جرير » ( ٣٧٣/١ \_ ٣٧٤ ) .

<sup>(</sup>٣) كذا في الأصل ، وفي « ديوان جرير » : ( وخفتك ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان جرير » ( ٣٣٧/١ ) .

## أَتْيَهُ مِنْ فقيدِ ثقيفٍ

قالوا: كَانَ بِالطَّائِفِ فِي أُوَّلِ الإسلامِ أَخُوانِ ، فَتَزَوَّجَ أَحَدُهُما امرأةً مِنْ بني كُنَّةَ ، ثمَّ رامَ سفراً ، فأوصى الأخَ بها ، فكانَ يَتعهَّدُها كلَّ يومٍ بنفسِهِ ، وكانَتْ مِنْ أَحسنِ الناسِ وجهاً ، فذهبَتْ بقلبِهِ ، فضَنِيَ ، وأخذَتْ قُوَّتَهُ حتى عَجَزَ عنِ المشي ، ثم عَجَزَ عنِ القعودِ .

وقدمَ أخوهُ ، فلمَّا رآهُ بتلكَ الحالةِ . . قالَ : ما لكَ يا أخي ؟ ما تجدُ ؟ قالَ : ما أجدُ شيئاً غيرَ الضَّعفِ ، فبعثَ أخوهُ إلى الحارثِ بنِ كلدةَ طبيبِ العربِ ، فلمَّا حضرَ . لم يجدْ به عِلَّةً مِنْ مرضٍ ، ووقعَ لهُ أنَّ ما به مِنْ عشقٍ ، فدعا بخمرٍ وفتَ فيها خبزاً فأطعمَهُ إيَّاهُ ، ثم أتبعَهُ بشربةٍ منها ، فتَحرَّكَ ساعةً ، ثمَّ نَغضَ رأسَهُ ورفعَ عقيرتَهُ بهاذهِ الأبياتِ :

أَلِمَّا بِي عَلَى ٱلْأَبْيَا تِ بِٱلْخَيْفِ نَـزُرْهُنَهُ غَــزَالٌ ثَــمَّ يَـحْــتَـلُّ بِـهَا دُورَ بَـنِـي كُـنَّـهُ غَــزَالٌ أَحْـوَرُ ٱلْعَـيْـنَيْـ نِ فِـي مَـنْـطِـقِـهِ غُـنَّـهُ

فعرفَ أنّهُ عاشقٌ ، فأعادَ عليهِ الخمرَ ، فأنشأَ يقولُ : [من مجزوء الخفيف]

أيُّهَا ٱلْحِيرَةُ ٱسْلَمُوا وَقِفُوا كَيْ تَكَلَّمُوا

خَرَجَتْ مُزْنَةٌ مِنَ ٱلْ بَحْرِ رَيَّا تَحَمْحَمُ 
هِدِي مَا كَنَّ تِي وَتَزْ عُمَمُ أَنِّي لَهَا حَمْمُ

فعرفَ أخوهُ ما بهِ ، فقالَ : يا أخي ؛ هيَ طالقٌ ثلاثاً ، فتَزوَّجُها ، فقالَ : هيَ طالقٌ يومَ أتزوَّجُها .

ثمَّ ثابَ إليهِ ثائبٌ مِنَ العقلِ والقُوَّةِ ، ففارقَ الطائفَ حضراً ، وهامَ في البرّ

فما رُئِيَ بعدَ ذلكَ ، فمكثَ أخوهُ أياماً ، ثمَّ ماتَ كمداً على أخيهِ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، وسُمِّيَ فقيدَ ثقيفٍ ('') ، وأمَّا قولُهُم :

# أَتْيَهُ مِنْ أحمقِ ثقيفٍ

فهاذا مِنَ التيهِ الذي هوَ الصَّلَفُ ، وأحمقُ ثقيفٍ : هوَ يوسفُ بنُ عمرٍو ، وكانَ أميرَ العراقينِ مِنْ قِبَلِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وكانَ أتيهَ وأحمقَ عربيٍّ أمرَ ونهىٰ في دولةِ الإسلام .

ومِنْ حمقِهِ: أَنَّ حَجَّاماً كَانَ يَحجُمهُ ، فلمَّا أَرَادَ أَن يَشْرِطَهُ . . ارتعدَتْ يده ، فأحسَّ بذلكَ يوسف ، وكانَ حاجبه قائماً على رأسِهِ ، فقالَ له : قلْ له ذا البائس : لا تخف .

وكانَ يوسفُ قصيراً جدّاً قميئاً ، فكانَ الخياطُ عندَ قطعِ ثيابِهِ إذا قالَ لهُ : يحتاجُ إلىٰ زيادةٍ . . أكرمَهُ وحباهُ ، وإذا قالَ : يفضلُ شيءٌ . . أهانَهُ وأقصاهُ (٢) .

# ثُكُلٌ أَرْأَمَها ولداً

قالَهُ بيهسٌ المُلقَّبُ بنعامةَ لأُمِّهِ حينَ رجعَ إليها بعدَ إخوتِهِ الذين قتلوا .

قالَ المُفضَّلُ: كانَ مِنْ حديثِ بيهسٍ أنَّهُ كانَ رجلاً مِنْ بني فزارةَ بنِ ذبيانَ بنِ بغيضٍ ، وكانَ سابعَ سبعةِ إخوةٍ ، فأغارَ عليهِم ناسٌ مِنْ أشجعَ بينهُم وبينَهُم حربٌ وهم في إبلِهِم ، فقتلوا منهم ستةً ، وبقيَ بيهسٌ وكانَ يُحمَّقُ ، وكانَ أصغرَهُم ، فأرادوا قتلَهُ ، ثمَّ قالوا : وما تريدونَ مِنْ قتلِ هاذا ؟! يُحمَّقُ ، وكانَ أصغرَهُم ، فأرادوا قتلَهُ ، ثمَّ قالوا : وما تريدونَ مِنْ قتلِ هاذا ؟! يُحمَّتُ عليكُم برجلِ ولا خيرَ فيهِ ، فتركوهُ ، فقالَ : دعوني أتوصَّلْ معَكُم

<sup>. (</sup>  $^{8}$  ) lide (  $^{8}$  and  $^{9}$  ) lide (  $^{1}$ )

<sup>(</sup>٢) انظر « مجمع الأمثال » ( ٣٨٢/١ - ٣٨٣ ) .

إلى الحيِّ ، فإنَّكُم إن تركتُموني وحدي . . أكلَتْني السِّباعُ ، وقتلَني العطشُ ، ففعلوا ، فأقبلَ معَهُم .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . نزلوا فنحروا جَزوراً في يوم شديدِ الحرِّ ، فقالوا : ظلِّلُوا لحمَّ كُم لا يفسدْ ، فقالَ بيهسٌ : للكنَّ بالأثلاثِ لحمٌ لا يُظلَّلُ ، فذهبَتْ مثلاً ، فلمَّا قالَ ذلك . . قالوا : إنَّهُ لمُنكِرٌ ، وهمُّوا أن يقتلوهُ ، فذهبَتْ مثلاً ، فطمَّا قالَ ذلك . . قالوا : إنَّهُ لمُنكِرٌ ، وهمُّوا أن يقتلوهُ ، ثمَّ تركوهُ ، وظلُّوا يشوونَ مِنْ لحم الجَزورِ ويأكلونَ ، فقالَ أحدُهُم : ما أطيبَ يومَنا وأخصبَهُ ، فقالَ بيهسٌ : للكنْ على بَلْدَحَ قومٌ عَجْفَى ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ انشعبَ طريقُهُم ، فأتى أُمَّهُ فأخبرَها الخبرَ ، قالَتْ : فما جاءَني بكَ مِنْ بينِ إخوتِكَ ؟! فقالَ بيهسٌ : لو خُيِّرتُ . . لاخترتُ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ إنَّ أُمَّهُ عطفَتْ عليهِ ورَقَّتْ لهُ ، فقالَ الناسُ : لقد أحبَّتْ أمُّ بيهسٍ بيهساً ، فقالَ بيهسٌ : ثكلٌ أراًمَها ولداً ؛ أي : عَطَّفَها علىٰ ولدٍ ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ إِنَّ أُمَّهُ جعلَتْ تعطيهِ بعدَ ذلكَ ثيابَ إخوتِهِ ، فيَلبَسُها ويقولُ : يا حبَّذا التراثُ لولا الذِّلةُ ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ إنَّهُ أتى على ذلك ما شاء الله ، فمرَّ بنسوةٍ مِنْ قومِهِ يصلحنَ المرأة منهُنَّ يُرِدنَ أن يُهدِينَها لبعضِ القومِ الذينَ قتلوا إخوتَه ، فكشفَ ثوبَه عنِ استِهِ وغطَّى بهِ رأسَه ، فقلنَ له : ويحَكَ !! ما تصنعُ يا بيهسُ ؟! فقالَ :

الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِلَّا بُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ أمرَ النساءَ مِنْ كنانةَ وغيرِها فصنعنَ لهُ طعاماً ، فجعلَ يأكلُ ويقولُ : حبَّذا كثرةُ الأيدي في غيرِ طعام ، فأرسلَها مثلاً ، فقالَتْ لهُ

أُمُّهُ: لا يَطلُبُ هـٰذا بثأرٍ أبداً ، فقالَتِ الكنانيةُ: لا تأمني الأحمق وفي يدِهِ سِكِينٌ ، فأرسلَتْها مثلاً.

ثمَّ إنَّهُ أُخبِرَ أنَّ ناساً مِنْ أشجعَ فِي غارٍ يشربونَ فيهِ ، فانطلقَ بخالٍ لهُ يُقالُ لهُ: أبو حنشٍ ، فقالَ لهُ: هل لكَ في غارٍ فيهِ ظباءٌ لعلَّنا نصيبُ منها ؟ ويُروىٰ : هل لكَ في غنيمةٍ باردةٍ ؟ فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ بيهسٌ بخالِهِ حتى أقامَهُ على فم الغارِ ، ثمَّ دفعَ أبا حنشٍ في الغارِ ، فقالَ : ضرباً أبا حنشٍ ، فقالَ بعضُهُم : إنَّ أبا حنشٍ لبطلٌ ، فقالَ أبو حنشٍ : مُكرةٌ أخوكَ لا بطلٌ ، فأرسلَها مثلاً .

قالَ المُتلمِّسُ في ذلكَ (١):

وَمَنْ طَلَبَ ٱلْأَوْتَارَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ

نَعَامَةُ لَمَّا صَرَّعَ ٱلْقَوْمُ رَهْطَهُ

[من الطويل]

قَصِيرٌ وَخَاضَ ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

#### جَرْيُ المُذكِّياتِ غِلابٌ

المُذكِّيةُ مِنَ الخيلِ: التي قد أتىٰ عليها بعدَ قروحِها سنةٌ أو سنتانِ ، والغِلابُ : المغالبةُ ؛ أي : أنَّ المُذكِّي يغالبُ مُجاريهُ فيَغلِبُهُ لقُوَّتِهِ ، ويجوزُ والغِلابُ : المغالبةُ ؛ أي : أنَّ المُذكِّي يغالبُ مُجاريهُ فيَغلِبُهُ لقُوَّتِهِ ، ويجوزُ أن يُرادَ : أنَّ ثانيَ جريهِ أبداً أكثرُ مِنْ باديهِ ، وثالثَهُ أكثرُ مِنْ ثانيهِ ، فكأنَّهُ يغالبُ بالثاني الأوَّلَ ، وبالثالثِ الثانيَ ، فجريهُ أبداً غِلابٌ ، وهذا معنىٰ قولِ يغالبُ بالثاني الأوَّلَ ، وبالثالثِ الثانيَ ، فجريهُ أبداً غِلابٌ ، وهذا معنىٰ قولِ أبى عبيدٍ حيثُ قالَ : ( فهيَ تَحتمِلُ أن تُغالِبَ الجريَ غلاباً ) (٣) .

ويُروى : جريُ المُذكِّياتِ غِلاءٌ ، جمعُ غلوةٍ ؛ يعني : أنَّ جريَها يكونُ غَلَواتٍ ، ويكونُ شأوُها بطيناً ، لا كالجذع .

<sup>. ( )</sup> liظر « ديوان المتلمس الضبعي » ( ص  $^{11}$  ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « مجمع الأمثال » ( ۳۸۹/۱ \_ ۳۹۰ ) .

<sup>(</sup>٣) الأمثال (ص ١٠٧ ) للقاسم بن سلام .

يُضرَبُ لِمَنْ يُوصَفُ بالتبريزِ على أقرانِهِ في حلبةِ الفضلِ (١).

#### جاورينا وأخبرينا

قالَ يونسُ : كانَ رجلانِ يَتعشَّقانِ امرأةً ، وكانَ أحدُهُما جميلاً وسيماً ، وكانَ الآخَرُ دميماً تَقتحِمُهُ العينُ ، فكانَ الجميلُ منهُما يقولُ : عاشرينا وانظري إلينا ، وكانَ الدميمُ يقولُ : جاورينا وٱخبُرينا ، فكانَتْ تدني الجميلَ .

فقالَتْ: لَأَختبرَنَّهُما ، فقالَتْ لكلِّ واحدٍ منهُما أن ينحرَ جَزوراً ، فأتتْهُما مُتنكِّرةً ، فبدأَتْ بالجميلِ فوجدَتْهُ عندَ القِدْرِ يَلحَسُ الدَّسمَ ويأكلُ الشحمَ ، ويقولُ : احتفظوا كلَّ بيضاءَ ليَهْ ؛ يعني : الشحمَ ، فاستطعمَتْهُ ، فأمرَ لها بثِيلِ الجَزورِ ، فوُضِعَ في قصعتِها ، ثمَّ أتتِ الدَّميمَ ، فإذا هوَ يقسمُ لحمَ الجَزورِ ، ويعطي كلَّ مَنْ سألَهُ ، فسألتهُ ، فأمرَ لها بأطايبِ الجَزورِ ، فوُضِعَ في قصعتِها ، كلُّ واحدٍ منهُما على حدةٍ .

فلمَّا أصبحا . . غدَوا إليها ، فوضعَتْ بينَ يدَيْ كلِّ واحدٍ منهُما ما أعطاها ، وأقصَتِ الجميلَ ، وقرَّبَتِ الدَّميمَ ، ويُقالُ : إنَّها تَزوَّجَتْهُ .

يُضرَبُ في القبيحِ المنظرِ الجميلِ المَخبرِ (٢).

## جدع الحلالُ أنفَ الغَيرةِ

قالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ليلةَ زُفَّتْ فاطمةُ إلىٰ عليّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما ، وهاذا حديثٌ يُروىٰ عنِ الحَجَّاجِ بنِ منهالٍ يَرفعُهُ (٣).

<sup>(</sup>١) انظر «مجمع الأمثال» ( ٤٠٥/١).

<sup>(</sup>۲) انظر «مجمع الأمثال» (۲۱٤/۱).

<sup>(</sup>٣) انظر «مجمع الأمثال» (٤١٧/١).

## جَوّعْ كلبَكَ يَتبعْكَ

ويُروى : أجعْ كلبَكَ ، وكلاهُما يُضرَبُ في معاشرةِ اللِّئامِ وما ينبغي أن يُعامَلوا بهِ .

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: ملكٌ مِنْ ملوكِ حِمْيرَ، كانَ عنيفاً علىٰ أهلِ مملكتِهِ، يَغصِبُهُم أموالَهُم، ويَسلُبُهُم ما في أيديهِم، وكانَتِ الكَهَنَةُ أهلِ مملكتِهِ، يَغصِبُهُم أموالَهُم، ويَسلُبُهُم ما في أيديهِم، وكانَتِ الكَهَنَةُ تُخبِرُهُ [ أَنَّهُم] سيقتلونَهُ، فلا يَحفِلُ بذلكَ، وإنَّ امرأتَهُ سمعَتْ أصواتَ [السُّوَّالِ]، فقالَتْ: إنِّي لأرحمُ هاؤلاءِ لِمَا يَلقَونَ مِنَ الجَهدِ ونحنُ في العيشِ الرَّغدِ، وإنِّي لأخافُ عليكَ أن يصيروا سِباعاً، وقد كانوا لنا أتباعاً، فردَّ عليها: جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ، وأرسلَها مثلاً.

فلبث بذلك زماناً، ثم أغزاهُم، فغنموا، ولم يَقسِمْ فيهِم شيئاً، فلمّا خرجوا مِنْ عندِهِ . . قالوا لأخيهِ وهو أميرُهُم : قد ترى ما نحنُ فيهِ مِنَ الجَهدِ، ونحنُ نكرهُ خروجَ المُلْكِ منكم أهلَ البيتِ إلى غيرِكُم، فساعدْنا على قتلِ أخيكَ واجلسْ مكانَهُ، وكانَ قد عرفَ بغيَهُ واعتداءَهُ عليهِم، فأجابَهُم إلىٰ ذلكَ ، فوثبوا عليهِ فقتلوهُ ، فمرَّ بهِ عامرُ بنُ جذيمةَ وهوَ مقتولٌ وقد سمعَ بقولِهِ : جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ ، فقالَ : ربَّما أكلَ الكلبُ مُؤدِّبَهُ إذا لم ينلْ شبعهُ ، فأرسلَها مثلاً (۱).

#### أجناؤها أبناؤها

قالَ أبو عبيدٍ: ( الأجناءُ: همُ الجُناةُ ، والأبناءُ: البُناةُ ، والواحدُ جانٍ وبانٍ ، وهنذا جمعٌ عزيزٌ في الكلامِ أن يُجمَعَ « فاعلٌ » على « أفعالٍ » ، قالَ: وأصلُ المثلِ: أنَّ ملكاً مِنْ ملوكِ اليمن غزا وخَلَّفَ بنتاً ، وأنَّ ابنتَهُ أحدثَتْ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٢١/١ ـ ٤٢٢ ) .

بعدَهُ بنياناً قد كانَ أبوها يكرهُهُ ، وإنَّما فعلَتْ ذلكَ برأي قومٍ مِنْ أهلِ مملكتِهِ أشاروا عليها وزينوهُ عندَها ، فلمَّا قدمَ الملكُ وأُخبِرَ بمشورةِ أولئكَ ورأيهِم . . أمرَهُم بأعيانِهِم أن يَهدِموهُ ، وقالَ عندَ ذلكَ : أجناؤُها أبناؤُها ، فذهبَتْ مثلاً ) (١٠) .

يُضرَبُ في سوءِ المشورةِ والرأيِ ، وللرجلِ يعملُ الشيءَ بغيرِ رويَّةٍ ثمَّ يحتاجُ إلى نقضِ ما عملَ وإفسادِهِ ، ومعنى المثلِ : أنَّ الذين جنَوا على هذهِ الدارِ بالهدم همُ الذينَ عَمَرُوها بالبناءِ .

## الجَرْعُ أروى ، والرشيفُ أنقعُ

الرَّشْفُ والرَّشيفُ: المَصُّ للماءِ ، والجَرْعُ: بَلعُهُ ، والنَّقْعُ: تسكينُ الماءِ للعطشِ ؛ أي : أنَّ الشرابَ الذي يُترشَّفُ قليلاً قليلاً . . أقطعُ للعطشِ وأنجعُ ، وإن كانَ فيهِ بطءٌ ، وقولُهُ : (أروى )أي : أسرعُ رِيّاً ، وقولُهُ : (أنقعُ )أي : أثبتُ وأدومُ رِيّاً ؛ مِنْ قولِهِم : سمُّ ناقعٌ ؛ أي : ثابتٌ .

يُضرَبُ لِمَنْ يقعُ في غنيمةٍ ، فيُؤمَرُ بالمبادرةِ والاقتطاعِ لِمَا قَدَرَ عليهِ قبلَ أن يأتيهُ مَنْ ينازعُهُ ، وقيلَ : معناهُ : أنَّ الاقتصادَ في المعيشةِ أبلغُ وأدومُ مِنَ الإسرافِ فيها .

#### الجارُ ثمَّ الدارُ

هاذا كقولِهِم: الرفيقُ قبلَ الطريقِ ، وكلاهُما يُروىٰ عَنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ (١).

<sup>(</sup>١) الأمثال (ص ٣٠٢) للقاسم بن سلام .

<sup>(</sup>٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ٢٦٨/٤ \_ ٢٦٩ ) عن سيدنا رافع بن خَديج رضي الله عنه .

قالَ أبو عبيدٍ: كانَ بعضُ فقهاءِ أهلِ الشامِ يُحدِّثُ بهاذا الحديثِ ويقولُ: معناهُ: إذا أردتَ شراءَ دارِ . . فسلْ عن جوارِها قبلَ شرائِها .

# جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً

قالَ يونسُ بنُ حبيبٍ : كانَ مِنْ حديثِ هاذَينِ المثلَينِ : أنَّ امرأةً زارَتْها بنتُ أخيها وبنتُ أختِها ، فأحسنَتْ تزويرَهُما ، فلمَّا كانَ عندَ رجوعِهِما . . قالَتْ لابنةِ أخيها : جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، فسُرَّتِ الجاريةُ بما قالَتْ لها عمَّتُها ، وقالَتْ لابنةِ أخيها : أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، فوجدَتْ بذلكَ الصبيةُ وشقَّ عليها ما قالَتْ لها خالتُها .

فانطلقَتْ بنتُ الأخِ إلى أُمِّها مسرورةً ، فقالَتْ لها أُمُّها: ما قالَتْ لكِ عمَّتُكِ ؟ فقالَتْ: وكيفَ قالَتْ لكِ عمَّتُكِ ؟ فقالَتْ: قالَتْ لي خيراً ، ودعَتْ لي ، قالَتْ: وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ: قالَتْ: أيْ بنيةُ ؛ ما لكِ ؟ قالَتْ: أيْ بنيةُ ؛ ما دعَتْ لكِ بخيرٍ ، وللكنْ دعَتْ بألَّا تَسْمِّي ولداً أبداً فيَبَلَّ حِجْرَكِ ويُغيِّرَ نشرَكِ .

وانطلقَتِ الأخرى إلى أُمِّها ، فقالَتْ لها أُمُّها : ما قالَتْ لكِ خالتُكِ ؟ قالَتْ : وما عسى أن تقولَ لي !! دعَتِ الله عليَّ ، قالَتْ : وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ : قالَتْ : أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، قالَتْ : بل دعَتِ الله لكِ يا بنيةُ أن يكثرَ ولدُكِ فينازعوكِ في المالِ ، ويُقمِّشوكِ حطباً (١).

# حرِّكْ لها حُوَارَها . . تحنَّ

الحُوَارُ: ولدُ الناقةِ ، والجمعُ القليلُ: أَحورةٌ ، والكثيرُ: حُورانٌ وحِيرانٌ ،

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٣٧/١ \_ ٤٣٨ ) .

ولا يزالُ حُواراً حتىٰ يُفصَلَ ، فإذا فُصِلَ عن أُمِّهِ . . فهوَ فصيلٌ .

ومعنى المثل : ذَكِّرْهُ بعضَ أشجانِهِ [ يَهِجْ ] لهُ ، وهاذا لمثلٍ قالَهُ عمرُو بنُ العاصِ لمعاوية حينَ أرادَ أن يستنصرَ أهلَ الشام (١٠) .

## حسبُك مِنْ شرّ سماعُهُ

أي : اكتفِ مِنَ الشرِّ بسماعِهِ ، ولا تعاينْهُ ، ويجوزُ أن يريدَ : يكفيكَ سماعُ الشرِّ وإن لم تُقدِمْ عليهِ ولم تُنسَبْ إليهِ .

قالَ أبو عبيدٍ: ( أخبرَني هشامُ بنُ الكلبيِّ: أنَّ المثلَ لأُمِّ الربيعِ بنِ زيادٍ العبسيِّ ؛ وذلكَ أنَّ ابنَها الربيعَ كانَ أخذَ مِنْ قيسِ بنِ زهيرِ بنِ جذيمةَ درعاً ، فعَرَضَ قيسٌ لأُمِّ الربيعِ وهيَ علىٰ راحلتِها في مسيرٍ لها ، فأرادَ أن يذهبَ بها ليرتهنَها بالدِّرعِ ، فقالَتْ لهُ: أينَ عَزَبَ عنكَ عقلُكَ يا قيسُ ؟! أترىٰ بني زيادٍ مصالحيكَ وقد ذهبتَ بأُمِّهِم يميناً وشمالاً ، وقالَ الناسُ ما قالوا أو شاؤوا ، وإنَّ حسبَكَ مِنْ شرِّ سماعُهُ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، تقولُ : كفىٰ بالمقالةِ عاراً وإن كانَ باطلاً ) (٢).

يُضرَبُ عندَ العارِ والمَقالةِ السيئةِ ، وما يُخافُ منها .

وقالَ بعضُ النساءِ الشواعر : [ من مجزوء الكامل ]

سَائِلْ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلْيَكُفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ

وكانَ المُفضَّلُ فيما حُكِيَ عنهُ يذكرُ هاذا الحديثَ ، ويُسمِّي أُمَّ الربيعِ ويقولُ : هيَ فاطمةُ بنتُ الخُرْشُبِ ، مِنْ بني أنمارِ بنِ بغيضٍ (٣) .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٧٩/١ ) .

<sup>(</sup>٢) الأمثال (ص ٧٢) للقاسم بن سلام .

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٨٦/١ ) .

# حِلْمي أصمُّ وأُذُني غيرُ صمَّاءَ

أي : أُعرِضُ عنِ الخَنا بحِلمي ، وإن سمعتُهُ بأُذُني (١).

# حسبُكَ مِنْ غنى شبعٌ وريٌّ

أي : اقنعْ مِنَ الغنى بما يُشبِعُكَ ويُرْويكَ ، وجُدْ بما فضلَ ، وهاذا المثلُ المثلُ المرئ القيسِ ، يذكرُ مِعْزىٰ كانَتْ لهُ ، فيقولُ (٢) : [من الوافر]

إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَىٰ كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا ٱلْعِصِيُّ فَرَانَ مُلَا أَبِهُا ٱلْعِصِيُّ فَرِيُّ فَتَمْلَأُ بَيْتَنَا أَقِطاً وَسَمْناً وَحَسْبُكَ مِنْ غِنى شِبَعٌ وَرِيُّ

قالَ أبو عبيدٍ: ( وهاذا يَحتمِلُ معنيَينِ: أحدُهُما: يقولُ: أعطِ كلَّ ما كانَ لكَ وراءَ الشِّبَعِ والرِّيِّ ، والآخَرُ: القناعةُ باليسيرِ ، يقولُ: اكتفِ بهِ ، ولا تطلبُ ما سوىٰ ذلكَ ) (٢٠).

والأوَّلُ الوجهُ ؛ لقولِهِ في شعرٍ لهُ آخَرَ ؛ وهوَ (١٠٠ : [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّمَا أَسْعَىٰ لِأَدْنَىٰ مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ ٱلْمَالِ وَلَا أَنْ مَا أَسْعَىٰ لِأَدْنَىٰ مَعِيشَةٍ وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَتَّلَ أَمْثَالِي وَلَا كَنْمَا أَسْعَىٰ لِمَجْدِ مُؤَتَّلٍ أَمْثَالِي وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَتَّلَ أَمْثَالِي وَمَا ٱلْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ ٱلْخُطُوبِ وَلَا آلِ

فقد أُخبرَ ببُعْدِ هِمَّتِهِ وقَدْرِهِ في نفسِهِ (\*).

<sup>(</sup>١) انظر «مجمع الأمثال » ( ٤٨٨/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ١٣٦ \_ ١٣٧ ) .

<sup>(</sup>٣) الأمثال (ص ١٦٧ ) للقاسم بن سلام .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٣٩ ) .

<sup>( • )</sup> انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٨٩/١ \_ ٤٩٠ ) .

#### الحديثُ ذو شُجونِ

أي: ذو طُرُقٍ ، الواحدُ: شَجْنٌ بسكونِ الجيمِ ، والشَّواجنُ: أوديةٌ كثيرةُ الشجرِ ، الواحدةُ شاجنةٌ ، وأصلُ هاذهِ الكلمةِ الاتصالُ والالتفافُ ، ومنهُ الشَّجْنةُ والشُّجْنة : الشجرةُ المُلتفَّةُ الأغصانِ .

يُضرَبُ هاذا المثلُ في الحديثِ يُتذكّرُ بهِ غيرُهُ ، وقد نظمَ الشيخُ أبو بكرٍ عليُ بنُ الحسينِ القُهُسْتَانِيُّ هاذا المثلَ ومثلاً آخَرَ في بيتٍ واحدٍ ، وأحسنَ ما شاءَ ؛ وهوَ :

تَذَكَّرَ نَجْداً وَٱلْحَدِيثُ شُجُونُ فَجُنَّ ٱشْتِياقاً وَٱلْجُنُونُ فُنُونُ

وأوّلُ مَنْ قالَ هاذا المثلَ : ضبةُ بنُ أُدِّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسِ بنِ مُضَرَ ، وكانَ لهُ ابنانِ ؛ يُقالُ لأحدِهِما : سعدٌ ، وللآخرِ سعيدٌ ، فنَفَرَتْ إبلٌ لضَبّة تحت الليلِ ، فوجّه ابنيهِ في طلبِها ، فتَفرّقا ، فوجدَها سعدٌ فردَّها ، ومضى سعيدٌ في طلبِها ، فلقيهُ الحارثُ بنُ كعبٍ وكانَ على الغلامِ بردانِ ، فسألَهُ الحارثُ إيَّاهُما ، فأبى عليهِ ، فقتلَهُ وأخذَ برديهِ ، فكانَ ضَبَّةُ إذا أمسى فرأى تحت الليلِ سواداً . . قالَ : أسعدٌ أم سعيدٌ ؟ فذهبَ قولُهُ مثلاً يُضرَبُ في النجاح والخيبةِ ، فمكثَ ضَبَّةُ بذلكَ ما شاءَ اللهُ أن يمكثَ .

ثمَّ إنَّهُ حَجَّ ، فوافئ عكاظ ، فلقي بها الحارث بن كعبٍ ، ورأى عليهِ بردَي ابنِهِ سعيدٍ ، فعرفَهُما ، فقال له : هل أنتَ مخبري ما هلذانِ البردانِ اللَّذانِ عليك ؟ قال : بلى ، لقيتُ غلاماً وهما عليهِ ، فسألتُهُ إيَّاهُما ، فأبى علي ً ، فقتلتُهُ وأخذتُ بردَيهِ هلذَينِ ، فقالَ ضَبَّةُ بسيفِكَ هلذا ؟ قالَ : نعم ، فقالَ : فأعطنيهِ أنظرْ إليهِ ؛ فإنِي أظنَّهُ صارماً ، فأعطاهُ الحارثُ سيفَهُ ، فقالَ : فأعظنيهِ أنظرْ إليهِ ؛ فإنِي أظنَّهُ صارماً ، فأعطاهُ الحارثُ سيفَهُ ، فلمَّا أخذَهُ مِنْ يدِهِ . . هَزَّهُ وقالَ : الحديثُ ذو شجونٍ ، ثمَّ ضربَهُ بهِ حتى قتلَهُ ، فقيلَ لهُ : يا ضَبَّةُ ؛ أفي الشهرِ الحرام ؟! فقالَ : سبقَ السيفُ العَذَلَ ،

فهوَ أُوَّلُ مَنْ سارَ عنهُ هلْذهِ الأمثالُ الثلاثةُ ، قالَ الفرزدقُ ('': [من الطويل] (٢) (٢) [وَلا] تَأْمَنَنَّ ٱلْحَرْبَ إِنَّ ٱسْتِعَارَهَا كَضَبَّةَ إِذْ قَالَ ٱلْحَدِيثُ شُجُونُ

# الحزمُ: حفظُ ما كُلِّفتَ ، وتركُ ما كُفِيتَ

هاذا مِنْ كلامِ أكثمَ بنِ صيفيٍ ، وقريبٌ مِنْ هاذا قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَام ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » (").

#### خذِ الأمرَ بقوابلِهِ

أي : بمُقدِّماتِهِ ؛ يعني : دَبِّرْهُ قبلَ أن يفوتَكَ تدبيرُهُ ، والباءُ بمعنىٰ ( في ) أي : فيما يَستقبلُكَ منهُ ، يُقالُ : قَبَلَ الشيءُ وأقبلَ .

يُضرَبُ في الأمرِ باستقبالِ الأمورِ (١٠).

## خطبٌ يسيرٌ في خطبٍ كبيرٍ

قالَهُ قصيرُ بنُ سعدِ اللخميُّ لجَذِيمةَ بنِ مالكِ بنِ نصرٍ ، الذي يُقالُ لهُ: جَذِيمةُ الأبرشُ ، وجَذِيمةُ الوضَّاحُ ، والعربُ تقولُ للذي بهِ البَرَصُ : بهِ وَضَحُ ؟ تفادياً مِنْ ذكرِ البرصِ .

وكانَ جَذِيمةُ مَلَكَ ما على شاطئ الفراتِ ، وكانَتِ الزَّبَّاءُ ملكة الجزيرةِ ، وكانَتْ مِنْ أَهلِ باجَرْمىٰ ، وتَتكلَّمُ بالعربيةِ ، وكانَ جَذِيمةُ قد وَتَرَها بقتلِ أَسها .

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان الفرزدق » ( ٥٩٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٩٣/١ \_ ٤٩٤ ) .

<sup>(</sup>٣) أخرجه الترمذي ( ٢٣١٧ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

<sup>(</sup>٤) انظر «مجمع الأمثال» ( ٥٦٨/١).

فلمَّا استجمعَ أمرُها ، وانتظمَ شملُ مُلْكِها . . أحبَّتْ أن تغزوَ جَذِيمةَ ، ثمَّ رأتْ أن تكتبَ إليهِ أنَّها لم تجدْ مُلْكَ النساءِ إلَّا قبحاً في السماعِ ، وضَعفاً في السُّلطانِ ، وأنَّها لم تجدْ لمُلْكِها موضعاً ولا لنفسِها كُفُوًا . . غيرَكَ ، فأقبِلْ إليَّ لأجمعَ مُلْكي إلى مُلْكِكَ ، وأصلَ بلادي ببلادِكَ ، وتُقلَّدَ أمري معَ أمرِكَ ، تريدُ بذلكَ الغدرَ .

فلمّا أتى كتابُها جذيمة وقَدِمَ عليهِ رسلُها . استخفّهُ ما دعتْهُ إليهِ ، ورغبَ فيما أطمعَتْهُ فيهِ ، فجمعَ أهلَ الحِجا والرأيِ مِنْ ثقاتِهِ وهوَ يومَئذٍ ببَقّةَ مِنْ شاطئ الفراتِ ، فعَرَضَ عليهِ ما دعتْهُ إليهِ وعرضَتْ عليهِ ، فاجتمعَ رأيهُم على أن يسيرَ إليها فيستوليَ على مُلْكِها ، وكانَ فيهِم قصيرٌ ، وكانَ أريباً حازماً أثيراً عندَ جَذِيمةَ ، فخالفَهُم فيما أشاروا بهِ ، وقالَ : رأيٌ فاترٌ ، وغدرٌ حاضرٌ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً .

ثمَّ قالَ لجَذِيمةَ : الرأيُ أن تكتبَ إليها ، فإن كانَتْ صادقةً في قولِها . . فلتُقبِلْ إليكَ ، وإلَّا . . لم تُمكِّنْها مِنْ نفسِكَ ، ولم تقعْ في حبالتِها وقد وتَرتَها وقتلتَ أباها ، فلم يوافقْ جَذِيمةَ ما أشارَ بهِ ، فقالَ قصيرٌ : [من البسيط] إِنِّي ٱمْرُؤُ لَا يُمِيلُ ٱلْعَجْزُ تَرْوِيَتِي إِذَا أَتَـتْ دُونَ شَـيْءٍ مِـرَّةُ ٱلْـوَذَمِ

فقالَ جَذِيمةُ : لا ، وللكنّكَ امرؤٌ رأيُكَ في الكِنّ لا في الضّحِ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، ودعا جذيمةُ عمرو بنَ عديّ ابنَ أختِهِ ، فاستشارَهُ ، فشَجّعهُ على المسيرِ وقالَ : إنّ قومي معَ الزّبّاءِ ، ولو قد رأَوْكَ . . صاروا معَكَ ، فأحبّ جذيمةُ ما قالَهُ ، وعصى قصيراً ، فقالَ قصيرٌ : لا يُطاعُ لقصيرٍ أمرٌ ، فذهبَتْ مثلاً ، واستخلف جذيمةُ عمرو بنَ عديّ على ملكِهِ وسلطانِهِ ، وجعلَ عمرو بنَ عديّ على ملكِهِ وسلطانِهِ ، وجعلَ عمرو بنَ عبدِ الجنّ معَهُ على جنودِهِ وخيولِهِ .

وسارَ جذيمةُ في وجوهِ أصحابِهِ ، فأخذَ على شاطئ الفراتِ مِنَ الجانبِ

الغربيّ ، فلمّا نزلَ . . دعا قصيراً فقالَ : ما الرأيُ يا قصيرُ ؟ قالَ قصيرٌ : ببَقّة خَلَفْتَ الرأيَ ، فذهبَتْ مثلاً ، قالَ : وما ظنّكَ بالزّبّاءِ ؟ قالَ : القولُ رِدافٌ ، والحَرْمُ عَثَرَاتُهُ تُخافُ ، فذهبَتْ مثلاً ، واستقبلَهُ رسلُ الزّبّاءِ بالهدايا والألطافِ ، فقالَ : يا قصيرُ ؛ كيفَ ترىٰ ؟ قالَ : خَطْبٌ يسيرٌ في خَطْبٍ كبيرٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، وستلقاكَ الخيولُ ، فإن سارَتْ أمامَكَ . . فالمرأةُ صادقةٌ ، وإن أخذَتْ جنبتَيكَ وأحاطَتْ بكَ مِنْ خلفِكَ . . فالقومُ غادرونَ بكَ ، فاركبِ العصا ، فإنّه لا يُشتقُ غبارُها ، فذهبَتْ مثلاً ، وكانتِ العصا فرساً لجَذِيمةَ لا تُجارىٰ ، وإنّي راكبُها ومسايرُكَ عليها .

فلقيَتْهُ الخيولُ والكتائبُ ، فحالَتْ بينَهُ وبينَ العصا ، فركبَها قصيرٌ ونظرَ اليهِ جذيمةُ على متنِ العصا مُولِّياً ، فقالَ : [وَيْلُمِّهِ] حزماً على متنِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً ، وجرتْ بهِ إلى غروبِ الشمسِ ، ثمَّ نفقَتْ وقد قطعَتْ أرضاً بعيدةً ، فبنى عليها برجاً يُقالُ لهُ : برجُ العصا ، وقالَتِ العربُ : خيرٌ ما جاءَتْ بهِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً .

وسارَ جَذِيمةُ وقد أحاطَتْ بهِ الخيلُ حتى دخلَ على الزَّبَّاءِ ، فلمَّا رأتهُ . . تكشَّفَتْ ، فإذا هي مضفورةُ الإسْبِ ، فقالَتْ : يا جذيمةُ ؛ أدأب عروس ترىٰ ؟! فذهبَتْ مثلاً ، فقالَ جذيمةُ : بلغَ المدىٰ ، وجفَّ الثرىٰ ، وأمرَ غدر أرىٰ ، فذهبَتْ مثلاً ، ودعَتْ بالسيفِ والنِّطعِ ، ثمَّ قالَتْ : إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ مِنَ الكلّبِ ، فأمرَتْ بطَسْتٍ مِنْ ذهبٍ قد أعدَّتُهُ لهُ ، فسقتْهُ الخمرَ حتىٰ سكرَ وأخذَتِ الخمرُ منهُ مأخذَها ، فأمرَتْ براهِشَيْهِ فقُطِعا ، وقدَّمَتْ إليهِ الطَّسْتَ ، وقد قيلَ لها : إن قطرَ مِنْ دمِهِ شيءٌ في غيرِ الطَّسْتِ . طُلِبَ بدمِهِ ، فلمَّ الملكِ ، فلمَّ وكانَتِ الملوكُ لا تُقتَلُ بضربِ الأعناقِ إلَّا في القتالِ ؛ تكرِمةً للملكِ ، فلمَّ ضعفَتْ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَ مِنْ دمِهِ في غيرِ الطَّسْتِ ، فقالَتْ : لا تُضيِّعوا ضعفَتْ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَ مِنْ دمِهِ في غيرِ الطَّسْتِ ، فقالَتْ : لا تُضيِّعوا دماً ضيَّعهُ أهلُهُ ، فذهبَتْ مثلاً .

فهلكَ جذيمةُ ، وجعلَتِ الزَّبَّاءُ دمَهُ في ربعةٍ لها ، وخرجَ قصيرٌ مِنَ الحيّ الذي هلكَتِ العصابينَ أظهرِهِم حتى قدمَ على عمرو بنِ عديّ وهوَ بالحِيرةِ ، فقالَ لهُ قصيرٌ : أثائرٌ أنتَ ؟ قالَ : بل ثائرٌ سائرٌ ، فذهبَتْ مثلاً ، ووافقَ قصيرٌ الناسَ وقدِ اختلفوا ، فصارَتْ طائفةٌ معَ عمرو بنِ عديّ اللخميّ ، وجماعةٌ منهُم معَ عمرو بنِ عبدِ الجنّ الجرميّ ، فاختلفَ بينَهُما قصيرٌ حتى اصطلحا وانقادَ عمرُو بنُ عبدِ الجنّ لعمرو بنِ عديّ ، فقالَ قصيرٌ لعمرو بنِ عديّ : قبياً واستعد منهُ من عمرُو بنُ عبدِ الجنّ لعمرو بن عديّ ، فقالَ قصيرٌ لعمرو بنِ عديّ : تهياً واستعد ، ولا تُطِلَنَ دمَ خالِكَ ، قالَ : وكيفَ لي بها وهيَ أمنعُ مِنْ عُقابِ الجوّ ؟! فذهبَتْ مثلاً .

وكانَتِ الزَّبَّاءُ سألَتْ كاهنةً لها عن هلاكِها ، فقالَتْ : أرى هلاكَكِ بسببِ غلامٍ مَهينٍ غيرِ أمينٍ ، وهوَ عمرُو بنُ عديٍّ ، ولن تموتي بيدِهِ ، وللكنْ حتفُكِ بيدِكِ ، ومِنْ قبلِهِ ما يكونُ ذلكَ ، فحَذِرَتْ عمراً ، واتخذَتْ لها نفقاً مِنْ مجلسِها الذي كانَتْ تجلسُ فيهِ إلى حصنٍ لها في داخلِ مدينتِها ، وقالَتْ : إن فجأني أمرٌ . . دخلتُ النفقَ إلى حصني ، ودعتْ رجلاً مُصوِّراً مِنْ أجودِ أهلِ بلادِهِم تصويراً ، وأحسنِهم عملاً ، فجهَّزَتْهُ وأحسنَتْ إليهِ ، وقالَتْ : سِرْ حتى تَقدَمَ على عمرو بنِ عديٍّ مُتنكِّراً ، فتخلو بحشمِهِ وتَنضمَّ إليهِم وتُخالطَهُم ، وتُعلِمهُم ما عندَكَ مِنَ العِلمِ بالصُّورِ ، ثمَّ أثبتْ لي عمرَو بن عديٍّ معرفةً ، فصوِّرهُ جالساً وقائماً وراكباً ومُتفضِّلاً ومُتسلِّحاً بهيئتِهِ ولُبستِهِ ولونِهِ ، فإذا أحكمتَ ذلكَ . . فأقبلْ إليَّ .

فانطلقَ المُصوِّرُ حتى قدمَ على عمرِو بنِ عديٍّ ، وصنعَ ما أمرَتْهُ بهِ الزَّبَّاءُ ، وبلغَ مِنْ ذَلكَ ما أوصتْهُ بهِ ، ثمَّ رجعَ إلى الزَّبَّاءِ بعملِ ما وَجَّهَتْهُ لهُ مِنَ الصورةِ علىٰ ما وصفَتْ وأرادَتْ أن تَعرِفَ عمرَو بنَ عديٍّ ، فلا تراهُ علىٰ حالٍ إلَّا عرفَتْهُ وحَذِرَتْهُ وعلمَتْ علمَهْ .

فقالَ قصيرٌ لعمرو بنِ عدي : اجدعْ أنفي ، واضربْ ظهري ، ودعْني وإيَّاها ،

فقالَ عمرٌو: ما أنا بفاعلٍ ، وما أنتَ لذلكَ مُستحِقًا عندي ، فقالَ قصيرٌ: خلِّ عنِّي إذاً وخلاكَ ذمٌ ، فذهبت مثلاً ، فقالَ لهُ عمرٌو: فأنت أبصرُ ، فجدعَ قصيرٌ أنفَهُ وأثَّرَ آثاراً بظهرِهِ ، فقالَتِ العربُ: لمكرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَهُ ، وفي ذلكَ يقولُ المُتلمِّسُ (١٠):

وَفِي طَلَبِ ٱلْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ

ثمَّ خرجَ قصيرٌ كأنَّهُ هاربٌ ، وأظهرَ أنَّ عمراً فعلَ ذلك بهِ ، وأنَّهُ زعمَ أنَّهُ مَكَرَ بخالِهِ جذيمة وغَرَّهُ مِنَ الزَّبَّاءِ ، فسارَ قصيرٌ حتى قدمَ على الزَّبَّاءِ ، فقيلَ لها : إنَّ قصيراً بالبابِ فأمرَتْ بهِ ، فأُدخِلَ عليها ، فإذا أنفُهُ قد جُدِعَ ، وظهرُهُ قد ضُرِبَ ، فقالَتْ : ما الذي أرى بكَ يا قصيرُ ؟! قالَ : زعمَ عمرُ و أنِّي قد غررتُ خالَهُ ، وزَيَّنتُ لهُ المصيرَ إليكِ وغششتُهُ ومالأتُكِ ، ففعلَ بي ما ترينَ ، فأقبلتُ إليكِ وعرفتُ أنِّي لا أكونُ معَ أحدٍ هوَ أثقلُ عليهِ منكِ ، فأكرمَتُهُ وأصابَتْ عندَهُ مِنَ الحزم والرأي ما أرادَتْ .

فلمَّا عرفَ أنَّها استرسلَتْ إليهِ ، ووثقَتْ بهِ . . قالَ : إنَّ لي بالعراقِ أموالاً كثيرةً وطرائف وثياباً وعطراً ، فابعثيني إلى العراقِ لأحملَ مالي وأحملَ إليكِ مِنْ بزوزِها وطرائفِها وثيابِها وطيبِها ، وتصيبينَ في ذلكَ أرباحاً عظاماً ، وبعضَ ما لا غنى بالملوكِ عنهُ ، وكانَ أكثرُ ما يُطرِفُها مِنَ التمرِ الصَّرَفانَ ، وكانَ يعجبُها ، فلم يزلْ يُزيِّنُ ذلكَ حتى أذنَتْ لهُ ، ودفعَتْ لهُ أموالاً ، وجَهَّزَتْ معَهُ عبيداً .

فسارَ قصيرٌ بما دفعَتْ إليهِ حتى قدمَ العراقَ ، وأتى الحِيرةَ مُتنكِّراً ، فدخلَ على عمرٍ و فأخبرَهُ الخبرَ ، وقالَ : جهِّزْني بصنوفِ البَزِّ والأمتعةِ ، لعلَّ اللهَ يُمكِّنُ مِنَ الزَّبَّاءِ فتصيبَ ثأرَكَ ، وتقتلَ عدوَّكَ ، فأعطاهُ حاجتَهُ ، فرجعَ بذلكَ

<sup>(</sup>۱) تقدم ( ۸۷/۳ ) .

إلى الزَّبَّاءِ ، فأعجبَها ما رأَتْ وسرَّها ، وازدادَتْ بهِ ثقةً ، وجَهَّزَتْهُ ثانيةً ، فسارَ حتى قدمَ على عمرو ، فجَهَّزَهُ وعادَ إليها .

ثمَّ عادَ الثالثةَ وقالَ لعمرو: اجمعْ لي ثقاتِ أصحابِكَ ، وهَيِّعُ الغرائرَ والمُسوحَ ، واحملْ كلَّ رجلينِ على بعيرٍ في غرارتينِ ، فإذا دخلوا مدينةَ الزَّبَاءِ . . أقمتُكَ على بابِ نفقِها ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، فمَنْ قاتلَهُم . . قتلوهُ ، وإن أقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ جَلَّلتَها بالسيفِ .

ففعلَ عمرٌو ذلكَ ، وحملَ الرجالَ في الغرائرِ بالسلاحِ ، وسارَ يَكمُنُ النهارَ ويسيرُ الليلَ ، فلمَّا صارَ قريباً مِنْ مدينتِها . . تَقدَّمَ قصيرٌ ، فبَشَّرَها وأعلمَها بما جاءَ بهِ مِنَ المتاعِ والطَّرائفِ ، وقالَ لها : آخِرُ البزِّ على القَلوصِ ، فأرسلَها مثلاً ، وسألَها أن تَخرجَ فتنظرَ إلى ما جاءَ بهِ ، وقالَ لها : جئتُ بما صاءً وصمَتْ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ خرجَتِ الزبَّاءُ ، فأبصرَتِ الإبلَ تكادُ قوائمُها تَسوخُ في الأرضِ مِنْ ثقلِ أحمالِها ، فقالَتْ : يا قصيرُ : [من مشطور الرجز]

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا [أَمْ] صَرَفَاناً تَارِزاً شَدِيدَا

فقالَ قصيرٌ في نفسِهِ:

بَلِ ٱلرِّجَالُ قُبَّضاً قُعُودا

فدخلَتِ الإبلُ المدينة ، حتى كانَ آخِرُها بعيراً مرَّ على بَوَّابِ المدينةِ ، وكانَ بيدِهِ مِنخسةٌ ، فنخسَ بها الغرارة ، فأصابَتْ خاصرة الرجلِ الذي فيها فضرط ، فقالَ البوَّابُ بالروميَّةِ : ( بشنب ساقاً ) يقولُ : شرُّ في الجوالق ،

فأرسلَها مثلاً ، فلمَّا تَوسَّطَتِ الإبلُ المدينة . . أُنيخَتْ ، ودلَّ قصيرٌ عمراً على بابِ النفقِ الذي كانَتِ الزَّبَّاءُ تدخلُهُ وأرتْهُ إيَّاهُ قبلَ ذلك ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، ووضعوا فيهِمُ السلاحَ ، وقامَ عمرٌو على بابِ النفقِ ، وأقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ ، فأبصرَتْ عمراً ، فعرفَتْهُ بالصُّورةِ التي صُوِرَتْ لها ، فمصَّتْ خاتمَها وكانَ فيهِ السُّمُّ ، وقالَتْ : بيدي لا بيلِ النفيِ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، وتَلقّاها عمرٌو ، فجلّلَها بالسيفِ ، وقتلَها ، وأصابَ مِنَ المدينةِ وأهلِها ، وانكفاً راجعاً إلى العراقِ .

وفي بعضِ الرواياتِ مكانَ قولِها: أدأبَ عروس ترى : أَشَوَارَ عروس ترى ؟ فقالَ جذيمة : أرى دأبَ فاجرةٍ غدورٍ بظراءَ تَفِلةٍ ، قالَتْ : لا مِنْ عدمٍ مَوَاسٍ ، فقالَ جذيمة : أواسٍ ، ولكن شيمةٌ مِنْ أناسٍ ، فذهبَتْ مثلاً (١١).

#### « الدينُ النصيحةُ »

الأصلُ في النصيحةِ: التلفيقُ بينَ الناسِ ؛ مِنَ النصحِ ؛ وهوَ الخياطةُ ؛ وذٰلكَ أَن تُلفِّقَ بينَ التفاريقِ وهاذا مِنْ حديثٍ يُروىٰ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وتمامُهُ: قالوا: لِمَنْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ: « بِللهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ عليهِ وسَلَّمَ ، وتمامُهُ: هالوا: لِمَنْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ: « بِللهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ عليهِ وسَلَّمَ وعَامَّتِهمْ » (٢٠).

قالَتِ العلماءُ: النصيحةُ للهِ: أن يُخلِصَ العبدُ العملَ للهِ ، والنصيحةُ للهِ نَا يُخلِصَ العبدُ العملَ للهِ ، والنصيحةُ لرسولِهِ: أن يصفوَ قلبُهُ في قَبولِ دعوى النبوةِ ، ولا يُضمِرَ خلافَها ، والنصيحةُ لأئمَّةِ للمسلمينَ: ألَّا يَتميَّزوا عنهُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ ، وقيلَ: النصيحةُ لأئمَّةِ المسلمينَ: ألَّا يَشُقَ عصاهُم ، ولا يَعُقُّ فتواهُم (٣).

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٥٧٠/١ \_ ٥٧٥ ) .

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم ( ٩٥) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه .

<sup>(</sup>٣) انظر «مجمع الأمثال» ( ٦٤٧/١).

# ربَّ أخ لكَ لم تَلِدْهُ أُمُّكَ

يُروى هاذا المثلُ للقمانَ بنِ عادٍ ؛ وذلكَ أنَّهُ أقبلَ ذاتَ يومٍ ، فبينا هوَ يسيرُ . . إذ أصابَهُ عطشٌ ، فهجمَ على مِظلَّةٍ في فِنائِها امرأةٌ تُداعِبُ رجلاً ، فاستسقى لقمانُ ، فقالَتِ المرأةُ : اللَّبَنَ تبغي أمِ الماءَ ؟ قالَ لقمانُ : أيَّهُما كانَ ولا عداءَ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، قالَتِ المرأةُ : أمَّا للَّبَنُ . . فخلفَكَ ، وأمَّا الماءُ . . فأمامَكَ ، قالَ لقمانُ : المنعُ كانَ أوجزَ ، فذهبَتْ مثلاً .

قالَ: فبينا هوَ كذلكَ . . إذ نظرَ إلى صبيّ في البيتِ يبكي فلا يُكترَثُ لهُ ، ويستسقي فلا يُسترثُ لهُ ، ويستسقي فلا يُسقى ، فقالَ : إن لم يكنْ لكُم في هذا الصبيّ حاجةٌ دفعتُموهُ إليّ فكفلتُهُ ، فقالَتِ المرأةُ ، ذاكَ إلى هانئ ، وهانئ وهانئ زوجُها ، فقالَ لقمانُ : وهانئ مِن العددِ ؟ فذهبَتْ مثلاً ، ثمّ قالَ لها : مَنْ هاذا الشابُ إلى جنبِكِ ، فقد علمتُهُ ليسَ ببعلِكِ ؟ قالَتْ : هاذا أخي ، قالَ لقمانُ : رُبَّ أَخٍ لكَ لم تلدهُ أُمُّكَ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ نظرَ إلىٰ أثرِ زوجِها في فتلِ الشعرِ ، فعرفَ في فتلِهِ شعرَ البناءِ أنَّهُ أعسرُ ، فقالَ : ثَكِلَتِ الأُعَيْسرَ أُمُّهُ ، لو يَعلمُ العلمَ . . لطالَ غَمُّهُ ، فذهبَتْ مثلاً ، فذُعِرَتِ المرأةُ مِنْ قولِهِ ذُعراً شديداً ، فعرضَتْ عليهِ الطعامَ والشرابَ ، فأبىٰ وقالَ : المبيتُ على الطَّوَىٰ حتىٰ تَنالَ بهِ كريمَ المثوىٰ . . خيرٌ مِنْ إتيانِ ما لا تَهوىٰ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ مضى ، حتى إذا كانَ معَ العِشاءِ . . إذا هوَ برجلٍ يَسوقُ إبلَهُ وهوَ يرتجزُ ويقولُ :

رُوحِي إِلَى ٱلْحَيِّ فَإِنَّ نَفْسِي رَوِي إِلَى ٱلْحَيِّ فَإِنَّ نَفْسِي رَهِي نَا الْحَيْرِ عِرْسِ

# حَسَّانَةُ ٱلْمُقْلَةِ ذَاتُ أُنْسِ لَا يُشْتَرَى ٱلْيَوْمُ لَهَا بِأَمْسِ

فعرفَ لقمانُ صورتَهُ ولم يرهُ ، فهتفَ بهِ : يا هانئُ ، يا هانئُ ؛ فقالَ : ما بالُكَ ؟ فقالَ :

يَا ذَا ٱلْبِجَادِ ٱلْحَلِكَة وَٱلزَّوْجَةِ ٱلْمُشْتَرَكَةُ وَٱلزَّوْجَةِ ٱلْمُشْتَرَكَةُ عَصْبٌ رُوَيْداً إِبْلَكَةُ لَيْسَتُ لَكَةً

فذهبَتْ مثلاً . قالَ هانئٌ : نوِّرْ نوِّرْ ، للهِ أبوكَ ، قالَ لقمانُ : عليَّ التنويرُ ، وعليكَ التغييرُ ، إنْ كانَ عندَكَ نكيرٌ ، كلُّ امرئ في بيتِهِ أميرٌ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ قالَ : إنِّي مررتُ وبي أوامٌ ، فدفعتُ إلى بيتٍ فإذا أنا بامرأتِكَ تغازلُ رجلاً ، فسألتُها عنه ، فزعمَتْهُ أخاها ، ولو كانَ أخاها . لحكىٰ عن نفسِهِ وكفاها الكلامَ ، فقالَ هانئُ : وكيفَ علمتَ أنَّ المنزلَ منزلي والمرأة امرأتي ؟ قالَ : عرفتُ عقائقَ هلذهِ النوقِ في البناءِ ، وبوهدةِ الخليةِ في الفِناءِ ، وسقبِ قالَ : عرفتُ عقائقَ هلذهِ النوقِ في البناءِ ، وبوهدةِ الخليةِ في الفِناءِ ، وسقبِ هلذهِ النابِ ، وأثرِ يدِكَ في الأطنابِ ، قالَ : صدقتني فداكَ أبي وأُمِّي ، وكذَّبَتْني نفسي ، فما الرأيُ ؟ قالَ : هل لكَ علمٌ ؟ قالَ : نعم ، بشأني ، قالَ لقمانُ : كلُّ امرئ بشأنِهِ عليمٌ ، فذهبَتْ مثلاً .

قالَ لهُ هانئٌ: هل بقيَتْ بعدَ هاذهِ ؟ قالَ لقمانُ: نعم ، قالَ : وما هوَ ؟ قالَ لهُ هانئٌ : أفعلُ ، قالَ لقمانُ : مَنْ قالَ : تحمي نفسَكَ ، وتَحفظُ عِرْسَكَ ، قالَ هانئٌ : أفعلُ ، قالَ لقمانُ : مَنْ يفعل الخيرَ . يجدِ الخيرَ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ قالَ: الرأيُ أن تقلبَ الظَّهرَ بطناً ، والبطنَ ظهراً ، حتىٰ يَتبيَّنَ لكَ الأمرُ أمراً ، قالَ: أفلا أعالجُها بكيَّةٍ توردُها المنيَّةَ ؟ فقالَ لقمانُ: آخرُ الدواءِ الكيُّ ، فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ الرجلُ حتىٰ أتى امرأتَهُ ، فقصَّ عليها القصةَ ، وسلَّ سيفَهُ ، فلم يزلْ يضربُها بهِ حتىٰ بردَتْ .

#### ربَّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً

ويُروىٰ : تَهُبُّ رَيْثاً ، [قَالَهُ] أبو زيدٍ ، ورَيْثاً : نُصِبَ على الحالِ في هاذهِ الروايةِ ؛ أي : تَهُبُّ رائثةً ، فأُقيمَ المصدرُ مُقامَ الحالِ ، وفي الروايةِ الأُولىٰ : نُصِبَ على المفعولِ بهِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ فيما يحكي المُفضَّلُ: مالكُ بنُ عوفِ بنِ أبي عمرو بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ مُحلِّم الشيبانيُّ ، وكانَ سنانُ بنُ مالكِ بنِ أبي عمرو بنِ عوفِ بنِ مُحلِّم شامَ غيماً ، فأرادَ أن يرحلَ بامرأتِهِ خُماعةَ بنتِ عوفِ بنِ أبي عمرو ، فقالَ لهُ مالكُ : أينَ تَظعَنُ يا أخي ؟ قالَ : أطلبُ موقعَ هاذهِ السحابةِ ، قالَ : لا تفعلْ ؛ فإنَّهُ ربَّما خيلَتْ وليسَ فيها قطرٌ ، وأنا أخافُ عليكَ بعضَ مقانبِ العربِ ، قالَ : للكنِّي لستُ أخافُ ذلكَ ، فمضى .

وعرضَ لهُ مروانُ القرظُ ابنُ زنباعِ بنِ حذيفةَ العبسيُّ ، فأعجلَهُ عنها ، وانطلقَ بها ، وجعلَها بينَ بناتِهِ وأخواتِهِ ، ولم يكشف لها ستراً ، فقالَ مالكُ بنُ عوفٍ لسنانٍ : ما فعلَتْ أختي ؟ قالَ : نَفَتْني عنها الرماحُ ، فقالَ مالكُ : ربَّ عجلةٍ تَهَبُ ريثاً ، وربَّ فَروقةٍ يُدعىٰ ليثاً ، وربَّ غيثٍ لم يكنْ غيثاً ، فأرسلَها مثلاً .

يُضرَبُ للرجلِ يَشتدُّ حرصُهُ على حاجةٍ ويخرقُ فيها حتى تذهبَ كلُها (١).

## ربَّ ساع لقاعدٍ

ويُروى معَهُ: وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، يُقالُ: إنَّ أَوَّلَ مَنْ قالَهُ: النابغةُ الذُّبيانيُّ ، وكانَ وفدَ إلى النعمانِ بنِ المنذرِ وفودٌ مِنَ العربِ ، فيهِم رجلٌ مِنْ عبسٍ يُقالُ لهُ: شقيقٌ ، فماتَ عندَهُ ، فلمَّا حبا النعمانُ الوفودَ . . بعثَ إلىٰ أهل

انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٨/٢ ) .

شقيقٍ بمثلِ حباءِ الوفدِ ، فقالَ النابغةُ حينَ بلغَهُ ذلكَ : ربَّ ساعٍ لقاعدٍ ، وقالَ للنعمان (١٠) :

[ وَأَبْقَيْتَ ] لِلْعَبْسِيِّ فَضْلاً وَنِعْمَةً وَمَحْمَدَةً مِنْ بَاقِيَاتِ ٱلْمَحَامِدِ حِبَاءَ شَقِيقِ فَوْقَ أَعْظُم قَبْرِهِ وَمَا كَانَ يُحْبَىٰ قَبْلَهُ قَبْرُ وَافِدِ

أَتَىٰ أَهْلَهُ مِنْهُ حِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ وَرُبَّ ٱمْرِئَ يَسْعَىٰ لِآخَرَ قَاعِدِ

ويرُوى: اسلمي أُمَّ خالدٍ ، ربَّ ساع لقاعدٍ ، قالوا: إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ لمَّا أَخذَ مِنَ الناسِ البيعةَ ليزيدَ ابنهِ . . قالَ لهُ : يا بُنيَّ ؛ قد صيرتُكَ وليَّ عهدي بعدي ، وأعطيتُكَ ما تَمنَّيتَ ، فهل بقيَتْ لكَ حاجةٌ أو في نفسِكَ أمرٌ تُحِبُّ أن أفعلَهُ ؟ قالَ يزيدُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما بقيَتْ لي حاجةٌ ، ولا في نفسي غُصَّةٌ ، ولا أمرٌ أُحِبُّ أن أنالَهُ . . إلَّا أمرٌ واحدٌ ، قالَ : وما ذاكَ يا بُنيَّ ؟ قالَ : كنتُ أحبُّ أن أتزوَّجَ أُمَّ خالدٍ امرأةَ عبدِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ كريزٍ ، فهيَ غايتي ومُنيتي مِنَ الدنيا .

فكتبَ معاويةُ إلى عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ ، فاستقدمَهُ ، فلمّا قدمَ عليهِ . . أكرمَهُ وأنزلَهُ أياماً ، ثم خلا بهِ ، فأخبرَهُ بحالِ يزيدَ ومكانِهِ منهُ ، وإيثارِهِ هواهُ ، وسألَهُ طلاقَ أُمِّ خالدٍ على أن يطعمَهُ فارسَ خمسَ سنينَ ، فأجابَهُ إلى ذلكَ ، وكتبَ عهدَهُ وخلّى عبدُ اللهِ سبيلَ أُمِّ خالدٍ ، فكتبَ معاويةُ إلى الوليدِ بنِ عببةَ وهوَ عاملُ المدينةِ أن يُعلِمَ أُمَّ خالدٍ أنَّ عبدَ اللهِ قد طَلَقها لتعتدّ ، فلمّا انقضَتْ عِدَّتُها . . دعا معاويةُ أبا هريرة ، فدفعَ إليهِ ستينَ ألفاً ، وقالَ لهُ : ارحلْ إلى المدينةِ حتى تأتيَ أُمَّ خالدٍ فتَخطُبَها على يزيدَ ، وتُعلِمَها أنّهُ وليُّ ارحلْ إلى المدينةِ حتى تأتيَ أُمَّ خالدٍ فتَخطُبَها على يزيدَ ، وتُعلِمَها أنّهُ وليُّ عهدِ المسلمينَ ، وأنّهُ سخيٌّ كريمٌ ، وأنّ مهرَها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وكرامتُها عشرونَ ألفَ دينار ، وهديتُها عشرونَ ألفَ دينار .

<sup>(</sup>١) إنظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ١٨٩ ) .

فقدمَ أبو هريرةَ المدينةَ ليلاً ، فلمَّا أصبحَ . . أتى قبرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلقيّهُ الحسنُ بنُ عليٍّ ، فسلَّمَ عليهِ ، وسألَهُ : متى قدمتَ ؟ قالَ : قدمتُ البارحةَ ، قالَ : وما أقدمَكَ ؟ فقصَّ عليهِ القصَّةَ ، فقالَ لهُ الحسنُ : فاذكرْني لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ مضى ، فلقيَهُ الحسينُ بنُ عليِّ وعبيدُ اللهِ بنُ العباسِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُم ، فسألاهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقصَّ عليهِما القصة ، فقالا له : اذكرْنا لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ مضى ، فلقيَهُ عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللهِ بنُ مطيعِ بنِ الأسودِ ، فسألوهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقصَّ عليهِمُ القصةَ ، فقالوا : اذكرْنا لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ أقبلَ حتىٰ دخلَ عليها ، فكلَّمها بما أمرَ بهِ معاوية ، ثمَّ قالَ لها : إنَّ الحسنَ والحسينَ ابنَيْ عليِّ وعبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ وعبيدَ اللهِ بنَ العباسِ وابنَ مطيع سألوني أن أذكرَهُم لكِ ، قالَتْ : أمَّا همِّي . . فالخروجُ إلىٰ بيتِ اللهِ ، والمجاورةُ لهُ حتىٰ أموتَ ، أو تشيرَ عليَّ بغيرِ ذلكَ ، قالَ أبو هريرةَ : أمَّا أنا . . فلا أختارُ لكِ هلذا ، قالَتْ : فاخترْ لي ، قالَ : اختاري لنفسِكِ ، قالَتْ : لا ، بل اخترْ أنتَ لي ، قالَ لها : أمَّا أنا . . فقدِ اخترتُ لكِ سيِّدَيْ شبابِ أهلِ الجنةِ ، فقالَتْ : قد رضيتُ بالحسنِ بنِ عليّ .

فخرَجَ إليهِ أبو هريرة ، فأخبرَ الحسنَ بذلكَ ، وزَوَّجَها منه ، وانصرف إلى معاوية بالمالِ ، وقد كانَ بلغَ معاوية قِصَّتُه ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . قالَ له : إنَّما بعثتُكَ خاطباً ، ولم أبعثكَ مُحْتَسِباً ، قالَ أبو هريرة : إنَّما بعثتُكَ خاطباً ، ولم أبعثكَ مُحْتَسِباً ، قالَ أبو هريرة : إنَّها استشارَتْني ، والمُستشارُ مُؤتمَنٌ ، فقالَ معاويةُ عندَ ذلك : اسلمي

# أُمَّ خالدٍ ، رُبَّ ساع لقاعدٍ ، وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، فذهبَتْ مثلاً (١).

# ربَّ زارع لنفسِهِ حاصدٌ سواهُ

قالَ ابنُ الكلبيّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : عامرُ بنُ الظَّرِبِ ؛ وذلك أَنَّهُ خطبَ اللهِ صعصعةُ ؛ إنَّكَ جئتَ تشتري منّي اللهِ صعصعةُ ؛ إنَّكَ جئتَ تشتري منّي كبدي ، وأرحمَ ولدي عندي ، منعتُكَ أو بعتُكَ ، النكاحُ خيرٌ مِنَ الأيمةِ ، والحسيبُ كفؤُ الحسيبِ ، والزوجُ الصالحُ يُعَدُّ أباً ، وقدْ أنكحتُكَ خشيةَ ألَّا أجدَ مثلَكَ .

ثمَّ أقبلَ على قومِهِ فقالَ: يا معشرَ عدوانَ ، أخرجتُ مِنْ بينِ أظهرِكُم كريمتَكُم على غيرِ رغبةٍ عنكم ، ولكنْ مَنْ خُطَّ لهُ شيءٌ . . جاءه ، ربَّ زارِع لنفسِهِ حاصدٌ سواه ، ولولا قسمُ الحظوظِ على غيرِ الحدودِ . . ما أدركَ الآخِرُ مِنَ الأولِ [شيئاً] يعيشُ بهِ ، وللكنَّ الذي أرسلَ الحيا أنبتَ المرعى ، ثمَّ قسمَهُ أكلاً ، لكلِّ فم بقلةٌ ، ومِنَ الماءِ جرعةٌ ؛ إنَّكُم ترون ولا تعلمونَ ، لن يرىٰ ما أصفُ لكُم إلَّا كلُّ ذي قلبٍ واع ، ولكلِّ شيءٍ راع ، ولكلِّ رزقٍ ساع ؛ إمَّا أكيسُ ، وإمَّا أحمقُ ، وما رأيتُ شيئاً قطُّ إلَّا سمعتُ حِسَّهُ ، ووجدتُ مَسَّهُ ، وما رأيتُ موضوعاً إلَّا مصنوعاً ، وما رأيتُ جائياً إلَّا داعياً ، ولا غانماً إلَّا خائباً ، ولا نعمةً إلَّا ومعَها بؤسٌ ، ولو كانَ يميتُ الناسَ الداءُ . . لأحياهُم الدواءُ ، فهل لكُم في العلمِ العليمِ ؟ قيلَ : ما هوَ ؟ قد قلتَ فأصبتَ ، وأخبرت فصدقتَ ، فقالَ : أموراً شتَىٰ ، وشيئاً شيّاً ، حتىٰ يرجعَ الميتُ حيّاً ويعودَ لا شيءٌ شيئاً ، ولذلك خُلِقَتِ الأرضُ والسماءُ ، فتولَّوا عنهُ راجعينَ ، فقالَ : شياهً ، ولكانَ مَنْ يَقبلُها (٢٠) .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٥٩/٢ ) .

#### زينبُ سترةٌ

قالوا: هي زينبُ بنتُ عبدِ اللهِ بنِ عكرمةَ بنِ عبدِ الرحمانِ المخزوميّ، وكانَتْ عجوزاً كبيرةً، ولها جَوَارٍ مُغنّياتٌ، وكانَ ابنُ زهيمةَ المدنيُّ الشاعرُ \_ وكانَ ابنُ زهيمةَ المدنيُّ الشاعرُ \_ واسمُهُ محمدٌ \_ مولى خالدِ بنِ أسيدٍ يَتعشَّقُ بعضَ جواريها، ويُشبِّبُ بها، ويغنيهِ يونسُ الكاتبُ، ويلقيهِ على جواريها، فيُسَرُّ بذلكَ، ويصلُها ويكسوها، فمِنْ قولِهِ فيها:

أَقْصَدَتْ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ ٱلْبَاطِلُ مِنِّي وَٱلْغَزَلْ وَلُغَزَلْ وَلُغَزَلْ وَلُغَزَلْ ول

[ من مجزوء الكامل ]

وَجْداً شَدِيداً مُتْعِبَا
أُدْعَى ٱلشَّقِيَّ ٱلْمُسْهَبَا
عَمْداً لِكَيْلًا تَغْضَبَا
وَكَنَيْتُ أَمْراً مُعْجَبَا

وَجَدَ ٱلْفُوَادُ بِنَيْنَبَا أَمْسَيْتُ مِنْ كَلَفٍ بِهَا وَلَقَدْ كَنَيْتُ عَنِ ٱسْمِهَا وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً

يُضرَبُ عندَ الكنايةِ عنِ الشيءِ (١١).

## زُرْ غبّاً . . تَزدَدْ حبّاً

قالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ معاذُ بنُ صرمِ الخزاعيُّ ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ عكِّ ، وكانَ أُمُّهُ مِنْ عكِّ ، وكانَ فارسَ خزاعةَ ، وكانَ يكثرُ زيارةَ أخوالِهِ ، قالَ : فاستعارَ منهُم فرساً وأتى قومَهُ ، فقالَ لهُ رجلٌ يُقالُ لهُ : جُحيشُ بنُ سودةَ ، وكانَ لهُ عدوًا : تسابقُنى علىٰ أنَّ مَنْ سبقَ صاحبَهُ أخذَ فرسَهُ ؟ فسابقَهُ ، فسبقَ معاذٌ ، وأخذَ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٠٢/٢ \_ ١٠٣ ) .

فرسَ جُحيشٍ ، وأرادَ أن يغيظَهُ ، فطعنَ أيطلَ الفرسِ بالسيفِ فسقطَ ، فقالَ : لا أُمَّ لكَ ، قتلتَ فرساً خيراً منكَ ومِنْ والدَيكَ ، فرفعَ معاذُ السيفَ فضربَ مَفرِقَهُ فقتلَهُ ، ثمَّ لحقَ بأخوالِهِ .

وبلغَ الحيَّ ما صنعَ ، فركبَ أخُّ لجُحيشِ وابنُ عمِّ لهُ ، فلحقاهُ ، فشدَّ على أحدِهِما فطعنَهُ فقتلَهُ ، وشدَّ على الآخرِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذلكَ :

وَلَكِنْ بِصَافٍ ذِي طَرَائِقَ مُسْتَكِّ وَكُنْتُ قَدِيماً فِي ٱلْحَوَادِثِ ذَا فَتْكِ فَخَرَّ صَرِيعاً مِثْلَ عَائِرَةِ ٱلنُّسْكِ خُزَاعَةُ أَجْدَادِي وَأُنْمَىٰ إِلَىٰ عَكِّ وَجَرَّبْتَنِي إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي شَكِّ خَضِيبَ دَم جَارَاتُهُ حَوْلَهُ تَبْكِي وَتَقْشِرُ جِلْدَيْ مَحْجِرَيْهَا مِنَ ٱلْحَكِّ وَيُزْرِي بِقَوْم إِنْ تَرَكْتُهُمُ تَرْكِي وَعِطْرِي غُبَارُ ٱلْحَرْبِ لَا عَبَقُ ٱلْمِسْكِ كَتَوْقِ ٱلْقَطَا تَسْمُو إِلَى ٱلْوَشَل ٱلرَّكِّ وَلَا فِي نَوَادِي ٱلْقَوْمِ بِٱلضَّيِّقِ ٱلْمَسْكِ وَسَابِغَةٍ بَيْضَاءَ مُحْكَمَةِ ٱلسَّكِّ

ضَرَبْتُ جُحَيْشاً ضَرْبَةً لَا لَئِيمَةً قَتَلْتُ جُحَيْشاً بَعْدَ قَتْل جَوَادِهِ قَصَدْتُ لِعَمْرِهِ بَعْدَ بَدْرِ بِضَرْبَةٍ لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلْأَقْوَامُ أَنِّي صَارِمٌ فَقَدْ ذُقْتَ يَا جَحْشَ بْنَ سَوْدَةَ ضَرْبَتِي تَرْكُتُ جُحَيْشاً ثَاوِياً ذَا نَوَائِح تَرنُّ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِٱنْتِحَابِهَا لِيَرْفَعَ أَقْوَاماً حُلُولِيَ فِيهِمُ وَحِصْنِي سَرَاةُ ٱلطَّرْفِ وَٱلسَّيْفُ مَعْقِلِي تَتُوقُ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ نَفْسِي إِلَى ٱلْوَغَىٰ وَلَسْتُ برعْدِيدٍ إِذَا رَاعَ مُعْضِلٌ وَكَمْ مَلِكٍ جَدَّلْتُهُ بِمُهَنَّدٍ

قالَ: فأقامَ في أخوالِهِ زماناً ، ثمَّ إنَّهُ خرجَ معَ بني أخوالِهِ في جماعةٍ مِنْ فتيانِهِم يَتصيَّدونَ ، فحملَ معاذٌ علىٰ عَيْرٍ ، فلحقَهُ ابنُ خالٍ لهُ يُقالُ

لهُ: الغضبانُ ، فقالَ : خلِّ عنِ العَيرِ ، فقالَ : لا ، ولا نعمَتْ عينٌ ، فقالَ لهُ الغضبانُ : أَمَا واللهِ ؛ لو كانَ فيكَ خيرٌ . . لَمَا تركتَ قومَكَ ، فقالَ معاذٌ : زُرْ غبّاً . . تزددْ حبّاً ، فأرسلَها مثلاً ، ثم أتى قومَهُ ، فأرادَ أهلُ المقتولِ قتلَهُ ، فقالَ لهُم قومُهُ : لا تقتلوا فارسَكُمْ وإن ظلمَ ، فقبلوا منهُ الديةَ .

ومِنْ هـٰذا المثلِ قالَ الشاعرُ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَىٰ فَزُرْ مُتَوَاتِراً وقالَ آخَرُ:

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا أَلَى مُنْكَ مِا الْفَطْرَ يُسْأَمُ دَائِماً

[ من الطويل ]

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبّاً فَزُرْ غِبّا

إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكَا (١) وَيُسْأَلُ بِٱلْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

## زوجٌ مِنْ عودٍ خيرٌ مِنْ قعودٍ

هاذا المثلُ لبعضِ نساءِ الأعرابِ ، قالَ المُبرِّدُ: (حدَّثَني عليُّ بنُ عبدِ اللهِ عن ابنِ عائشةَ قالَ: كانَ ذو الإصبَعِ العَدْوانيُّ رجلاً غَيُوراً ، ولهُ بناتُ أربعٌ ، وكانَ لا يُزوِّجُهُنَّ غَيرةً ، فاستمعَ عليهِنَّ يوماً وقد خَلَوْنَ يَتحدَّثْنَ ، فقالَتْ قائلةٌ منهُنَّ : لتقلْ كلُّ واحدةٍ منَّا ما في نفسِها ، ولنصدقْ جميعاً ، فقالَتْ كُبراهُنَّ :

حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبُ ٱلنَّشْرِ وَٱلذِّكْرِ خَلِيفَةُ حَانٍ لَا يُقِيمُ عَلَىٰ هَجْرِ [ من الطويل ]

لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَىٰ بِهَا ٱلنِّيبُ وَٱلْجُزْرُ

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنىً لَلَّهُ لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنىً لَلْطُوقٌ بِأَكْبَادِ ٱلنِّيسَاءِ كَأَنَّهُ وقالَتِ الثانيةُ:

أَلَا لَيْتَهُ يُعْطَى ٱلْجَمَالَ بَدِيهَةً

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٠٨/٢ \_ ١٠٩ ) .

لَهُ حَكَمَاتُ ٱلدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ فَلَا وَانٍ وَلَا ضَرَعٌ غُمْرُ

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تريدينَ سيداً ، وقالَتِ الثالثةُ : [من الطويل]

أَلَا هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُهَا أَشَمُّ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ عَيْنِ ٱلْمُهَنَّدِ عَلَى الْمُهَنَّدِ عَلِيلُهَا إِذَا مَا ٱنْتَمَىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتِدِي عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ ٱلنِّسَاءِ وَرَهْ طُهُ إِذَا مَا ٱنْتَمَىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتِدِي

فقلنَ لها : أنتِ تريدينَ ابنَ عمّ لكِ ، قد عرفنَهُ .

وقلنَ للصغرى : ما تقولينَ ؟ قالَتْ : لا أقولُ شيئاً ، فقلنَ : لا ندعُكِ وذاكَ ؛ إنَّكِ قدِ اطلعتِ على أسرارِنا وتكتمينَ سِرَّكِ ، فقالَتْ : زوجٌ مِنْ عُودٍ خيرٌ مِنْ قُعودٍ .

فخُطِبنَ ، فزُوِّجنَ أجمعُ ، ثمَّ أمهلَهُنَّ حولاً ، ثمَّ زارَ الكبرىٰ ، فقالَ لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالَتْ : خيرُ زوجٍ ، يُكرِمُ أهلَهُ ، وينسىٰ فضلَهُ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتِ : الإبلُ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : نأكلُ لُحمانَها مَزْعاً ، ونشربُ ألبانَها جَرْعاً ، وتحملُنا وضعفتَنا معاً ، فقالَ : زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عميمٌ .

ثمَّ زارَ الثانية ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : يُكرِمُ الحليلة ، ويُقرِّبُ الوسيلة ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : تألفُ الفِناء ، وتملأُ الإناء ، وتودكُ السقاء ، ونساءٌ معَ نساء ، فقالَ : رضيتِ فحظيتِ .

ثمَّ زارَ الثالثةَ ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ، فقالَتْ : لا سَمْحُ بَذِرٌ ، ولا بخيلٌ حَكِرٌ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : بخيلٌ حَكِرٌ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : لو كنَّا نُولِّدُها فُطُماً ، ونسلخُها أَدَماً . . لم نبغِ بها نَعَماً ، فقالَ : جَذْوٌ مغنيةٌ .

ثمَّ زارَ الرابعة ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : شرُّ زوجٍ ، يُكرِمُ نفسَهُ ، ويهينُ عِرْسَهُ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتْ : شرُّ مالٍ ؛ الضَّانُ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : جُوفٌ لا يشبعنَ ، وهِيمٌ لا ينقعْنَ ، وصُمُّ لا يسمعنَ ، وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ، فقالَ : أشبهَ امرؤٌ بعضَ بَزِّهِ .

قالَ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ: قلتُ لابنِ عائشةَ: ما قولُها: وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ؟ قالَ: أما تراهُنَّ يمررنَ فتسقطُ الواحدةُ منهُنَّ في ماءٍ أو وَحَلٍ أو غيرِ ذلكَ ... فيتبعنَها عليهِ ؟!) (١٠).

وقولُهُ: ( جَذْقُ مغنيةٌ ) جمعُ جَذْوةٍ ؛ وهي القطعةُ (٢).

## سقطَ العَشاءُ بهِ علىٰ سِرْحانٍ

قالَ أبو عبيدٍ: (أصلُهُ: أنَّ رجلاً خرجَ يلتمسُ العَشاءَ فوقعَ علىٰ ذئبٍ ، فأكلَهُ ، وقالَ الأصمعيُّ: أصلُهُ: أنَّ دابَّةً خرجَتْ تطلبُ العَشاءَ ، فلقيهَا ذئبٌ فأكلَها ) (٣) .

وقالَ ابنُ الأعرابيّ : أصلُ هاذا : أنَّ رجلاً مِنْ غَنِيٍّ '' يُقالُ لهُ : سِرحانُ بنُ هزلةَ ، كانَ بطلاً فاتكاً ، يَتقيهِ الناسُ ، فقالَ رجلٌ يوماً : واللهِ ؛ لأرعينَّ إبلي هاذا الواديَ ، ولا أخافُ سِرحانَ بنَ هزلةَ ، فوردَ بإبلِهِ ذلكَ الواديَ ، فوجدَ بهِ سِرحانَ ، وهجمَ عليهِ فقتلَهُ وأخذَ إبلَهُ ، وقالَ : [من الكامل]

سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ سِرْحَانِ طَلْقِ ٱلْيَدَيْنِ مُعَاهِدٍ لِطِعَانِ

أَبْلِغْ نَصِيحَةَ أَنَّ رَاعِيَ أَهْلِهَا سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ مُتَغَشْمِرٍ

<sup>(</sup>۱) الكامل ( ۲۸۸۲ ـ ٦٨٠ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «مجمع الأمثال» ( ۱۰۰/۲ \_ ۱۰۷ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٢١/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) حتى من غطفان .

يُضرَبُ في طلبِ الحاجةِ يُؤدِّي صاحبَها إلى التَّلَفِ (١).

#### أساء سمعاً فأساء جَابَةً

ويُروئ: ساءَ سمعاً فأساءَ إجابةً ، و(ساءَ) في هذا الموضع تعملُ عملَ بئسَ ؛ نحوُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ (٢) ، ونُصِبَ (سمعاً ) على التمييزِ ، و( أساءَ سمعاً ) نُصِبَ على المفعولِ بهِ ؛ تقولُ : أسأتُ القولَ ، وأسأتُ العملَ ، وقولُهُ : ( فأساءَ جابةً ) هي بمعنىٰ ( إجابةٍ ) يُقالُ : أجابَ إجابةً وجواباً وجيبةً ، ومثلُ ( الجَابةِ ) في موضع ( الإجابةِ ) : الطّاعةُ والطّاقةُ ، والغارةُ والعارةُ ، قالَ المُفضَّلُ : هاذه خمسةُ أحرفِ جاءتُ هاكذا .

قلتُ (٢): وكلُّها أسماءٌ وُضِعَتْ في موضع المصادرِ.

قالَ المُفضَّلُ: إِنَّ أُولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ: سهيلُ بنُ [ عمرٍ و ] أخو بني عامرِ بنِ لؤيٍّ ، وكانَ تزوَّجَ صفيةَ بنتَ أبي جهلِ بنِ هشام ، فولدَتْ لهُ أنسَ بنَ سهيلٍ ، فخرجَ معَهُ ذاتَ يومٍ وقد خَرَجَ وجههُ ؛ يريدُ الْتَحَىٰ ، فوقفا بحَزْوَرَةِ مكة ، فأقبلَ الأخنسُ بنُ شَرِيقٍ الثقفيُّ فقالَ: مَنْ هاذا ؟ قالَ سهيلٌ: ابني ، قالَ الأخنسُ : حيَّاكَ اللهُ يا فتى [ أينَ أَمُّكَ ؟ ] ؟ قالَ: لا واللهِ ، ما أُمِّي في قالَ اللهِ يا فتى [ أينَ أَمُّكَ ؟ ] ؟ قالَ: لا واللهِ ، ما أُمِّي في البيتِ ، انطلقَتْ إلى أُمِّ حنظلةَ تَطحَنُ دقيقاً ، فقالَ: أساءَ سمعاً فأساء جابةً ، فأرسلَها مثلاً .

فلمَّا رجعا . . قالَ أبوهُ : فضحَني ابنُكِ اليومَ عندَ الأخنس ، قالَ كذا وكذا !!

<sup>(</sup>١) انظر «مجمع الأمثال» ( ١٢١/٢ \_ ١٢٢ ) .

<sup>(</sup>۲) سورة الأعراف : ( ۱۷۷ ) .

<sup>(</sup>٣) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

فقالَتِ الأُمُّ: إنَّما ابني صبيٌّ ، قالَ سهيلٌ : أشبهَ امرؤٌ بعضَ بَزِّهِ ، فأرسلَها مثلاً (١) .

### سمِّنْ كلبَكَ يأكلْكَ

ويُروى : (أسمِنْ) ، قالوا : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : حازمُ بنُ المنذرِ الحِمَّانيُّ ؟ وذلك أنَّهُ مرَّ بمَحَلَّةِ هَمْدانَ ، فإذا هوَ بغلام ملفوفٍ في المعاوزِ ، فرحمَهُ وذلك أنَّهُ مرَّ بمَحَلَّةِ هَمْدانَ ، فإذا هوَ بغلام ملفوفٍ في المعاوزِ ، فرحمَهُ وحملَهُ على مُقدَّمِ سرجِهِ ، حتى أتى بهِ منزلَهُ ، وأمرَ أَمَةً لهُ أن تُرضِعَهُ ، فأرضَعَتُهُ حتى فُطِمَ ، وأدركَ وراهقَ الحلمَ ، فجعلَهُ راعياً لغنمِهِ ، وسمَّاه جُحَيشاً ، فكانَ يرعى الشاءَ والإبلَ ، وكانَ زاجراً عائفاً ، فخرجَ ذاتَ يوم ، فعَرضَتْ لهُ عقابٌ ، فعافَها ، ثمَّ مَرَّ بهِ غُدافٌ ، فزجرَهُ ، وقالَ : [من مشطور الرجز]

تُخبِرُنِي شَواحِجُ ٱلْغُدْفَانْ وَٱلْخُطْبُ يَشْهَدْنَ مَعَ ٱلْعِقْبَانْ أَنِّي جُحَيْشٌ مَعْشَرِي هَمْدَانْ وَلَسْتُ عَبْداً لِبَنِي حِمَّانْ

فلا يزالُ يَتغنَّىٰ بهاذهِ الأبياتِ ، وإنَّ ابنةً لحازمٍ يقالُ لها : رَعُومُ ، هَوِيَتِ الغلامَ وهَوِيَها ، وكانَ الغلامُ ذا منظرٍ وجمالٍ ، فاتبعَتْهُ رَعُومُ ذاتَ يومٍ حتى التهىٰ إلىٰ موضعِ الكلا ، فسرحَ الشاءَ فيهِ واستظلَّ بشجرةٍ واتَّكا علىٰ يمينِهِ ، وأنشا يقولُ :

وَلَا أَنْتَ ذُو وَالِدٍ يُعْرَفُ جُحَدِشُ فُ جُحَدِشٌ وَأَنَّ أَبِي حَرْشَفُ وَشَاهِدُهُ جَاهِداً يَحْلِفُ

أَمَا لَكَ أُمُّ فَتُدْعَى لَهَا أَمَّ وَتُدْعَى لَهَا أَرَى ٱلطَّيْرَ تُخْبِرُنِي أَنَّنِي يَعُولُ غُرَابٌ غَدَا سَانِحاً يَعُولُ غُرَابٌ غَدَا سَانِحاً

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٢٦/٢ \_ ١٢٧ ) .

بِأَنِّي لِهَ مُدَانَ فِي غُرِّهَا وَمَا أَنَا جَافٍ وَلَا أَهْيَفُ وَلَا أَهْيَفُ وَلَا أَهْيَفُ وَلَا كَنَّنِي مِنْ كِرَامِ ٱلرِّجَالِ إِذَا ذُكِرَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْأَشْرَفُ وَلَا كَمَنَتْ لَهُ رَعُومُ تنظرُ ما يصنعُ ، فرفعَ صوتَهُ أيضاً يَتغنَّىٰ ويقولُ:

[من مشطور الرجز]

يَا حَبَّذَا رَبِيبَ تِي رَعُومُ وَحَبَّذَا مَنْ طِقُهَا ٱلرَّخِيمُ وَرِيحُ مَا يَأْتِي بِهِ ٱلنَّسِيمُ إِنِّي بِهَا مُكَلَّفٌ أَهِيمُ إِنِّي بِهَا مُكَلَّفٌ أَهِيمُ لَوْ تَعْلَمِينَ ٱلْعِلْمَ يَا رَعُومُ أَنِّي مِنْ هَمْ دَانِهَا صَحِيمُ

فلمَّا سمعَتْ رَعُومُ شِعرَهُ . . ازدادَتْ فيهِ رغبةً وبهِ إعجاباً ، فدنَتْ منهُ وهي تقولُ :

طَارَ إِلَيْ كُمْ عَرضاً فُوَادِي وَقَالٌ مِنْ ذِكْ رَاكُم مُرَقَادِي وَقَالٌ مِنْ ذِكْ رَاكُم مُرُقَادِي وَقَادٌ جَفَا جَنْبِي عَنِ ٱلْوِسَادِ أَبِيتُ قَادٌ حَالَ فَيْنِي سُهَادِي

فقامَ إليها جُحَيْشٌ فعانقَها وعانقَتْهُ ، وقعدا تحتَ الشجرةِ يَتغازلانِ ، فكانا يفعلان ذلكَ أياماً .

ثمَّ إنَّ أباها افتقدَها يوماً ، وفَطِنَ لها ، فرصدَها ، حتى إذا خرجَتْ . . تبعَها ، فانتهى إليهِما وهُما على سوءةٍ ، فلمَّا رآهُما . . قالَ : سَمِّنْ كلبَكَ

يَأْكُلُكَ ، فأرسلَها مثلاً ، وشدَّ على جُحيش بالسيفِ فأفلتَ ولحقَ بقومِهِ هَمْدانَ ، وانصرف حازمٌ إلى ابنتِهِ وهوَ يقولُ : موتُ الحُرَّةِ خيرٌ مِنَ العُرَّةِ ، فأرسلَها مثلاً ، فلمَّا وصلَ إليها . . وجدَها قدِ اختنقَتْ فماتَتْ ، فقالَ حازمٌ : هانَ عليَّ الثُّكْلُ لسوءِ الفعل ، فأرسلَها مثلاً : وأنشأ يقولُ :

قَدْ هَانَ هَاذَا ٱلثُّكُلُ لَوْلَا أَنَّنِي أَحْبَبْتُ قَتْلَكِ بِٱلْحُسَامِ ٱلصَّارِمِ شَمَّرْتُ فِي قَتْلِ ٱللَّعِينِ ٱلظَّالِم وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ لَوْلَا أَنَّنِي فَعَلَيْكِ مَفْتُ ٱللهِ مِنْ غَدَّارَةٍ وَعَلَيْكِ لَعْنَتُهُ وَلَعْنَةُ حَازِم

وقالَ قومٌ : إنَّ رجلاً مِنْ طَسْم ارتبطَ كلباً ، فكانَ يُسمِّنُهُ ويطعمُهُ رجاءَ أن يصيدَ بهِ ، فاحتبسَ عليهِ بطعمِهِ يوماً ، فدخلَ عليهِ صاحبُهُ ، فوثبَ عليهِ

فافترسَهُ ، قالَ عوفُ بنُ الأحوص : [ من الطويل ]

فَخَدَّشه أَنْيَابُه وَأَظَافِرُه أُرَانِي [ وَعَوْفاً] كَٱلْمُسَمِّن كَلْبَهُ وقال طرفة (١): [من المنسرح]

يَعُلُّهُ بِٱلْحَلِيبِ فِي ٱلْغَلَس كَكَلْبِ طَسْم وَقَدْ تَرَبَّبَهُ إِلَّا يَلَغُ فِي ٱلدِّمَاءِ يَنْتَهِسٍّ ظَلَّ عَلَيْهِ يَـوْماً [يُـفَـرْفِـرُهُ]

## السَّليمُ لا ينامُ ولا يُنيمُ

قَالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلكَ: إلياسُ بنُ مُضَرَ ، وكانَ مِنْ حديثِ ذُلكَ فيما ذكرَ الكلبيُّ عنِ الشرقيِّ بنِ القطاميِّ : أنَّ إبلَ إلياسَ نَدَّتْ ليلاً ، فنادى ولله وقالَ : إنِّي طالبٌ الإبلَ في هنذا الوجهِ ، وأمرَ عمراً ابنه أن

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » ( ص ١٦٥ ) .

<sup>(</sup>٢) في الأصل: (بقرقره)، ويفرفره: يمزّقه.

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٣٣/٢ \_ ١٣٥ ) .

يطلبَ في وجهٍ آخَرَ، وتركَ عامراً ابنَهُ لعلاجِ الطعامِ، قالَ : فتَوجّه إلياسُ وعمرٌو، وانقطعَ عُمَيرٌ ابنُهُ في البيتِ مع النساءِ، فقالَتْ ليليٰ بنتُ حلوانَ امراأتُهُ لإحدىٰ خادميها: اخرجي في طلبِ أهلِكِ، وخرجَتْ ليليٰ، فلقيها عامرٌ مُحتقِباً صيداً قد عالجَهُ، فسألَها عن أبيهِ وأخيهِ، فقالَتْ: لا علمَ عامرٌ مُحتقِباً صيداً قد عالجَهُ، فسألَها عن أبيهِ وأخيهِ، فقالَتْ: لا علمَ لي، فأتى عامرٌ المنزلَ وقالَ للجاريةِ: قُصِّي أثرَ مولاكِ، فلمَّا ولَّتْ.. قالَ لها: تقرصعي \_ أي : اتئدي وانقبضي \_ فلم يلبثوا أن أتاهُمُ الشيخُ وعمرٌو ابنُهُ قد أدركَ الإبلَ، فوضعَ لهُمُ الطعامَ، فقالَ إلياسُ : السَّليمُ لا ينامُ ولا يُنيمُ، فأرسلَها مثلاً، وقالَتْ ليلي امرأتُهُ: واللهِ ؟ إن زلتُ أُخندِفُ في طلبِكُما والهةً ، قالَ الشيخُ : فأنتِ خِنْدِفُ ، قالَ عامرٌ : وأنا واللهِ كنتُ أدابُ في صيدٍ وطبخِ ، قالَ : فأنتَ طابخةُ ، قالَ عمرٌو : فما فعلتُ أنا أفضلُ ، أدركتُ الإبلَ ، قالَ : فأنتَ مُدرِكةُ ، وسمَّىٰ عُمَيراً قَمْعَةَ ؛ لانقماعِهِ في البيتِ ، فغلبَتْ الإبلَ ، قالَ : فأنتَ مُدرِكةُ ، وسمَّىٰ عُمَيراً قَمْعَةَ ؛ لانقماعِهِ في البيتِ ، فغلبَتْ هاذِهِ الألقابُ علىٰ أسمائِهِم .

يضربُ مثلاً لِمَنْ لا يستريحُ ولا يريحُ غيرَهُ (١).

## اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ

قالوا: إنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ: حاتمُ بنُ عميرةَ الهَمْدانيُّ ، وكانَ بعثَ ابنَيهِ الحِسْلَ وعاجنة إلىٰ تجارةٍ ، فلقيَ الحِسْلُ قوماً مِنْ بني أسدٍ ، فأخذوا مالَهُ وأسروهُ ، وسارَ عاجنةُ أياماً ، ثمَّ وقعَ على مالٍ في طريقِهِ مِنْ قبلِ أن يبلغَ موضعَ مَتجرِهِ ، فأخذهُ ورجعَ ، وقالَ في ذلكَ :

كَفَانِي ٱللهُ بُعْدَ ٱلسَّيْرِ أَنِّي رَأَيْتُ ٱلْخَيْرَ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ رَأَيْتُ ٱلْجَيْرَ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ رَأَيْتُ ٱلْبُعْدَ فِيهِ شَقاً وَنَأْيُ وَوَحْشَةُ كُلِّ مُنْفَرِدٍ غَرِيبِ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٤٥/٢ ) .

فَأَسْرَعْتُ ٱلْإِيَابَ بِخَيْرِ حَالٍ إلَىٰ حَوْرَاءَ خَرْعَبَةٍ لَعُوبِ وَإِنِّي لَيْسَ يَشْنِينِي إِذَا مَا رَحَلْتُ سُنُوحُ شَحَّاج نَعُوبِ

تُخَبِّرُنِي بِٱلنَّجَاةِ ٱلْقَطَاةُ وَقَوْلُ ٱلْغُرَابِ بِهَا شَاهِدُ تَخَبِّرُنِي بِٱلنَّجَاةِ ٱلْقَطَاةُ وَقَوْلُ ٱلْغُرَابِ بِهَا شَاهِدُ تَعَفُولُ أَلَا قَدْ ذَنَا نَازِحٌ فِدَاءٌ لَهُ ٱلطَّرْفُ وَٱلتَّالِدُ أَخُ لَمْ تَكُنْ أُمُّنَا أُمَّهُ وَلَكِنْ أَبُوونِا أَبُ وَاحِدُ تَكُنْ أَمُّنَا أُمَّةُ وَلَكِنْ أَبُوونِا أَبُ وَاحِدُ تَكُنْ أَمُّنَا أُمَّةُ فَيَعْمَ ٱلْمُرَبِّبُ وَٱلْوَالِدُ تَدَارَكَ نِي رَأْفَةً حَاتِمٌ فَنِعْمَ ٱلْمُرَبِّبُ وَٱلْوَالِدُ

ثمَّ إِنَّ شاكراً سألَ عنهُ ، فأُخبِرَ بمكانِهِ ، فاشتراهُ ممَّنْ أسرَهُ بأربعينَ بعيراً ، فلمَّا رجعَ بهِ . . قالَ لهُ أبوهُ : اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ ، فذهبَتْ مثلاً (١١) .

#### سِرْ عنكَ

قالوا: إِنَّ أُولَ مَنْ قَالَ ذَلكَ: خِداشُ بنُ حابسِ التميميُّ ، وكانَ قد تَزوَّجَ جاريةً مِنْ بني سَدوسٍ يُقالُ لها: الربابُ ، وغابَ عنها بعدَما ملكَها أعواماً ، فعَلِقَها آخَرُ مِنْ قومِها يُقالُ لهُ: سَلْمٌ ، ففضحَها .

وإنَّ سَلْماً شردَتْ لهُ إبلٌ ، فركبَ في طلبِها ، فوافاهُ خِداشٌ في الطريقِ ، فلمَّا علمَ بهِ خِداشٌ . كتمهُ أمرَ نفسِهِ ؛ ليعلمَ علمَ امرأتِهِ ، وسارا ، فسألَ سَلْمٌ خِداشاً : ممَّنِ الرجلُ ؟ فخبَّرهُ بغيرِ نسبِهِ ، فقالَ سَلْمٌ : [من الوافر] أَغِبْتَ عَن ٱلرَّبَابِ وَهَامَ سَلْمٌ سَلْمٌ بها وَلَهَا بعِرْسِكَ يَا خِدَاشُ

<sup>(</sup>١) انظر «مجمع الأمثال » ( ١٤٦/٢ ) .

صَبُورٌ حِينَ تَضْطَرِبُ ٱلْكِبَاشُ تَصْبُورٌ حِينَ تَضْطَرِبُ ٱلْكِبَاشُ تَصَرِّيا شِ تَصَرِّيا شُ وَقَدْ يَرْوَىٰ عَلَى ٱلظَّمَأُ ٱلْعِطَاشُ سَيُخْبِرُهُ بِمَا لَاقَى ٱلْفِرَاشُ سَيُخْبِرُهُ بِمَا لَاقَى ٱلْفِرَاشُ

فَيَالَكَ بَعْلَ جَارِيَةٍ هَـوَاهَا وَيَالَكَ بَعْلَ جَارِيَةٍ كَعُوبٍ وَكُنْتُ بِهَا أَخَاعَطَشٍ شَدِيدٍ فَكِنْتُ بِهَا أَخَاعَطَشٍ شَدِيدٍ فَإِنْ أَرْجِعْ وَيَأْتِيهَا خِـدَاشٌ

فعرفَ خِداشٌ الأمرَ عندَ ذلكَ ، ثمّ دنا منهُ فقالَ : حدِّثنا يا أَخا بني سدوسٍ ، فقالَ سَلْمٌ : علقتُ امرأةً غابَ عنها زوجُها ، فأنا أنعمُ أهلِ الدنيا بها ، وهي لذَّةُ عيشي ، فقالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، فسارَ ساعةً ، ثمّ قالَ : حدِّثنا يا أَخا بني سدوسٍ عن خليلتِكَ ، قالَ : تَسدَّيتُ خِباءَها ليلاً ، فبتُ بأقرِ ليلةٍ ، يا أخا بني سدوسٍ عن خليلتِكَ ، قالَ : تَسدَّيتُ خِباءَها ليلاً ، فبتُ بأقرِ ليلةٍ ، أعلو وأُعلي ، وأعانقُ وأفعلُ ما أهوى ، فقالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، وعرف الفضيحة ، فتَأخَّرَ واخترطَ سيفَهُ وغطَّاهُ بثوبِهِ ، ثمَّ لحقَهُ وقالَ : ما آيةُ ما بينكُما إذا جئتَها ؟ قالَ : أذهبُ ليلاً إلى مكانِ كذا مِنْ خبائِها وهي تخرجُ فتقولُ :

يَا لَيْلُ هَلْ مِنْ سَاهِرٍ فِيكَ طَالِبٌ هَوَىٰ خُلَّةٍ لَا يَنْزَحَنْ مُلْتَقَاهُمَا [من الطويل]

نَعَمْ سَاهِرٌ قَدْ كَابَدَ ٱللَّيْلَ هَائِمٌ بِهَائِمَةٍ مَا هُوِّمَتْ مُقْلَتَاهُمَا

فتعرفُ أنِّي أنا هوَ ، ثمَّ قالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، ودنا حتى قرنَ ناقتَهُ بناقتِهِ ، وضربَهُ بسيفِهِ فأطارَ قحفَهُ وبقيَ سائرُهُ فوقَ رحلِهِ يَضطربُ .

ثمَّ انصرفَ فأتى المكانَ الذي وصفَهُ سَلْمٌ ، فقعدَ فيهِ ليلاً ، وخرجَتِ الربابُ وهيَ تَتكلَّمُ بذلكَ البيتِ ، فجاوبَها بالآخرِ ، فدنَتْ منهُ وهيَ ترىٰ أنَّهُ سَلْمٌ ، فقنَّعَها بالسيفِ ففلقَ ما بينَ المَفرِقِ إلى الزورِ ، ثمَّ ركبَ وانطلقَ .

يُضرَبُ في التغابي والتغاضي عنِ الشيءِ .

قلتُ (۱): بقي معنى قولِهِ (سِرْ عنكَ) قيلَ: معناهُ: دعْني واذهبْ عنِي، وقيلَ: معناهُ: دعْني واذهبْ عنِي، وقيلَ: معناهُ: لا تربعْ على نفسِهِ.. فقدْ سارَ عنها، وقيلَ: العربُ تزيدُ في الكلامِ (عن)، فتقولُ: دعْ عنكَ الشكَّ؛ أي: عنها، وقيلَ: العربُ تزيدُ في الكلامِ (عن)، فتقولُ: دعْ عنكَ الشكَّ؛ أي: دعِ الشكَّ، وقيلَ: أرادوا بر (عنك): لا أبا لكَ، وأنشدَ: [من مشطور الرجز]

فَصَارَ وَٱلْيَوْمُ لَهُ بَلَابِلُ

أي: لا أبا لكَ ، فعلى هذا: معناهُ: سِرْ لا أبا لكَ ، على عادتِهِم في الدعاءِ على الإنسانِ مِنْ غيرِ إرادةِ الوقوع (٢).

## صدقَني سِنَّ بَكْرِهِ

البَكْرُ: الفتيُّ مِنَ الإبلِ، ويُقالُ: صدقتُهُ الحديثَ وفي الحديثِ، يُضرَبُ مثلاً في الصدقِ، وأصلُهُ: أنَّ رجلاً ساومَ رجلاً في بَكْرٍ، فقالَ: ما سنُّهُ ؟ مثلاً في الصدقِ، وأصلُهُ: أنَّ رجلاً ساومَ رجلاً في بَكْرٍ، فقالَ: ما سنُّهُ ؟ فقالَ صاحبُهُ: هِدَعْ هِدَعْ ، وهاذهِ فقالَ صاحبُهُ: هِدَعْ هِدَعْ ، وهاذهِ لفظةٌ يُسكَّنُ بها الصِّغارُ مِنَ الإبلِ، فلمَّا سمعَ المشتري هاذهِ الكلمةَ.. قالَ: صدقني سنَّ بَكْرِهِ ، ونصبَ (سنَّ) على معنى : عَرَّفني سِنَّ ، ويجوزُ أن يُقالُ: أرادَ: صدقني سنِّ ، ثمَّ حُذِفَ المُضافُ ، ويُروى : صدقني سنُّ بالرفع ، جعلَ الصدقَ للسنِّ توسُّعاً.

قالَ أبو عبيدٍ : ( وهاذا المثلُ يُروىٰ عن عليِّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ أنَّهُ أُتِيَ فقيلَ لهُ : إنَّ بني فلانٍ وبني فلانٍ اقتتلوا ، فغلبَ بنو فلانٍ ، فأنكرَ ذلكَ ، ثمَّ

<sup>(1)</sup> القائل : هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

<sup>(</sup>٢) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٤٧/٢ \_ ١٤٨ ) .

أتاهُ آتٍ فقالَ : بل غلبَ بنو فلانٍ ؛ للقبيلةِ الأُخرىٰ ، فقالَ عليٌّ : صدقَني سنَّ بَكْرِهِ ) (١٠) .

وقالَ أبو عمرٍو: دخلَ الأحنفُ على معاوية بعدَما مضى عليٌّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنه ، فعاتبَه معاوية وقالَ له : أما إنِّي لم أنسَ ولم أجهلِ اعتزالَكَ يومَ الجملِ ببني سعدٍ ، ونزولَكَ بهِم سفوانَ وقريشٌ تذبحُ بناحيةِ البصرةِ ذبحَ الحَيرانِ ، ولم أنسَ طلبَكَ إلى ابنِ أبي طالبٍ أن يدخلَكَ في الحكومةِ أن تزيلَ عنِّي أمراً جعلَهُ الله لي وقضاه ، ولم أنسَ تحضيضَكَ بني تميمٍ يومَ صفينَ على نصرةِ عليّ ، كلُّ يبكتُهُ (١).

قالَ: فخرجَ الأحنفُ مِنْ عندِهِ ، فقيلَ لهُ: ما صنعَ بكَ ؟ وما قالَ لكَ ؟ قالَ: عليهِ قالَ: صدقَني سنَّ بكرِهِ ؛ أي: خَبَّرَني بما في نفسِهِ وما انطوَتْ عليهِ ضُلوعُهُ.

#### صارَتِ الفتيانُ حُمَماً

هاذا مِنْ قولِ الحمراءِ بنتِ ضمرةَ بنِ جابرٍ ؛ وذلكَ أنَّ بني تميمٍ قتلوا سعدَ بنَ هندٍ أخا عمرو بنِ هندٍ الملكِ ، فنذرَ عمرٌو ليقتلَنَّ بأخيهِ مئةً مِنْ بني تميمٍ ، فجمعَ أهلَ مملكتِهِ ، فسارَ إليهِم ، فبلغَهُمُ الخبرُ ، فتَفرَّقوا في نواحي بلادِهِم ، فأتى دارَهُم ، فلم يجدُ إلَّا عجوزاً كبيرةً ؛ وهيَ الحمراءُ بنتُ ضمرةَ ، فلمّا نظرَ إليها وإلى حمرتِها . . قالَ لها : إنِّي لأحسبُكِ أعجميةً ، فقالَتْ : لا ، والذي أسألُهُ أن يخفضَ جناحَكَ ، ويَهُدَّ عمادَكَ ، ويضعَ وسادَكَ ، ويسلُبَكَ بلادَكَ ؛ ما أنا بأعجميةٍ .

قَالَ : فَمَنْ أَنتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا بِنتُ ضَمَرةَ بِنِ جَابِرٍ ، سَادَ مَعَدّاً كَابِراً عِن

<sup>(</sup>١) الأمثال (ص ٤٩) للقاسم بن سلام .

<sup>(</sup>۲) في « مجمع الأمثال » ( ۲٥٤/۲ ) : ( يبكيه ) .

كابرٍ ، وأنا أختُ ضمرة بنِ ضمرة ، قال : فمَنْ زوجُكِ ؟ قالَتْ : هوذة بنُ جرولٍ ، قال : وأينَ هو الآنَ ؟ أَمَا تعرفينَ مكانَهُ ؟ قالَتْ : هلذه كلمة أحمق ، لو كنتُ أعلمُ مكانَهُ حالَ بينَكَ وبيني ، قال : وأيُّ رجلٍ هوَ ؟ قالَتْ : هلذهِ أحمقُ مِنَ الأُولى ، أعن هوذة يُسأَلُ ؟ هوَ واللهِ طيبُ العرقِ ، قالَ : هنذهِ أحمقُ مِنَ الأُولى ، أعن هوذة يُسأَلُ ؟ هوَ واللهِ طيبُ العرقِ ، سمينُ العَرْقِ ، لا ينامُ ليلةَ يخافُ ، ولا يشبعُ ليلةَ يُضافُ ، يأكلُ ما وجدَ ، ولا يَسألُ عمّا فقدَ .

فقالَ عمرٌو: أَمَا واللهِ لولا أنِّي أَحافُ أَن تلدي مثلَ أبيكِ وأخيكِ وزوجِكِ . . لاستبقيتُكِ ، فقالَتْ : وأنتَ واللهِ لا تقتلُ إلَّا نساءً أعاليها ثُدِيٌّ ، وأسافلُها دُمِيٌّ ، واللهِ ؛ ما أدركتَ ثاراً ، ولا محوتَ عاراً ، وما مَنْ فعلتَ هاذهِ بهِ بغافلٍ عنكَ ، ومعَ اليومِ غدٌ ، فأمرَ بإحراقِها ، فلمَّا نظرَتْ إلى النارِ . . قالَتْ : ألا فتى مكانَ عجوزٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ مكثَتْ ساعةً ، فلم يُفدِها أحدٌ ، فقالَتْ هيهاتَ ، صارَتِ الفتيانُ حُمَماً ، فذهبت مثلاً ، ثمَّ ألقيتَتْ في النارِ .

ولبثَ عمرٌو عامَّةَ يومِهِ لا يَقدِرُ على أحدٍ ، حتى إذا كانَ في آخرِ النهارِ . . أقبلَ راكبٌ يُسمَّىٰ عمَّاراً تُوضَعُ بهِ راحلتُهُ ، حتى أناخَ إليهِ ، فقالَ لهُ عمرٌو : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا رجلٌ مِنَ البراجمِ ، قالَ : فما جاءَ بكَ إلينا ؟ قالَ : سطعُ الدخانِ ، وكنتُ قد طويتُ منذُ أيامٍ ، فظننتُهُ طعاماً ، فقالَ عمرٌو : إنَّ الشقيَّ وافدُ البراجمِ ، فذهبَت مثلاً ، وأمر بهِ فألقِيَ في النارِ ، فقالَ بعضُهُم : ما بلغَنا وأفدُ البراجمِ ، فذهبَت مثلاً ، وأمر بهِ فألقِيَ في النارِ ، فقالَ بعضُهُم : ما بلغَنا أنَّهُ أصابَ مِنْ بني تميمٍ غيرَهُ ، وإنَّما أحرقَ النساءَ والصبيانَ ، وفي ذلكَ يقولُ جريرٌ (١٠) :

وَأَخْزَاكُمُ عَمْرُو كَمَا قَدْ خَزِيتُمُ وَأَدْرَكَ عَمَّاراً شَقِيَّ ٱلْبَرَاجِمِ

<sup>(</sup>۱) انظر « دیوان جریر » ( ۱۰۰۷/۲ ) .

ولذُلكَ عُيِّرَتْ بنو تميمٍ بحبِّ الطعامِ ؛ لِمَا لقيَ هاذا الرجلُ ، قالَ الشاعرُ :

فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ أُوِ ٱلشَّيْءِ ٱلْمُلَفَّفِ فِي ٱلْبِجَادِ لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ بِخُبْنٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ تَصَرَاهُ يَنْ قُبُ ٱلْآفَاقَ حَوْلاً

## صُغراهُنَّ شُرَّاهُنَّ

ويرُوئ : صغراها شُرَّاها ، ويُروئ : مُرَّاها ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : امرأةٌ كانَتْ في زمنِ لقمانَ بنِ عادٍ ، وكانَ لها زوجٌ يُقالُ لهُ : الشَّجيُّ ، وخليلٌ يُقالُ لهُ : الشَّجيُّ ، وخليلٌ يُقالُ لهُ : الخَلِيُّ ، فنزلَ لقمانُ بهِم ، فرأى هاذهِ المرأة ذاتَ يومِ انتبذَتْ مِنْ بيوتِ الحيّ ، فارتابَ لقمانُ بأمرِها فتبعَها ، فرأى رجلاً عرضَ لها ، ومضيا جميعاً ، وقضيا حاجتَهُما ، ثمَّ إنَّ المرأة قالَتْ للرجلِ : إنِّي أتماوتُ ، فإذا أسندوني في رَجَمِي ، فأتني ليلاً فأخرجْني ، ثمَّ اذهبْ إلىٰ مكانٍ لا يَعرِفُنا أهلُهُ ، فلمَّا سمعَ لقمانُ ذلكَ . . قالَ : ويلٌ للشجيّ مِنَ الخليّ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ رجعَتِ المرأةُ إلى مكانِها ، وفعلَتْ ما قالَتْ ، فأخرجَها الرجلُ ، وانطلق بها أياماً إلى مكانٍ آخَرَ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ إلى الحيِّ بعدَ برهةٍ ، فبينا هي ذاتَ يومٍ قاعدةٌ . . مَرَّتْ بها بناتُها ، فنظرَتْ إليها الكبرىٰ ، فقالَتْ : أُمِّي واللهِ ، فقالَتِ الوسطىٰ : صدقتِ واللهِ ، قالَتِ المرأةُ : كذبتُما ، ما أنا لكُما بأمٍّ ، ولا لأبيكُما بامرأةٍ ، فقالَتْ لهُما الصُّغرىٰ : أما تعرفانِ محيَّاها ، وتَعلَّقَتْ بها ، وصرخَتْ ، بامرأةٍ ، فقالَتْ لهُما الصُّغرىٰ : أما تعرفانِ محيَّاها ، وتَعلَّقَتْ بها ، وصرخَتْ ، فقالَتِ الأُمُّ حينَ رأَتْ ذلكَ : صغراهُنَّ شُرَّاهن ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ إِنَّ الناسَ اجتمعوا ، فعرفوها ، فرفعوا القصَّةَ إلى لقمانَ بنِ عادٍ ،

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢٥٧/٢ \_ ٢٥٩ ) .

وقالوا له: اقضِ بيننا ، فلمّا نظرَ لقمانُ إلى المرأةِ .. عرفَها ، فقالَ : عندَ جهينةَ الخبرُ اليقينُ ـ يعني نفسَهُ ، وما عاينَ منها ـ فأخبرَ لقمانُ الزوجَ بما عرفَ ، وأقبلَ على المرأةِ فقصَّ عليها قصتَها كيف صنعَتْ ، وكيفَ قالَتْ لصديقِها ، فلمّا أتاها بما لا تُنكِرُ . قالَتْ : ما كانَ هاذا في حسابي ، فأرسلَتْها مثلاً ، فقيلَ للقمانَ : احكمْ فيها ، فقالَ : ارجموها كما رجمَتْ نفسَها في حياتِها ، فرُجِمَتْ ، فقالَ الشَّجيُّ : احكمْ بيني وبينَ الخليِّ ؛ فقد فرَّقَ بيني وبينَ أهلي ، فقالَ : يُفرَّقُ بينَ ذَكرِهِ وأُنثيَيهِ كما فرَّقَ بينكَ وبينَ أهلي ، فقالَ : يُفرَّقُ بينَ ذَكرِهِ وأُنثيَيهِ كما فرَّقَ بينكَ وبينَ أهلي ، فقالَ : يُفرَّقُ بينَ ذَكرِهِ وأُنثيَيهِ كما فرَّقَ بينكَ وبينَ أُنثاكَ ، فأُخِذَ الخَليُّ فجُبَّ ذَكرُهُ .

#### صحيفةُ المُتلمِّس

قالَ المُفضَّلُ: كانَ مِنْ حديثِها: أنَّ عمرَو بنَ المنذرِ بنِ امرئ القيسِ كانَ يُرشِّحُ أَخاهُ قابوسَ - وهُما لهندِ بنتِ الحارثِ بنِ عمرو الكنديِّ آكلِ المِرارِ - ليملكَ بعدَهُ ، فقدمَ عليهِ المُتلمِّسُ وطرفةُ ، فجعلَهُما في صحابةِ قابوسَ ، وأمرَهُما بلزومِهِ ، وكانَ قابوسُ شابًا يعجبُهُ اللَّهوُ ، وكانَ يركبُ يوماً في الصيدِ ، فيركضُ ويتصيَّدُ وهُما معَهُ يركضانِ حتى رجعا عشيةً وقد لغبا ، في الصيدِ ، فيركضُ ويتصيَّدُ وهُما معَهُ يركضانِ حتى رجعا عشيةً وقد لغبا ، فيكونُ قابوسُ مِنَ الغدِ في الشرابِ ، فيقفانِ ببابِ سرادقِهِ إلى العشيِّ ، وكانَ قابوسُ يوماً على الشرابِ ، فوقفا ببابِهِ النهارَ كلَّهُ ، ولم يصلا إليهِ ، فضجرَ طرفةُ وقالَ (۱) :

رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ وَضَرَّتُهَا مُركَّنَةٌ دَرُورُ وَتَعْلُوهَا ٱلْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ ٱلْمَلْكِ عَمْرٍو مِنَ ٱلزَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا يُشَارِكُنَا لَنَا رِخْلَانِ فِيهَا

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان طرفة بن العبد » ( ص ١٠١ ـ ١٠٣ ) .

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ ٱبْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكُ كَثِيرُ قَسَمْتَ ٱلدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِيٍ كَذَاكَ ٱلْحُكْمُ يُقْصَدُ أَوْ يَجُورُ لَنَا يَوْمٌ وَلِلْ كَرَوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ ٱلْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ وَأَمَّا يَوْمُ هُنَّ فَيَوْمُ سُوءٍ يُطَارِدُهُ فَنَ بِٱلْحَدَبِ ٱلصَّقُورُ وَأَمَّا يَوْمُ فَا فَنَظُلُّ رَكْباً وُقُوفاً مَا نَحُلُّ وَلَا نَسِيرُ وَأَمَّا يَـوْمُ فَا فَنَظَلُّ رَكْباً وُقُوفاً مَا نَحُلُّ وَلَا نَسِيرُ

وكانَ طرفةُ عدوًا لابنِ عمِّهِ عبدِ عمرو ، وكانَ كريماً على عمرو ابن هندٍ ، وكانَ سميناً بادناً ، فدخلَ معَ عمرو الحمَّامَ ، فلمَّا تَجرَّدَ . . قالَ عمرُو النُ سميناً بادناً ، فدخلَ معَ عمرو الحمَّامَ ، فلمَّا تَجرَّدَ . . قالَ عمرُو ابنُ هندٍ : لقد كانَ ابنُ عمِّكَ طرفةُ رآكَ حينَ قالَ ما قالَ ، وكانَ طرفةُ هجا عبدَ عمرو فقالَ (١) :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنى وَأَنَّ لَهُ كَشْحاً إِذَا قَامَ أَهْضَمَا تَظَلُّ نِسَاءُ ٱلْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمَا لَهُ شَرْبَتَانِ بِٱلْعَشِيِّ وَشَرْبَةٌ مِنْ ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ آضَ جَبْساً مُورَّمَا لَهُ شَرْبَتَانِ بِٱلْعَشِيِّ وَشَرْبَةٌ مِنَ ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ آضَ جَبْساً مُورَّمَا وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَعْمِرَ ٱلْمَحْضُ قَلْبَهُ فَإِنْ أَعْطَهُ أَتْرُكُ لِقَلْبِي مَحْثَمَا وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَعْمِرَ ٱلْمَحْضُ قَلْبَهُ فَإِنْ أَعْطَهُ أَتْرُكُ لِقَلْبِي مَحْثَمَا

فلمَّا قالَ لهُ ذلكَ . . قالَ عبدُ عمرِ و : إنَّهُ قالَ ما قالَ ، وأنشدَهُ : ( فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍ و ) ، فقالَ عمرٌ و : ما أُصَدِّقُكَ عليهِ ، وقد صَدَّقَهُ ، ولكنْ خافَ أن ينذرَهُ وتدركَهُ الرحمةُ ، فمكثَ غيرَ كثيرٍ ، ثمَّ دعا المُتلمِّس وطرفةَ ، فقالَ : لعلَّكُما قدِ اشتقتُما إلى أهلِكُما ، وسَرَّكُما أن تنصرفا ؟ قالا : نعم ، فكتبَ لهُما إلى أبي كربٍ عاملِهِ على هجرٍ أن يَقتلَهُما ، وأخبرَهُما أنّهُ قد كتبَ لهُما بحباءٍ ومعروفٍ ، وأعطى كلَّ واحدٍ منهُما شيئاً ، فخرجا .

وكانَ المُتلمِّسُ قد أسنَّ ، فمرًّا بنهرِ الحِيرةِ على غلمانٍ يلعبونَ ، فقالَ

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » ( ص ٩٩ ـ ١٠٠ ) .

المُتلمِّسُ: هل لكَ في كتابينا ، فإن كانَ فيهِما خيرٌ . . مضينا لهُ ، وإن كانَ شهِما خيرٌ . . اتقيناهُ ، فأبئ طرفةُ عليهِ ، فأعطى المُتلمِّسُ كتابَهُ بعضَ الغلمانِ ، فقرأَهُ عليهِ ، فإذا فيهِ السوءةُ ، فألقى كتابَهُ في الماءِ ، وقالَ لطرفةَ : أطعْني وألقِ كتابَكُ ، فأبى طرفةُ ومضى بكتابِهِ ، قالَ : ومضى المُتلمِّسُ حتى لحقَ بملوكِ بني جفنةَ بالشام ، وقالَ المُتلمِّسُ في ذلكَ : [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ ٱلشُّعَرَاءِ عَنْ أَحَوَيْهِمِ نَبَأَ فَتَصْدُقَهُمْ بِذَاكَ ٱلْأَنْفُسُ أُودَى ٱلَّذِي عَلِقَ ٱلصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ ٱلْمُتَلَمِّسُ أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتُ كُورَهُ وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ ٱلْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتُ كُورَهُ وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ ٱلْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ عَيْرَانَةٌ طَبَخَ ٱلْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا فَكَأَنَّ نُقْبَتَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ عَيْرَانَةٌ طَبَخَ ٱلْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا فَكَأَنَّ نُقْبَتَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ أَلْقِ العَامِلُ وَقَلَهُ .

وروى عبيدٌ راويةُ الأعشىٰ قالَ: حدَّثَني الأعشىٰ قالَ: حدَّثَني المُتلمِّسُ وروىٰ عبيدٌ راويةُ الأعشىٰ قالَ: قدمتُ أنا وطرفةُ بنُ العبدِ علىٰ عمرِو اسمهُ عبدُ المسيحِ بنُ جريرٍ - قالَ: قدمتُ أنا وطرفةُ بنُ العبدِ علىٰ عمرِو ابنِ هندٍ ، وكانَ طرفةُ غلاماً مُعجَباً تائهاً ، فجعلَ يتخلَّجُ في مشيهِ بينَ يدَيهِ ، فنظرَ إليهِ نظرةً كادَتْ تَقتلعُهُ مِنْ مجلسِهِ ، وكانَ عمرُو لا يَتبسَّمُ ولا يضحكُ ، وكانَتِ العربُ تُسمِّيهِ : مُضَرِّطَ الحجارةِ ؛ لشدَّةِ ملكِهِ ، وملكَ يضحكُ ، وكانَتِ العربُ تُسمِّيهِ : مُضَرِّطَ الحجارةِ ؛ لشدَّةِ ملكِهِ ، وملكَ ثلاثاً وخمسينَ سنةً .

وكانَتِ العربُ تهابُهُ هيبةً شديدةً ، وهوَ الذي يقولُ لهُ الذهابُ العجليُّ ؟ واسمُهُ مالكُ بنُ جندلِ بنِ سلمةَ ، من بني عجلٍ ، ولُقِّبَ بالذهابِ لقولِهِ : [من الطويل]

وَمَا سَيْرُهُنَّ إِذْ عَلَوْنَ قُرَاقِراً بِنِي أَمَمٍ وَلَا ٱلنَّهَابُ ذَهَابُ

[ قالَ ] :

[ من الطويل ]

أَبَى ٱلْقَلْبُ أَنْ يَأْتِي ٱلسَّدِيرَ وَأَهْلَهُ وَإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بِٱلسَّدِيرِ غَرِيرُ بَالسَّدِيرِ غَرِيرُ بِهُ الْبَقُ وَٱلْثُرَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَعَمْرُو ٱبْنُ هِنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ بِهِ ٱلْبَقُ وَٱلْثُرَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَجُورُ

قالَ المُتلمِّسُ: فقلتُ لطرفةَ حينَ قمنا: يا طرفةُ ؛ إنِّي أخافُ عليكَ مِنْ نظرتِهِ إليكَ معَ ما قلتَ لأخيهِ ، قالَ: كلَّا ، قالَ: فكتبَ إلى المُكعبرِ وكانَ عاملَهُ على البحرينِ وعُمانَ \_ لي كتاباً ولطرفةَ كتاباً ، فخرجنا ، حتى إذا هبطنا بذي الركابِ مِنَ النجفِ . . إذا أنا بشيخٍ عن يساري يَتبرَّزُ ومعَهُ كسرةٌ يأكلُها ويقصعُ القملَ ، فقلتُ : تاللهِ إن رأيتُ شيخاً أحمقَ وأضعفَ وأقلَّ عقلاً منكَ !! قالَ : ما تنكرُ ؟ قلتُ : تَتبرَّزُ وتأكلُ وتقصعُ القملَ !! قالَ : أخرِجُ خبيثاً ، وأُدخِلُ طيِّباً ، وأقتلُ عدواً ، وأحمقُ منِّي وألأمُ حاملُ حتفِهِ بيمينِهِ لا يدري ما فيهِ ، فنبَّهني ، وكأنَّما كنتُ نائماً ، فإذا أنا بغلام مِنْ أهلِ الحِيرةِ يسقي غُنيمةً لهُ مِنْ نهرِ الحِيرةِ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ أتقرأُ ؟ قالَ : نعم ، قلتُ : اقرأ ، فإذا فيهِ : باسمِكَ اللهمَّ ، مِنْ عمرِو ابنِ هندٍ ، إلى المُكعبرِ ، إذا قلتُ كتابي هنذا معَ المُتلمِّسِ . . فاقطعْ يدَيهِ ورجليهِ ، وادفنهُ حَيّاً ، فألقيتُ الطَّعَ في النهرِ ، وذلكَ حينَ أقولُ (١٠) :

أَلْقَيْتُهَا بِٱلثِّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَٰلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ رَضِيتُ لَهَا لَمَّا رَأَيْتُ مِدَادَهَا يَجُولُ بِهِ ٱلتَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدُولِ

وقلتُ : يا طرفةُ ؛ معَكَ واللهِ مثلُها ، قالَ : كلَّا ، ما كانَ ليكتبَ بمثلِ ذلكَ في عقرِ دارِ قومي ، فأتى المكعبرَ ، فقطعَ يدَيهِ ورجلَيهِ ، ودفنَهُ حيّاً .

يُضرَبُ لَمَنْ يسعى بنفسِهِ في حَيْنِها ويُغرِّرُها (٢).

<sup>(1)</sup> انظر « ديوان المتلمس الضبعي » ( ص ٦٥  $_{-}$  ٦٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «مجمع الأمثال» ( ٢٦٧/٢ \_ ٢٧٠ ) .

## طالَ الأبدُ على لُبَدٍ

يعنونَ: آخرَ نسورِ لقمانِ بنِ عادٍ ، وكانَ قد عُمِّرَ عُمُرَ سبعةِ أنسرٍ ، وكانَ يأخذُ فرخَ النسرِ فيجعلُهُ في جوبةٍ في الجبلِ الذي هوَ في أصلِهِ ، فيعيشُ الفرخُ خمسَ مئةِ سنةٍ أو أقلَّ أو أكثرَ ، فإذا ماتَ . . أخذَ آخرَ مكانَهُ ، حتى الفرخُ خمسَ مئةً الله الله عنه أو أقلَّ أو أكثرَ ، فإذا ماتَ . . أخذَ آخرَ مكانَهُ ، حتى هلكَتْ كلُّها إلَّا السابعَ ، أخذَهُ فوضعهُ في ذلكَ الموضع وسمَّاهُ [لُبداً] ، وكانَ أطولَها عُمُراً ، فضربَتِ العربُ بهِ المثلَ ، فقالوا : طالَ الأبدُ على لُبدٍ ، قالَ الأعشى :

وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَلْهَیْتَ قَیْلاً بِکَاسِهِ لِنَفْسِكَ أَنْ تَخْتَارَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ لِنَفْسِكَ أَنْ تُخْتَارَ سَبْعَةَ أَنْسُرِ فَعُمِّرَ حَتَّیٰ خَالَ أَنَّ نُسُورَهُ

وَلُقْمَانَ إِذْ خَيَّرْتَ لُقْمَانَ فِي ٱلْعُمْرِ إِذَا مَا مَضَىٰ نَسْرٌ خَلَوْتَ إِلَىٰ نَسْرِ خُلُودٌ وَهَلْ تَبْقَى ٱلنَّفُوسُ عَلَى ٱلدَّهْرِ

فعاشَ لقمانُ \_ زعموا \_ ثلاثةَ آلافٍ وخمسَ مئةِ سنةٍ ، قالَ النابغةُ (١) :

أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ

[ من الكامل ]

رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَكَانَ غَيْرَ مُثَقَّلِ
رَفْعَ ٱلْقَوَادِمَ كَٱلْفَقِيرِ ٱلْأَعْزَلِ
وَلَعَ الْقَدْ يَرَىٰ لُقْمَانُ أَلَّا يَأْتَلِي

وقالَ لبيدٌ <sup>(۲)</sup> :

وَلَقَدْ جَرَىٰ لُبَدٌ فَأَدْرَكَ جَرْيَهُ لَمَّا رَأَىٰ لُبَدُ ٱلنُّسُورَ تَطَايَرَتْ مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانُ يَرْجُو نَهْضَهُ

قالَ أبو عبيدة : هوَ لقمانُ بنُ عاديا بنِ لجينِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرمَ بنِ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ١٦ ) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه : أَضْحَتْ خَلاءً وَأَضْحَىٰ أَهْلُهَا ٱحْتَمَلُوا أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ

سامِ بنِ نوحٍ ، كأنّه جعلَ عادياً وعاداً اسمَيْ رجلٍ ، والعربُ تزعمُ أنّ لقمانَ خُيِّرَ بينَ بقاءِ سبعِ بعراتٍ سُمْرٍ مِنْ أظبٍ عُفْرٍ في جبلٍ وعرٍ لا يمسّها القطرُ ، وبينَ بقاءِ سبعةِ أنسرٍ ، كلّما هلكَ نسرٌ . . خلفَ بعدَهُ نسرٌ ، فاستحقرَ الأبعارَ ، واختارَ النسورَ ، فلمّا لم يبقَ غيرُ السابعِ . . قالَ ابنُ أخٍ لهُ : يا عمُّ ؛ ما بقيَ مِنْ عمرِكَ إلّا عمرُ هاذا ، فقالَ لقمانُ : هاذا لُبدٌ ولبدٌ بلسانِهِم : الدَّهرُ ، فلمّا انقضىٰ عمرُ لُبدٍ . . رآهُ لقمانُ واقعاً ، فناداهُ : انهضْ لُبدُ ، فذهبَ لينهضَ فلم يستطعْ ، فسقطَ وماتَ ، وماتَ لقمانُ معَهُ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، فقيلَ : طالَ الأبدُ على لُبدٍ ، وأتى أبدٌ على لبدٍ (١) .

## أظنُّ ماءَكُم هاذا ماءَ عِناقٍ

قالوا: كانَ مِنْ حديثِهِ: أنَّ رجلاً بينا هوَ يستقي وبيتُهُ تِلقاءَ وجهِهِ، فنظرَ فإذا هوَ برجلٍ معانقِ امرأتَهُ يُقبِّلُها، فأخذَ العصا وأقبلَ مسرعاً لا يَشُكُّ فيما رأى ، فلمَّا رأتُهُ امرأتُهُ . . جعلَتِ الرجلَ في خالفةِ البيتِ بينَ الخالفةِ والمتاعِ ، فنظرَ يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً ، وخرجَ فنظرَ في الأرضِ فلم يرَ شيئاً ، فكذَّب بصرَهُ ، فقالَتِ المرأةُ كأنَّها تريهِ أنَّها قدِ استنكرَتْ مِنْ أمرِهِ شيئاً : ما دهاكَ با أبا فلانٍ ؟ أرعبَكَ شيءٌ ؟ فكتمَها الذي رأى ، ومضى لحاجتِهِ .

فلمًّا كانَ في الوردِ الثاني . . قالَتْ : يا أبا فلانِ ؛ هل لكَ أن أكفيكَ السَّقيَ وتُودِّعَ اليومَ ؟ فإنِّي قد أشفقتُ عليكَ ، قالَ : نعم ، إن شئتِ ، فأقامَ في المنزلِ ، فانطلقَتْ تسقي وتَحَيَّنَتْ منهُ غفلةً ، فأخذَتِ العصا ثمَّ أقبلَتْ حتى تفلقَ بها رأسَهُ فشَجَّتُهُ ، فقالَ : ويلَكِ !! ما لكِ وما دهاكِ ؟! قالَتْ : وما دهاني يا فاسقُ ، أينَ المرأةُ التي كانَتْ معَكَ تعانقُها ؟! فقالَ : لا واللهِ ما كانَتْ عندي امرأةٌ وما عانقتُ اليومَ امرأةً ، قالَتْ : بليٰ ، أنا نظرتُ إليها

<sup>(</sup>۱) انظر « مجمع الأمثال » (  $\Upsilon \lor \Upsilon \lor \Upsilon \lor$  ) .

بعيني وأنا على الماءِ ، فتحالفَها ، فلمَّا أكثرَتْ . . قالَ : إن تكوني صادقةً . . فإنَّ ماءَكُم هلذا ماءُ عِناقِ .

يُضرَبُ مثلاً في الدواهي ، قالَهُ أبو عمرو ، وروى غيره أ : عَناقٌ بفتحِ العينِ ، وقالَ : العَناقُ والعَناقة أ : الخَيبة ، وأنشدَ : [من الوافر]

سَرَىٰ لَكَ بِٱلْعَنَاقَةِ مِنْ سُعَادٍ خَيَالٌ فَٱجْتَنَىٰ ثَمَرَ ٱلْفُؤَادِ

وهُما مستعارانِ للخيبةِ والأمرِ المظلمِ ؛ مِنْ عَناقِ الأرضِ ، ومنهُ قولُهُم : لقيتُ منهُ أُذنَيْ عَناقِ ؛ لأنَّهُما مسودانِ ، ولا يفارقُهُما السوادُ (١) .

# عندَ الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرَىٰ

قالَ المُفضَّلُ: إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذلكَ: خالدُ بنُ الوليدِ؛ لمَّا بعثَ إليهِ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما وهوَ باليمامةِ: أن سِرْ إلى العراقِ ، فأرادَ سلوكَ المفازةِ ، فقالَ لهُ رافعٌ الطائيُّ : قد سلكتُها في الجاهليةِ ؛ هيَ خمسٌ للإبلِ الواردةِ ، ولا أظنُّكَ تَقدِرُ عليها إلَّا أن تَحمِلَ مِنَ الماءِ ، فاشترىٰ مئةَ شارفٍ ، فعَطَّشَها ، ثمَّ سقاها الماءَ حتىٰ رَوِيَتْ ، ثمَّ كتبَها وكعمَ أفواهَها ، ثمَّ سلكَ المفازةَ ، حتىٰ إذا مضىٰ يومانِ وخافَ العطشَ على الناسِ والخيلِ ، وخشيَ أن يذهبَ ما في بطونِ الإبلِ . . نحرَ الإبلَ ، واستخرجَ ما في بطونِها ومضىٰ .

فَلمَّا كَانَ في الليلةِ الرابعةِ . . قالَ رافعٌ : انظروا هل ترون سدراً عظيماً ؟ فإن رأيتمُوها ، وإلَّا . . فهوَ الهلاكُ ، فنظرَ الناسُ ، فرأَوُا السدرَ ، فأخبروهُ ، فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناسُ ، ثم هجموا على الماءِ ، فقالَ خالدٌ : [من مشطور الرجز]

لِللهِ دَرُّ رَافِ عِ أَنَّى ٱهْ تَ دَي

<sup>(</sup>١) في هامش نسخة الأصل : ( عناق الأرض : دابة سوداء ) ، وانظر « مجمع الأمثال » ( ٣٥٧/٢ ـ ٣٥٨ ) .

فَ وَ مِنْ قُراقِ إِلَى سُوى خَمْساً إِذَا سَارَ بِهِ ٱلْجَيْشُ بَكَىٰ مَا سَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ إِنْسُ يُرَىٰ عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلسُّرَىٰ وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ ٱلْكَرَىٰ يُضرَبُ للرجلِ يَحتمِلُ المَشقَّةَ رجاءَ الراحةِ (۱).

## عندَ جُهَينةَ الخبرُ اليقينُ

قالَ هشامُ بنُ الكلبيّ : كانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّ حصينَ بنَ عمرِو بنِ معاويةَ بنِ كلابٍ خرجَ ومعَهُ رجلٌ مِنْ جُهَينةَ يُقالُ لهُ : الأخنسُ بنُ كعبٍ ، وكانَ الأخنسُ قد أحدثَ في قومِهِ حدثاً ، فخرجَ هارباً ، فلقيهُ الحصينُ ، فقالَ لهُ : مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فقالَ لهُ الأخنسُ : بل مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فردَّدَ هذا القولَ حتى قالَ الأخنسُ : أنا الأخنسُ بنُ كعبٍ ، فأخبرْني مَنْ أنتَ ، وإلا . . أنفذتُ قلبَكَ بهاذا السِّنانِ ، فقالَ لهُ الحصينُ : أنا الحصينُ بنُ عمرٍ و وإلا . . أنفذتُ قلبَكَ بهاذا السِّنانِ ، فقالَ لهُ الحصينُ : أنا الحصينُ بنُ عمرٍ و فما الذي تريدُ ؟ قالَ : خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ : وأنا خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ : وأنا خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ : وأنا خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ : وكلاهُما غشيرتِكَ أو عشيرتي إلَّا سلبناهُ ؟ قالَ : نعم ، فتعاقدا علىٰ ذلكَ ، وكلاهُما فاتكٌ يُحذَرُ صاحبَهُ .

فلقيا رجلاً ، فسلباهُ ، فقالَ لهُما : هل لكما أن تردًّا عليَّ بعضَ ما أخذتُما

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٣٦٩/٢ \_ ٣٧٠ ) .

منِّي وأدلَّكُما على مغنم ؟ قالا: نعم ، فقالَ: هاذا رجلٌ مِنْ لخم قد قدمَ مِنْ عندِ بعضِ الملوكِ بمغنم كثيرٍ ، وهوَ خلفي في موضع كذا وكذا ، فردًا عليه بعض مالِه وطلبا اللخميَّ ، فوجداهُ نازلاً في ظلِّ شجرةٍ وقدامَهُ طعامٌ وشرابٌ ، فحيياهُ وحيَّاهُما ، وعَرَضَ عليهِما الطعامَ ، فكرهَ كلُّ واحدٍ أن ينزلَ قبلَ صاحبِهِ فيفتكَ بهِ ، فنزلا جميعاً ، فأكلا وشربا معَ اللخميّ .

ثمَّ إنَّ الأخنسَ ذهبَ لبعضِ شأنِهِ ، فرجعَ واللخميُّ يَتشحَّطُ في دمِهِ ، فقالَ الجهنيُّ \_ وهوَ الأخنسُ \_ وسلَّ سيفَهُ ؛ لأنَّ سيفَ صاحبِهِ كانَ مسلولاً : ويحَكَ ويحَكَ !! فتكتَ برجلٍ قد تحرَّمْنا بطعامِهِ وشرابِهِ ، فقالَ : اقعدْ يا أخا جُهَينةَ ، فلهاذا وشبهِهِ خرجنا ، فشربا ساعةً وتحدَّثا .

ثمّ إنّ الحصين قال : يا أخا جُهينة ؛ أتدري ما [صعلة وما صَعْلٌ] ؟ قالَ الجهنيّ الجهنيّ : هاذا يومُ شربٍ وأكلٍ ، فسكت الحصين ، حتى إذا ظنّ أنّ الجهنيّ قد نسي ما يُرادُ بهِ . قال : يا أخا جهينة : هل أنت للطيرِ زاجرٌ ، قال : وما ذاك ؟ قال : ما تقولُ هاذهِ العُقابُ الكاسرُ ، قالَ الجهنيُّ : وأينَ تراها ؟ قال : هي ذِهِ ، وتطاولَ ورفعَ رأسَهُ إلى السماءِ ، فوضعَ الجهنيُّ بادرة السيفِ في نحرِهِ فقالَ : أنا الزاجرُ والناحرُ ، واحتوىٰ علىٰ متاعِهِ ومتاعِ اللخميّ ، وانصرفَ راجعاً إلىٰ قومِهِ .

فمرَّ ببطنينِ مِنْ قيسٍ يُقالُ لهُما: مراحٌ وأنمارٌ ، فإذا هوَ بامرأةٍ تَنشُدُ الحصينِ ، الحصينَ بنَ سبيعٍ ، فقالَ لها: مَنْ أنتِ ؟ قالَتْ: أنا صخرةُ امرأةُ الحصينِ قالَ: أنا قتلتُهُ ، أَمَا لو لم يكنِ الحيُّ قالَ: أنا قتلتُهُ ، فقالَتْ كذبتَ ، ما مثلُكَ يقتلُ مثلَهُ ، أَمَا لو لم يكنِ الحيُّ خلواً . ما تكلَّمتَ بهاذا ، فانصرفَ إلىٰ قومِهِ ، فأصلحَ أمرَهُم ، ثمَّ جاءَهُم فوقفَ حيث يُسمِعُهُم وقالَ :

وَكَمْ مِنْ ضَيْغَمٍ وَرْدٍ هَمُوسٍ أَبِي شِبْلَيْنِ مَسْكَنُهُ ٱلْعَرِينُ

عَلَوْتُ بَيَاضَ مَفْرِقِهِ بِعَضْبٍ فَأَضْحَىٰ فِي ٱلْفَلَاةِ لَهُ سُكُونُ وَأَضْحَتْ عِرْسُهُ وَلَهَا عَلَيْهِ بُعَيْدَ [هُدُوءِ لَيْلَتِهَا رَنِينُ] وَأَضْحَتْ عِرْسُهُ وَلَهَا عَلَيْهِ بُعَيْدَ [هُدُوءِ لَيْلَتِهَا رَنِينُ] وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَا تَزْدَرِيهِ إِذَا شَخَصَتْ لِمَوْقِعِهِ ٱلْعُيُونُ وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَا تَزْدَرِيهِ وَأَنْ مَارٍ وَعِلْمُهُ مَا ظُنُونُ كَصَخْرَةَ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحٍ وَأَنْ مَارٍ وَعِلْمُهُ مَا ظُنُونُ تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنْ خُعَيْدِي لِصَاحِبِهِ ٱلْبَيَانُ ٱلْمُسْتَبِينُ فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنْهُ فَعِنْدِي لِي الصَاحِبِهِ ٱلْبَيَانُ ٱلْمُسْتَبِينُ جُهَيْنَةُ مَعْشَرِي وَهُمُ مُلُوكٌ إِذَا طَلَبُوا ٱلْمَعَالِي لَمْ يَهُونُوا إِذَا طَلَبُوا ٱلْمَعَالِي لَمْ يَهُونُوا

قالَ الأصمعيُّ وابنُ الأعرابيِّ : هوَ جُفينةُ بالفاءِ ، وكانَ عندَهُ خبرُ رجلٍ مقتولٍ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ : [من الوافر]

تُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلَّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُفَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

قالَ: فسألوا جفينة ، فأخبرَهُم خبرَ القتيلِ ، وقالَ بعضُهُم: هوَ حُفينةُ بالحاءِ المهملةِ .

يُضرَبُ في معرفةِ الشيءِ حقيقةً (١).

## العاشيةُ تُهَيِّجُ الآبيةَ

يُقالُ: عشوتُ في معنىٰ تَعشَّيتُ ، وغدوتُ في معنىٰ تَغدَّيتُ ، ورجلٌ عشيانُ ؛ أي: مُتعشِّ ، وقالَ ابنُ السكيتِ : عَشِيَ الرجلُ ، وَعَشِيَتِ الإبلُ تَعشَىٰ عشى ؛ إذا تَعشَّتْ ، قالَ أبو النجمِ (٢) : [من مشطور الرجز]

يَعْشَىٰ إِذَا أَظْلَمَ عَنْ عَشَائِهِ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢٧٠/٢ \_ ٢٧٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبي النجم العجلي » (ص ٦٧).

يقولُ: يَتعشَّىٰ وقتَ الظلمةِ ، قالَ المُفضَّلُ: خرجَ السليكُ بنُ السلكةِ ، واسمُهُ الحارثُ بنُ عمرِ وبنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم ، وكانَ أنكرَ العربِ وأشعرَهُم ، وكانَتُ أُمُّهُ أَمَةً سوداءَ ، وكانَ يُدعىٰ سليكَ المقانبِ ، وكانَ أدلَّ الناسِ وكانَتُ أُمُّهُ أَمَةً سوداءَ ، وكانَ يُدعىٰ سليكَ المقانبِ ، وكانَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ بالأرضِ ، وأعداهُم علىٰ رجلِهِ ، لا تعلقُ بهِ الخيلُ ، وكانَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ تُهيِّئُ ما شئتَ لِمَا شئتَ إذا شئتَ ، إنِّي لو كنتُ ضعيفاً . . لكنتُ عبداً ، ولو كنتُ امرأةً . . لكنتُ أمَةً ، اللهمَّ ؛ إني أعوذُ بكَ مِنَ الخيبةِ ، فأمَّا الهيبةُ . . فلا هيبةَ ؛ أي : لا أهابُ أحداً .

زعموا أنّه خرج يريد أن يغير في ناس مِنْ أصحابِهِ ، فمرَّ على بني شيبانَ في ربيع والناسُ مُخصِبونَ في عشيَّةٍ فيها ضبابٌ ومطرٌ ، فإذا هو ببيتٍ قدِ انفردَ مِنَ البيوتِ عظيمٍ وقد أمسىٰ ، فقالَ لأصحابِهِ : كونوا بمكانِ كذا وكذا حتىٰ آتي هاذا البيت ، فلعلِّي أصيبُ خيراً أو آتيكم بطعامٍ ، فقالوا لهُ : افعلْ ، فانطلق إليهِ ، وجَنَّ عليهِ الليلُ ، فإذا البيتُ بيتُ يزيدَ بنِ رويمٍ الشيبانيِّ ، وإذا الشيخُ وامرأتُهُ بفِناءِ البيتِ ، فاحتالَ سليكُ حتىٰ دخلَ البيتَ مِنْ مُؤخرِهِ ، فلم يلبثُ أن أراحَ ابنُ الشيخِ بإبلِهِ في الليلِ ، فلمًا رآهُ الشيخُ . . غضبَ وقالَ : يلبثُ أن أراحَ ابنُ الشيخِ عابلِهِ في الليلِ !! فقالَ ابنهُ : إنّها أبتِ العشاءَ ، فقالَ يزيدُ : إنّ العاشيةَ [ تهيّجُ ] الآبيةَ ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ نفضَ الشيخُ ثوبَهُ في وجهِها ، فرجعَتْ إلى مراتعِها ، وتبعَها الشيخُ حتى مالَتْ لأدنى روضةٍ ، فرتعَتْ فيها ، وقعدَ الشيخُ عندَها يَتعشَّىٰ وقد خنسَ وجهَهُ في ثوبِهِ مِنَ البردِ ، وتبعَهُ السليكُ [حينَ] رآهُ انطلقَ ، فلمَّا رآهُ مُغترًا . . ضربَهُ مِنْ ورائِهِ بالسيفِ ، فأطارَ رأسَهُ ، وأطردَ إبلَهُ ، وقد بقي أصحابُ السليكِ وقد ساءَ ظنَّهُم وخافوا عليه ، فإذا بهِ يطردُ الإبلَ فأطردُوها معَهُ ، فقالَ سليكُ في ذلك :

وَعَاشِيَةٍ [رُخِّ] بِطَانٍ ذَعَرْتُهَا بِصَوْتِ قَتِيلٍ وَسْطَهَا يَتَسَيَّفُ

أي: يُضرَبُ بالسيفِ.

كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنَ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ إِذَا مَا أَتَاهُ صَارِخٌ مُتَلَهِ فُ يَالَةً فَ يَالَّةً فَ يَرِيدُ بقولِهِ : ( لونَ بردٍ مُحبَّرٍ ) : طرائقَ الدمِ على القتيلِ ، وبالصارخِ : الباكيَ المُتحزِّنَ لهُ .

فَبَاتَ لَهَا أَهْلٌ خَلاَءٌ فِنَاؤُهُمْ وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا أَي اللهُ عَلَيْهُ اللهُ أَي اللهُ عَلَيْهِا : أَيُقتَلُ هَاذَا أَو يَسلَمُ .

وَبَاتُوا يَظُنُّونَ ٱلظُّنُونَ وَصُحْبَتِي إِذَا مَا عَلَوْا نَشْزاً أَهَلُّوا وَأَوْجَفُوا أَي غَلَوْا نَشْزاً أَهَلُّوا وَأَوْجَفُوا أَي : حملوها على الوجيفِ ؛ وهوَ ضربٌ مِنَ السير .

وَمَا نِلْتُهَا حَتَّىٰ تَصَعْلَكْتُ حِقْبَةً وَكِدْتُ لِأَسْبِابِ ٱلْمَنِيَّةِ أَعْرِفُ أي: أصبرُ.

وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ ٱلْجُوعَ بِٱلصَّيْفِ ضَرَّنِي إِذَا قُمْتُ يَغْشَانِي ظِلَالٌ فَأَسْدِفُ

خصَّ الصيفَ دونَ الشتاءِ ؛ لأنَّ بالصيفِ لا يكادُ يجوعُ أحدٌ ؛ لكثرةِ اللبنِ ، فإذا جاعَ هوَ . . دلَّ على أنَّهُ كانَ لا يملكُ شيئاً ، وقولُهُ : ( أسدفُ ) يريدُ : أدورُ فأدخلُ في السدفةِ ؛ وهيَ الظلمةُ ؛ يعني : يظلمُ بصري مِنْ شدةِ الجوع .

يُقالُ: إنَّهُ كَانَ افتقرَ حتىٰ لم يبقَ عندَهُ شيءٌ ، فخرجَ علىٰ رجلَيهِ رجاءَ أن يصيبَ غرةً مِنْ بعضِ مَنْ يمرُّ عليهِ فيذهبَ بإبلِهِ ، حتىٰ إذا أمسىٰ في ليلةٍ مِنْ ليالي الشتاء باردة مقمرة . . اشتملَ الصَّمَّاءَ ؛ وهوَ أن يَرُدَّ فضلَ ثوبِهِ علىٰ عضدِهِ اليمنىٰ ثمَّ ينامَ عليها ، فبينا هوَ نائمٌ . . إذ جثمَ عليهِ رجلٌ ، فقالَ لهُ: استأسرْ ، فرفعَ سليكٌ رأسَهُ وقالَ : الليلُ طويلٌ وأنتَ مقمرٌ ، فذهبَ قولُهُ مثلاً ، ثمَّ جعلَ الرجلُ يلهزُهُ ويقولُ : يا خبيثُ ؛ استأسرْ ، فلمَّا آذاهُ . . أخرجَ

سليكٌ يدَهُ فضمَّ الرجلَ ضمَّةً ضرطَ منها ، فقالَ : أضرطاً وأنتَ الأعلىٰ ؟ فذهبَتْ مثلاً ، وقد ذكرتُهُ في بابِ الضادِ .

ثمَّ قالَ لهُ سليكُ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا رجلٌ افتقرتُ ، فقلتُ لأخرجَنَّ فلا أرجعُ حتى أستغني ، قالَ : فانطلقْ معي ، فانطلقا ، حتى وجدا رجلاً قصتُهُ مثلُ قصتِهِما ، فاصطحبوا جميعاً ، حتى أتوا الجوف جوف مراد الذي باليمنِ ، إذا نَعَمٌ قد ملاً كلَّ شيءٍ مِنْ كثرتِهِ ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقُهُم الحيُّ ، فقالَ لهُما سليكُ : كونا قريباً حتى آتي الرعاءَ ، فأعلمَ لكما علمَ الحيِّ أقريبُ هم أم بعيدٌ ، فإن كانوا قريباً . . رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً . . قلتُ لكما قولاً أجيءُ بهِ لكما فأغيرا .

فانطلق ، حتى أتى الرعاء فلم يزلْ يَتسقَّطُهُم حتى أخبروهُ بمكانِ الحيِّ ، فإذا هم بعيدٌ ، إن طلبوا . لم يدركوا ، فقالَ السليكُ : ألا أُغنِّيكُم ؟ قالوا : بلى ، فتغنَّى بأعلى صوتِهِ :

يَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَا حَيَّ بِٱلْوَادِي إِلَّا عَبِيدٌ وَآمٍ بَيْنَ أَذْوَادِ أَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَا حَيَّ بِٱلْوَادِي أَمْ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لِلْغَادِي أَتُنْظِرَانِي قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَمْ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لِلْغَادِي

الوآمُ: الوفاقُ والمباهاةُ (١) ، فلمَّا سمعا ذلكَ . . أتياهُ ، فأطردوا الإبلَ ، فذهبوا بها ، ولمْ يبلغ الصريخُ الحيَّ حتى مضَوْا بما معَهُم (٢) .

### في بيتِهِ يُؤتى الحكمُ

هلذا ممَّا زعمَتِ العربُ عن ألسنِ البهائمِ ؛ قالوا : إنَّ الأرنبَ التقطَتْ

<sup>(</sup>١) لعل شرح الكلمة سبق قلم ؛ لأن المراد : ( الآم ) جمع ( أُمّةٍ ) وهي المملوكة خلاف الحرة ، كما في

<sup>«</sup> لسان العرب » ( ٤٥/١٤ ) ، لا كما شرحه المؤلف رحمه الله تعالىٰ .

<sup>(</sup>۲) انظر « مجمع الأمثال » ( ۳۸۱/۲ \_ ۳۸۶ ) .

تمرة ، فاختلسَها الثعلبُ فأكلَها ، وانطلقا يختصمانِ إلى الضَّبِ ، فقالَتِ الأرنبُ : يا [ أبا ] الحِسْلِ ؛ فقالَ : سميعاً دعوتِ ، قالَتْ : أتيناكَ لنختصمَ الأرنبُ ، قالَ : عادلاً حَكَّمتُما ، قالَتْ : فاخرِجْ إلينا ، قالَ : في بيتِهِ يُؤتى اليكَ ، قالَ : عادلاً حَكَّمتُما ، قالَتْ : فاخرِجْ إلينا ، قالَ : في بيتِهِ يُؤتى الحَكَمُ ، قالَتْ : إنِّي وجدتُ تمرة ، قالَ : حلوةً فكليها ، قالَتْ : فاختلسَها التعلبُ : قالَ : لنفسِهِ بغى الخيرَ ، قالَتْ : فلطمتُهُ ، قالَ : بحقِّكِ أخذتِ ، قالَتْ : فلطمتُه ، قالَ : بحقِّكِ أخذتِ ، قالَتْ : فلقضِ بينَنا ، قالَ : قد قضيتُ ، قالَتْ : فلقضِ بينَنا ، قالَ : قد قضيتُ ، فذهبَتْ أقوالُهُ كلُها أمثالاً .

قلتُ (۱): وممَّا يشبهُ هاذا ما حُكِي : أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ لمَّا تَوجَّهَ مِنَ الحجازِ إلى أطرافِ العراقِ . . دخلَ عليهِ عبدُ المسيحِ بنُ عمرِو بنِ نفيلة ، فقالَ لهُ خالدٌ : أينَ أقصى أثرِكَ ؟ قالَ : ظهرُ أبي ، قالَ : مِنْ أينَ خرجتَ ؟ قالَ : مِنْ بطنِ أُمِّي ، قالَ : على الأرضِ ، قالَ : فيمَ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ بطنِ أُمِّي ، قالَ : فيمَ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ خلفِي ، قالَ : أينَ تريدُ ؟ قالَ : في ثيابي ، قالَ : فمِنْ أينَ أقبلتَ ؟ قالَ : مِنْ خلفِي ، قالَ : أينَ تريدُ ؟ قالَ : أمامي ، قالَ : أبنُ كم أنتَ ؟ قالَ : ابنُ رجلٍ واحدٍ ، قالَ : أتعقلُ أنتَ ، قالَ : نعم ، وأقيّدُ ، قالَ أحربُ أنتَ أم سلمٍ ؟ قالَ : سلمٌ ، قالَ : فما بالُ هاذهِ الحصونِ ؟ قالَ : بنيناها لسفيهٍ حتىٰ يجيءَ حليمٌ فينهاهُ .

ومثلُ هاذا: أنَّ عدي بنَ أرطأة أتى إياسَ بنَ معاوية قاضي البصرةِ في مجلسِ حكمِهِ وعديُّ أميرُ البصرةِ ، وكانَ أعرابيَّ الطبعِ ، فقالَ : [ لإياس ] يا هناه ؛ أينَ أنتَ ؟ قالَ : بينَكَ وبينَ الحائطِ ، قالَ : فاسمعْ منِّي ، قالَ : للاستماعِ جلستُ ، قالَ : إنِّي تَزوَّجتُ امرأةً ، قالَ : بالرفاءِ والبنينَ ، قالَ : وشرطتُ لأهلِها ألَّا أخرجَها مِنْ بينِهِم ، قالَ : أوفِ لهُم بالشرطِ ، قالَ : فأنا أريدُ الخروجَ ، قالَ : في حفظِ اللهِ ، قالَ : فاقضِ بينَنا ، قالَ : قد فعلتُ ، قالَ :

<sup>(</sup>١) القائل : هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

فعلىٰ مَنْ حكمتَ ؟ قالَ : على ابنِ أخي عمِّكَ ، قالَ : بشهادةِ مَنْ ؟ قالَ : بشهادةِ مَنْ ؟ قالَ : بشهادةِ ابنِ أختِ خالتِكَ (١).

### في سبيلِ اللهِ سرجي وبغلي

أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ : المِقدامُ بنُ عاطفِ العجليُّ ، وكانَ قد وفدَ على كسرىٰ فأكرمَهُ ، فلمَّا أرادَ الانصرافَ . . حملَهُ علىٰ بغلٍ مُسرَجٍ مِنْ مراكبِهِ ، فلمَّا وصلَ إلىٰ قومِهِ . . قالوا : ما هاذا الذي أتيتنا بهِ ؟ فأنشأَ يقولُ : [من الوافر]

أَقَبَّ حَمُولَةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْهُمَامِ
كَمَا جَالَ ٱلْمُفَدَّحُ ذُو ٱللِّجَامِ
إِذَا مَا مَسَّهُ عَرَقُ ٱلْحِزَامِ
أَبُوهُ مِنَ ٱلْمُسَوَّمَةِ ٱلْكِرَامِ
وَكَانَ أَبُوهُ ذَا دَبَرِ دَوَامِي

أَتَيْتُكُم بِبَغْلٍ ذِي مَرَاحِ يَجُولُ [ إِذَا ] حَمَلْتَ عَلَيْهِ سَرْجاً وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا فَضْلَ جَرْيٍ وَلَيْسَتْ أُمُّهُ مِنْهُ وَمَا إِنْ وَلَيْسَتْ أُمُّهُ مِنْهُ وَمَا إِنْ لَهُ أُمُّ مُهُ فَدَّحَةٌ صَفُونٌ

وكانَ يَروضُهُ رياضةَ الخيلِ ، فرمحَهُ رمحةً كسرَ بها شراسيفَهُ ، فمرضَ مِنْ ذلكَ برهةً ، وأمرَ بالبغلِ ، فحُمِلَ عليهِ الكورُ وأمتعةُ الحيِّ ولم يُعلَفْ ، فنَفَقَ البغلُ ، وبرئَ المقدامُ مِنْ مرضِهِ ، فركبَ إلى الصيدِ ، وحملَ السرجَ علىٰ ناقةٍ لهُ عَلوقٌ ، فلمَّا ركبَها ومسَّها وقعُ الركابينِ . . هوتْ بهِ قيدَ رمحَينِ ، وطارَتْ بهِ في الأرضِ ، فلم يَقدِرْ عليها ، وتَقطَّعَ السرجُ ، فقالَ المقدامُ : [من الرمل] بهِ في الأرضِ ، فلم يَقدِرْ عليها ، وتَقطَّعَ السرجُ ، فقالَ المقدامُ : [من الرمل] نَفَقَ ٱلنبَعْ لُ وَأَوْدَىٰ سَرْجُنَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ سَرْجِي وَبَعْ لِي

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٥١٠/٢ - ٥١١ ) .

<sup>(</sup>٢) فَي « تاج العروس » ( ٤٣١/٢٦ ) ، مادة : ( ن ف ق ) ، وفيه : ( وبَغَلْ ) بدل ( وبَغْلي ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «مجمع الأمثال» ( ١٨/٢ ٥ \_ ١٩٥ ) .

#### قد حيلَ بينَ العَيْر والنَّزَوَانِ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: صخرُ بنُ عمرٍو أخو الخنساء ، قالَ ثعلبٌ: غزا صخرُ بنُ عمرٍو بني أسدِ بنِ خزيمة ، فاكتسحَ إبلَهُم ، فجاءَهُم الصريخُ ، فركبوا ، فالتقوّا بذاتِ الأثلِ ، فطعنَ أبو ثورِ الأسديُّ صخراً طعنةً في جنبهِ ، وأفلتَ الخيلُ فلم يقعصْ مكانَهُ ، وجوى منها ، فمرضَ حولاً حتى مَلَّهُ أهلهُ ، فسمعَ امرأةً تقولُ لامرأتِهِ سلمى : كيفَ بعلُكِ ؟ فقالَتْ : لا حيُّ فيرجى ، ولا ميتُ فيرجى ، ولا ميتُ فينعى ، لقد لقينا منهُ الأمرَّينِ ، فقالَ صَخرٌ :

أَرَىٰ أُمَّ صَخْرٍ لَا تَـمَلُّ عِيَادَتِي

وفي روايةٍ أخرى: فمرضَ زماناً حتى مَلَّنهُ امرأتُهُ ، وكانَ يكرمُها ، فمرَّ بها رجلٌ وهي قائمةٌ وكانَتْ ذاتَ خلقٍ وإدراكِ ، فقالَ لها: يُباعُ الكفلُ ؟ فقالَتْ: نعم ، عمَّا قليلٍ ، وكانَ ذلكَ يسمعُهُ صخرٌ ، فقالَ: أَمَا واللهِ ؛ لئن قَدَرْتُ . . لأقدمنَّكِ قبلي ، ثمَّ قالَ لها: ناوليني السيفَ أنظرْ إليهِ: هل تُقِلُّهُ يدي ، فناولَتْهُ ، فإذا هوَ لا يُقِلُّهُ ، فقالَ:

أَرَىٰ أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي وَمَلَّتْ سُلَيْمَىٰ مَضْجَعِي وَمَكَانِي فَايُّ الْمُرِئُ سَاوَىٰ بِأُمِّ حَلِيلَةً فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَعَا وَهَوَانِ فَأَيُّ الْمُرِئُ سَاوَىٰ بِأُمِّ حَلِيلَةً وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَانِ أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَرْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَانِ وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً عَلَيْكِ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً عَلَيْكِ وَمَنْ يَغْشُوبٍ بِرَأْسِ سِنَانِ فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَأَنَّهَا مُعَرَّسُ يَعْشُوبٍ بِرَأْسِ سِنَانِ لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَهْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَذْنَانِ لَعَمْري لَقَدْ نَبَهْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَذْنَانِ

قالَ أبو عبيدة : فلمَّا طالَ بهِ البلاءُ وقد نتأَتْ قطعةٌ مِنْ جنبِهِ مثلُ اللبدِ في موضع الطعنةِ . . قيلَ لهُ : لو قطعتَها . . لرجونا أن تبرأ ، فقالَ : شأنَكُم ، وأشفقَ عليهِ قومٌ ، فنهَوهُ ، فأبىٰ ، فأخذوا شفرةً فقطعوا ذلكَ الموضعِ ، فيئسَ مِنْ نفسِهِ وقالَ :

أَجَارَتَنَا إِنَّ ٱلْحُتُوفَ تَنُوبُ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ ٱلْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ أَجَارَتَنَا إِنْ تَسْأَلِينِي فَإِنَّنِي مُقِيمٌ لَعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ كَارَتَنَا إِنْ تَسْأَلِينِي فَإِنَّنِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ كَأَنِي وَقَدْ أَدْنُو لِحَزِّ شِفَارِهِمْ مِنَ ٱلصَّبْرِ دَامِي ٱلصَّفْحَتَيْنِ نَكِيبُ

ثمَّ ماتَ ، فدُفِنَ إلىٰ جنبِ عسيبٍ ؛ وهوَ جبلٌ يقربُ مِنَ المدينةِ ، وقبرُهُ معلمٌ هناكَ (١).

#### قد أنصفَ القارة مَنْ راماها

القارة : قبيلة ؛ وهُم عَضَلٌ والدِّيشُ ابنا الهونِ بنِ خزيمة ، وإنَّما سُمُّوا قارة لاجتماعِهِم والتفافِهِم لمَّا أرادَ الشداخُ أن يُفرِّقَهُم في بني كنانة ، فقالَ شاعرهُم :

دَعَوْنَا قَارَةً لَا تَنْ فِرُونَا فَنُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ ٱلظَّلِيم

وهي رماةُ الحدقِ في الجاهليةِ ، وهُمُ اليومَ في اليمنِ ، ويزعمونَ أنَّ رجلينِ التقيا ؛ أحدُهُما قاريُّ ، فقالَ القاريُّ : إن شئتَ . . صارعتُكَ ، وإن شئتَ . . سابقتُكَ ، وإن شئتَ . . راميتُكَ ، فقالَ الآخَرُ : قدِ اخترتُ المراماةَ ، فقالَ القاريُّ : قد أنصفتني ، وأنشأ يقولُ : [من مشطور الرجز]

قَدْ أَنْصَفَ ٱلْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا إِنَّا إِذَا مَا فِئَةٌ نَلْقَاهَا تَصرُدُّ أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٥٥٨/٢ ـ ٥٥٩ ) .

ثمَّ انتزعَ لهُ بسهم فشكَّ بهِ فؤادَهُ .

قالَ أبو عبيدٍ: (أصلُ القارةِ: الأكمةُ، وجمعُها: قُورٌ، قالَ ابنُ [واقدٍ]: وإنَّما قيلَ: «أنصفَ القارةَ مَنْ راماها» في حربٍ كانَتْ بينَ قريشٍ وبينَ بكرِ بنِ عبدِ [مناة] بنِ كنانةَ، قالَ: وكانَتِ القارةُ معَ قريشٍ، وهُم قومٌ رماةٌ، فلمَّا التقى الفريقانِ.. راماهُمُ الآخَرونَ، فقيلَ: قد أنصفَهُم هاؤلاءِ إذ ساوَوْهُم في العملِ الذي هوَ شأنهُم وصناعتُهُم، وفي بعضِ الآثارِ: ألا أخبرُكُم بأعدلِ الناسِ؟ قيلَ: بلي ، قالَ: مَنْ أنصفَ مِنْ نفسِهِ ، وفي بعضِها أيضاً: أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ: إنصافُ الناسِ مِنْ نفسِكَ ، والمواساةُ بالمالِ ، وذكرُ اللهِ تعالىٰ علىٰ كلّ حالٍ) (١٠).

## قد قيلَ ذٰلكَ إِنْ حقًّا وإنْ كذباً

قالوا: إنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ: النعمانُ بنُ المنذرِ اللخميُّ للربيعِ بنِ زيادٍ العبسيِّ ، وكانَ لهُ صديقاً ونديماً ، وإنَّ عامراً ملاعبَ الأَسِنَّةِ وعوفَ بنَ الأحوصِ وسهيلَ بنَ مالكٍ ولبيدَ بنَ ربيعةَ ، وشماساً الفزاريَّ ، وقلابةَ الأسديَّ . . قدموا على النعمانِ ، وخَلَّفوا لبيداً يراعي إبلَهُم ، وكانَ أحدثَهُم سناً ، وجعلوا يغدونَ إلى النعمانِ ويروحونَ ، فأكرمَهُم وأحسنَ نُزُلَهُم ، غيرَ الربيعَ كانَ أعظمَ عندَهُ قدراً .

فبينَما هُم ذاتَ يومٍ عندَ النعمانِ . . إذ رجزَ بهِمُ الربيعُ وعابَهُم ، وذكرَهُم بأقبحِ ما قَدَرَ عليهِ ، فلمَّا سمعَ القومُ ذلكَ . . انصرفوا إلى رحالِهِم وكلُّ إنسانٍ منهُم مُقبِلٌ على بَتِهِ ، ورَوَّحَ لبيدٌ [الشَّولَ] ، فلمَّا رأى أصحابَهُ وما بهِم مِنَ الكَآبةِ . . سألَهُم : ما لكُم ؟ فكتموهُ ، فقالَ لهُم : واللهِ ؛ لا أحفظُ

<sup>(</sup>١) الأمثال (ص ١٣٧) للقاسم بن سلام ، وانظر «مجمع الأمثال » ( ٥٦٥/٢ \_ ٥٦٦ ) .

لكُم متاعاً ، ولا أُسرِّحُ لكُم إبلاً أو تخبروني بالذي كنتُم فيهِ ، وإنَّما كتموا عنه ؛ لأنَّ أُمَّ لبيدٍ امرأةٌ مِنْ بني عبسٍ ، وكانَتْ يتيمةً في حجرِ الربيعِ ، فقالوا : خالُكَ قد غلبَنا على الملكِ ، وصدَّ بوجهِهِ عنَّا ، فقالَ لبيدٌ : هل فيكُم مَنْ يكفيني الإبلَ وتدخلونني على النعمانِ معَكُم ، فواللَّاتِ والعُزَّىٰ ؛ لأدعَنَّهُ لا ينظرُ إليهِ أبداً .

فَخَلَّفُوا في إبلِهِم قلابة الأسديّ ، وقالوا للبيد : أوَعندَكَ خيرٌ ؟ قالَ : سترونَ ، قالوا : إنَّا نبلوكَ في هاذهِ البقلةِ \_ لبقلةٍ بينَ أيديهِم دقيقةِ الأغصانِ ، قليلةِ الأوراقِ ، لاصقةٍ بالأرضِ ، تُدعى التربةَ \_ صفْها لنا واشتُمْها ، فقالَ : هاذهِ التربةُ التي لا تذكي ناراً ، ولا تُؤهِلُ داراً ، ولا تَسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيلٌ ، وفرعُها كليلٌ ، وخيرُها قليلٌ ، شرُّ البقولِ مرعى ، وأقصرُها فرعاً ، فتعساً لها وجدعاً ، القَوْا بي أخا عبسٍ . أردُّهُ عنكُم بتعسٍ ، وأدعهُ مِنْ أمرِهِ في لبسٍ ، قالوا : نصبحُ فنرئ رأينا .

فقالَ لهُم عامرٌ: انظروا هاذا الغلامَ ؛ فإن رأيتُموهُ نائماً . . فليسَ أمرُهُ بشيءٍ ، إنّما يتحلّمُ بما جاءَ على لسانِهِ ، ويَهذي بما يهجسُ في خاطرِهِ ، وإن رأيتُموهُ ساهراً . . فهوَ صاحبُكُم ، فرمقوهُ ، فرأَوْهُ قد ركبَ رحلاً حتى أصبحَ .

فخرجَ القومُ وهوَ معَهُم ، حتى دخلوا على النعمانِ وهوَ يَتغذَىٰ والربيعُ يأكلُ معَهُ ، فقالَ لبيدٌ : أبيتَ اللعنَ ، أتأذنُ لي في الكلامِ ؟ فأذنَ لهُ ، فأنشأَ يقولُ :

> يَا رُبَّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهُ أَكُلَّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَهُ نحن بَنُو أُمّ ٱلْبَنِينَ ٱلْأَرْبَعَهُ

وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَهُ الْمُطْعِمُونَ الْجَفْنَةَ ٱلْمُدَعْدَعَهُ وَٱلْجَفْنَةَ ٱلْمُدَعْدَعَهُ وَٱلضَّارِبُونَ ٱلْهَامَ تَحْتَ ٱلْخَيْضِعَهُ وَٱلضَّارِبُونَ ٱلْهَامَ تَحْتَ ٱلْخَيْرِ مِنْ سَعَهُ يَا وَاهِبَ ٱلْخَيْرِ ٱلْكَثِيرِ مِنْ سَعَهُ إِلَى يُكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مَسْبَعَهُ إِلَى يُكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مَسْبَعَهُ نَكُرُ مَعْهُ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ نَخْبِرُ عَنْ هَلَذَا خَبِيراً فَٱسْمَعَهُ مَهُلاً أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ إِنَّ ٱسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ [مُلَمَّعَهُ إِنَّ ٱسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ [مُلَمَّعَهُ وَإِنَّ أُسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ وَالْمَعَهُ وَإِنَّ أُسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مَنْ يَوْارِي أَشْجَعَهُ وَإِنَّ مُعَهُ كُنَّهُ يَطْلُبُ شَيْعًا أَطْمَعَهُ كَتَى مُ يَطْلُبُ شَيْعًا أَطْمَعَهُ كَانَّهُ يَطْلُبُ شَيْعًا أَطْمَعَهُ كَانَّهُ يَطْلُبُ شَيْعًا أَطْمَعَهُ كَانَّهُ مَا يَطْلُبُ شَيْعًا أَطْمَعَهُ عَلَيْ اللَّهُ مَا مُعَلَيْكُ أَلْمُ مَعُهُ كُونَا لَهُ مَعْمُ لَا مُعَلَيْكُ الْمُعَلَقِيمُ الْمُعَلَى الْمَعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعِلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعْمَلِي الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعَلَى الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلُونَ الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلُونُ الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمَلِي الْمُعْمُلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمِلِي الْمُعْمُعُمُ الْمُعْمُلُولُ الْمُعْمِلُولُ الْمُعْمُعُلِي الْمُعْمُعُلِي الْمُعْمُعُلِي الْمُعْمُعُلِي الْمُعْمُ الْمُعُلِي الْمُعْمُلُولُ الْمُعْمُ الْمُعْمُعُلِي الْمُعْمُعُلِي ا

ويُروئ: (ضَيَّعَهُ) ، فلمَّا سمعَ النعمانُ الشعرَ . . أُفَّفَ ورفعَ يدَهُ مِنَ الطعامِ ، وقالَ للربيعِ : أكذاكَ أنتَ ؟! قالَ : لا واللَّاتِ ، لقد كذبَ ابنُ الفاعلةِ ، قالَ النعمانُ : لقد خَبُثَ عليَّ طعامي ، فغضبَ الربيعُ وقامَ وهوَ يقولُ : [من البسيط] للَئِنْ رَحَلْتُ رِكَابِي إِنَّ لِي سَعَةً مَا مِثْلَهَا سَعَةٌ عَرْضاً وَلَا طُولَا لَئِنْ رَحَلْتُ رِكَابِي إِنَّ لِي سَعَةً مَا مِثْلَهَا سَعَةٌ عَرْضاً وَلَا طُولَا وَلَوْ جَمَعْتُ بَنِي لَخْمِ بِأَسْرِهِمِ مَا وَازَنُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا وَلَوْ جَمَعْتُ بَنِي لَخْمِ بِأَسْرِهِمِ مَا وَازَنُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا فَابُرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نُعْمَانُ مُتَّكِئاً مَعَ ٱلنِّطَاسِيِّ طَوْراً وَٱبْنِ تَوْفِيلَا وقالَ : لا أبرحُ أرضَكَ حتىٰ تبعثَ إليَّ مَنْ يُفتِّشُني فتعلمَ أنَّ الغلامَ وقالَ : لا أبرحُ أرضَكَ حتىٰ تبعثَ إليَّ مَنْ يُفتِّشُني فتعلمَ أنَّ الغلامَ كاذبٌ ، فأجابَهُ النعمانُ :

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ ٱلْأَبَاطِيلَا

فَقَدْ رَمَیْتَ بِدَاءٍ لَسْتَ غَاسِلَهُ مَا جَاوَرَ ٱلنِّیلَ یَوْماً أَهْلُ إِبْلِیلَا قَدْ وَمِیْتَ بِدَاءٍ لَسْتَ غَاسِلَهُ مَا جَاوَرَ ٱلنِّیلَ یَوْماً أَهْلُ إِبْلِیلَا قَدْ قِیلَا قَدْ قِیلَا فَدْ قِیلَا فَا فَا فَا الْحَادِثُونَ عَنْ شَيْءٍ إِذَا قِیلَا

قولُهُ: (بنو أُمِّ البنينَ الأربعهُ) هم خمسةٌ: مالكُ بنُ جعفرٍ ملاعبُ الأسنَّةِ، وطفيلُ بنُ مالكٍ أبو عامرِ بنِ الطفيلِ، وربيعةُ بنُ مالكٍ، وعبيدةُ بنُ مالكٍ ، وهُم أشرافُ بني عامرٍ، فجعلَهُم أربعةً لأجلِ مالكٍ ، وهُم أشرافُ بني عامرٍ ، فجعلَهُم أربعةً لأجلِ القافيةِ .

وسَمْوِيلُ: أحدُ أجدادِ الربيعِ ؛ وهوَ في الأصلِ اسمُ طائرٍ ، وأرادَ بالنِّطاسيِّ: رومياً يُقالُ لهُ: سرحونُ ، وابنُ توفيلَ: روميُّ آخَرُ ، كاناً ينادمانِ النعمانَ (١٠).

# كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ

يُضرَبُ في عجبِ الرجلِ برهطِهِ وعشيرتِهِ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : العجفاءُ بنتُ علقمةَ السعديُّ ؛ وذٰلكَ أنَّها وثلاثَ نسوةٍ مِنْ قومِها خرجنَ ، فاتَّعَدنَ بروضةٍ يَتحدَّثْنَ فيها ، فوافينَ بها ليلاً في قمر زاهر ، وليلةٍ طلقةٍ ساكنةٍ ، [ وروضةٍ ] (٢) معشبةٍ خصبةٍ ، فلمَّا جلسنَ . قلنَ : ما رأينا كالليلةِ ليلةً ، ولا كهاذهِ الروضةِ روضةً ، أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ ، ثمَّ أفضنَ في الحديثِ ، فقلنَ : أيُّ النساءِ أفضلُ ؟

قالَتْ إحداهُنَّ : الخَرودُ الوَدودُ الوَلودُ .

قالَتِ الأخرى : خيرُهُنَّ ذاتُ الغَناءِ ، وطيبِ الثناءِ ، وشدَّةِ الحياءِ .

قالَتِ الثالثةُ: خيرُهُنَّ السَّموعُ الجَموعُ النَّفوعُ غيرُ المنوع.

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٥٧٠/٢ \_ ٥٧٢ ) .

<sup>(</sup>۲) في الأصل : ( ورضة ) .

قالَتِ الرابعةُ: خيرُهُنَّ الجامعةُ لأهلِها الوادعةُ ، الرافعةُ لا الواضعةُ .

قلنَ : فأيُّ الرجالِ أفضلُ ؟

قالَتْ إحداهُنَّ : خيرُهُمُ الحَظيُّ الرَّضيُّ ، غيرُ الحظالِ ولا التبالِ .

قالَتِ الثانيةُ: خيرُهُمُ السيدُ الكريمُ ، ذو الحَسَبِ العميمِ ، والمجدِ القديمِ .

قالَتِ الثالثة : خيرُهُمُ السَّخيُّ الوفيُّ الرَّضيُّ ، الذي لا يُغيِّرُ الحُرَّةَ ، ولا يَتَّخِذُ الضَّرَّةَ .

قالَتِ الرابعةُ: وأبيكُنَّ ؛ إنَّ في أبي لنعتَكُنَّ ؛ كرمُ الأخلاقِ والصدقُ عندَ التلاقِ ، والفلجُ عندَ السباقِ ، ويَحمَدُهُ أهلُ الرفاقِ ، قالَتِ [ العجفاءُ] عندَ ذلكَ : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ .

وفي بعضِ الرواياتِ: أنَّ إحداهُنَّ قالَتْ: إنَّ أبي يُكرِمُ الجارَ، ويعظمُ النارَ، وينحرُ العِشارَ بعدَ الحِوار، ويَحملُ الأمورَ الكبارَ.

فقالَتِ الثانيةُ: إنَّ أبي عظيمُ الخطرِ ، منيعُ الوزرِ ، عزيزُ النفرِ ، يُحمَدُ منهُ الوردُ والصَّدرُ .

فقالَتِ الثالثةُ : إنَّ أبي صدوقُ اللسانِ ، كثيرُ الأعوانِ ، يروي السِّنانَ عندَ الطعانِ .

قالَتِ الرابعةُ: إِنَّ أبي كريمُ النزالِ ، منيفُ المقالِ ، كثيرُ النوالِ ، قليلُ السؤالِ ، كريمُ الفَعالِ .

ثمَّ تَنافَرْنَ إلىٰ كاهنةٍ معَهُنَّ في الحيِّ ، فقلنَ لها: اسمعي ما قلنا ، واحكمي بيننا ، واعدلي ، ثمَّ أعدنَ عليها قولَهُنَّ ، فقالَتْ لهُنَّ: كلُّ واحدةٍ منكُنَّ ماردةٌ على الإحسانِ جاهدةٌ ، لصواحباتِها حاسدةٌ ، وللكنِ اسمعنَ قولي : خيرُ النساءِ المبقيةُ علىٰ بعلِها ، الصابرةُ على الضَّرَّاءِ مخافة أن ترجعَ

إلىٰ أهلِها مطلقة ، فهي تؤثرُ حظَّ زوجِها على حظِّ نفسِها ، فتلكَ الكريمةُ الكاملةُ ، وخيرُ الرجالِ الجوادُ البطلُ ، القليلُ الفشلِ ، إذا سألَهُ الرجلُ . . ألفاهُ قليلَ العللِ ، كثيرَ النفلِ ، ثمَّ قالَتْ : كلُّ واحدةٍ منكُنَّ بأبيها معجبةٌ (١٠) .

# كلُّ شاةٍ برجلِها مُعلَّقةٌ

قالَ ابنُ الكلبيّ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : وكيعُ بنُ سلمةَ بنِ زهيرِ بنِ إيادٍ ، وكانَ وليَ أمرَ البيتِ بعدَ جُرْهُمَ ، فبنى صَرحاً بأسفلِ مكةَ عندَ سوقِ الخيَّاطينَ اليومَ ، وجعلَ فيهِ أَمَةً يُقالُ لها : [حَزْوَرَةُ] ، وبها سُمِّيَتْ [حَزْوَرَةُ] مكةَ ، وجعلَ في الصَّرحِ سُلَّماً ، فكانَ يَرقاهُ ويزعمُ أنَّهُ يناجي اللهَ تعالى ، وكانَ يَرقاهُ ويزعمُ أنَّهُ يناجي اللهَ تعالى ، وكانَ ينطِقُ بكثيرٍ مِنَ الخيرِ ، وكانَ علماءُ العربِ يزعمونَ أنَّهُ صِدِّيقٌ مِنَ الصِّدِيقينَ ، وكانَ مِن قولِهِ : مرضعةُ أو فاطمةُ ، ووادعةٌ وقاصمةُ ، والقطيعةُ والفجيعةُ ، وصلةُ الرحم وحسنُ الكلم .

ومِنْ كلامِهِ: زعمَ ربُّكُم ليَجزِيَنَّ بالخيرِ ثواباً ، وبالشرِّ عقاباً ؛ إنَّ مَنْ في الأرضِ عبيدٌ لِمَنْ في السماءِ ، هلكَتْ جُرْهُمُ وربلَتْ [ إيادٌ ] ، وكذلكَ الصلاحُ والفسادُ .

فلمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . جمعَ إياداً ، فقالَ لهُمُ : اسمعوا وصيَّتي ؛ الكلامُ كلمتانِ ، والأمرُ بعدَ البيانِ ، مَنْ رشدَ . . فاتبعوهُ ، ومَنْ غوىٰ . . فارفضوهُ ، وكلتُ شاقٍ برجلِها مُعلَّقةٌ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ : وماتَ وكيعٌ ، فنُعِيَ على الجبالِ ، وفيهِ يقولُ بشيرُ بنُ الحجيرِ الإياديُّ : [من المتقارب]

وَنَحْنُ إِيَادٌ عِبَادُ ٱلْإِلَهِ وَرَهْ طُ مُنَاجِيهِ فِي سُلَّمِ وَنَحْنُ وُلَاةً حِجَابِ ٱلْعَتِيقِ زَمَانَ ٱلنُّخَاعِ عَلَىٰ جُرْهُمِ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٣/٣ \_ ١٥ ) .

يُقالُ: إِنَّ اللهَ سَلَّطَ على جرهمَ داءً يقالُ لهُ: النخاعُ ، فهلكَ منهُم ثمانونَ كهلاً في ليلةٍ واحدةٍ سوى الشبَّانِ ، وفيهِم قالَ بعضُ العربِ: [من الخفيف] هَلَكَتْ جُرْهُمُ ٱلْكِرَامُ فِعَالاً وَوُلاَةُ ٱلْبَنِيَةِ ٱلْحُجَابُ فَكَابُ خُعُوا لَيْلَةً ثَمَانُونَ كَهْلاً وَشَبَاباً كَفَى بهمْ مِنْ شَبَاب أَنُونَ كَهْلاً وَشَبَاباً كَفَى بهمْ مِنْ شَبَاب

# كيفَ أُعاودُكَ وهاذا أثرُ فأسِكَ

أصلُ هاذا المثلِ على ما حكتْهُ العربُ على لسانِ الحيَّةِ: أَنَّ أَخوَينِ كانا في إبلٍ لهُما ، فأجدبَتْ بلادُهُما ، وكانَ بالقربِ منهُما وادٍ خصيبٌ ، وفيه حيَّةٌ تحميهِ مِنْ كلِّ أحدٍ ، فقالَ أحدُهُما للآخرِ: يا فلانُ ؛ لو أنِّي أتيتُ هاذا الواديَ المكلئَ فرعيتُ فيهِ إبلي وأصلحتُها ، فقالَ لهُ أخوهُ: إنِّي أخافُ عليكَ الحيَّة ، ألا ترى أنَّ أحداً لا يهبطُ ذلكَ الواديَ إلَّا أهلكَتْهُ ؟! قالَ : فواللهِ ؛ لأفعلنَ ، فهبطَ الواديَ ، ورعى بهِ إبلهُ زماناً ، ثمَّ إنَّ الحيةَ نهشَتُهُ فقالَ أخوهُ : واللهِ ؛ ما في الحياةِ بعدَ أخي خيرٌ ، فلأطلبَنَّ الحية فقتلَتْهُ ، فقالَ أخي .

فهبطَ ذلكَ الوادي ، وطلبَ الحيَّة ليقتلَها ، فقالَتِ الحيَّة لهُ : ألستَ ترىٰ أَنِي قتلتُ أخاكَ ، فهل لكَ في الصُّلحِ فأدعَكَ بهاذا الوادي تكونُ فيهِ وأعطيَكَ كلَّ يومٍ ديناراً ما بقيتَ ؟ قالَ : أوَفاعلةٌ أنتِ ؟ قالَتْ : نعم ، قالَ : إنِّي أفعلُ ، فحلفَ لها ، وأعطاها المواثيقَ لا يَضُرُّها ، وجعلَتْ تعطيهِ كلَّ يومٍ ديناراً ، فكثرَ مالهُ ، حتى صارَ مِنْ أحسن الناس حالاً .

ثمَّ إنَّهُ ذكرَ أَخاهُ ، فقالَ : كيفَ ينفعُني العيشُ وأنا أنظرُ إلىْ قاتلِ أخي ، فعَمَدَ إلىٰ فأسِ فأخذَها ، ثمَّ قعدَ لها ، فمَرَّتْ بهِ ، فتبعَها ، فضربَها ،

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٣٠/٣ \_ ٣١ ) .

فأخطأها ، ودخلَتِ الجحرَ ، ووقعَتِ الفأسُ بالجبلِ فوقَ جحرِها فأثَّرَتْ فيهِ ، فلمَّا رأتْ ما فعلَ . . قطعَتْ عنهُ الدينارَ ، فخافَ الرجلُ شرَّها وندمَ ، فقالَ لها : هل لكِ في أن نتواثقَ ونعودَ إلىٰ ما كنَّا عليهِ ؟ فقالَتْ : كيفَ أعاودُكَ وهلذا أثرُ فأسِكَ ؟!

يُضرَبُ لِمَنْ لا يفي بالعهدِ ، وهاذا مِنْ مشاهيرِ أمثالِ العربِ ، قالَ البغةُ بني ذبيانَ (١):

وَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ ٱلشَّجْوِ سَاهِرَهْ وَكَانَتْ تُرِيهِ ٱلْمَالَ غِبَّا وَظَاهِرَهُ وَكَانَتْ تُرِيهِ ٱلْمَالَ غِبًا وَظَاهِرَهُ وَأَثَّلَ مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ مُذَكَّرَةٍ مِنَ ٱلْمَعَاوِلِ بَاتِرَهُ لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُخْطِئُ ٱلْكَفُّ بَادِرَهُ وَلِيقْتُلَهَا أَوْ تُخْطِئُ ٱلْكَفُّ بَادِرَهُ وَلِلشَّرِ عَيْنٌ لَا تُغَمَّضُ نَاظِرَهُ وَلِلشَّرِ عَيْنٌ لَا تُغَمَّضُ نَاظِرَهُ عَلَىٰ مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ وَطَىٰ مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ وَطَىٰ مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آجِرَهُ وَضَرْبَةُ فَأْس فَوْق رَأْسِي فَاقِرَهُ وَضَرْبَةُ فَأْس فَوْق رَأْسِي فَاقِرَهُ

وَإِنِّي لَأَلْقَىٰ مِنْ ذُوِي ٱلْغَيِّ مِنْهُمُ كَمَا لَقِيَتْ ذَاتُ ٱلصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا فَلَمَّ اللَّهُ مَالَهُ فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ ثَمَّرَ ٱللَّهُ مَالَهُ فَلَمَّ عَلَىٰ فَأْسٍ يَحُدُّ غُرَابَهَا فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ فَلَا مَنْ اللهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ فَلَا مَنْ اللهُ بَيْنَنَا فَقَالَ تَعَالَيْ نَجْعَلِ ٱللهُ بَيْنَنَا فَقَالَتْ يَمِينَ ٱللهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي فَعَالَ إِنَّنِي فَعَالَ لِي آلِهُ أَفْعَلُ إِنَّنِي فَعَالَ لِي آلِهُ أَنْ عَالًا لَا يُوالًا مُقَابِلِي

#### كلاهما وتمرأ

ويروى : (كلَيهِما) ، أوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : عمرُو بنُ حمرانَ الجعديُّ ، وكانَ حمرانُ رجلاً لَسِناً مارداً ، وإنَّهُ خطبَ صدوف ؛ وهي امرأةٌ كانَتْ تؤبدُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ١٥٤ ـ ١٥٦ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « مجمع الأمثال » ( ۳۵/۳ \_ ۳٦ ) .

الكلامَ ، وتسجعُ في المَنطِقِ (١) ، وكانَتْ ذاتَ مالٍ كثيرٍ ، وقد أتاها قومٌ كثيرٌ يَخطُبونَها ، فردَّتْهُم ، وكانَتْ تَتعنَّتُ خُطَّابَها في المسألةِ ، وتقولُ : لا أتزوَّجُ إلاَّ مَنْ يَعلمُ ما أسألُهُ عنهُ ، ويجيبُني بكلام علىٰ حدِّهِ لا يعدوهُ .

فلمَّا انتهى إليها حمرانُ . . قامَ قائماً لا يجلسُ ، وكانَ لا يأتيها خاطبٌ إلَّا جلسَ قبلَ إذنِها ، فقالَتْ : ما يمنعُكَ مِنَ الجلوسِ ؟ قالَ : حتى يُؤذَنَ لي ، قالَتْ : وهل عليكَ أميرٌ ؟ قالَ : ربُّ المنزلِ أحتُّ بفِنائِهِ ، وربُّ الماءِ أحتُّ بسقائِهِ ، وكلُّ لهُ ما في وعائِهِ ، فقالَتِ : اجلسْ ، فجلسَ .

قالَتْ لهُ: ما أردتَ ؟ قالَ: حاجةً ولم آتكِ لحاجةٍ ، قالَتْ: تُسِرُّها أم تعلنُها ؟ قالَ: قضاؤُها هَيِّنٌ ، وأنتِ بها أخبرُ ، وبنُجْحِها أبصرُ ، قالَتْ: فأخبرْني بها .

قالَ: قد عَرَّضتُ ، وإن شئتِ . . بَيَّنتُ ، قالَتْ : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا بَشَرٌ ، ولدتُ صغيراً ، ونشأتُ كبيراً ، ورأيتُ كثيراً ، قالَتْ : فما اسمُكَ ؟ قالَ : مَنْ شاءَ أحدثَ اسماً ، وقالَ ظُلماً ، ولم يكنِ الاسمُ عليهِ حتماً ، قالَتْ : فمَنْ أبوكَ ؟ قالَ : والدي الذي ولدَني ، ووالدهُ جدِّي ، فلم يعشْ بعدي ، قالَتْ : فما مالُكُ ؟ قالَ : بعضُهُ ورثتُهُ ، وأكثرُهُ اكتسبتُهُ ، قالَتْ : فممَنْ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ بشرٍ كثيرٍ عددُهُ ، معروفٍ ولدُهُ ، قليلٍ صعدُهُ ، يفنيهِ أبدُهُ ، قالَتْ : فأينَ الهممِ ، قالَتْ : فأينَ أبدُهُ ، قالَ : حُسْنَ الهممِ ، قالَتْ : فأينَ تنزلُ ؟ قالَ : على بساطٍ واسع في بلدٍ شاسع ، قريبُهُ بعيدٌ ، وبعيدُهُ قريبٌ ، قالَتْ : فمَنْ قومُكَ ؟ قالَ : الذين أنتمي إليهِم ، وأجني عليهِم ، ووُلِدتُ لديهم .

قالَتْ: فهل لكَ امرأةٌ ؟ قالَ: لو كانَتْ لي لم أطلبْ غيرَها ، ولم أُضيّعْ

<sup>(</sup>١) في «مجمع الأمثال » : ( تؤيد الكلام وتشجع في المنطق ) .

خيرَها ، قالَتْ : كأنَّكَ ليسَتْ لكَ حاجةٌ ؟ قالَ : لو لم تكنْ لي حاجةٌ . . لم أُنِحْ ببابِكِ ، ولم أتعرَّضْ لجوابِكِ ، وأتعلَّقْ بأسبابِكِ ، قالَتْ : إنَّكَ لم أُنِحْ ببابِكِ ، ولم أتعرّضْ لجوابِكِ ، وأتعلَّقْ بأسبابِكِ ، قالَ : إنَّ ذلكَ ليُقالُ ، فأنكحَتْهُ نفسَها ، وفَوّضَتْ إليهِ أمرَها .

ثمَّ إنَّها ولدَتْ لهُ غلاماً ، فسمَّاهُ عمراً ، فنشأَ مارداً مُفوَّهاً ، فلمَّا أدركَ . . جعلَهُ أبوهُ راعياً يرعىٰ لهُ الإبلَ ، فبينا هوَ يوماً : إذ رُفِعَ إليهِ رجلٌ قد أضرَّ بهِ العطشُ والسّغوبُ وعمرو قاعدٌ وبينَ يدَيهِ زبدٌ وتمرٌ وتامكٌ ، فدنا منهُ الرجلُ فقالَ : أطعمْني مِنْ هاذا الزبدِ والتامكِ ، فقالَ عمرٌو : نعم ، كلاهُما وتمراً ، فأطعمَ الرجلَ حتى انتهىٰ ، وسقاه لبناً حتىٰ رَوِيَ ، وأقامَ عندَهُ أياماً ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً .

ورفع (كلاهُما) أي: لكَ كلاهما، ونصبَ (تمراً) على معنى، وأزيدُكَ تمراً، ومَنْ روى (كلَيهِما) فإنَّما نصبَهُ على معنى: أطعمُكَ كلَيهِما وتمراً، ومَنْ روى (كلَيهِما) فإنَّما نصبَهُ على معنى: أطعمُكَ كلَيهِما وتمراً، وقالَ قومٌ: مَنْ رفعَ.. حكى أنَّ الرجلَ قالَ: أنلني ممَّا بينَ يدَيكَ، فقالَ عمرٌو: أيُّما أحبُّ إليكَ: زبدٌ أم سنامٌ ؟ فقالَ الرجلُ: كلاهُما وتمراً؛ أي: مطلوبي كلاهما وأزيدُ معَهُما تمراً، أو وزدْني تمراً (١).

## لن يَهلِكَ امرُؤٌ عرفَ قَدْرَهُ

قالَ المُفضَّلُ: إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذلكَ: أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيَّةٍ كتبَ بها إلى طيءٍ ؛ كتبَ إليهِم: أوصيكم بتقوى اللهِ ، وصلةِ الرحمِ ، وإيَّاكُم ونكاحَ الحمقاءِ ؛ فإنَّ نكاحَها غررٌ ، وولدَها ضياعٌ ، وعليكُم بالخيلِ فأكرموها ؛ فإنَّ نكاحَها غررٌ ، ولا تضعوا رقابَ الإبلِ في غيرِ حقِّها ؛ فإنَّ فيها ثمنَ فإنَّها حصونُ العربِ ، ولا تضعوا رقابَ الإبلِ في غيرِ حقِّها ؛ فإنَّ فيها ثمنَ الكريمةِ ، ورقوءَ الدم ، وبألبانِها يتحفُ الكبيرُ ، ويُغذَى الصغيرُ ، ولو أنَّ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٧/٣ \_ ٤٩ ) .

الإبلَ كُلِفَتِ الطّحنَ . . لطحنَتْ ، ولن يهلكَ امرُوٌ عرفَ قَدْرَهُ ، والعدمُ عدمُ العقلِ ، لا عدمُ المالِ ، ولَرجلٌ خيرٌ مِنْ ألفِ رجلٍ ، ومَنْ عتبَ على الدهرِ . . طالَتْ معيشتُهُ ، وآفةُ الرأي الهوى ، طالَتْ معيشتُهُ ، وآفةُ الرأي الهوى ، والعادةُ أملكُ ، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ مِنَ البغضِ معَ الغنى ، والدنيا دولٌ ، والعادةُ أملكُ ، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ مِنَ البغضِ معَ الغنى ، والدنيا دولٌ ، فما كانَ لكَ . . أتاكَ على ضعفِكَ ، وما كانَ عليكَ . . لم تدفعهُ بقُوتِكَ ، والحسدُ داءٌ ليسَ لهُ دواءٌ ، والشَّماتةُ تعقبُ ، ومَنْ يرَ يوماً . . يرهُ ، قبلَ الرماءِ تُملَأُ الكنائنُ ، الندامةُ معَ السفاهةِ ، دعامةُ العقلِ الحلمُ ، خيرُ الأمورِ مَغبَّةُ الصَّبرِ ، بقاءُ المودَّةِ عدلُ التعاهدِ ، مَنْ يزرْ غبّاً . . يزددْ حبّاً ، التغريرُ مفتاحُ البؤسِ ، مِنَ التواني والعجزِ نُتِجَتِ الهلكةُ ، لكلِّ شيءٍ ضراوةٌ ، فضرِ لسانكَ البؤسِ ، مِنَ التواني والعجزِ نُتِجَتِ الهلكةُ ، لكلِّ شيءٍ ضراوةٌ ، فضرِ لسانكَ بالخيرِ ، عيُّ الصمتِ أحسنُ مِنْ عيِّ المنطقِ ، الحزمُ حفظُ ما كُلِّفْتَ وتركُ ما كُفيتَ ، كثيرُ التنصُّحِ يهجمُ على كثيرِ الظِنَّةِ ، مَنْ ألحفَ في المسألةِ . . ما كُفيتَ ، كثيرُ التنصُّحِ يهجمُ على كثيرِ الظِنَّةِ ، مَنْ ألحفَ في المسألةِ . . ثمَنْ سألَ فوقَ قدرِهِ . . استحقَّ الحرمانَ ، الرفقُ يُمْنٌ ، والخرقُ شؤمٌ ، خيرُ السخاءِ ما وافقَ الحاجةَ ، خيرُ العفوِ ما كانَ بعدَ القدرةِ .

فهاذهِ خمسةٌ وثلاثونَ مثلاً في نظام واحدٍ (١).

## لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ

ويروى : (ولا درنكِ) أصلُهُ: أنَّ رجلاً كانَ في سفرٍ ومعَهُ امرأتُهُ وكانَتْ عاركاً فطهرَتْ ، وكانَ معَهُما ماءٌ يسيرٌ ، فاغتسلَتْ ، فلم يكفِها لغسلِها ، وأنفدَتِ الماءَ ، فبقيا عطشانين ، فعندَها قالَ لها هلذا القولَ .

وقالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: الضَّبُّ بنُ أروى الكلاعيُّ؛ وذَلكَ أَنَّهُ خرجَ تاجراً مِنَ اليمنِ إلى الشامِ ، فسارَ أياماً ، ثمَّ حادَ عن أصحابِهِ ، فبقيَ مُفرَداً في تيهٍ مِنَ الأرضِ ، حتى سقطَ إلىٰ قوم لا يدري مَنْ هُم ، فسألَ عنهُم ،

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١١٤/٣ \_ ١١٥ ) .

فأُخبِرَ أَنَّهُم هَمْدانُ ، فنزلَ بِهم ، وكانَ طريراً ظريفاً ، وإنَّ امرأةً منهُم يُقالُ لها : عمرةُ بنتُ سبيع هَوِيَتْهُ وهَوِيَها ، فخطبَها الضَّبُّ إلى أهلِ بيتِها ، وكانوا لا يُزوِّجونَ إلَّا شاعراً ، أو عائفاً ، أو عالماً بعيونِ الماءِ ، فسألوهُ عن ذلك ، فلم يَعرِفْ منها شيئاً ، فأبوا تزويجَهُ ، فلمْ يزلْ بهِم حتى أجابوهُ ، فتزوَّجَها .

ثم ان حياً مِنْ أحياءِ العربِ أرادوا الغارة عليهِم، فتطيّروا بالضّبِ ، فاخرجوهُ وامرأتَهُ وهي طامثُ ، فانطلقا ومع الضّبِ سقاءٌ مِنْ ماءٍ ، فسارَ يوماً وليلةً وأمامَهُما عينٌ يظنّانِ أنّهُما يُصبّحانِها ، فقالَتْ لهُ : ادفع إليّ هلذا السّقاءَ حتى أغتسلَ ، فقد قاربنا العينَ ، فدفع إليها السّقاءَ ، فاغتسلَتْ بما فيهِ ولم يكفِها ، ثمّ صبّحا العينَ ، فوجداها ناضيةً ، وأدركَهُما العطشُ ، فقالَ لها الضّبُ : لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ ، ثمّ استظلاً بشجرةٍ حيالَ العين ، فأنشأ الضّبُ يقولُ :

تَ اللهِ مَا طَلَّةٌ أَصَابَ بِهَا بَعْلاً سِوَايَ قَوَارِعُ ٱلْعَطَبِ
وَأَيُّ مَهْ رٍ يَكُونُ أَثْقَلَ مِمَّ الطَّلَبُوهُ إِذَا مِنَ ٱلضَّبِ
أَنْ يَعْرِفَ ٱلْمَاءَ تَحْتَ صُمِّ ٱلصَّفَا وَيُخْبِرَ ٱلنَّاسَ مَنْطِقَ ٱلْخُطَبِ
أَخْرَجَنِي قَوْمُهَا بِأَنَّ ٱلرَّحَا وَارَتْ بِشُؤْمٍ لَهُمْ عَلَى ٱلْقُطْبِ

فلمَّا سمعَتِ امرأتُهُ ذلكَ . . فرحَتْ وقالَتِ : ارجعْ إلى القومِ ؛ فإنَّكَ شاعرٌ ، فانطلقا راجعَينِ ، فلمَّا وصلا . . خرجَ القومُ إليهِما وقصدوا ضربَهُما وردَّهُما ، فقالَ لهُمُ الضَّبُّ : اسمعوا شعري ثمَّ اقتلوني ، فأنشدَهُم شعرَهُ ، فنجا ، وصارَ فيهِم آثرَ مِنْ بعضِهِم ، قالَ الفرزدقُ : [من الطويل]

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْحَيْضِ لَمْ تُبْقِ مَاءَهَا وَلَا هِيَ مِنْ مَاءِ ٱلْعُذَابَةِ طَاهِرُ

<sup>(</sup>۱) انظر « مجمع الأمثال » ( ۱۸۸/۳ \_ ۱۸۹ ) .

### لا يكنْ حبُّكَ كَلَفاً ، ولا بُغضُكَ تَلَفاً

ويُروى عن بعضِ الحكماءِ أنَّهُ قالَ: لا تكنْ في الإخاءِ مكثراً ثمَّ تكونَ فيهِ مدبراً ، فيُعرَفَ سرفُكَ في الإكثارِ بجفائِكَ في الإدبارِ .

ومنهُ الحديثُ : « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا » (١) ، ومنهُ قولُ مَا ، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوماً مَا » (١) ، ومنهُ قولُ النمر بنِ تولبِ :

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبّاً رُوَيْداً فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تَصْرِمَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْداً إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْداً إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ مَنْ يُخَالِلُ » (۲) ، وقريبٌ منهُ بيتُ عديِّ بنِ زيدٍ : [من الطويل ] يُخَالِلُ » (۲) ، وقريبٌ منهُ بيتُ عديِّ بنِ زيدٍ :

عَنِ ٱلْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ ٱلْقَرِينَ بِٱلْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

## لا ناقتي في هذا ولا جملي

أصلُ المثلِ للحارثِ بنِ عُبادٍ حينَ قتلَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ كُليباً ، وهاجَتِ الحربُ بينَ الفريقَينِ ، وكانَ الحارثُ اعتزلَهُما ، قالَ الراعي : [من البسيط] وَمَا هَجَرْتُكِ حَتَّىٰ قُلْتِ مُعْلِنَةً لَا نَاقَةٌ لِيَ فِي هَاٰذَا وَلَا [جَمَلُ]

يُضرَبُ عندَ التبرِّي مِنَ الظلمِ والإساءةِ ، وذكروا أنَّ محمدَ بنَ عميرِ بنِ عطاردِ بنِ حاجبٍ [شُووِرَ] لمَّا خرجَ الناسُ على الحَجَّاجِ ، فقالَ : لا ناقتي في ذا ولا جملي ، فلمَّا دخلَ بعدَ ذلكَ على الحَجَّاجِ . . قالَ : أنتَ القائلُ :

<sup>(</sup>١) أخرجه الترمذي ( ١٩٩٧ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داوود ( ٤٨٠٠ ) ، والترمذي ( ٢٣٧٨ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٨٩/٣ \_ ١٩٠ ) .

لا ناقتي في ذا ولا جملي ؟! لا جعلَ اللهُ لكَ فيهِ ناقةً ولا جملاً ولا رحلاً ، فشمتَ بهِ حجارُ بنُ أبجرَ العجليُّ وهوَ عندَ الحَجَّاجِ ، فلمَّا دعا بغدائِهِ . . جاؤوا [ بفرنيَّةٍ ] ، فقالَ : ضعوها بينَ يدَيْ أبي عبدِ اللهِ ؛ فإنَّهُ لبنيٌّ يُحِبُّ اللَّبَنَ ، أرادَ أن يدفعَ عنهُ شماتةَ حجار .

وقالَ بعضُهُم: إنَّ أَوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ: الصَّدوفُ بنتُ حليسِ العذريةُ ، وكانَ لزيدٍ بنتٌ وكانَ مِنْ شأنِها أنَّها كانَتْ عندَ زيدِ بنِ الأخنسِ العذريِّ ، وكانَ لزيدٍ بنتٌ مِنْ غيرِها يُقالُ لها: الفارعةُ ، وإنَّ زيداً عزلَ ابنتَهُ عنِ امرأتِهِ في خباءٍ لها وأخدمَها خادماً ، وخرجَ زيدٌ إلى الشامِ ، وإنَّ رجلاً مِنْ عذرةَ يُقالُ لهُ: شبثُ ، هوينها وهويته ، ولم يزلْ بها حتى طاوعَتْهُ ، فكانَتْ تأمرُ راعيَ أبيها أن يُعجِّلَ ترويحَ إبلِهِ ، وأن يحلبَ لها حلبةَ إبلِها قَيْلاً ، فتشربَ اللَّبنَ نهاراً ، حتى إذا أمستْ وهداً الحيُّ . . رُجِلَ لها جملٌ كانَ لأبيها ذَلولٌ ، فقعدَتْ عليهِ وانطلقا ، حتى كانا ينتهيانِ إلى متيهةٍ مِنَ الأرضِ ، فيكونانِ بها ليلتَهُما ، ثمَّ يقبلانِ في وجهِ الصبح ، فكانَ ذَلكَ دأبَهُما .

فلمَّا فصلَ أبوها مِنَ الشامِ . . مرَّ بكاهنةٍ على طريقِهِ ، فسألَها عن أهلِهِ ، فنظرَتْ لهُ وقالَتْ : أرى جملَكَ يُرحَّلُ ليلاً ، وحلبةٌ تَحْلَبُ إبلَكَ قيلاً ، وأرى نَعَماً وخيلاً ، فلا لبثَ ، فقد كانَ حدثٌ ، بآلِ شبثٍ .

فأقبل زيدٌ لا يلوي على شيء حتى أتى أهلَهُ ليلاً ، فدخلَ على امرأتِهِ ، وخرجَ مِنْ عندِها مسرعاً ، حتى دخلَ خباءَ ابنتِهِ ، فإذا هي ليسَتْ فيهِ ، فقالَ لخادمِها : أينَ الفارعةُ ثكلَتْكِ أُمُّكِ ؟ قالَتْ : خرجَتْ تمشي وهي حرودٌ ، وائرةٌ تعودُ ، لم ترَ بعدَكَ شمساً ، ولا شَهِدَتْ عرساً ، فانفتلَ عنها إلى امرأتِهِ ، فلمَّا رأتهُ . . عرفَتِ الشرَّ في وجهِهِ ، فقالَتْ : يا زيدُ ؛ لا تعجلْ وٱقْفُ الأثرَ ، فلا ناقةٌ لى في هاذا ولا جملٌ ، فهي أوّلُ مَنْ قالَ ذلكَ (١) .

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٩٣/٣ \_ ١٩٤ ) .

### لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريضَ حتى يحيلَ

هاذا المثلُ للحطيئةِ ، لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . اكتنفَهُ أهلُهُ وبنو عمِّهِ ، فقيلَ لهُ : يا حُطَيْءُ ؛ أوصِ ، قالَ : وبمَ [ أوصي ] مالي بينَ بنيَّ ، قالوا : قد علمنا أنَّ مالَكَ بينَ بنينَ بنيكَ ، فأوصِ ، فقالَ : ويلُّ للشعرِ مِنْ راويةِ السوءِ ، فأرسلَها مثلاً ، فقالوا : أوصِ ، فقالَ : أخبروا أهلَ ضابئ بنِ الحارثِ أنَّهُ كانَ شاعراً حيثُ يقولُ :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَنَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُ جَدِيدَ ٱلْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ

ثمَّ قالَ: لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يُحِيلَ ، فأرسلَها مثلاً ، يُضرَبُ في التحذيرِ .

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّهُ قيلَ لهُ: يا أبا مليكة ؛ أوصِهْ ، قالَ : مالي للذُّكورِ دونَ الإناثِ ، قالوا : إنَّ اللهُ لم يأمرْ بذا ، قالَ : فإنِّي آمرَ ، قالَ : أوصِهْ ، قالَ : أوصِهْ ، قالَ البيروا آلَ الشمَّاخِ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ ('' : [من الطويل] وظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ صِياماً كَأَنَّها رِمَاحٌ نَحَاها وِجْهَةَ ٱلرِّيحِ رَاكِنُ

قالوا: أوصِهْ ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ: أبلغوا كندةَ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَىٰ صُمِّ جَنْدَلِ يعني : امرَأَ القيس (٢) ، قالوا : أوصِهْ ؛ فإنَّ هـٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ :

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » ( ص ٢٠١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ١٩ ) ، وقد تبع المؤلف الميداني في « مجمع الأمثال » في رواية هلذا البيت ، وهما بيتان في « ديوان امرئ القيس » الصدر من بيت ، والعجز من البيت الثاني ، وهما :

فَيَا لَكُ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ ٱلْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

كَأَنَّ ٱلثُّرِيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بَأَمْرَاس كَتَّانِ إلَى صُمَّ جَنْدَلِ

أخبروا الأنصارَ أنَّ أخاهُم أمدحُ العربِ حيثُ يقولُ (١): [من الكامل] يُغْشَوْنَ حَتَّىٰ مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ ٱلسَّوَادِ ٱلْمُقْبِلِ يُغْشَوْنَ حَتَّىٰ مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ ٱلسَّوَادِ ٱلْمُقْبِلِ قَالُ: أوصيكُم بالشعرِ خيراً ، قالوا: أوصيكُم بالشعرِ خيراً ، ثمَّ أنشأً يقولُ: [من مشطور الرجز]

اَلشِّعْرُ صَعْبُ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهُ إِذَا اُرْتَقَى فِيهِ اللَّذِي لَا يَعْلَمُهُ زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ وَالشِّعْرُ لَا يُطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ وَلَمْ يَزَلْ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي يَحْرِمُهُ مَنْ يَسِمِ الْأَعْدَاءَ يَبْقَى مِيسَمُهُ

قالوا: أوصِهْ ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ: [من مشطور الرجز] كُنْتُ أَحْيَاناً شَدِيدَ ٱلْمُعْتَمَدُ وَكُنْتُ أَحْيَاناً عَلَىٰ خَصْمِي أَلَدُ وَكُنْتُ أَحْيَاناً عَلَىٰ خَصْمِي أَلَدُ قَدْ وَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَردْ

قالوا: أوصِه ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ: وا جزعاه على المديح المجيدِ يمدحُ بهِ مَنْ ليسَ مِنْ أهلِهِ ، قالوا: أوصِه ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، فبكى ، قالوا: وما يبكيك ؟ قالَ: أبكى الشعرَ الجيدَ مِنْ راويةِ السوءِ ،

<sup>(</sup>١) ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه ( ٧٤/١ ) .

<sup>. (</sup>  $\mathbf{y}$  )  $\mathbf{y}$  (  $\mathbf{y}$  ) (  $\mathbf{y}$  ) . (  $\mathbf{y}$ 

قالوا: أوصِ للمساكينِ بشيءٍ ، قالَ: أوصيهِم بالمسألةِ ، وأوصي الناسَ ألَّا يعطوهُم ، قالوا: أعتقْ غلامَكَ ؛ فإنَّهُ قد رعىٰ عليكَ ثلاثينَ سنةً ، قالَ: هوَ عبدٌ ما بقيَ على الأرضِ عبسيٌّ ، ثمَّ قالَ: احملوني علىٰ حماري ، ودوروا بي حولَ هنذا التلِّ ؛ فإنَّهُ لم يمتْ على الحمارِ كريمٌ ، فعسىٰ ربِّي أن يرحمَني ، فحملَهُ ابناهُ ، وأخذا بضبعَيهِ ، ثمَّ جعلا يَسوقانِ الحمارَ حولَ التلِّ وهوَ يقولُ:

قَدْ عَجَّلَ ٱلدَّهْرُ وَٱلْأَحْدَاثُ يُتْمَكُمَا فَٱسْتَغْنِيَا بِوَشِيكٍ إِنَّنِي فَانِ وَدُلِّيَا بِوَشِيكٍ إِنَّنِي فَانِ وَدَلِّيَانِيَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ كَمَا تُدَلَّىٰ [ دِلَاءٌ ] بينَ أَشْطَانِ

قالوا: يا أبا مليكة ؛ مَنْ أشعرُ العربِ ؟ قالَ : هنذا الجحيرُ ، إذا طمع بخيرٍ ، وأشارَ بيدِهِ إلى فيهِ ، وكانَ آخِرَ كلامِهِ ، فماتَ وكانَ لهُ عشرونَ ومئةُ سنةٍ ؛ منها سبعونَ في الجاهليةِ ، وخمسونَ في الإسلام .

ويُروىٰ : أنَّهُ أرادَ سفراً ، فلمَّا قدمَ راحلتَهُ . . قالَتْ لهُ امرأتُهُ : متىٰ ترجعُ ؟ فقالَ :

عُدِّي ٱلسِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي وَدَعِ ٱلشُّهُ ورَ فَإِنَّهُ نَّ قِصَارُ فَالسُّهُ ورَ فَإِنَّهُ نَ قِصَارُ فَالتُ

أُذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَٱرْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ

قالوا: وما مدحَ قوماً إلَّا رفعَهُم ، وما هجا قوماً إلَّا وضعَهُم ، وقالَ يهجو نفسَهُ وقد نظرَ في المرآةِ وكانَ دميماً:

أَبَتْ شَفَتَايَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّماً بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ () أَرَىٰ لِيَ وَجْها شَوَّهَ ٱللهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ أَرَىٰ لِي وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ١٩٨/٣ ) .

## لا غزوَ إلَّا التعقيبُ

يُقالُ: عَقَّبَ الرجلُ ؛ وهوَ أن يغزوَ مَرَّةً ، ثمَّ يثني مِنْ سنتِهِ ، قالَ طفيلٌ يصفُ الخيلَ (١):

طِوَالُ ٱلْهَوَادِي وَٱلْمُتُونُ صَلِيبَةٌ مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَرِيبِ مُعَقَّبُ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ : حجرُ بنُ الحارثِ بنِ عمرٍ و آكلُ المرارِ ؛ وذَلكَ أنَّ الحارثَ بنَ مندلةَ ملكَ الشامِ ، وكانَ مِنْ ملوكِ سليحٍ ، مِنْ ملوكِ الضجاعمِ ، وهوَ الذي ذكرَهُ مالكُ بنُ [ جوينٍ ] الطائيُّ في شعرِهِ فقالَ : [من الطويل]

هُنَالِكَ لَا أُعْطِي رَئِيساً مَقَادَةً وَلَا مَلِكاً حَتَّىٰ يَؤُوبَ ٱبْنُ مَنْدَلَهُ

وكانَ قد أغارَ على أرضِ نجدٍ ؛ وهي أرضُ حجرِ بنِ الحارثِ هاذا ؛ وذلكَ على عهدِ بهرامَ جورَ ، وكانَ بها أهلُ حجرٍ ، فوجدَ القومَ خُلُوفاً ، ووجدَ حجراً قد غزا أهلَ نجرانَ ، فاستاقَ ابنُ مندلةَ مالَ حجرٍ ، وأخذَ امرأتهُ هندَ الهنودِ ، ووقعَ بها ، فأعجبَها ، وكانَ آكلُ المرارِ شيخاً كبيراً ، وابنُ مندلةَ شابّاً جميلاً ، فقالَتْ لهُ : النجاءَ النجاءَ ؛ فإنَّ وراءَكَ طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً .

فخرجَ ابنُ مندلةَ مُغِذًا إلى الشامِ ، وجعلَ يقسمُ المرباعَ نهارَهُ أجمعَ ، فإذا كانَ الليلُ . . أُسرجَتْ لهُ السرجُ يقسمُ عليها .

فلمَّا رجعَ حجرٌ . . وجدَ مالَهُ قدِ استيقَ ، ووجدَ هنداً قد أُخِذَتْ ، فقالَ : مَنْ أَغَارَ عليكُم ؟ قالوا : ابنُ مندلةَ ، قالَ : مذ كم ؟ فقالوا : مذ ثمانِ ليالٍ ، فقالَ حجرٌ : ثمانٌ في ثمانٍ ، لا غزوَ إلَّا التعقيبُ ، فأرسلَها مثلاً ؛ يعني : غزوَهُ الأوَّلَ والثاني .

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان طفيل الغنوي » ( ص ٥٨ ) .

قلتُ (١١): قولُهُ: ( ثمانٌ في ثمانٍ ) يعني: ثمانَ ليالٍ أَدخِلَتْ في ثمانٍ أخرىٰ ؛ إذ كانَتْ غزوةُ نجرانَ كذا ، فقرنَتْ بمثلِها مِنْ هلذا الغزو الآخر ، أو أرادَ ثمانَ ليالٍ في أثر ثمانِ ليالٍ ؟ يعني : أنَّهُ سبقَهُ بثمانِ ليالٍ حين أغارَ على قومِهِ ، وسيلحقُهُ في ثمانِ ليالٍ ، ثمَّ أقبلَ مُجِدّاً في طلب ابن مندلة ، حتى دفعَ إلى وادٍ دونَ منزلِ ابنِ مندلة ، فكَمَنَ فيه ، وبعثَ سدوسَ بنَ شيبانَ بن ذُهل بن ثعلبة ، وكانَ مِنْ مناكير العرب ، فقالَ لهُ حجرٌ : اذهبْ مُتنكِّراً إلى القوم حتىٰ تعلمَ لنا علمَهُم ، فانطلقَ سدوسٌ حتى انتهىٰ إلى ابن مندلةً ، وقد نزلَ في سفح الجبلِ ، وأوقد ناراً ، وأقبلَ يقسمُ المرباعَ ، ونثرَ تمراً ، وقالَ : مَنْ جاءَ بحزمةِ حطب ، فذهبَ سدوسٌ وأتى بحزمةِ حطب وألقاها على النارِ ، وأخذَ قبضةً مِنْ تمرِ فألقاها في كنانتِهِ ، وجلسَ معَ القوم يستمعُ إلىٰ ما يقولونَ وهندٌ خلفَ ابن مندلةَ تُحدِّثُهُ ، فقالَ ابنُ مندلةَ : يا هندُ ؛ ما ظنُّكِ الآن بحجر ؟ قالَتْ : أراهُ ضارباً بجوشنِهِ على واسطةِ رحلِهِ وهوَ يقولُ : سيروا سيروا ، لا غزوَ إلَّا التعقيبُ ، وذلكَ مثلَ ما قالَ زوجُها سواءً ، ثمَّ قالَتْ هندٌ لابن مندلةَ : والله ؟ ما نامَ حجرٌ قطُّ إلَّا وعضوٌ منهُ حيٌّ ، قالَ ابنُ مندلةَ : وما علمُك بذلكَ ؟! وانتهرَها ، قالَتْ : بلي ، كنتُ لهُ فاركاً ، فبينَما هوَ ذاتَ يوم في منزلٍ لهُ قد أخرجَ إليهِ رابعاً ، فضُربَتْ لهُ قبةٌ مِنْ قبابهِ ، ثمَّ أمرَ بجُزُر فنُحِرَتْ ، وبشاءٍ فذُبحَتْ ، فصنعَ ذلكَ ، ثم أرسلَ للناس فدعاهُم فأطعمَهُم ، فلمَّا طعموا وخرجوا . . نامَ كما هوَ مكانَهُ وأنا جالسةٌ عندَ باب القُبَّةِ ، فأقبلَتْ حيَّةٌ وهوَ نائمٌ باسطٌ رجلَهُ ، فذهبَتِ الحيَّةُ لتنهشَهُ ، فقبضَ رجله ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قبل يدِهِ لتنهشَهُ ، فقبض يدَهُ إليهِ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قِبَل رأسِهِ ، فلمَّا دنَتْ منهُ وهوَ يَغِطُّ . . قعدَ جالساً ، فنظرَ إلى الحيَّةِ ، فقالَ : ما هـُـذهِ يا هندُ ؟! فقلتُ : ما فطنتُ لها حتى جلستَ ، قالَ : لا واللهِ ، وذلكَ

<sup>(</sup>١) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

كلُّهُ بمسمعِ سدوسٍ ، فلمَّا سمعَ الحديثَ . . رجعَ إلى حجرٍ ، فنثرَ التمرَ مِنَ الكنانةِ بينَ يدَيهِ وقالَ :

أَتَاكَ ٱلْمُرْجِفُونَ بِأَمْرِ غَيْبٍ عَلَىٰ دَهَشٍ وَجِئْتُكَ بِٱلْيَقِينِ

فلمَّا حدَّثَهُ بحديثِ امرأتِهِ معَ ابنِ مندلةَ . . عرفَ أنَّهُ قد صدقَهُ ، فضربَ بيدِهِ على المرارِ ـ وهيَ شجرةٌ مُرَّةٌ إذا أكلَتْ منها الإبلُ . . قلصَتْ مشافرُها ـ فأكلَ منها مِنَ الغضبِ ، فلم يَضُرُّهُ ، فسَمَّتْهُ العربُ : آكلَ المِرارِ .

ثمَّ خرجَ حتى أغارَ على ابنِ مندلة ، فنذرَ بهِ ابنُ مندلة ، فوثبَ على فرسِهِ ووقف ، فقالَ لهُ: آكلُ المرارِ: هل لكَ في المبارزةِ ، فأيُّنا قتلَ صاحبَهُ . . انقادَ لهُ جندُ المقتولِ ؟ قالَ لهُ ابن مندلة : أنصفت ، وذلكَ بعينِ هندٍ ، فاختلفا بينهُما بطعنتَينِ ، فطعنَهُ آكلُ المِرارِ طعنةً جندلَهُ بها عن فرسِهِ ، فوثبَتْ هندُ إلى ابنِ مندلة تفديهِ ، وانتزَعَتِ الرمحَ مِنْ نحرِهِ وخرجَتْ نفسُهُ ، فظفرَ آكلُ المِرارِ بجندِهِ ، واستنقذَ جميعَ ما كانَ ذهبَ بهِ مِنْ مالِهِ ومالِ أهلِ بلادِهِ ، وأخذَ هنداً فقتلَها مكانَهُ ، وأنشأَ يقولُ :

لَمْ يَنَمْ غَيْرُ مُصْطَلٍ مَقْرُورُ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ آيَةَ ٱلْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ لِمَنِ ٱلنَّارُ أُوقِدَتْ بِحَفِيرٍ إِنَّ مَنْ يَأْمَنُ ٱلنِّسَاءَ بِشَيْءٍ كُلُّ أُنْثَىٰ وَإِنْ تَبَيَّنْتَ مِنْهَا

## لا تَجزعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها

قالوا: إِنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ: خالدُ ابنُ أَخْتِ أَبِي ذَوْيْبِ الْهَذَلِيِّ ؛ وذَلكَ أَنَّ أَبا ذَوْيْبِ كَانَ قد نزلَ في بني عامرِ بنِ صعصعة على رجل يُقالُ لهُ:

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢٤٥/٣ \_ ٢٤٧ ) .

عبدُ عمرِو بنِ عامرٍ ، فعشقَتْهُ امرأةُ عبدِ عمرٍو وعشقَها ، [فخبَّبَها] على زوجِها ، وحملَها وهربَ بها إلىٰ قومِهِ ، فلمَّا قدمَ منزلَهُ . . تَخوَّفَ أهلَهُ ، فأسَرَّها منهُم في موضعٍ لا يُعلَمُ ، وكانَ يختلفُ إليها إذا أمكنَهُ ، وكانَ الرسولُ بينَها وبينَهُ ابنَ أختٍ لهُ يُقالُ لهُ : خالدٌ ، وكانَ غلاماً حَدَثاً لهُ منظرٌ وصباحةٌ ، فمكثَ بذلكَ برهةً مِنْ دهرٍ ، وشبَّ خالدٌ وأدركَ ، فعشقَتْهُ المرأةُ ، ودعتْهُ إلىٰ نفسِها ، فأجابَها وهَوِيَها ، ثمَّ إنَّهُ حملَها مِنْ مكانِها ذلكَ ، فأتى بها مكاناً غيرَهُ ، وجعلَ يختلفُ إليها فيهِ ، ومنعَ أبا ذؤيبٍ عنها ، فأنشأ أبو ذؤيبٍ يقولُ (١٠) :

مَا حُمِّلَ ٱلْبُخْتِيُّ عَامَ [غِيَارِهِ] عَلَيْهِ ٱلْوُسُوقُ بُرُّهَا وَشَعِيرُهَا بِأَعْظَمَ مِمَّا كُنْتُ حَمَّلْتُ خَالِداً وَبَعْضُ أَمَانَاتِ ٱلرِّجَالِ غُرُورُهَا فَلَامًا مُلْتُ خَلْتُ خَالِداً وَبَعْضُ أَمَانَاتِ ٱلرِّجَالِ غُرُورُهَا فَلَمَّا تَرَامَاهُ ٱلشَّبَابُ وَغَيُّهُ وَتُبِّعَ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا لَلَّ مَنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا لَلَهَ عَنَّا وَمَالَ بِوُدِّهِ أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ فِيهَا يَزُورُهَا لَلَهُ عَنَا وَمَالَ بِوُدِّهِ أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ فِيهَا يَزُورُهَا

فلمَّا بلغَ ذلكَ ابنَ أختِهِ خالداً . . أنشأ يقولُ : [من الطويل]

سِوَاكَ خَلِيلاً دَائِماً تَسْتَجِيرُهَا وَرَائِماً وَسَجِيرُهَا وَهِيْ هَمُّهَا فِي نَفْسِهَا وَسَجِيرُهَا فَهِيْ هَمُّهَا فِي نَفْسِهَا وَسَجِيرُهَا فَا أَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا وَرَائِمَا يَسْتَثِيرُهَا حَدِيدَةُ [حَتْفٍ] دَائِباً يَسْتَثِيرُهَا

فَهَلْ أَنْتَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ فَرَرْتَ بِهَا مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا وَلَا تَكُ كَٱلثَّوْر ٱلَّذِي دُفِنَتْ لَهُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان الهذليين » ( ١٥٤/١ \_ ١٥٥ ) .

<sup>(</sup>۲) روایة البیت فی « شرح أشعار الهذلین » ( ص  $\Upsilon$ ۱۳ ) :

أَلَـمْ تَتَنَقَّدُهَا مِنِ ٱبْنِ عُويْمِرٍ وَأَنْـتَ صَفِيٌ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا (٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢٤٨/٣ - ٢٤٩ ) .

#### ما وراءَكِ يا عصامُ

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ: الحارثُ بنُ عمرٍ و ملكُ كندة ؛ وذلكَ أنَّهُ لمَّا بلغَهُ جمالُ ابنةِ عوفِ بنِ مُحلِّمِ الشيبانيِّ وكمالُها وقُوَّةُ عقلِها. . دعا امرأةً مِنْ كندة يُقالُ لها: عصامُ ، ذاتُ عقلٍ ولسانٍ ، وأدبٍ وبيانٍ ، وقالَ لها: اذهبي حتى تعلمي لي علمَ ابنةِ عوفٍ ، فمضَتْ حتى انتهَتْ إلى أُمِّها ؛ وهيَ أُمامةُ ابنةُ الحارثِ ، فأعلمَتْها ما قدمَتْ لهُ ، فأرسلَتْ أُمامةُ إلى ابنتِها ، وقالَتْ: أي بنيَّةُ ؛ هاذهِ خالتُكِ أتتْكِ لتنظرَ إليكِ ، فلا تستري عنها شيئًا إن وقالَ أرادَتِ النظرَ مِنْ وجهٍ أو خلفٍ ، وناطقيها إنِ استنطقَتْكِ ، فدخلَتْ إليها ، فنظرَتْ إلى ما لم ترَ قطُّ مثلَهُ ، فخرجَتْ مِنْ عندِها وهيَ تقولُ : تركَ الخداعَ من كشفَ القناعَ ، فأرسلَتْها مثلاً .

ثمَّ انطلقَتْ إلى الحارثِ ، فلمَّا رآها مقبلةً . قالَ لها : ما وراءكِ يا عصامُ ؟ قالَتْ : صَرَّحَ المخضُ عنِ الزبدِ ؛ رأيتُ جبهةً كالمرآةِ المصقولةِ ، يزينُها شعرٌ حالكٌ كأذنابِ الخيلِ ، إن أرسلَتْهُ . خلتَهُ السلاسلَ ، وإن مشطَتْهُ . . قلتَ : عنقیدُ جلَّاها الوابلُ ، وحاجبَینِ كأنَّما خُطَّا بقلمٍ أو سُوِدا بحممٍ ، تقوَّسا علی مثلِ عینیْ ظبیةٍ عبهرةٍ ، بینَهُما أنفٌ كحدِّ السیفِ الصنیعِ ، حُفَّتْ بهِ وجنتانِ كالأُرجوانِ ، في بیاضِ كالجمانِ ، شُقَ فیهِ فمٌ كالخاتمِ لذیدُ المبتسمِ ، فیهِ ثنایا غُرُّ ذاتُ أشرِ ، تقلَّبَ فیهِ لسانٌ ذو فصاحةٍ وبیانٍ ، بعقلِ وافرٍ ، وجوابٍ حاضرٍ ، تلتقی فیهِ شفتانِ حمراوانِ تحلبانِ ریقاً كالشَّهدِ إذا دلكَ ، فی رقبةٍ بیضاءَ كالفضةِ ، رُکِّبَتْ فی صدرِ كصدرِ تمثالِ دمیةٍ ، وعضدانِ مدمجانِ بیضاءَ كالفضةِ ، رُکِّبَتْ فی صدر كصدرِ تمثالِ دمیةٍ ، وعضدانِ مدمجانِ عنصلُ بهما ذراعانِ لیسَ فیهِما عظمٌ یُمَسُّ ، ولا عرقٌ یُحَسُّ ، رُکِّبَتْ فیهِما خطمٌ یُمَسُّ ، ولا عرقٌ یُحَسُّ ، رُکِّبَتْ فیهِما ذلكَ الصدرِ ثدیانِ کالرُمَّانتینِ یَخرِقانِ علیها ثیابَها ، تحت ذلكَ بطنٌ طُویَ نظویَ المدمجةِ ، کُسِرَ عُکُناً كالقراطیسِ المدرجةِ ، تحیطُ بتلكَ العُکُنِ قیا القباطیِّ المدمجةِ ، کُسِرَ عُکُناً كالقراطیسِ المدرجةِ ، تحیطُ بتلكَ العُکُنِ القباطیِّ المدمجةِ ، کُسِرَ عُکُناً كالقراطیسِ المدرجةِ ، تحیطُ بتلكَ العُکُنِ القباطیِّ المدمجةِ ، کُسِرَ عُکُناً كالقراطیسِ المدرجةِ ، تحیطُ بتلكَ العُکُنِ عَلَی القباطیِّ القداطیِّ المدمجةِ ، کُسِرَ عُکُناً كالقراطیسِ المدرجةِ ، تحیطُ بتلكَ العُکُنِ

سرَّةُ كالمدهنِ المَجلقِ ، خلفَ ذٰلكَ ظهرٌ فيهِ كالجدولِ ، ينتهي إلى خصرٍ لولا رحمةُ اللهِ . . لانبترَ ، لها كفلٌ يقعدُها إذا نهضَتْ ، وينهضُها إذا قعدَتْ ؟ كأنَّهُ دعصُ الرملِ ، لبَّدَهُ سقوطُ الطلِّ ، يحملُهُ فخذانِ لُفَّا كأنَّما قُلِبا على نضدِ جمانٍ ، تحتَهُما ساقانِ خدلتانِ كالبَرْديَّتينِ ، وُشِيتا بشعر أسودَ كأنَّهُ حلقُ الزردِ ، يحملُ ذٰلكَ قدمانِ كحذوِ اللسانِ ، فتباركَ اللهُ معَ صغرِهِما كيفَ يطيقانِ حملَ ما فوقَهُما !!

فأرسلَ الملكُ إلى أبيها ، فخطبَها ، فزَوَّجَها إيَّاهُ ، وبعثَ بصَداقِها ، فجُهِّزَتْ ، فلمَّا أرادوا أن يحملوها إلى زوجِها . . قالَتْ لها أُمُّها : أي بنيةُ ؛ إنَّ الوصيةَ لو تُرِكَتْ لفضلِ أدب . . تُرِكَتْ لذلكَ منكِ ، وللكنَّها تذكرةٌ للغافلِ ، ومعونةٌ للعاقلِ ، ولو أنَّ امرأةً استغنَتْ عنِ الزوجِ لغنى أبوَيها وشدَّةِ حاجتِهِما إليها . . كنتِ أغنى الناسِ عنهُ ، وللكنَّ النساءَ للرجالِ خُلِقْنَ ، ولهُنَّ خُلِقَ الرجالُ .

أي بنية ؛ إنَّكِ فارقتِ الجوَّ الذي منهُ خرجتِ ، وَخَلَّفتِ العُشَّ الذي فيهِ درجتِ ، وَخَلَّفتِ العُشَّ الذي فيهِ درجتِ ، إلى وَكْرِ لم تعرفيهِ ، وقرينٍ لم تألفيهِ ، فأصبحَ بملكِهِ عليكِ رقيباً ومليكاً ، فكوني لهُ أَمَةً . . يكنْ لكِ عبداً وشيكاً .

يا بنية ؛ احملي عنّي عشر خصال .. تكنْ لكِ ذخراً وذكراً ؛ الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهّدُ لموقع عينه ، والتفقدُ لموضع أنفِه ، فلا تقع عينه منكِ على قبيح ، ولا يَشَمُّ منكِ إلَّا طيبَ ريح ، المحللُ أحسنُ الحسنِ ، والماءُ أطيبُ الطيبِ المفقودِ ، والتعهّدُ لوقتِ طعامِه ، والهدْءُ عنهُ عندَ منامِه ، فإنَّ حرارة الجوعِ ملهبةٌ ، وتنغيصُ النوم مبغضةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِه ومالِه ، والإرعاءُ على نفسِه وحشمِه وعيالِه ؛ فإنَّ مسنُ التقديرِ ، والإرعاءُ على العيالِ والحشمِ جميلٌ حسنُ التقديرِ ، والإرعاءُ على العيالِ والحشمِ جميلٌ حسنُ التدبيرِ ، ولا تفشي لهُ سرّاً ، ولا تعصي لهُ أمراً ؛ فإنَّكِ إن أفشيتِ سِرَّهُ .. لم

تأمني غدرَهُ ، وإن عصيتِ أمرَهُ . . أوغرتِ صدرَهُ ، ثمَّ اتقي معَ ذلكَ الفرحَ إن كانَ تَرِحاً ، والاكتئابَ عندَهُ إن كانَ فَرِحاً ؛ فإنَّ الخصلة الأُولى مِنَ التقصيرِ ، والثانية مِنَ التكديرِ ، وكوني أشدَّ ما تكونينَ لهُ إعظاماً . . يكنْ أشدَّ ما يكونُ لكِ إكراماً ، وأشدَّ ما تكونينَ لهُ موافقةً . . يكنْ أطولَ ما تكونينَ لهُ مرافقةً ، واعلمي : أنَّكِ لا تصلينَ إلى ما تحبينَ حتى تؤثري رضاهُ على رضاكِ ، وهواهُ على هواكِ ، فيما أحببتِ وكرهتِ ، واللهُ يخيرُ لكِ ، فحُمِلَتْ ، فسُلِّمَتْ إليهِ ، فعظمَ موقعُها منهُ ، وولدَتْ لهُ الملوكَ السبعةَ الذينَ ملكوا بعدَهُ اليمنَ .

وروى أبو عبيد: (ما وراءَكَ؟) على التذكير، وقالَ: (يُقالُ: إنَّ المُتكلِّمَ بهِ النابغةُ الذبيانيُّ، قالَهُ لعصامِ بنِ شهيرٍ حاجبِ النعمانِ، وكانَ مريضاً) (١)، وقد أُرجِفَ بموتِهِ، فسألَهُ النابغةُ عن حالِ النعمانِ، فقالَ: ما وراءَكَ يا عصامُ ؟ ومعناهُ: ما خَلَّفتَ مِنْ أمرِ العليلِ، أو ما أمامَكَ مِنْ حالِهِ، و( وراءَ) مِنَ الأضدادِ.

قلتُ (٢): يجوزُ أن يكونَ أصلُ المثلِ ما ذكرتُ ، ثمَّ اتفقَ الاسمانِ ، فخُوطِبَ كلُّ بما استحقَّ مِنَ التذكير والتأنيثِ (٢).

# مقتلُ الرجلِ بينَ فكَّيهِ

المقتلُ: القتلُ، وموضعُ القتلِ أيضاً، ويجوزُ أن يجعلَ اللسانُ قتلاً مبالغةً في وصفِهِ بالإفضاءِ إليهِ، قالَ (''):

..... [ فَإِنَّا ] هِي إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

<sup>(</sup>١) الأمثال (ص ٢٠٥) للقاسم بن سلام .

<sup>(</sup>Y) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

<sup>(</sup>٣) انظر « مجمع الأمثال » ( ٢٨٠/٣ \_ ٢٨٢ ) .

<sup>(</sup>٤) عجز بيت للخنساء رضى الله عنها ، انظر « ديوانها » ( ص ٣٨٣ ) ، والبيت بتمامه :

ويجوزُ أن يُجعَلَ موضعَ القتلِ ؛ أي : بسببِهِ يَحصُلُ القتلُ ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى القاتل .

فالمصدرُ ينوبُ عن الفاعل ؛ كأنَّهُ قالَ : قاتلُ الرجل بينَ فكَّيهِ .

قالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيةٍ لبنيهِ ، وكانَ جمعَهُم فقالَ:

- تبارُّوا ؛ فإنَّ البِرَّ يبقى عليهِ العددُ ، وكُفُّوا ألسنتَكُم ؛ فإنَّ مَقتلَ الرجلِ بينَ فكَّيهِ .
  - إنَّ قولَ الحقِّ لم يدعْ لي [صديقاً].
    - \_ الصدقُ منجاةٌ .
    - لا ينفعُ التوقِّي ممَّا هوَ واقعٌ .
    - \_ في طلبِ المعالي يكونُ العَناءُ .
    - الاقتصادُ في السعْيِ أبقىٰ للجمامِ .
- مَنْ لم يأسَ على ما فاتَهُ . . وَدَّعَ بدنَهُ ، ومَنْ قنعَ بما هوَ فيهِ . . قَرَّتْ عننُهُ .
  - \_ التقدُّمُ قبلَ التندُّم.
  - أُصبِحُ عندَ رأسِ الأمرِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُصبِحَ عندَ ذَنبِهِ .
    - \_ لم يَهلِكْ مِنْ مالِكَ ما وعظَكَ .
      - ـ ويلٌ لعالمِ أمرٍ مِنْ جاهلِهِ .

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّىٰ إِذَا ٱذَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

- يتشابهُ الأمرُ إذا أقبلَ ، وإذا أدبرَ عرفَهُ الكيسُ والأحمقُ .
  - البطرُ عندَ الرخاءِ حمقٌ ، والعجزُ عن البلاءِ أمنٌ .
    - لا تغضبوا مِنَ اليسير ؛ فإنَّهُ يجني الكثيرَ .
- لا تجيبوا فيما لا تُسأَلُوا عنهُ ، ولا تضحكوا ممَّا لا يُضحَكُ منهُ .
- تناءَوا في الديار ، ولا تباغضوا ؛ فإنَّهُ مَنْ يجتمعْ . . يقعقعْ عندَهُ .
  - ألزموا النساء المهانة .
  - نِعْمَ لَهُوُ الْغِرَّةِ الْمِغْزِلُ .
  - حيلةُ مَنْ لا حيلةَ لهُ الصَّبرُ .
    - إن تعشْ . . ترَ ما لم ترَهُ .
      - المِكثارُ كحاطبِ ليلِ .
        - \_ مَنْ أكثر . . أسقط .
      - لا تجعلوا سرّاً إلى أُمَةٍ.

فهاندهِ تسعةٌ وعشرونَ مثلاً ، منها قد مرَّ ذكرُهُ فيما سبقَ مِنَ الكتابِ ، ومنها ما يأتي إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وقد أحسنَ مَنْ قالَ: رحمَ اللهُ امراً أطلقَ ما بينَ كفَّيهِ ، وأمسكَ ما بينَ كفَّيهِ ، وأمسكَ ما بينَ فكَّيهِ ، وللهِ درُّ أبي الفتحِ البستيِّ حيثُ يقولُ في هذا المثلِ (١٠):

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَٱلسُّكُوتُ جَمَادُ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلاً سَدِيداً تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلسَّدَادِ سَدَادُ

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان أبي الفتح البستي » ( ص ١٢٦ ).

واحتذاهُ القاضي أبو أحمدَ منصورُ بنُ محمدٍ الهرويُّ ، فقالَ : [من الطويل ]

إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمِ وَمَارَاكَ جَاهِلٌ فَأَعْرِضْ فَفِي تَرْكِ ٱلْجَوَابِ جَوَابُ

وَإِنْ لَمْ تُصِبْ فِي ٱلْقَوْلِ فَٱسْكُتْ فَإِنَّمَا ﴿ سُكُوتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلصَّوَابِ صَوَابُ

وضَمَّنَ الشيخُ أبو سهل النيليُّ شرائطَ الكلام قولَهُ: [من الكامل]

أُوصِيكَ فِي نَظْمِ ٱلْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلْمُوصِي ٱلشَّفِيقِ مُطِيعًا

لَا تُغْفِلَنْ سَبَبَ ٱلْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَٱلْكَيْفَ وَٱلْكَمْ وَٱلْمَكَانَ جَمِيعًا

#### « مَنْ صدقَ الله . . نجا »

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وسَلَّم أنَّهُ قالَ: « إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرِ ٱنْطَلَقُوا إِلَى ٱلصَّحْرَاءِ ، فَمَطَرَتْهُمُ ٱلسَّمَاءُ ، فَلَجَوُوا إِلَى كَهْفِ فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ ٱلْمَطَرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ . . إِذْ هَبَطَتْ صَخْرَةٌ مِنَ ٱلْجَبَلِ وَجَثَمَتْ عَلَىٰ بَابِ ٱلْغَارِ ، فَيَئِسُوا مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَٱلنَّجَاةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : الْيَنْظُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَىٰ أَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلِ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيدُعُ اللهُ عَمَلَهُ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمْ لَيَذْعُ مَنَا وَيُنجِينَا .

فَقَالَ أَحَدُهُمُ: ٱللَّهُمَّ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ بَارًا بِوَالِدَيَّ ، وَكُنْتُ آتِيهِمَا بِغَبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ بِغَبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَوْ فَعَلْهُ أَنْ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ كُنْتُ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ ٱلرُّجُوعَ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَاكَ دَأْبِي حَتَّىٰ طَلَعَ ٱلْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لِوَجْهِكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا حَتَّىٰ دَحَلَ عَلَيْهِمُ ٱلضَّوْءُ .

وَقَالَ ٱلْآخَرُ: ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي هَوِيتُ ٱمْرَأَةً ، وَلَقِيتُ فِي شَأْنِهَا أَهْوَالاً حَتَّىٰ ظَفِرْتُ بِهَا ، وَقَعَدْتُ مِنْهَا مَقْعَدَ ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ، قَالَتْ : إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ خَاتَمِي إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَمَلَنِي لَكَ أَنْ تَفُضَّ خَاتَمِي إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَمَلَنِي

عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا مَخَافَتُكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَٱنْفَرَجَتِ ٱلصَّخْرَةُ حَتَّىٰ لَوْ شَاءَ ٱلْقَوْمُ أَنْ يَخْرُجُوا لَقَدَرُوا .

وَقَالَ ٱلثَّالِثُ: اللَّهُمَّ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَعَمِلُوا لِي، فَوَقَّالُ ٱلثَّالِثُ : اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أَجُرَةً مُغَاضِباً ، فَرَبَّيْتُ فَوَقَيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً تَرَكَ أَجْرَهُ عِنْدِي وَخَرَجَ مُغَاضِباً ، فَرَبَّيْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ نَمَا وَبَلَغَ مَبْلَغاً ، ثُمَّ جَاءَ ٱلْأَجِيرُ فَطَلَبَ أُجْرَتَهُ ، فَقُلْتُ : هَاكَ مَا تَرَىٰ مِنَ ٱلْمَالِ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لَكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ ، وَٱنْطَلَقُوا سَالِمِينَ » .

فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «مَنْ صَدَقَ ٱللهَ .. نَجَا » (۱) ، ومعنى (صدقَ الله ): لقيَ اللهَ بالصدقِ ؛ وهوَ أن يُحقِّقَ قولَهُ فعلُهُ.

# منكَ أَنفُكَ وإن كانَ أجدعَ

يُضرَبُ لِمَنْ يلزمُكَ خيرُهُ وشرُّهُ وإن كانَ ليسَ بمستحكم القربِ.

وأوّلُ مَنْ قالَ ذلك : قنفذُ بنُ جعونة المازنيُّ للربيع بنِ كعبِ المازنيِّ ؛ وذلك أنَّ الربيعَ دفعَ فرساً كانَ قد أبرَّ على الخيلِ كرماً وجودةً إلىٰ أخيهِ كميشٍ ليأتي بهِ أهلَهُ ، وكانَ كميشٌ أَنْوَكَ مشهوراً بالحمقِ ، وقد كانَ رجلٌ مِنْ بني مالكِ يُقالُ لهُ : قرادُ بنُ جرم ، قدمَ على أصحابِ الفرسِ ليصيبَ منهُم غرَّة فيأخذَها ، فكانَ داهيةً ، فمكثَ فيهِم مقيماً لا يَعرِفونَ نسبَهُ ولا يظهرهُ هوَ ، فلمَّا نظرَ إلىٰ كميشٍ راكباً الفرسَ . . ركبَ ناقته ، ثمَّ عارضَهُ فقالَ : يا كميشُ ؛ هل لكَ في عانةٍ لم أرَ مثلَها سمناً ولا عظماً ، وعَيْرٌ معَها مِنْ ذهبِ ؟ فأمّا الأتنُ . . فتروحُ بها إلىٰ أهلِكَ فتملأً قدُورَهُم ، وتُفرِحُ صُدورَهُم ، وأمّا الغيرُ . . فلا افتقارَ بعدَهُ ؟ قالَ لهُ كميشٌ : وكيفَ لنا بهِ ؟ قالَ : أنا لكَ

<sup>(</sup>١) أخرجه الطبراني في « الدعاء » ( ١٩٦ ) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما .

بهِ ، وليسَ يُدرَكُ إلَّا على فرسِكَ هاذا ، ولا يُرى إلَّا بليلٍ ، ولا يراهُ غيري ، قالَ كميشٌ : فدونَكَهُ ، قالَ : نعم ، وأمسكْ أنتَ راحلتي ، فركبَ قرادٌ الفرسَ وقالَ : انتظرْني في هاذا المكانِ إلى هاذهِ الساعةِ مِنْ غدٍ ، قالَ : نعم ، ومضى قُرادٌ ، فلمَّا توارىٰ . . أنشأ يقولُ :

ضَيَّعْتَ فِي ٱلْعَيْرِ ضَلَالاً مُهْرَكَا لِتُطْعِمَ ٱلْحَيَّ جَمِيعاً عَيْرَكَا فَسَوْفَ تَأْتِي بِٱلْهَ وَانِ أَهْلَكَا وَقَبْلَ هَاذَا مَا خَدَعْتُ ٱلْأَنْوَكَا

فلم يزلْ كميشٌ ينتظرُه حتى أمسى مِنْ غدِهِ وجاعَ ، فلمّا لم يرَ لهُ أثراً . . انصرفَ إلى أهلِهِ وقالَ في نفسِهِ : إن سألني أخي عنِ الفرسِ . قلتُ : تَحوّلَ ناقةً ، فلمّا رآهُ أخوهُ الربيعُ . . عرفَ أنّهُ خُدِعَ عنِ الفرسِ ، فقالَ لهُ : أينَ الفرسُ ؟ قالَ : تَحوّلَ ناقةً ، قالَ : فما فعلَ السرجُ ؟ قالَ : لم أذكرِ السرجَ الفرسُ يع قالَ : لم أذكرِ السرجَ فأطلبَ لهُ عِلّةً ، فصرعَهُ الربيعُ ليقتلَهُ ، فقالَ لهُ قنفذُ بنُ جعونةَ : ٱللهُ عمّا فأتكَ ؛ فإنّ أنفكَ منكَ وإن كانَ أجدع ، فذهبَتْ مثلاً ، وقدمَ قُرادُ بنُ [ جرم ] على أهلِهِ بالفرس ، وقالَ في ذلكَ :

وَلَمْ أَرَ نَـوْكاً قَبْلَ ذَلِكَ يَـنْفَعُ فَهَلْ كَانَ لِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ مَطْمَعُ خِدَاعاً لَهُ إِذْ ذُو ٱلْمَكَايِدِ يَخْدَعُ وَأَصْبَحَ تَحْتِي ذُو أَفَانِينَ جُرْشُعُ فَلَيْسَ وَلَوْ أَقْحَمْتَهُ ٱلْوَعْرَ يَكْسَعُ

يُ وَمِّلُ عَيْراً مِنْ نُضَارٍ وَعَسْجَدٍ وَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلُوصِي وَلَا تَرُمْ فَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلُوصِي وَلَا تَرُمْ فَأَصْبَحَ يَرْمِي ٱلْخَافِقَيْنِ بِطَرْفِهِ أَبُرُّ عَلَى [ٱلْجُرْدِ] ٱلْعَنَاجِيج كُلِّهَا

رَأَيْتُ كَمِيشاً نَوْكُهُ لِيَ نَافِعٌ

<sup>(1)</sup> انظر « مجمع الأمثال » ( 77.77 - 777 ) .

#### مَنْ يَرَ يوماً . . يُرَ بهِ

قَالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلْكَ: كلحبُ بنُ شُوبوبِ الأسديُّ ، وكانَ يغيرُ على طيءٍ وحدَهُ ، فدعا حارثةُ بنُ لَأْمِ الطائيُّ رجلاً مِنْ قومِهِ يُقالُ لهُ: عترمٌ ، وكانَ بطلاً شجاعاً ، فقالَ لهُ: أما تستطيعُ أن تكفيني هلذا الخبيثَ ؟ فقالَ: بلى ، ثمَّ أرسلَ معَهُ عشرةً مِنَ العيونِ حتى علموا مكانَهُ.

وانطلق إليهِ الرجلُ في جماعةٍ ، فوجدوهُ نائماً في ظلِّ أراكةٍ وفرسُهُ مشدودةٌ عندَهُ ، فنزلَ عندَهُ الرجلُ ومعَهُ آخَرُ إليهِ ، فأخذَ كلُّ واحدٍ منهُما بإحدىٰ يدَيهِ ، فانتبهَ ، فنزعَ يدَهُ اليمنىٰ مِنْ ممسكِها وقبضَ علىٰ حَلْقِ الآخرِ فقتلَهُ ، وبادرَ الباقونَ إليهِ فأخذوهُ وشدُّوهُ وثاقاً ، فقالَ لهُمُ ابنُ المقتولِ وهوَ حوذةُ بنُ عترم: دعوني أقتلهُ كما قتلَ أبي ، قالوا: حتىٰ نأتي بهِ حارثةَ ، فأبىٰ ، فقالوا لهُ: واللهِ ؛ لئن قتلتَهُ لنقتُلنَكَ .

وأتوا بهِ حارثةَ بنَ لَأْمٍ ، فقالَ لهُ حارثةُ : يا كلحبُ ؛ إن كنتَ أسيراً . . فطالما أسرتَ ، فقالَ كلحبُ : مَنْ يَرَ يوماً . . يُرَ بهِ ، فأرسلَها مثلاً ، وقالَ حوذةُ لحارثةَ : أعطنيهِ أقتلُهُ كما قتلَ أبي ، قالَ : دونَكَهُ ، وجعلوا يُكلِّمونَهُ وهوَ يعالجُ كتافَهُ حتى انحلَّ ثمَّ وثبَ على رجليهِ يجاريهِم ، وتواثبوا على الخيلِ واتبعوهُ فأعجزَهُم ، فقالَ حوذةُ في ذلكَ : [من الطويل]

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو أَنْ أَوُّوبَ وَقَدْ ثَوَىٰ قَتِيلاً فَأَوْدَىٰ سَيِّدُ ٱلْقَوْمِ عَتْرَمُ فَمَاتَ ضَيَاعاً هَاكَذَا بِيَدِ ٱمْرِئ لَئِيمٍ فَلَوْلاً قِيلَ ذُو ٱلْوِتْرِ مُعْلِمُ فأجابَهُ كلحبُ:

أَحَوْذَةُ إِنْ تَفْخَرْ وَتَزْعُمُ أَنَّنِي لَئِيمٌ فَمِنِّي عَتْرَمُ ٱللُّوْمِ أَلْأَمُ فَكُوذَةُ إِنْ تَفْخَرْ وَتَزْعُمُ أَنَّنِي الْمُحَرَّم مِنْ مِنى الْلِيَّةِ بَرِّ صَادِقٍ حِينَ يُقْسِمُ فِأَقْسِمُ بِٱلْبَيْتِ ٱلْمُحَرَّم مِنْ مِنى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَرَام مِنْ مِنى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عِلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

خَمُوعٌ وَيَرْبُوعُ ٱلْفَلَا مِنْكَ أَكْرَمُ وَخَالُكَ يَرْبُوعٌ وَجَدُّكَ شَيْهَمُ صَبُورٌ عَلَىٰ مَا نَابَ جَلْدٌ صَلَخْدَمُ فَإِنِّي ٱبْنُ شُؤْبُوبٍ جَسُورٍ غَشَمْشَمُ لَضَبُّ بِقَفْرٍ مِنْ قَفَارٍ وَضَبَّةٌ فَهَارٍ وَضَبَّةٌ فَهَارُ أَنْتَ إِلَّا خُنْفُسَاءُ لَئِيمَةٌ أَتُوعِ دُنِي بِٱلْمُنْكَرَاتِ وَإِنَّنِي فَأَتُوعِ دُنِي بِٱلْمُنْكَرَاتِ وَإِنَّنِي فَإِنْ أَفْنَ أَوْ أُعْمَرُ إِلَىٰ وَقْتِ هَاذِهِ

### مَنْ يشتري سيفي وهلذا أثرُهُ

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ: الحارثُ بنُ ظالمِ المريُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ خالدَ بنَ جعفرِ بنِ كلابٍ لمَّا قتلَ زهيرَ بنَ جذيمةَ العبسيَّ . . ضاقَتْ بهِ الأرضُ ، وعلمَ أنَّ غطفانَ غيرُ تاركيهِ ، فخرجَ حتى أتى النعمانَ ، فاستجارَ بهِ ، فأجارَهُ ومعَهُ أخوهُ عتبةُ بنُ جعفرٍ ، ونهضَ قيسُ بنُ زهيرٍ فاستعدَّ لمحاربةِ بني عامرٍ ، وهجمَ الشتاءُ ، فقالَ الحارثُ بنُ ظالمٍ : يا قيسُ ؛ أنتُم أعلمُ وحربَكُم ، وأنا رائحٌ إلى خالدٍ حتى أقتلَهُ ، قالَ قيسٌ : قد أجارَهُ النعمانُ ، قالَ الحارثُ : لأقتلَنَهُ ولو كانَ في حجرهِ .

وكانَ النعمانُ قد ضربَ على خالدٍ وعلى أخيهِ قُبَّةً ، وأمرَهُما بحضورِ طعامِهِ ومُدامِهِ ، فأقبلَ الحارثُ ومعَهُ تابعٌ لهُ مِنْ بني محاربٍ ، فأتى بابَ النعمانِ ، فاستأذنَ ، فأذنَ لهُ النعمانُ وفرحَ بهِ ، فدخلَ الحارثُ وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً وحديثاً ، وأعلمِ الناسِ بأيامِ العربِ ، فأقبلَ النعمانُ عليه بوجهِهِ وحديثِهِ وبينَ أيديهِم تمرٌ يأكلونَهُ ، فلمَّا رأىٰ خالدٌ إقبالَ النعمانِ على الحارثِ . . غاظَهُ ، فقالَ : يا أبا ليلىٰ ؛ ألا تشكرُني ؟ قالَ : فيماذا ؟ قالَ : قتلتُ زهيراً فصرتَ بعدَهُ سيدَ غطفانَ ، وفي يدِ الحارثِ تمراتُ ، فاضطربَتْ يدُهُ ، وجعلَ يُرعِدُ ويقولُ : أنتَ قتلتَهُ ؟ والتمرُ يسقطُ مِنْ يدِهِ ، ونظرَ النعمانُ إلىٰ ما بهِ مِنَ الزمع ، فنخسَ خالداً بقضيبِهِ وقالَ : هاذا يقتلُكَ .

وافترقَ القومُ ، وبقيَ الحارثُ عندَ النعمانِ ، وأشرجَ خالدٌ قُبَّتَهُ عليهِ وعلى أخيهِ ، وناما ، وانصرفَ الحارثُ إلى رحلِهِ ، فلمَّا هدأَتِ العيونُ . . خرجَ الحارثُ بسيفِهِ شاهرَهُ حتى أتى قبَّةَ خالدٍ ، فهتكَ شرجَها بسيفِهِ ودخلَ ، فرأى خالداً نائماً وأخوهُ إلى جنبِهِ ، فأيقظَ خالداً واستوى قائماً ، فقالَ لهُ الحارثُ : يا خالدُ ؛ أظننتَ أنَّ دمَ زهيرٍ كانَ سائغاً لكَ وعلاهُ بسيفِهِ حتى قتلهُ ، وانتبهَ عتبةُ ، فقالَ لهُ الحارثُ : لئن نبستَ . . لَأُلحقنَّكَ بهِ ، وانصرفَ الحارثُ وركبَ فرسَهُ ومضى على وجههِ .

وخرجَ عتبةُ صارحاً ، حتى أتى بابَ النعمانِ ، فنادى : يا سوءَ جواراهُ !! فأجيبَ : لا روعَ عليكَ ، فقالَ : دخلَ الحارثُ على خالدِ فقتلَهُ وأخفرَ الملكَ ، فوجَّهَ النعمانُ فوارسَ في طلبِهِ ، فلحقوهُ سَحَراً ، فعطفَ عليهِم فقتلَ منهُم جماعةً ، وكثروا عليهِ فجعلَ لا يقصدُ جماعةً إلَّا فرَّقَها ، ولا لفارسٍ إلَّا قتلَهُ ، وهوَ يرتجزُ ويقولُ :

أَنَا أَبُو لَيْلَىٰ وَسَيْفِي ٱلْمَعْلُوبْ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَلْذَا أَثَرُهْ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلِيقِ وَالْمُعْلَالُ وَالْمُعْلِقُوبُ وَالْمُعْلِقُوبُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلَالُونُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُولُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلَاقِ وَالْمُعْلَاقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلَاقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ والْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلُولُوا لِلْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعِلْمُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقُ وَالْمُعْلِقِ وَالْمُعْلِعُولُ وَالْمُعْلِق

يُضرَبُ في المحاذرةِ مِنْ شيءٍ قدِ ابتُلِيَ بمثلِهِ مَرَّةً ، قالَ الأغلبُ العجليُّ :

قَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ مَا تُسَطِّرُهُ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَاذَا أَثَرُهُ

### « انصرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً »

يُروىٰ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ هـٰذا ، فقيلَ : يا رسولَ اللهِ ؟

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٣٧٧/٣ \_ ٣٧٨ ) .

هاذا ننصرُهُ مظلوماً ، فكيفَ ننصرُهُ ظالماً ؟! فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « تَرُدُّهُ عَن ٱلظُّلْم » (١) .

قالَ أبو عبيدٍ: ( أمَّا الحديثُ . . فه كذا ، وأمَّا العربُ . . فكانَ مذهبُها في المثل نصرتَهُ على كلّ حالٍ ) (٢٠) .

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: جندبُ [بنُ] العنبرِ بنِ تميمِ بنِ عمرٍو، وكانَ رجلاً دميماً فاحشاً، وكانَ شجاعاً، وأنَّهُ جلسَ هوَ وسعدُ بنُ زيدِ مناةَ يشربانِ، فلمَّا أخذَ الشرابُ فيهِما. قالَ جندبُ لسعدٍ وهوَ يمازحُهُ: يا سعدُ ؛ لَشربُ لبنِ اللقاحِ ، وطولُ النكاحِ ، وحسنُ المزاحِ . . أحبُ إليكَ مِنَ الكفاحِ ، ودعسِ الرماحِ ، وركضِ الوقاحِ ، قالَ سعدٌ : كذبتَ واللهِ ؛ إنِّي مِنَ الكفاحِ ، ودعسِ الرماحِ ، وركضِ الوقاحِ ، قالَ سعدٌ : كذبتَ واللهِ ؛ إنِّي أَنْكُ لتعلمُ لأَعْمِلُ العاملَ ، وأنحرُ البازلَ ، وأسكِتُ القائلَ ، قالَ جندبُ : إنَّكَ لَتعلمُ أنَّكَ لو فزعتَ . . دعوتني عَجِلاً ، وما ابتغيتَ لي بدلاً ، ولَرأيتني بطلاً ، أركبُ العزيمةَ ، وأمنعُ الكريمةَ ، وأحمي الحريمةَ ، فغضبَ سعدٌ وأنشأ ويقولُ :

له وَأَمْسَىٰ قِرَاهُ غَيْرَ عَتِيدِ نَاطِقاً قَالَ قَوْلَ غَيْرِ سَدِيدِ

هَلْ يَسُودُ ٱلْفَتَىٰ إِذَا قَبُحَ ٱلْوَجُ وَإِذَا ٱلنَّاسُ فِي ٱلنَّدِيِّ رَأَوْهُ فأجانَهُ جندتُ:

لَيْسَ زَيْنُ ٱلْفَتَى ٱلْجَمَالَ وَلَكِنَ زَيْنُهُ ٱلضَّرْبُ بِٱلْحُسَامِ ٱلتَّلِيدِ إِنْ يَنَدُ ٱلْغَتِيدِ إِنْ يَنَدُ وَإِلَّا رُبَّمَا ضَنَّ بِٱلْيَسِيرِ ٱلْعَتِيدِ

قالَ سعدٌ وكان عائفاً: أَمَا والذي أَحلِفُ بهِ ؛ لتأسرنَّكَ ظعينةٌ ، بينَ العرينةِ

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري ( ٢٤٤٤ ) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

<sup>(</sup>٢) الأمثال (ص ١٨١ ) للقاسم بن سلام .

والدهينةِ ، ولقد أخبرَني طيري ؛ أنَّهُ لا يَفكُّكَ غيري ، فقالَ جندبٌ : كلَّ ، إنَّكَ لَجبانٌ ، تكرهُ الطِّعانَ ، وتُحِبُّ القيانَ .

فتَفرَّقا علىٰ ذلك ، فغبرا حيناً ، ثمَّ إنَّ جندباً خرجَ علىٰ فرسٍ لهُ يَطلبُ القنصَ ، فأتىٰ علىٰ أمةٍ لبني تميمٍ يُقالُ : إنَّ أصلَها مِنْ جُرْهُمَ ، فقالَ لها : لتُمكِّنِنِي مسرورةً ، أو تُقهَرينَ مجبورةً ، قالَتْ : مهلاً ؛ فإنَّ المرءَ مِنْ نَوْكِهِ . . يشربُ مِنْ سِقاءٍ لم يوكِهِ ، فنزلَ إليها عن فرسِهِ مُدِلّاً ، فلمَّا دنا منها . . قبضَتْ علىٰ يديهِ بيدٍ واحدةٍ ، فما زالَتْ تعصرُهُما حتىٰ صارَ لا يستطيعُ أن يُحرِّكَهُما ، ثمَّ كتفَتْهُ بعنانِ فرسِهِ ، وراحَتْ بهِ معَ غنمِها وهيَ تحدو بهِ وتقولُ :

لَا تَأْمَنَ نَ بَعْدَهَا ٱلْوَلَائِدَا فَسَوْفَ تَلْقَى بَاسِلاً مَوَارِدَا وَحَيَّةً تُضْحِي لِحَيٍّ رَاصِدَا

قالَ : فمرَّ بسعدٍ في إبلِهِ ، فقالَ : يا سعدُ ؛ أغثني ، قالَ سعدٌ : إنَّ الجبانَ لا يغيثُ ، فقالَ جندبٌ :

يَا أَيُّهَا ٱلْمَرْءُ ٱلْكَرِيمُ ٱلْمَشْكُومُ ٱلْمَشْكُومُ ٱلْصَرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُومُ

فأقبلَ إليهِ سعدٌ فأطلقَهُ ، ثمَّ قالَ : لولا أن يُقالَ : قتلَ امرأةً . . لَقتلتُكِ ، وأقبلَ إلى إلى المرأة عيرُكَ ، قالَ : [قالَتُ ] (١) : كلَّ ، لم يكنْ ليكذبَ طيرُكَ ، ويَصدُقَ غيرُكَ ، قالَ : صدقتِ .

قولُهُ: (انصرْ أخاكَ ظالماً) يجوزُ أن يكونَ (ظالماً أو مظلوماً) حالَين

<sup>(</sup>١) في الأصل: (قال).

مِنْ قولِهِ : ( أَخَاكَ ) ، ويجوزُ أَن يكونا حالَينِ مِنَ الضَّميرِ المُستكنِّ في الأمرِ ؟ يعني : انصرْهُ ظالماً إِن كنتَ خصمَهُ ، أو مظلوماً مِنْ جهةِ خصمِهِ ؟ أي : لا تسلمُهُ في أيِّ حالٍ كنتَ (١١) .

# ويلٌ للشجيّ مِنَ الخليّ

ذكرتُ قصتَهُ في حرفِ الصَّادِ ؛ عندَ قولِهِم : صُغْراها شُرَّاها ('') ، وهاذه روايةٌ أخرى : قالَ المدائنيُّ ومحمدُ بنُ سلَّمِ الجمحيُّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : أكثمُ بنُ صيفيّ التميميُّ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ أَنَّهُ لمَّا ظهرَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بمكة ، ودعا الناسَ إلى الإسلامِ . . بعثَ أكثمُ بنُ صيفيّ ابنَهُ حُبَيشاً ، فأتاهُ بخبرِهِ ، فجمعَ بني تميمٍ وقالَ : يا بني تميمٍ ؛ لا تُحضروني سفيهاً ، فإنّهُ مَنْ يسمعْ . . يَخَلْ ؛ إنَّ السفية يوهنُ مَنْ فوقَهُ ، ويثبتُ مَنْ دونَهُ ، لا خيرَ فيمَنْ لا عقلَ لهُ ، كبرَتْ سنِّي ، ودخلَتْني ذلةٌ ، فإذا رأيتُم منّي حسناً . . فقوّمُوني أستقمْ ، إنَّ ابني شافة هاذا ويأخذُ فيهِ بمحاسنِ الأخلاقِ ، ويدعو إلى توحيدِ اللهِ تعالى ، وخلع الأوثانِ ، ويأخذُ فيهِ بمحاسنِ الأخلاقِ ، ويدعو إلى توحيدِ اللهِ تعالى ، وخلع الأوثانِ ، وتركِ الحلفِ بالنيرانِ ، وقد عرفَ ذَوُو الرأيِ منكُم أنَّ الفضلَ فيما يدعو إليهِ ، وأنَّ الرأي تركُ ما ينهى عنه .

إِنَّ أَحقَّ الناسِ بمعونةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومساعدتِهِ علىٰ أمرِهِ . . أنتُم ، فإن يكنِ الذي يدعو إليهِ حقّاً . . فهوَ لكُم دونَ الناسِ ، وإن يكنْ باطلاً . . كنتُم أحقَّ الناسِ بالكفِّ عنهُ ، وبالسترِ عليهِ ، وقد كانَ أُسقُفُّ نجرانَ يُحدِّثُ بهِ قبلَهُ ، وسمَّى ابنَهُ نجرانَ يُحدِّثُ بهِ قبلَهُ ، وسمَّى ابنَهُ

<sup>(</sup>١) انظر « مجمع الأمثال » ( ٤٣٦/٣ \_ ٤٣٨ ) .

<sup>(</sup>٢) تقدم ( 177/7 ) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

محمداً ، فكونوا في أمرِهِ أوَّلاً ، ولا تكونوا آخراً ، ائتوا طائعينَ قبلَ أن تأتوا كارهينَ .

إِنَّ الذي يدعو إليهِ محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لو لم يكنْ ديناً . كانَ في أخلاقِ الناسِ حسناً ، أطيعوني واتبعوا أمري . . أسألْ لكُم أشياءَ لا تُنزَعُ منكم أبداً ، وأصبحتُم أعزَّ حيِّ في العربِ ، وأكثرَهُم عدداً ، وأوسعَهُم داراً ، فإنِّي أرى أمراً لا يجتنبُهُ عزيزٌ إلَّا ذلَّ ، ولا يلزمُهُ ذليلٌ إلَّا عزَّ ، إنَّ الأوَّلَ لم يدعْ للآخِرِ شيئاً ، وهاذا أمرٌ لهُ ما بعدَهُ ، مَنْ سبقَ إليهِ . . عمرَ المعاليَ ، واقتدى بهِ التالي ، والعزيمةُ حزمٌ ، والاختلافُ عجزٌ .

فقالَ مالكُ بنُ نويرةَ : قد خَرِفَ شيخُكُم ، فقالَ أكثمُ : ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليّ ، وا لهفي على أمرٍ لم أشهدهُ ولم يسعني !!

### هلمَّ جرّاً

قالَ المُفضَّلُ: أي: تعالَوا على هينتِكُم كما يسهلُ عليكُم، وأصلُ ذلكَ مِنَ الجرِّ في السوقِ ؛ وهو أن تُترَكَ الإبلُ والغنمُ ترعىٰ في سيرِها، قالَ الراجزُ:

[من مشطور الرجز]

لَطَالَمَا جَرَدْتُ كُنَّ جَرَّا اللَّهَ جَرَادً اللَّهُ اللَّهُ جَرَّا اللَّهُ عَجَفُ وَاسْتَمَرَّا فَالْدَي الْأَعْجَفُ وَاسْتَمَرَّا فَالْدَي اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُلِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعَ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذُلكَ : المستطعمُ عمرَو بنَ حمرانَ الجعديَّ زبداً وتامكاً ، حتى قالَ لهُ عمرُو : كلاهما وتمراً ، وقد مرَّ ذكرُهُما في حرفِ الكافِ (١) ، واسمُ

<sup>(</sup>١) تقدم ( 18//7 ) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

ذُلكَ الرجلِ عائذٌ ، وكانَ لهُ أخٌ يُسمَّىٰ : جندلةَ ، وهما ابنا يزيدَ اليشكريِّ ، ولمَّا رجعَ عائذٌ . . قالَ لهُ أخوهُ جندلةُ : [من الوافر]

أَعَائِذُ لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ فَلَمْ يَكُ يُرْتَجَىٰ لَكُمُ إِيَابٌ فَقَدْ كَانَ ٱلْفِرَاقُ أَذَابَ جِسْمِي وَكَمْ قَاسَيْتُ عَائِذُ مِنْ فَظِيعٍ إِذَا جَاوَزْتُهَا ٱسْتَقْبَلْتُ أُخْرَىٰ

فأجابَهُ عائذٌ فقالَ:

أَجَنْدَلُ كَمْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضاً قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضاً قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضاً قَطَعْتُ وَلَامِعَاتُ ٱلْآلِ تَجْرِي وَطَامِسَةُ ٱلْمُتُونِ ذُعِرْتُ فِيهَا وَطَامِسَةُ ٱلْمُتُونِ ذُعِرْتُ فِيهَا وَإِنْ جَاوَزْتُ مُقْفِرةً رَمَتْ بِي فَإِنْ جَاوَزْتُ مُقْفِرةً رَمَتْ بِي فَلَاحً لَي سَغَبٌ وَلُوحٌ فَي لَكَ اللّهَ لِي سَغَبٌ وَلُوحٌ فَي اللّهَ اللّهَ لِي سَغَبٌ وَلُوحٌ فَي اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

رَمَتْ بِكَ بَعْدَمَا قَدْ غِبْتَ دَهْرَا وَلَ مُ سُتَ قَدًا وَلَ مُ سُتَ قَدًا وَلَكُمُ سُتَ قَدًا وَكَانَ ٱلْعَيْشُ بَعْدَ ٱلصَّفْوِ كَدْرَا وَكَانَ ٱلْعَيْشُ بَعْدَ ٱلصَّفْوِ كَدُرَا وَكَانَ مُ شُعْدَا مُ سُلَسَ مُ قُسْعِرًا وَكُمْ جَاوَزْتُ أَمْلَسَ مُ قُسْعِرًا وَعُرَا وَأُقْوِدُ مُ شُمْحِرً ٱلنِّيقِ وَعُرَا

يَمُوتُ بِهَا أَبُو ٱلْأَشْبَالِ ذُعْرَا وَقَدْ أَوْتَرْتُ فِي ٱلْمُومَاتِ كَدْرَا خَوَاضِبُ ذَاتُ أَرْآلٍ وَغُبِسِرَا إِلَى أُخْرَىٰ كَتِلْكَ هَلُمَّ جَرَّا وَقَدْ مَتَعَ ٱلنَّهَارُ لَقِيتُ عَمْرَا فَقَالُ كِلَاهُمَا وَتُزَادُ تَمُرَا وَظِلْتُ لَدَيْهِ عَشْراً ثُمَّ عَشْراً

#### يسارُ الكواعب

كَانَ مِنْ حديثِهِ: أنَّهُ كَانَ عبداً أسودَ يرعى لأهلِهِ إبلاً ، وكانَ معَهُ

<sup>(</sup>١) أي : جوع وعطش .

<sup>(</sup>Y) انظر « مجمع الأمثال » ((Y)0 - (X)0 ) .

عبدٌ يراعيهِ ، وكانَ لمولىٰ يسارٍ بنتٌ ، فمرَّتْ يوماً بإبلِهِ وهيَ ترتعُ في روضٍ معشبٍ ، فجاءَ يسارٌ بعلبةِ لبنٍ فسقاها ، وكانَ أفحجَ الرجلَينِ ، فنظرَتْ إلىٰ فحجِهِ فتبسَّمَتْ ، ثمَّ شربَتْ وجزتْهُ خيراً ، فانطلقَ فرحاً حتى أتى العبدَ المراعيَ ، وقصَّ عليهِ القصَّةَ ، وذكرَ لهُ فرحَها وتبسُّمَها ، فقالَ لهُ صاحبُهُ : يا يسارُ ؛ كُلْ مِنْ لحمِ الحوارِ ، واشربْ لبنَ العشارِ ، وإيَّاكَ وبناتِ الأحرارِ ، فقالَ : دحكَتْ إلىَّ دحكةً لا أُخيِّبُها ، يقولُ : ضحكَتْ ضحكةً .

ثمَّ قامَ إلى علبةٍ فملأَها وأتى بها ابنةَ مولاه ، فنبَّهها فشربَتْ ، ثمَّ اضجعَتْ ، وجلسَ العبدُ حذاءَها ، فقالَتْ : ما جاء بكَ ؟ فقالَ : ما خفي عليكِ ما جاء بي ، فقالَتْ : وأيُّ شيءٍ هوَ ؟ قالَ : دحكُكِ الذي دحكتِ إليَّ ، فقالَتْ : حيَّاكَ الله ، وقامَتْ إلى سفطٍ لها ، فأخرجَتْ منه بخوراً ودهناً ، وتعمَّدَتْ إلى موسى ، ودعَتْ بمِجمرةٍ وقالَتْ له : إنَّ ريحَكَ ريحُ الإبلِ ، وهاذا دهنُ طيّبٌ ، فوضعَتِ البخورَ تحتَهُ ، وتطأطأَتْ كأنَّها تصلحُ البخورَ ، وأخذَتْ مذاكيرَهُ وقطعَتْها بالموسى ، ثمَّ شممَتْهُ الدهنَ ، فسلتَتْ أنفَهُ وأذنيهِ ، وتركَتْهُ ، فصارَ مثلاً لكلّ جانٍ على نفسِهِ ومُتعدِّ طورَهُ ، قالَ الفرزدقُ لجرير :

وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمُ عَلَيْكَ ٱلَّذِي لَاقَىٰ يَسَارُ ٱلْكَوَاعِبِ وَيُقَالُ أَيْضًا: يسارُ النساءِ ، وكانَ مِنَ العبيدِ الشعراءِ ، ولهُ ابنٌ شاعرٌ يُقالُ لهُ: إسماعيلُ بنُ يسارِ النساءِ ، وكانَ مُفْلِقًا (١).

<sup>(</sup>۱) انظر « مجمع الأمثال » ( ٥٩٨/٣ \_ ٥٩٩ ) .

# [ نُخَبُ مِنْ كلامِ الفصحاءِ والبلغاءِ ]

هادياً ، وممَّا يفيدُ عقلَكَ نوراً ، ويزيدُ نفسَكَ سروراً ، ويكونَ لفكرِكَ هادياً ، ولمرآةِ ذهنِكَ جالياً ، ولهُ بالأمثالِ شبهٌ . . ما صدرَ عن أولي الألبابِ ؟ مِنْ صحابةِ الأنبياءِ ، وغيرهِم مِنَ الحكماءِ ، وهنأنا مثبتٌ أنموذجَ ذلكَ :

# مِنْ كلام أميرِ المؤمنينَ عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ

- قال : وأكثرُ ما كانَ يقولُ ذلكَ إذا فرغَ مِنْ صلاةِ الليلِ : (أشهدُ أنَّ السماواتِ والأرضَ وما بينَهُما آياتٌ تدلُّ عليكَ ، وشواهدُ تشهدُ بما إليهِ دعوتَ ، كلُّ يُؤدِّي عنكَ الحُجَّةَ ، ويشهدُ لكَ بالربوبيةِ ، موسومٌ بآثارِ نعمتِكَ ، ومعالمِ تدبيرِكَ ، علوتَ بها عن خلقِكَ ، فأوصلتَ إلى القلوبِ مِنْ معرفتِكَ ما آنسَها مِنْ وحشةِ الفكرِ ، وكفاها رجمَ الاحتجاجِ ، فهيَ معَ معرفتِكَ بكَ ، وولهِها إليكَ . . شاهدةٌ بأنَّكَ لا تأخذُكَ الأوهامُ ، ولا تدركُكَ العقولُ ولا الأبصارُ ، أعوذُ بكَ أن أشيرَ بقلبٍ أو لسانٍ أو يدٍ إلىٰ غيرِكَ ، لا إللهَ إلَّا أنتَ ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحنُ لكَ مسلمونَ ) (١) .

- وقالَ : ( إلنهي ؛ كفاني فخراً أن تكونَ لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكونَ لكَ عبداً ، أنتَ كما أريدُ ، فاجعلْني كما تريدُ ) (٢٠ .

\_ وقالَ : ( ما خابَ امرؤٌ عدلَ في حكمِهِ ، وأطعمَ مِنْ قُوتِهِ ، ودخرَ مِنْ دنياهُ لآخرتِهِ ) (٢٠) .

<sup>(</sup>١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٥/٢٠ ) لابن أبي الحديد .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٥/٢٠ ) .

- وقالَ : (أفضِلْ على مَنْ شئتَ . . تكنْ أميرَهُ ، واستغنِ عمَّنْ شئتَ . . تكنْ نظيرَهُ ، واحتَجْ إلى مَنْ شئتَ . . تكنْ أسيرَهُ ) (١) .
- وقال : (لولا ضَعفُ اليقينِ . . ما كانَ لنا أن نشكوَ مِحنةً يسيرةً نرجو في العاجلِ سرعة زوالِها ، وفي الآجلِ عظيمَ ثوابِها ، بينَ أضعافِ نِعَم لوِ اجتمعَ أهلُ السماواتِ والأرضِ على إحصائِها . . ما وَفَوا [بها] ، فضلاً عنِ القيامِ بشكرها) ('').
- وقالَ: (مِنْ علاماتِ المأمونِ على دينِ اللهِ بعدَ الإقرارِ والعملِ: الحزمُ في أمرِهِ ، والصدقُ في قولِهِ ، والعدلُ في حكمِهِ ، والشفقةُ على رعيتِهِ ، لا تخرجُهُ القدرةُ إلى خُرقٍ أي: حمقٍ ولا اللينُ إلى ضَعفٍ ، ولا تمنعُهُ العزةُ مِنْ كرمِ عفوٍ ، ولا يدعوهُ العفوُ إلى إضاعةِ حقٍّ ، ولا يدخلُهُ الإعطاءُ في سَرَفٍ ، ولا يتخطَّى بهِ القصدُ إلى بخلٍ ، ولا تأخذُهُ نعمةٌ للهِ ببطرٍ ) (٣).
  - \_ وقالَ : ( الفسقُ نجاسةٌ في الهمَّةِ ، وكلبٌ في الطبيعةِ ) ( كلبُ الفسقُ الطبيعةِ ) . . .
- وقالَ : (قلوبُ الجُهَّالِ تستفزُّها الأطماعُ ، وترتهنُ بالأمانيِ ، وتتعلَّقُ بالخدائعِ ، وكثرةُ الصمتِ زمامُ اللسانِ ، وحسمُ الفطنةِ ، وإماطةُ الخاطرِ ، وعذابُ الحِسِّ ) (٥٠) .
- \_ وقال : (عداوةُ الضُّعفاءِ للأقوياءِ ، والسُّفهاءِ للحكماءِ ، والأشرارِ للخيار . . طبعٌ لا يُستطاعُ تغييرُهُ ) (١٠ .

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۵٥/۲۰ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۰٥/۲۰).

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٥/٢٠ \_ ٢٥٦ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٦/٢٠ ) .

<sup>(•)</sup> انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٦/٢٠ ) .

- \_ وقالَ : ( العقلُ في القلبِ ، والرحمةُ في الكبدِ ، والنفسُ في الرئةِ ) (١٠) .
- وقالَ : ( إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً . . حالَ بينَهُ وبينَ شهوتِهِ ، وحجزَ بينَهُ وبينَ شهوتِهِ ، وحجزَ بينَهُ وبينَ قلبِهِ ، وإذا أرادَ اللهُ بهِ شرّاً . . وَكَلّهُ إلىٰ نفسِهِ ) (٢) .
  - \_ وقالَ : ( الصَّبرُ مطيةٌ لا تكبو ، والقناعةُ سيفٌ لا ينبو ) (").
- \_ وقالَ: (ثلاثُ منجياتُ: خشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ، والقصدُ في الفقر والغنى، والعدلُ في الغضبِ والرضا) (٥٠).
- وقالَ : ( إِيَّاكُم والفحشَ ؛ فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفحشَ ، وإِيَّاكُم والشُّحَّ ؛ فإنَّهُ أهلكَ مَنْ كانَ قبلَكُم ، هوَ الذي سفكَ دماءَ الرجالِ ، وهوَ الذي قطعَ أرحامَها ، فاجتنبوهُ ) (١٠) .
  - \_ وقالَ : ( إذا فعلتَ كلَّ شيءٍ . . فكنْ كمَنْ لم يفعلْ شيئاً ) (٧) .
- \_ وقالَ : وقد سألَهُ رجلٌ فقالَ : بماذا أَسُوءُ عدوِّي ؟ فقالَ : ( أَن تكونَ علىٰ غايةِ الفضائلِ ؛ لأَنَّهُ إِن كَانَ يَسوءُهُ أَن يكونَ لكَ فرسٌ فارهٌ ، أو كلبٌ صَيودٌ . . فهوَ لِأَن تُذكَرَ بالجميلِ ويُنسَبَ إليكَ . . أَشدُّ مساءةً ) (^^) .

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٥٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٨) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

- \_ وقالَ : ( إذا قُذِفتَ بشيءٍ . . فلا تَتهاونْ بهِ وإن كانَ كذباً ، بل تَحرَّزْ مِنْ طرقِ القذفِ جهدَكَ ، فإنَّ القولَ وإن لم يثبتْ . . يُوجِبُ ريبةً وشَكَّاً ) (١٠) .
- \_ وقالَ : ( عدمُ الأدبِ سببُ كلِّ شرِّ ، والجهلُ بالفضائلِ عدلُ الموتِ ) (٢٠) .
- \_ وقالَ : ( ما أصعبَ على مَن استعبدَتْهُ الشهواتُ أن يكونَ فاضلاً ) (٢٠) .
  - \_ وقالَ : ( مَنْ لم يقهرْ حسدَهُ . . كانَ جسدُهُ قبراً لنفسِهِ ) ( ك . .
- \_ وقالَ: (احمدْ مَنْ يغلظُ عليكَ [ويعظُكَ]، لا مَنْ يزكِّيكَ ويَعظُكَ). ويَتملَّقُكَ).
- \_ وقالَ : ( اخترْ أن تكونَ مغلوباً وأنت منصفٌ ، ولا تخترْ أن تكونَ غالباً وأنتَ ظالمٌ ) (١٠) .
  - ـ وقالَ : ( لا تهضمنَّ محاسنَكَ بالفخر والتكبُّر ) (٧٠٠ .
- \_ وقالَ : ( لا تنفكُ المدينةُ مِنْ شرٍّ حتىٰ تجتمعَ معَ قُوَّةِ السُّلطانِ قُوَّةُ دينِهِ وقُوَّةُ حكمتِهِ ) (^^) .
- \_ وقالَ : ( إذا أردتَ أن تُحمَدَ . . فلا يظهرْ منكَ حرصٌ على الحمدِ ) (١٠) .
- \_ وقالَ : ( مَنْ كَثْرَ هَمُّهُ . . سقمَ بدنُهُ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ . . عَذَّبَ نفسَهُ ،

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(•)</sup> انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٨) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٩) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٩/٢٠ ) .

ومَنْ لاحى الرجالَ . . سقطَتْ مروءتُهُ ، وذهبَتْ كرامتُهُ ، وأفضلُ إيمانِ العبدِ أن يرى الله معه حيث كان )(١).

\_ وقالَ : ( في التجارِبِ علمٌ مستأنفٌ ، والاعتبارُ يفيدُكَ الرشادَ ، وكفاكَ أدباً لنفسِكَ ما كرهتَهُ مِنْ غيرِكَ ، وعليكَ لأخيكَ مثلُ الذي عليهِ لكَ ) (٢٠).

- وقالَ : ( الغضبُ يثيرُ كامنَ الحقدِ ، ومَنْ عرفَ الأيامَ . . لم يُغفِل الاستعداد ، ومَنْ أمسكَ عنِ الفُضولِ . . عَدَّلَتْ رأيهُ العقولُ ) (٢٠) .

- وقالَ : (اسكتْ واسترْ . . تسلمْ ، وما أحسنَ العلمَ يزينُهُ العملُ !! وما أحسنَ العملَ يزينُهُ الرفقُ !!).

- وقالَ : ( أكبرُ الفخر ألَّا تفخرَ ) ( · · · .

ـ وقالَ : ( ما أصعبَ اكتسابَ الفضائل وأيسرَ إتلافِها !! ) ( . • ) .

\_ وقالَ : ( لا تنازعْ جاهلاً ، ولا تشايعْ وامِقاً ، ولا [ تعادِ ] مسلطاً ) (١٠) .

- وقالَ : ( ما كنتَ كاتمَهُ عدوَّكَ مِنْ سرّ . . فلا يَطَّلِعَنَّ عليهِ صديقُكَ ، واعرفْ قَدْرَكَ يستعل أمرُكَ ، وكفي ما مضي مخبراً عمَّا بقي ) (٧).

فَلَرُبَّـمَا ٱنْـقَـلَبَ ٱلصَّـدِيـ قُ فَكَانَ أَعْـرَفَ بِـٱلْـمَـضَـرَّهُ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٥٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۰۹/۲۰).

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٥٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>V) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٠/۲۰ ) .

<sup>(^)</sup> البيتان من مجزوء الكامل ، وانظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٩/١٩ ) دون نسبة لسيدنا على رضي الله عنه .

- وقالَ : ( لا تَعِدَنَّ عِدةً تحقرُها قِلَّةُ الثقةِ بنفسِكَ ، ولا يَغُرَّنَّكَ المرتقى السهلُ إذا كانَ المنحدرُ وَعْراً ) (١٠) .
- \_ وقالَ : (اتقِ العواقبَ عالماً بأنَّ للأعمالِ جزاءً وأجراً ، واحذرْ تبعاتِ الأمورِ بتقديمِ الحزمِ فيها) (١٠) .
- وقالَ : ( مَنِ استرشدَ غيرَ العقلِ . . أخطأَ منهاجَ الرأيِ ، ومَنْ أخطأَتُهُ وجوهُ المطالبِ . . خذلَتْهُ الحيلُ ، ومَنْ أخلَّ بالصَّبرِ . . أخلَّ بهِ حسنُ العاقبةِ ؛ فإنَّ الصَّبرَ قُوَّةٌ مِنْ قُوى العقل ، وبقدرِ موادِّ العقل وقُوَّتِها يَقوى الصَّبرُ ) (٢٠) .
- وقالَ : ( الخطأُ في إعطاءِ مَنْ لا ينبغي ، ومَنْع مَنْ ينبغي . . واحدٌ ) ( · · · ) .
  - وقالَ : ( العشقُ مرضٌ ليسَ فيهِ أجرٌ ولا عوضٌ ) (°).
    - \_ وقالَ : ( الخصومةُ تَمحقُ الدِّينَ ) (1) .
- وقالَ : ( الجهادُ ثلاثةٌ : جهادٌ باليدِ ، وجهادٌ باللسانِ ، وجهادٌ بالقلبِ ؛ فأوَّلُ ما يغلبُ عليهِ مِنَ الجهادِ يدُكَ ، ثمَّ لسانُكَ ، ثمَّ يصيرُ إلى القلبِ ، فإن كانَ لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ منكراً . . نكسَ ، فجُعِلَ أعلاهُ أسفلَهُ ) (٧) .
- وقالَ : (ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فشكرَها بقلبِهِ . . إلَّا استوجبَ المزيدَ عليها قبلَ ظهورها على لسانِهِ ) ( ^ ) .

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠).

<sup>(</sup>٦) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠).

<sup>(</sup> ۲۲۱/۲۰ ) .( ۱۲۲/۲۰ ) .

\_ وقالَ: (الحاجةُ مسألةٌ، والدعاءُ زيادةٌ، والحمدُ شكرٌ، والندمُ توبةٌ) (١).

\_ وقالَ : (لِنْ واحلُمْ تنبلْ ، ولا تكنْ مُعجَباً فتُمقَتَ وتُمتهَنَ ) (٢) .

- وقالَ: (ما لي أرى الناسَ إذا قُرِّبَ إليهِمُ الطعامُ ليلاً.. تَكلَّفوا إنارةَ المصابيحِ ؛ ليبصروا ما يدخلونَ في بطونِهِم ، ولا يَهتمُّونَ بغذاءِ النفسِ بأن ينيروا مصابيحَ ألبابِهِم بالعلمِ ؛ ليسلموا مِنْ لواحقِ الجهالةِ والذُّنوبِ في اعتقاداتِهم وأعمالِهم ؟!) (٣).

- وقالَ: (الفقرُ هوَ أصلُ حسنِ سياسةِ الناسِ ؛ وذلكَ أنَّهُ إذا كانَ مِنْ حسنِ السياسةِ أن يكونَ بعضُ الناسِ يَسوسُ ، وبعضُهُم يُساسُ ، وكانَ مَنْ يُساسُ لا يستقيمُ أنْ يُساسَ مِنْ غيرِ أن يكونَ فقيراً محتاجاً . . فقد تَبيَّنَ أنَّ الفقرَ هوَ السببُ الذي بهِ يقومُ حسنُ السياسةِ ) ( ) .

- وقال : ( لا تَتكلَّمْ بينَ يدَيْ أحدٍ مِنَ الناسِ دونَ أن تَسمعَ كلامَهُ ، وتَقيسَ ما في نفسِكِ مِنَ العلمِ إلى ما في نفسِهِ ؛ فإن وجدتَ ما في نفسِهِ أكثرَ . . فحينَئذٍ ينبغي لكَ أن تَرومَ زيادةَ الشيءِ الذي بهِ يَفضُلُ على ما عندَكَ ) ( • ) .

- وقالَ : ( إذا كانَ اللسانُ آلةً لترجمةِ ما يَخطُرُ في النفسِ . . فليسَ ينبغي أن تَستعمِلَهُ فيما لم يَخطُرُ فيها ) (١٠) .

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦١/٢٠ ) .

\_ وقالَ: (إذا كانَ الآباءُ هُمُ السببَ في الحياةِ . . فمُعلِّمو الحكمةِ [والدِّينِ] هُمُ السببُ في جودتِها) (١) .

- وقالَ وشكا إليهِ رجلٌ تَعنُّرَ الرزقِ فقالَ: (لا تجاهدِ الرزقَ جهادَ المغالبِ ، ولا تتكلُ على القَدَرِ اتكالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِنَ السُّنَّةِ ، والإجمالَ في الطَّلبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليسَتِ العِفَّةُ دافعةً رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلاً ؛ لأنَّ الرزقَ مقسومٌ ، وفي شدةِ الحرصِ اكتسابُ المآثم) (١).

\_ وقال (۳) : [ من الوافر ]

- \_ وقالَ : ( مَنْ رضيَ بما قسمَ اللهُ لهُ . . استراحَ قلبُهُ وبدنُهُ ) ( ٥ ) .
- \_ وقالَ : ( أبعدُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ إذا كانَ همُّهُ بطنَهُ وفرجَهُ ) (١٠ .
- وقالَ : (ليسَ في الحواسِّ الظاهرةِ شيءٌ أشرفَ مِنَ العينِ ، فلا تعطوها سُؤْلَها فتشغلَكُم عن ذكر اللهِ ) (٧) .
  - \_ وقالَ : (ارحموا ضُعفاءَكُم ؛ فالرحمةُ لهُم سببُ رحمةِ اللهِ لكُم ) (^).

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦١/٢٠ \_ ٢٦٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة» ( ٢٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٨) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٢/٢٠ ) .

- وقالَ : ( إزالةُ الجبالِ أسهلُ مِنْ إزالةِ دولةٍ قد أقبلَتْ ، فاستعينوا باللهِ واصبروا ؛ فإنَّ الأرضَ للهِ يورثُها مَنْ يشاءُ ) (١) .
- وقال : (ليسَ المُوسِرُ مَنْ كَانَ يسارُهُ باقياً عندَهُ زماناً يسيراً ، ويمكنُ أن يَغتصِبَهُ غيرُهُ منهُ ، ولا يبقى بعدَ موتِهِ لهُ ، للكنِ اليسارُ على الحقيقةِ هوَ الباقي دائماً عندَ مالكِهِ ، ولا يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ، ويبقى لهُ بعدَ موتِهِ ؛ وذلكَ هوَ الحكمةُ ) (٢).
  - وقالَ : ( الشَّرفُ اعتقادُ المننِ في أعناقِ الرجالِ ) (<sup>٣)</sup> .
- وقالَ: (يضرُّ الناسُ أنفسَهُم في ثلاثةِ أشياءَ: الإفراطُ في الأكلِ اتكالاً على الصَّقَةِ ، والتفريطُ في على الصَّقَةِ ، والتفريطُ في العمل اتكالاً على القدر)(؛).
- وقالَ: (أحزمُ الناسِ مَنْ ملكَ جدُّهُ هزلَهُ، وقهرَ رأيه هواه، وأعربَ عن ضميرِهِ فعلهُ، لم يختدعه رضاه عن حظّهِ، ولا غضبه عن كيدِهِ) (٥٠).
  - وقالَ : ( مَنْ لم يُصلِحْ خلائقَهُ . . لم ينفع الناسَ تأديبُهُ ) (١٠ ) .
- وقالَ : ( مَنِ اتبعَ هواهُ . . ضلَّ ، ومَنْ جادَ . . سادَ ، وخمودُ الذِّكرِ أجملُ مِنْ ذميم الذَّكرِ ) (٧) .

<sup>(</sup>۱) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>Y) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٣/٢٠ ) .

<sup>(°)</sup> انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠).

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٣/٢٠ ) .

- وقالَ : ( لهبُ الشُّوقِ أخفُّ محملاً مِنْ مقاساةِ الملالةِ ) ( ' ' .
- وقالَ : ( بالرفقِ تُنالُ الحاجةُ ، وبحسنِ التأنِّي تَسهُلُ المطالبُ ) (٢) .
- وقالَ : ( بعزيمةِ الصَّبرِ تُطفَأُ نارُ الهوىٰ ، وبنفيِ العجبِ يُؤمَنُ كيدُ الحُسَّادِ ) (٣) .

- وقال : (بحَسَبِ مجاهدةِ النفوسِ ، وردِّها عن شهَواتِها ، ومنعِها عن مسافحةِ لذَّاتِها ، ومنعِ ما أدَّتْ إليهِ العيونُ الطامحةُ مِنْ لحظاتِها . . تكونُ المثوباتُ والعقوباتُ ، والحازمُ مَنْ ملكَ هواهُ فكانَ بملكِهِ لهُ قاهراً ، ولِمَا قدحَتِ الأفكارُ مِنْ سوءِ الظنونِ زاجراً ؛ فمتىٰ لم تُردَّ النفسُ عن ذلك . . هجمَ عليها الفكرُ بمطالبةِ ما [شُغِفَتْ] بهِ ، فعندَ ذلكَ تأنسُ [ بالآراءِ] الفاسدةِ ، والأطماع الكاذبةِ ، والأمانيّ المتلاشيةِ .

وكما أنَّ البصرَ إذا اعتلَّ رأى أشباحاً أو خيالاتٍ لا حقيقة لها.. كذلك النفسُ إذا اعتلَّتْ بحُبِّ الشهواتِ وانطوَتْ على قبيحِ الإراداتِ رأتِ الآراءَ الكاذبة، فإلى اللهِ سبحانَهُ نرغبُ في إصلاحِ ما فسدَ مِنْ قلوبنا، وبهِ نستعينُ على إرشادِ نفوسِنا؛ فإنَّ القلوبَ بيدِهِ يُصرِّفُها كيفَ يشاءً) (؛).

- وقالَ : ( ما شيءٌ أحقُّ بطولِ سجنٍ مِنْ لسانٍ ) (٥٠) .
- \_ وقالَ : ( لا نذرَ في معصيةٍ ، ولا يمينَ في قطيعةٍ ) (١٠) .

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٤/٢٠ ) .

<sup>(•)</sup> انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠).

- وقالَ : ( لكلِّ شيءٍ ثمرةٌ ، وثمرةُ المعروفِ تعجيلُ السراح ) (١١) .
- \_ وقالَ : ( إِيَّاكُم والكسلَ ؛ فإنَّهُ مَنْ كَسِلَ . . لمْ يؤدِّ لللهِ حقًّا ) (٢) .
- \_ وقالَ : ( احسُبوا كلامَكُم مِنْ أعمالِكُم ، وأقلُّوهُ إلَّا في الخير ) (٢) .
- وقالَ : (أَحسِنوا صحبة النِّعمِ ؛ فإنَّها تزولُ ، وتشهدُ على صاحبِها بما عملَ فيها) ( ، ) .
- وقالَ: ( لا تُؤاخيَنَ الفاجرَ ؛ فإنَّهُ يُزيِّنُ لكَ فعلَهُ ، ويَودُّ لو أنَّكَ مثلُهُ ، ويُحسِّنُ لكَ أقبحَ خصالِهِ ، ومدخلُهُ ومخرجُهُ مِنْ عندِكَ شينٌ وعارٌ ونقصٌ ، ولا الأحمقَ ؛ فإنَّهُ يجهدُ لكَ نفسَهُ ، ولا ينفعُكَ ، وربَّما أرادَ أن يَنفعَكَ فضَرَّكَ ، سكوتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ نطقِهِ ، وبُعْدُهُ خيرٌ لكَ مِنْ قُربِهِ ، وموتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ عندين ولا الكذَّابَ ؛ فإنَّهُ لا يَنفعُكَ معَهُ عيشٌ ، يَنقلُ حديثكَ وينقلُ الحديثَ إليكَ ؛ حتى إنَّهُ ليُحدِّثُ بالصِّدقِ فلا يُصدَّقُ ) (٥٠).
- وقالَ : ( ما استقصىٰ كريمٌ قطُّ ؛ قالَ تعالىٰ في وصفِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُ ، وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضِ ﴾ ) (١٠ .
- وقالَ : ( ربَّ كلمةٍ يجترعُها حليمٌ مخافةَ ما هوَ شرُّ منها ، وكفى بالحلمِ ناصراً ) (٧٠) .
- \_ وقالَ : ( مَنْ جمعَ ستَّ خصالٍ . . لم يدعْ للجنَّةِ مطلباً ، ولا عنِ النارِ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠).

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٣/٢٠ ) .

<sup>(°)</sup> انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٤/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٤/٢٠ ) ، والآية من سورة التحريم : (٣) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٤/٢٠ ) .

مهرباً ؛ مَنْ عرفَ الله فأطاعَهُ ، وعرفَ الشيطانَ فعصاهُ ، وعرفَ الحقَّ فاتبعَهُ ، وعرفَ الباطلَ فاتقاهُ ، وعرفَ الدنيا فرفضَها ، وعرفَ الآخرةَ فطلبَها ) (١١) .

- وقالَ : ( مَنِ استحيا مِنَ الناسِ ولم يستحيِ مِنْ نفسِهِ . . فليسَ لنفسِهِ عندَهُ قَدْرٌ ) (٢) .

- وقالَ : ( غايةُ الأدب أن يستحييَ الإنسانُ مِنْ نفسِهِ ) (<sup>٣)</sup> .
- وقالَ : ( البلاغةُ البصرُ بالحُجَّةِ ، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرْصةِ ، ومِنَ البصرِ بالحُجَّةِ : أن يدعَ الإفصاحَ بها إلى الكنايةِ عنها إذا كانَ الإفصاحُ أوعرَ طريقةً ، وكانَتِ الكنايةُ أبلغَ في الدَّرَكِ ، وأحقَّ بالظَّفَرِ ) ( المُ ) .

- وقالَ : (إِيَّاكَ والشهَواتِ ، وليكنْ ممَّا تستعينُ بهِ على كفِّها علمُكَ بأنَّها ملهيةٌ لعقلِكَ ، مهجنةٌ لرأيكَ ، شائنةٌ لعِرْضِكَ ، شاغلةٌ لكَ عن معاظم أمورِكَ ، مُشتدَّةٌ بها التبعةُ عليك في آخرتِكَ ، إنَّما الشهَواتُ لعبٌ ، فإذا حضرَ اللعبُ . . غابَ الجدُّ ، ولن يُقامَ الدِّينُ وتصلحَ الدنيا إلَّا بالجدِّ ، فإذا نازعَتْكَ نفسُكَ إلى اللهوِ واللذَّاتِ . . فاعلمْ : أنَّها قد نزعَتْ بكَ إلى شرِ منزع ، وأرادَتْ بكَ أفضحَ الفضوحِ ، فغالبُها مغالبةَ ذلكَ ، وامتنعْ منها امتناعَ ذلكً ، وليكنْ مرجعُكَ منها إلى الحقِّ ؛ فإنَّها مهما تتركُ مِنَ الحقِّ . . لا تدعْهُ إلَّا إلى الخطأ ، تتركُهُ إلَّا إلى الباطلِ ، ومهما تدعْ مِنَ الصَّوابِ . . لا تدعْهُ إلَّا إلى الخطأ ، فلا تداهنَنَ هواكَ في اليسيرِ ، فيطمعَ منكَ فِي الكثيرِ .

وليسَ شيءٌ ممَّا أوتيتَ فاضلاً عمَّا يصلحُكَ ، وليسَ لعمرِكَ وإن طالَ

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٤/٢٠ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۲۰/۲۰).

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٥/٢٠ ) .

فضلٌ عمّا ينوبُكَ مِنَ الحقِّ اللازمِ لكَ ، ولا بمالِكَ وإن كَثُرَ فضلٌ عمّا يجبُ عليكَ فيهِ ، ولا بقُوَّتِكَ وإن تَمَّتْ فضلٌ عن أداءِ حقِّ اللهِ عليكَ ، ولا برأيك وإن حزمَ فضلٌ عمّا لا تُعذَرُ بالخطأ فيهِ ، فليمنعَنَّكَ علمُكَ بذلكَ مِنْ أن تبطلَ لكَ عمراً في غيرِ نفع ، أو تُضيِّعَ لكَ مالاً في غيرِ حقٍّ ، أو أن تُصرَفَ لكَ قُوَّةٌ في غيرِ عبادةٍ ، أو تَعدِلَ لكَ رأياً في غيرِ رشدٍ ، فالحفظ [ الحفظ ] لِمَا قُوتِيتَ ؛ فإنَّ بكَ إلى صغيرِ ما أوتيتَ والكبيرِ منهُ أشدَّ الحاجةِ ، وعليكَ بما أضعتَهُ منهُ أشدَّ المرزأةِ ، ولا سيَّما العمرُ الذي كلُّ منفدِ (١) سواهُ مستخلفٌ ، وكلُّ ذاهبِ بعدَهُ مرتجعٌ .

فإن كنتَ شاغلاً نفسكَ بلذّة .. [ فلتكنْ ] لذتُكَ في محادثة العلماء ، ودرس كتبهم ؛ فإنّه ليسَ سرورُكَ بالشهواتِ بالغاً منكَ مبلغاً إلّا وإكبابُكَ على ذلكَ ونظرُكَ فيهِ بالغُهُ منكَ ، غيرَ أنّ ذلكَ يَجمعُ إلى عاجلِ السُّرورِ على ذلكَ ونظرُكَ فيهِ بالغُهُ منكَ يَجمعُ إلى عاجلِ الغيّ وخامة العاقبة ، وقديماً تمامَ السعادة ، وخلافُ ذلكَ يَجمعُ إلى عاجلِ الغيّ وخامة العاقبة ، وقديماً قيلَ : أسعدُ الناسِ أدركُهُم لهواهُ إذا كانَ هواهُ في رشدِهِ ، فإذا كانَ هواهُ في غيرِ رشدِهِ . . فقد شقيَ بما أدركَ منهُ ، وقديماً قيلَ : عَوِّدْ نفسَكَ الجميلَ ، فباعتبادكَ إيَّاهُ يعودُ لذيذاً ) (٢) .

\_ وقالَ : ( وُكِّلَ ثلاثٌ بثلاثٍ : الرزقُ بالحمقِ ، والحرمانُ بالعقلِ ، والبلاءُ بالمَنطِق ) (٣) .

\_ وقالَ : ( ثلاثةٌ إن لم تظلمُهُم . . ظلموكَ : عبدُكَ ، وزوجتُكَ ، وابنُكَ ) ( ث .

<sup>-</sup> وقالَ : (للمنافقينَ علاماتٌ يُعرَفونَ بها : تحيتُهُم لعنةٌ ، وطعامُهُم تُهَمَةٌ ،

<sup>(</sup>١) في « شرح نهج البلاغة » : ( منفذ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٦/٢٠ ) .

وغنيمتُهُم غُلولٌ ، لا يَعرِفونَ المساجدَ إلا هُجراً ، ولا يأتونَ الصلاةَ إلَّا دبراً ، مستكبرينَ ، لا يَألفونَ ولا يُؤلِّفونَ ، خُشُبٌ بالليلِ ، صُخُبٌ بالنهارِ ) (١٠ .

- وقالَ : (الحسدُ حزنٌ لازمٌ ، وعقلٌ هائمٌ ، ونَفَسٌ دائمٌ ، والنعمةُ على المحسودِ نعمةٌ ، وهي على الحاسدِ نقمةٌ ) (٢) .

- وقال : (يا حملة العلم ؛ لم تحملونه ؟! فإنّما العلم لِمَنْ علم ، ثمّ عمل بما علم ، ووافق عمله علمه ، وسيكون أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيه م ، تخالف سريرتُهُم علانيتَهُم ، ويخالف علمه ممله ممله م ، يقعدون حِلقا ، فيباهي بعضه م بعضا ، حتى إنّ الرجل ليغضب على جليسِه أن يجلس إلى غيرِه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسِهِم تلك إلى الله سبحانه ) (٢) .

- وقالَ: (ليسَ شيءٌ أحسنَ مِنْ عقلٍ زانَهُ علمٌ ، ومِنْ علمٍ زانَهُ حِلْمٌ ، ومِنْ علمٍ زانَهُ حِلْمٌ ، ومِنْ حِلْمٍ زانَهُ صدقٌ ، ومِنْ صدقٍ زانَهُ رفقٌ ، ومِنْ رفقٍ زانَهُ تقوى ، إنَّ مِلاكَ العقلِ ومكارمِ الأخلاقِ صونُ العِرْضِ ، والجزاءُ بالقرضِ (°) ، والأخذُ بالفضلِ ، والوفاءُ بالعهدِ ، والإنجازُ للوعدِ ، ومَنْ حاولَ أمراً بالمعصيةِ . . كانَ أقربَ إلى ما يَخافُ ، وأبعدَ ممَّا يرجو ) (٢) .

<sup>(</sup>۱) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۲۲/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) في « شرح نهج البلاغة » : ( القرض ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٧/٢٠ ) .

- وقالَ: (إذا جرَتِ المقاديرُ بالمكارهِ . . سبقَتِ الآفةُ إلى العقلِ فحَيَّرَتْهُ ، وانطلقَتِ الألسنُ بما فيهِ تلفُ الأنفس )(١) .
- وقال: (لا تصحبوا الأشرارَ؛ فإنَّهُم يَمنُّونَ عليكُم بالسلامةِ منهُم) (٢).
- \_ وقالَ : ( لا تَقسِروا أولادَكُم علىٰ آدابِكُم ؛ فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم ) (٢٠) .
- وقالَ : ( لا تطلب سرعةَ العملِ ، واطلبْ تجويدَهُ ؛ فإنَّ الناسَ لا يَسألونَ في كم فرغَ مِنَ العملِ ، إنَّما يَسألونَ عن جودةِ صنعتِهِ ) ( أ ) .
- وقالَ: (ليسَ كلُّ ذي عينٍ يبصرُ ، ولا كلُّ ذي أَذنٍ يسمعُ ، فتَصدَّقوا على ذوي العقولِ الزمنةِ والألبابِ الحائرةِ بالعلومِ التي هي أفضلُ صدقاتِكُم ، ثمَّ تلى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْنُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتْلِ أُولِنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَنَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتْلِ أُولَتِكَ يَلْعَنْهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ ٱللَّهِ وَيَلْعَنْهُمُ ٱللَّهِ وَيَلْعَنْهُمُ ٱللَّهِ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهِ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهِ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهِ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهِ وَيَلَعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُ مِنْ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلَعَنْهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْلَهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْلَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الْمُلْعُلُهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللللْهُ الللّهُ الللْهُ
- وقالَ : (المؤمنُ لا تختلُهُ كثرةُ المصائبِ وتواترُ النوائبِ عنِ التسليمِ لربِّهِ ، والرضاءِ بقضائِهِ ؛ كالحمامةِ التي تُؤخَذُ فراخُها مِنْ وَكرِها ثمَّ تعودُ الله ) (١٠) .
  - ـ وقالَ : ( ما ماتَ مَنْ أحيا علماً ، ولا افتقرَ مَنْ ملكَ فهماً ) (v) .

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲٦٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠).

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠).

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٧/٢٠ ـ ٢٦٨ ) ، والآية من سورة البقرة : ( ١٥٩ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>V) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲٦٨/٢٠).

- وقالَ : ( العلمُ صبغُ النفسِ ، وليسَ يفوقُ صبغُ الشيءِ حتىٰ يَنْظُفَ مِنْ كلِّ دنسٍ ) (١) .
- وقالَ : ( اعلمْ : أنَّ الذي مدحَكَ بما ليسَ فيكَ إنَّما هوَ مُخاطِبٌ غيرَكَ ، وثوابُهُ وجوابُهُ قد سقطا عنكَ ) (٢) .
- وقالَ : ( إحسانُكَ إلى الحرِّ يُحرِّكُهُ على المكافأةِ ، وإحسانُكَ إلى النذلِ يبعثُهُ على معاودةِ المسألةِ ) (٢).
- وقالَ: ( الأشرارُ يتبعونَ مساويَ الناسِ ، ويتركونَ محاسنَهُم ؛ كما يتبعُ الذبابُ المواضعَ الفاسدةَ مِنَ الجسدِ ، ويتركُ الصحيحَ منهُ ) ( أ ) .
  - \_ وقالَ : ( موتُ الرُّؤَساءِ أسهلُ مِنْ رئاسةِ [ السَّفِلَةِ ] ) ( ) .
- وقالَ: (ينبغي لِمَنْ وليَ أمرَ قوم أن يبدأَ بتقويمِ نفسِهِ قبلَ أن يشرعَ في تقويمِ رعيتِهِ ، وإلَّا . . كانَ بمنزلةِ مَنْ رامَ استقامةَ ظلِّ العُودِ قبلَ أن يستقيمَ ذلكَ العُودُ ) (``) .
- وقالَ : ( إذا قويَ الوالي في عملِهِ . . حَرَّكَتْهُ ولايتُهُ على حَسَبِ ما هوَ مركوزٌ في طبعِهِ مِنَ الخير والشرِّ ) (٧) .
- وقالَ : ( ينبغي للوالي أن يعملَ بخصالٍ ثلاثٍ : تأخيرُ العقوبةِ في سلطانِ الغضبِ ، والأناةُ فيما يَرتئيهِ مِنْ رأي ، وتعجيلُ مكافأةِ المحسنِ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲٦٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٩/٢٠ ) .

بالإحسانِ ؛ فإنَّ في تأخيرِ العقوبةِ إمكانَ العفوِ ، وفي تعجيلِ المكافأةِ بالإحسانِ طاعةَ الرعيةِ ، وفي الأناةِ انفساخَ الرأيِ ، وحمدَ العاقبةِ ، ووضوحَ الصَّوابِ ) (١٠) .

- وقالَ : ( مِنْ حقِّ العالم على المُتعلّم : ألَّا يكثرَ عليهِ السؤالَ ، ولا يُعنّتَهُ في الجوابِ ، ولا يُلِحَّ عليهِ إذا كَسِلَ ، ولا يُفشِيَ لهُ سرّاً ، ولا يَعتابَ عندَهُ أحداً ، ولا يطلبَ عثرتَهُ ، فإذا زلَّ . . تأنّيْتَ أوبتَهُ ، وقبلتَ مَعذِرتَهُ ، وأن تُعظّمَهُ وتُوقِرَهُ ما حفظَ أمرَ اللهِ وعَظّمَهُ ، وألَّا تجلسَ أمامَهُ ، وإن كانَتْ لهُ حاجةٌ . . سبقتَ غيرَكَ إلى خدمتِهِ فيها ، ولا تَضجرَنَّ مِنْ صحبتِهِ ، فإنّما هوَ بمنزلةِ النخلةِ تنتظرُ متى يسقطُ عليكَ منها منفعةٌ ، وخُصَّهُ بالتحيةِ ، واحفظْ شاهدَهُ وغائبَهُ ، وليكنْ ذلكَ كلَّهُ للهِ عزَّ وجلَّ ، فإنَّ العالمَ أفضلُ مِن الصائمِ القائمِ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ ، وإذا ماتَ العالمُ . . ثُلِمَ في الإسلامِ ثُلْمَةٌ لا يَسُدُّها إلَّ خَلَفٌ منهُ ، وطالبُ العلمِ تُشيِّعُهُ الملائكةُ حتىٰ يرجعَ ) (٢) .

\_ وقالَ : ( وَصُولٌ مُعدِمٌ خيرٌ مِنْ جافٍ مكثرٍ ، ومَنْ أرادَ أن ينظرَ ما لهُ عندَ اللهِ . . فلينظرْ ما للهِ عندَهُ ) (٣) .

- وقالَ: (لقد سبقَ إلى جنَّاتِ عدنٍ أقوامٌ ما كانوا أكثرَ الناسِ صلاةً ولا صياماً ولا حَجّاً ولا اعتماراً، وللكنْ عقلوا عنِ اللهِ أمرَهُ، فحَسُنَتْ طاعتُهُم، وصحَّ وَرَعُهُم، وكَمُلَ يقينُهُم، ففاقوا غيرَهُم بالحُظْوةِ ورفيع المنزلةِ) (؛).

- وقالَ : ( إِنَّ اللَّهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أدَّبَ نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فقالَ لهُ :

<sup>(</sup>١) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٦٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٠/٢٠ ) .

﴿ خُدِ ٱلْعَفُو وَأَمُرْ بِٱلْعُرُف وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ ﴾ ('') ، فلمَّا علمَ أنَّهُ قد تَأَدَّبَ . . قالَ لهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ('') ، فلمَّا استحكمَ لهُ مِنْ رسولِهِ ما أحبَّ . . قالَ : ﴿ مَا ءَاتَنَكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا نَهَنَكُمْ عَنْهُ فَٱتَهُولُ ﴾ ) ("') .

- وقالَ : كنتُ أنا والعباسُ وعمرُ نتذاكرُ المعروفَ ؛ فقلتُ أنا : خيرُ المعروفِ سترُهُ ، وقالَ عمرُ : خيرُهُ تعجيلُهُ ، وقالَ عمرُ : خيرُهُ تعجيلُهُ ، فخرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « فِيمَ أَنْتُمْ ؟ » فذكرنا لهُ ، فقالَ : « خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَاذَا كُلُّهُ فِيهِ » ( \* ) .

- وقالَ : ( العفوُ يفسدُ مِنَ اللئيم بقَدْرِ ما يُصلِحُ مِنَ الكريم ) (°).

\_ وقالَ : ( إذا خبثَ الزمانُ . . كَسَدَتِ الفضائلُ وضَرَّتْ ، ونفقَتِ الرذائلُ ونفعَتْ ، وكانَ خوفُ الموسر أشدَّ مِنْ خوفِ المعسر ) (١٠) .

- وقالَ : (انظرْ إلى المُتنصِّحِ إليكَ ، فإن دخلَ مِنْ حيثُ يُضارُّ الناسُ . . فلا تقبلْ نصيحتَهُ ، وتَحرَّزْ منهُ ، وإن دخلَ مِنْ حيثُ العدلُ والصلاحُ . . فاقبلُها منهُ ) (٧) .

- وقالَ: (أعداءُ الرجلِ قد يكونونَ أنفعَ مِنْ إخوانِهِ ؟ لأنَّهُم يبدونَ إليهِ عيوبَهُ فيتجنَّبُها ، ويَخافُ شماتتَهُم بهِ فيَضبطُ نعمتَهُ ، ويَتحرَّزُ مِنْ زوالِها بغايةِ طوقِهِ ) (^).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة : ( ٦٧ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة القلم : (٤).

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٠/٢٠ ) ، والآية من سورة الأعراف : ( ١٩٩ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۰/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٠/٢٠ \_ ٢٧١ ) .

<sup>(</sup>٨) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

- وقالَ : ( المِرآةُ التي ينظرُ الإنسانُ فيها إلىٰ أخلاقِهِ هيَ الناسُ ؛ لأنَّهُ يرىٰ محاسنَهُ مِنْ أوليائِهِ منهُم ، ومساوية مِنْ أعدائِهِ فيهِم ) (١١) .
- وقالَ : (انظرْ وجهَكَ كلَّ وقتٍ في المِرآةِ ؛ فإن كانَ حسناً . . فاستقبحْ أن تَجمعَ أن تضيفَ إليهِ فعلاً قبيحاً وتشينَهُ بهِ ، وإن كانَ قبيحاً . . فاستقبحْ أن تَجمعَ بينَ قبيحَين ) (٢٠) .
- \_ وقالَ : ( موقعُ الصَّوابِ مِنَ الجُهَّالِ مثلُ موقعِ الخطأ مِنَ العلماءِ ) (") .
  - وقالَ : ( ذَكِّ قلبَكَ بالأدبِ كما تُذكَّى النارُ بالحطبِ ) ( فَ ) .
- \_ وقالَ : ( لا تَصرِمْ أخاكَ على ارتيابٍ ، ولا تَقطعْهُ دونَ استعتابِ ) ( ٥) .
  - \_ وقالَ : ( خيرُ المَقالِ ما صَدَّقَهُ الفِعالُ ) (١٠) .
  - \_ وقالَ : ( إذا لم تُرزَقْ غنيً . . فلا تُحْرَمَنْ مِنْ تقوىٰ ) (٧) .
    - \_ وقال : ( مَنْ عرف الدنيا . . لم يحزنْ للبلوى ) ( ^ ) .
    - \_ وقالَ : ( دع الكذبَ تَكرُّماً إن لم تدعْهُ تأثُّماً ) (١٠) .
  - وقالَ : ( المعتذرُ مِنْ غيرِ ذنبِ يُوجِبُ على نفسِهِ الذنبَ ) (١٠٠ .

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

ري على الطر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۱/۲۰ ) .

<sup>(</sup>ع) انظر « شرح نهج اببارغه » ( ۲۷۱/۲۰ ) . (۵) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۱/۲۰ ) .

ر. (٦) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

 $<sup>(\</sup>Lambda)$  انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۱/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٩) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>١٠) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧١/٢٠ ) .

- **-** وقالَ : ( كثرةُ الجدالِ تُوجِبُ الشكَّ ) (١) .
  - وقال : ( خيرُ القلوبِ أوعاها ) ( · · ) .
- وقالَ: (الحياءُ لباسٌ سابغٌ ، وحجابٌ مانعٌ ، وسترٌ مِنَ المَساوي واقٍ ، وحليفٌ للدينِ ، وموجبٌ للمحبةِ ، وعينٌ كالئةٌ تَذودُ عنِ الفسادِ ، وتنهى عنِ الفحشاءِ ، والعجلةُ في الأمورِ مكسبةٌ للمَذلَّةِ ، وزمامٌ للندامةِ ، وسلبٌ للمروءةِ ، وشينٌ للحجا ، ودليلٌ على ضَعفِ العقدةِ ) (٣).
- وقالَ : ( لا تصحبِ الشريرَ ؛ فإنَّ طبعَكَ يَسرِقُ مِنْ طبعِهِ شرَّا وأنتَ لا تعلمُ ) (٥٠) .
  - وقالَ : ( ينبغي للعاقلِ أن يَتذكَّر عندَ حلاوةِ الغذاءِ مرارةَ الدواءِ ) (١٠) .
- وقالَ : ( إِن حسدَكَ أَخٌ مِنْ إِخوانِكَ على فضيلةٍ ظهرَتْ منكَ ، فسعىٰ في مكروهِكَ . . فلا تقابلُهُ بمثلِ ما كافحَكَ بهِ ، فيعذرَ نفسَهُ في الإساءةِ ، وتشرحَ لهُ طريقاً إلى ما يحبُّهُ فيكَ ، للكنِ اجتهدْ في التزيُّدِ مِنْ تلكَ الفضيلةِ التي حسدَكَ عليها ؛ فإنَّها تَسوءُهُ مِنْ غيرِ أَن تُوجِدَهُ حُجَّةً عليكَ ) (٧) .
- وقالَ : ( إذا أردتَ أن تَعرِفَ طبعَ الرجلِ . . فاستشرْهُ ؛ فإنَّكَ تقفُ مِنْ مشورتِهِ علىٰ عدلِهِ وجورهِ ، وخيرهِ وشرّهِ ) (^) .

<sup>(</sup>۱) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۲/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۲/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۲/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>  $^{\Lambda}$  ) انظر « شرح نهج البلاغة » (  $^{\Lambda}$  ) .

- وقالَ: (يجبُ عليكَ أن تشفقَ على ولدِكَ مِنْ إشفاقِكَ عليهِ) (١٠).
- وقالَ : ( إذا خدمتَ رئيساً . . فلا تلبسْ مثلَ ملبوسِهِ ، ولا تركبْ مثلَ مركوبهِ ، ولا تركبْ مثلَ مركوبهِ ، ولا تستخدمْ مثلَ خدمِهِ ، فعساكَ تَسلَمُ منهُ ) (٢) .
- وقالَ : ( لا تُحدِّثْ بالعلمِ السفهاءَ فيُكذِّبوكَ ، ولا الجُهَّالَ فيستثقلوكَ ، ولا كُنْ حَدِّثْ بهِ مَنْ يَتلقَّاهُ مِنْ أهلِهِ بقَبولٍ وفهم . . يَفهمْ عنكَ ما تقولُ ، ولاكنْ حَدِّثْ بهِ مَنْ يَتلقَّاهُ مِنْ أهلِهِ بقَبولٍ وفهم . . يَفهمْ عنكَ ما تقولُ ، ويكتمْ عليكَ ما يسمعُ ، فإنَّ لعلمِكَ عليكَ حقّاً ، كما أنَّ عليكَ في مالِكَ حقّاً ؛ بذلُهُ لمُستحِقِّهِ ، ومنعُهُ عن غير مُستحِقِّهِ ) (٢٠) .
- \_ وقالَ : ( إِيَّاكَ وصاحبَ السوءِ ؛ فإنَّهُ كالسيفِ المسلولِ ، يروقُ منظرُهُ ، ويقبحُ أَثرُهُ ) ( \* ) .
  - \_ وقالَ : ( العاقلُ مَنِ اتهمَ رأيَهُ ، ولم يثق بما سَوَّلَتْهُ لهُ نفسُهُ ) ( ٥٠ .
- وقال : (أمرٌ لا تدري متى يغشاك لا يمنعُك أن تَستعِدَّ لهُ قبلَ أن يَفجاك ) (١٠) .
- وقالَ : (ليسَ في البرقِ الخاطفِ [مستمتعٌ] لِمَنْ يخوضُ في الظلمةِ ) (٧).
- \_ وقالَ : ( إذا أعجبَكَ ما يتواصفُهُ الناسُ مِنْ محاسنِكَ . . فانظرْ فيما

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۲/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۳/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۳/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۳/۲۰ ) .

<sup>(°)</sup> انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۳/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٣/٢٠).

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٤/٢٠ ) .

بطنَ مِنْ مساويكَ ، ولتكنْ معرفتُكَ بنفسِكَ أوثقَ عندَكَ مِنْ مدحِ المادحينَ لكَ ) (١) .

- وقالَ: (خيارُ الناسِ يَترفَّعونَ عن ذكرِ معايبِ الناسِ ، ويَتَّهمونَ المخبرَ بها ، ويؤثرونَ الفضائلَ ، ويَتعصَّبونَ لأهلِها ، ويَستعرِضونَ مآثرَ الرُّؤساءِ وأفضالَهُم عليهِم ، ويطالبونَ أنفسَهُم بالمكافأةِ عليها ، وحسنِ الرعايةِ لها ) (۲).

- وقال : (مِنْ كرمِ المرءِ بكاؤُهُ على ما مضى مِنْ زمانِهِ ، وحنينُهُ إلى أوطانِهِ ، وحفظُهُ قديمَ إخوانِهِ ) (٢٠) .

\_ وقالَ : (مكارمُ الأخلاقِ عشرُ خصالٍ : السخاءُ ، والحياءُ ، والصدقُ ، وأداءُ الأمانةِ ، والتواضعُ ، والغَيرةُ ، والشجاعةُ ، والحلمُ ، والصَّبرُ ، والشكرُ ) ( ) .

- وقال : ( مِنْ أداءِ الأمانةِ المكافأةُ على الصنيعةِ ؛ لأنَّها كالوديعةِ عندَكَ ) (٥٠) .

- وقالَ : ( [ الخَيِّرُ ] النفسِ تكونُ الحركةُ عليهِ في الخيرِ سهلةً مُتيسِّرةً ، والحركةُ في الإضرار عسرةً بطيئةً ، والشريرُ بالضِّدِّ مِنْ ذلكَ ) (١٠) .

- وقالَ: ( لا تقبلَنْ في استعمالِ عُمَّالِكَ وأُمرائِكَ شفاعةً إلَّا شفاعةَ الكفايةِ والأمانةِ ) (٧).

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٤/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٤/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٤/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷٦/۲۰).

- وقالَ : ( إذا استشارَكَ عدوُّكَ فجَرِّدْ لهُ النصيحةَ ؛ لأنَّهُ باستشارتِكَ قد خرجَ مِنْ عداوتِكَ ، ودخلَ في مَودَّتِكَ ) (١).

\_ وقالَ : ( العدلُ صورةٌ واحدةٌ ، والظلمُ صورُهُ كثيرةٌ ، ولهاذا سَهُلَ ارتكابُ الجورِ ، وصَعُبَ تحرِّي العدلِ ، وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرمايةِ والخطأَ فيها ، وإنَّ الإصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ وتعهُّدٍ ، والخطأَ لا يحتاجُ إلى شيءٍ مِنْ ذلكَ ) (٢٠).

- وقالَ : ( لا يُخطِئُ المُخلِصَ في الدعاءِ إحدىٰ ثلاثٍ : ذنبٌ يُغفَرُ ، أو خيرٌ يُعجَّلُ ، أو شرٌّ يُؤجَّلُ ) (٣) .

\_ وقالَ : ( لا ينتصفُ ثلاثةٌ مِنْ ثلاثةٍ : بَرُّ مِنْ فاجرٍ ، وعاقلٌ مِنْ جاهلٍ ، وكريمٌ مِنْ لئيم ) ( أ ) .

- وقالَ : (أشرفُ الملوكِ مَنْ لم يخالطْهُ البطرُ ، ولم يَحُلْ عنِ الحقِّ ، وأغنى الأغنياءِ مَنْ لم يكنْ للحرصِ أسيراً ، وخيرُ الأصدقاءِ مَنْ لم يكنْ على إخوانِهِ مستصعباً ، وخيرُ الأخلاقِ [أعونُها] على التقى والورع) (٥٠).

\_ وقالَ : ( إِيَّاكَ ومواقفَ الاعتذارِ ؛ فربَّ عذرٍ أثبتَ الحُجَّةَ على صاحبِهِ وإن كانَ بريئاً ) (١٠) .

\_ وقالَ : ( قُوتُ الأجسامِ الغذاءُ ، وقُوتُ العقولِ الحكمةُ ؛ فمتى فَقَدَ واحدٌ منهُما قُوتَهُ . . بارَ واضمحلَّ ) (٧) .

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ۲۷٦/۲۰ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷٦/۲۰).

<sup>(</sup>٣) أنظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷٦/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۲۷۸/۲۰ ) .

- وقالَ: ( لا تفرحْ بسقطةِ غيرِكَ ، فإنَّكَ لا تدري ما تَتصرَّفُ الأيامُ بكَ ) (١٠) .
  - \_ وقالَ : (غضبُ العاقل في فعلِهِ ، وغضبُ الجاهل في قولِهِ ) (٢).
- \_ وقالَ : ( مُرُوا الأحداثَ بالمراءِ والجدالِ ، والكهولَ بالفكرِ ، والشيوخَ بالصمتِ ) (٢٠) .
- وقالَ : ( بلوغُ أعلى المنازلِ مِنْ غيرِ استحقاقٍ . . مِنْ أكبرِ أسبابِ الهلكةِ ) ( أ ) .
- وقالَ : (ليتَ شعري !! ما أدركَ مَنْ فاتَهُ العلمُ ؟! بل أيُّ شيءٍ فاتَ مَنْ أدركَ العلمَ ؟! ) (°) .
- وقالَ : ( ذو الهِمَّةِ وإن حَطَّ نفسَهُ يأبىٰ إلَّا علواً ؛ كالشعلةِ مِنَ النارِ يخفيها صاحبُها وتأبىٰ إلَّا ارتفاعاً ) (١٠) .
- وقالَ : ( العاقلُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ . . أتبعَها حكمةً ومثلاً ، والأحمقُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ . . أتبعَها حَلِفاً ) (٧٠ .
  - \_ وقالَ : ( ابتداءُ الصَّنيعةِ نافلةٌ ، وربُّها فريضةٌ ) (^).
    - \_ وقالَ : (رُبَّ صَلَفٍ أَدَّىٰ إلىٰ تَلَفٍ) ( (رُبَّ صَلَفٍ أَدَّىٰ إلىٰ تَلَفٍ )

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٧٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٨٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٨٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٨٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٨٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٨٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٢٨٩/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٨) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٩٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٩) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٩٠/٢٠ ) .

- \_ وقالَ : ( المروءةُ التامَّةُ مباينةُ العامَّةِ ) (١) .
- \_ وقالَ: ([السَّفِلَةُ] إذا تَعلَّموا . . تَكبَّروا ، وإذا تَموَّلوا . . استطالوا ، والعِلْيةُ إذا تَعلَّموا . . تواضعوا ، وإذا افتقروا . . صالوا ) (٢) .
- وقالَ : (أعجزُ الناسِ مَنْ قَصَّرَ في طلبِ الصديقِ ، وأعجزُ منهُ مَنْ وجدَهُ فضَيَّعَهُ ) (٢٠) .
- \_ وقالَ : ( إذا قعدتَ وأنتَ صغيرٌ حيثُ تُحِبُّ . . قعدتَ وأنتَ كبيرٌ حيثُ تكرهُ ) (١٠) .
- وقالَ: (عاملوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضةِ ، والأوساطَ بالرغبةِ والرهبةِ ، والسَّفِلَةَ بالهوانِ ) ( ) .
- وقالَ : ( لا تبلغ في سلامِكَ على الإخوانِ حدَّ النفاقِ ، ولا تُقصِّرْ بهِم عن درجةِ الاستحقاقِ ) (١٠) .
- وقالَ : (ارحمِ الفقراءَ لقِلَّةِ صبرِهِم ، والأغنياءَ لقِلَّةِ شكرِهِم ، وارحمِ الجميعَ لطولِ غفلتِهم ) (٧) .
- وقالَ : ( مَنْ كَذَبَ . . ذهبَ بماءِ وجهِهِ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ . . كَثُرَ غَمُّهُ ، ونقلُ الصُّخور مِنْ مواضعِها أهونُ مِنْ تفهيم مَنْ لا يفهمُ ) (^) .

<sup>(</sup>۱) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۹۰/۲۰).

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٩٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٢٩٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٠٠/٢٠ ) .

<sup>(•)</sup> انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣١١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣١٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٥/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٨) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٦/٢٠ ) .

- وقالَ : (لمَّا عرفَ أهلُ النقصِ حالَهُم عندَ أهلِ الكمالِ . . استعانوا بالكِبْرِ ؛ ليُعظِّمَ صغيراً ، ويرفعَ حقيراً ، وليسَ بفاعلِ ) (١٠) .
- وقالَ: ( مَنْ كَثُرَ مزاحُهُ . . لم يَسلَمْ مِنِ استخفافٍ بهِ ، أو حقدٍ عليهِ ) (٢) .
- وقالَ: (لا تقطعْ أخاكَ إلَّا بعدَ عجزِ الحِيلةِ عنِ استصلاحِهِ ، ولا تُتْبِعْهُ بعدَ القطيعةِ وقيعةً فيهِ فتَسُدَّ طريقَهُ عنِ الرُّجوعِ إليكَ ، ولعلَّ التجارِبَ أنْ تَرُدَّهُ عليكَ ، وتُصلِحَهُ لكَ ) (٣) .
- وقالَ : (الجاهلُ صغيرٌ وإن كانَ شيخاً ، والعالمُ كبيرٌ وإن كانَ حَدَثاً ) ('') .
  - وقالَ : ( الفُرصةُ سريعةُ الفَوتِ ، بطيئةُ العودِ ) (°°) .
    - وقال : (عقلُ الكاتب في قلمِهِ) (١٠).
- وقالَ : ( الأدبُ عندَ الأحمقِ كالماءِ العذبِ في أصولِ الحنظلِ ؛ كلَّما زادَ ريّاً . . ازدادَ مرارةً ) (٧٠) .
- وقال : ( ممَّا تكتسبُ بهِ المحبةَ أن تكونَ عالماً كجاهلٍ ، وواعظاً كموعوظٍ ) (^) .

<sup>(</sup>١) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٧/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٧/٢٠).

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٢٨/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٧) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٣٠/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٨) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٣٠/٢٠ ).

- \_ وقالَ: ( لَأَعجبُ للسلطانِ كيفَ يُحسِنُ وهوَ إذا أساءَ.. وجدَ مَنْ يُزكِّيهِ ويَمدحُهُ ؟!) (١٠٠.
- وقالَ: (إذا صادقتَ إنساناً.. وجبَ أن تكونَ صديقَ صديقِهِ ، وليسَ يجبُ عليكَ أن تكونَ عدقِّهِ ، لا علي يجبُ عليكَ أن تكونَ عدقِّ عدقِّهِ ؛ لأنَّ هلذا إنَّما يجبُ علي خادمِهِ ، لا علي مماثل لهُ ) (۱).
- \_ وقالَ : (ليسَ يَكمُلُ فضيلةُ الرجلِ حتى يكونَ صديقاً لمتعاديَينِ ) (٢٠).
- وقالَ : ( تَعرِفُ خساسةَ المرءِ بكثرةِ كلامِهِ فيما لا يعنيهِ ، وإخبارِهِ عمَّا لا يُسأَلُ عنهُ ) ( ) .
- وقال : (خيرُ ما عُوشِرَ بهِ الملكُ قِلَّةُ الخلافِ، وتخفيفُ المؤنةِ) (١٠) .
- وقالَ: (أُولى الأشياءِ أن يَتعلَّمَها الأحداثُ.. الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها) (٧).
  - وقالَ : ( لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ، بل اطلبِ الأكلَ لتحيا ) (^).
- وقالَ : ( مَنْ أمضى يومَهُ في غيرِ حقِّ قضاهُ ، أو فرضِ أدَّاهُ ، أو

<sup>(</sup>۱) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۳۳۰/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٣١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٣١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٣١/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٣٢/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٣٣/٢٠ ) .

<sup>(</sup>۷) انظر « شرح نهج البلاغة » (  $^{\mathsf{VV}}$ 7 ) .

<sup>(</sup>٨) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٣٣/٢٠ ) .

مجدٍ بناهُ ، أو حمدٍ حَصَّلَهُ ، أو خيرٍ أسَّسَهُ ، أو علمٍ اقتبسَهُ . . فقد عَقَّ يومَهُ ) (١) .

- وقالَ : ( خيرُ الشِّعر ما كانَ مَثَلاً ، وخيرُ الأمثالِ ما لم يكنْ شعراً ) ( ` ` .

- وقالَ : ( ولدُكَ ريحانتُكَ سبعاً ، وخادمُكَ سبعاً ، ثمَّ هوَ عدوُّكَ أو صديقُكَ ) (٢) ؛ يعني : بحسن التربية وسوئها .

\* \* \*

<sup>(</sup>۱) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ۳۳٤/۲۰ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح نهج البلاغة » ( ٣٣٦/٢٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح نهج البلاغة » ( ٣٤٣/٢٠ ) .

## [ أرجوزةُ ابن حِجَّةَ الحَمَويّ ]

وممَّا يناسبُ ما أوردنا ، ويكونُ حفظُهُ كمالاً لطالب صناعةِ الإنشاءِ . . طرفُ الأراجيز التي ضَمَّنَها أصحابُها أمثالَ تلكَ المعاني ، فعليهِ أن يطلبَها مِنْ مظانِّها ، ونوردُ منها الأرجوزةَ التي استخلصَها تقيُّ الدين أبو بكر ابنُ حِجَّةَ الحمويُّ مِنْ كتابِ « الصادح والباغم » (١١) ، ورَتَّبَ أبياتَها كما استحسنَ غيرَ ترتيبها في ذلك الكتاب ؛ وهي : [من الرجز]

وَٱخْتَارَنَا لِلْعِلْمِ إِذْ أَدَّبَنَا فَلَا تُخَاطِبُ كُلَّ مَنْ لَا يَشْعُرُ وَمَنْ يَرُومُ ٱلسِّحْرَ فِي نِظَامِهِ لَيْسَ لَهَا فِي عَصْرِنَا مِثَالُ لِأَنَّ فِيهَا رَأْسَ مَالِ ٱلْأُدَبَا فَكَانَ ذَا مِنْ أَكْبَر ٱلْمَصَالِح سَكَنْتَ مِنْ سَامِعِهِ فِي قَلْبِهِ لَاكِنَّنِي خَاطَبْتُ بِٱلْمَعْرُوفِ تَجْلِبُ لِلسَّامِع كُلَّ لَذَّةِ بهَا إِذَا خَاطَبَ أَرْبَابَ ٱلْعُلَا مَقْبُولَةٌ مِنْ أَحْسَنِ ٱلسَّجَايَا جَمَعْتُهَا جَمْعَ أَدِيبِ شَاعِر

اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي هَذَّبَنَا فَإِنَّ لِـلْآدَابِ فَـضْـلاً يُــذْكَـرُ يَا مُدَّعِى ٱلْحِكْمَةِ فِي كَلَامِهِ خُذْ حِكَماً وَكُلُّهَا أَمْثَالُ أَلَّفَهَا ٱبْنُ حِجَّةٍ لِلنُّجَبَا وَٱخْتَارَهَا مِنْ مُفْرَدَاتِ ٱلصَّادِح مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِنْ تَمَثَّلْتَ بِهِ وَقَدْ تَهَجَّمْتُ عَلَى ٱلشَّرِيفِ وَجِئْتُ مِنْ كَلَامِهِ بِنُبْذَةِ وَتَـرْفَعُ ٱلْأَدِيبَ إِنْ تَـمَـثَـلَا مِنْ حِكَم تَتْبَعُهَا وَصَايَا مِــــنْ أُوَّلِ وَأُوْسَـــطٍ وَآخِــــر

<sup>(</sup>١) ذكرها في « خزانة الأدب » ( ١٨٠/٢ ) .

وَٱنْتَظَمَ ٱلْبَدِيعُ بِٱلْغَرِيبِ بَـدِيعَـةٌ غَـريـبَـةٌ وَجِـيـزَهْ تَرْتِيبهَا يَكُونُ غَيْرَ مُنْصِفِ وَيَعْتَرِفْ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبْ مِنْ نَظْمِهِ ٱلْمُحْكَم فِي مَقَالِهِ وَلَيْسَ بِٱلرَّأْيِ وَلَا ٱلتَّدْبِير وَفِعْلُهُ جَمِيعُهُ إِدْبَارُ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَة إِنَّ ٱلْقَضَاءَ بِٱلْعِبَادِ أَمْلَكُ نَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِذْ نُبْتَلَى أَنْ نَجْعَلَ ٱلْكُفْرَ مَكَانَ ٱلشُّكْر إِذْ كَانَ مَا يَجْرِي بِأَمْرِ ٱلْبَارِي مَنْ سَاعَدَ النَّاسَ بِفَضْلِ ٱلْجَاهِ أَغَاثَـهُ ٱللهُ إِذَا أُخِـيــفَــا كَمَا ٱلْجَسِيمُ يَحْمِلُ ٱلْجَسِيمَا رَحْمَةً ذِي ٱلْبَلَاءِ وَٱلْأَسْقَام ٱلْعَطْفَ فِي ٱلْبُؤْسِ عَلَى ٱلْعَدُوّ عَلَى ٱلصَّدِيقِ وَٱلْعَدُوِّ صَدَقَهُ بٱلطَّبْع لَا يُرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ

حَتَّىٰ دَنَا ٱلْبَعِيدُ لِلْقَرِيبِ وَٱنْسَجَمَتْ فِي جَمْعِهَا أُرْجُوزَهْ وَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَحْكَمْتُ فِي فَلْيَنْظُر ٱلْأَصْلَ لِيَعْرِفَ ٱلسَّبَبْ أُوَّلُ مَا يُرْغَبُ فِي ٱسْتِهْ لَالِهِ ٱلْعَيْشُ بِٱلرِّزْقِ وَبِٱلتَّقْدِير فِي ٱلنَّاس مَنْ تُسْعِدُهُ ٱلْأَقْدَارُ مَنْ عَرَفَ ٱللهَ أَزَالَ ٱلتُّهُ مَنْ مَنْ أَنْكَرَ ٱلْقَضَاءَ فَهُ وَ مُشْرِكُ وَنَـحْـنُ لَا نُـشْـرِكُ بِـاللهِ وَلَا عَارٌ عَلَيْنَا وَقَبِيحُ فِكُر وَلَيْسَ فِي ٱلْعَالَم ظُلْمٌ جَارِي وَأَسْعَدُ ٱلْعَالَمِ عِنْدُ ٱللهِ وَمَنْ أَغَاثَ ٱلْبَائِسَ ٱلْمَلْهُ وفَا إِنَّ ٱلْعَظِيمَ يَدْفَعُ ٱلْعَظِيمَ فَإِنَّ مِنْ خَلَائِتِ ٱلْكِرَام وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ ٱلْعُلُوّ قَدْ قَضَتِ ٱلْعُقُولُ أَنَّ ٱلشَّفَقَهْ وَقَدْ عَلِمْتَ وَٱللَّبِيبُ يَعْلَمُ

فَإِنَّهُ فِي دَهْرِهِ مُرْتَهَنُّ فَٱلْمَرْءُ لَا يَدْري مَتَىٰ يُمْتَحَنُ لَا يَاٰمَنُ ٱلْآفَاتِ إِلَّا ذُو ٱلرَّدَىٰ وَإِنْ نَجَا ٱلْيَوْمَ فَمَا يَنْجُو غَدَا لَا تَغْتَرِرْ بِٱلْخَفْضِ وَٱلسَّلَامَهُ فَإِنَّ مَا ٱلْحَيَاةُ كَٱلْمُدَامَةُ وَٱلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلْكَأْسِ وَٱلدَّهْرُ ٱلْقَذَرْ وَٱلصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْكَدَرْ مِنْ صَاحِبِ يَحْمِلُ مَا أَثْقَلَهُ وَكُلُّ إِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لَـهُ فَإِنَّهَا كَئٌّ عَلَى ٱلْفُوَادِ جَهْدُ ٱلْبَلَاءِ صُحْبَةُ ٱلْأَضْدَادِ أَعْظَمُ مَا يَلْقَى ٱلْفَتَىٰ مِنْ جَهْدِ أَنْ يُبْتَلَىٰ فِي جِنْسِهِ بِٱلضِّدِّ فَإِنَّمَا ٱلرِّجَالُ بِٱلْإِخْوَانِ وَٱلْيَدُ بِٱلسَّاعِدِ وَٱلْبَنَانِ لَا يَحْقِرُ ٱلصَّحْبَةَ إِلَّا جَاهِلُ أَوْ مَارِقٌ عَن ٱلرَّشَادِ غَافِلُ وَذِمَّةٌ يَحْفَظُهَا ٱللَّبيبُ صُحْبَةُ يَوْم نَسَبٌ قَريبُ وَمُ قُدَّضَى ٱلْمَ وَدَّةِ ٱلْمُعَاضَدَهُ وَمُوجِبُ ٱلصَّدَاقَةِ ٱلْمُسَاعَدَهُ لَا سِيَّمَا فِي ٱلنُّوبِ ٱلشَّدَائِدِ وَٱلْمِحَن ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْأَوَابِدِ فَٱلْمَرْءُ يُحْدِي أَبَداً أَخَاهُ وَهْوَ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ أَعْدَاهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخَافُ لَوْمَا وَإِنَّ مَنْ عَاشَرَ قَوْماً يَوْمَا لِحَرْبهِ جَرَّ إِلَيْهِ ٱلْبَلْوَىٰ وَإِنَّ مَنْ حَارَبَ مَنْ لَا يَـقْـوَىٰ فَحَارِبِ ٱلْأَكْفَاءَ وَٱلْأَقْرَانَا فَٱلْمَرْءُ لَا يُحَارِبُ ٱلسُّلْطَانَا وَٱقْنَعْ إِذَا حَارَبْتَ بِٱلسَّلَامَهُ وَٱحْذَرْ فِعَالاً تُوجِبُ ٱلنَّدَامَة مَنْ خَافَ فِي مَتْجَرِهِ ٱلْخَسَارَهُ فَٱلتَّاجِرُ ٱلْكَيِّسُ فِي ٱلتِّجَارَهُ يَجْهَدُ فِي تَحْصِيل رَأْس مَالِهِ ثُمَّ يَرُومُ ٱلرّبْحَ بِٱحْتِيَالِهِ

فَلَا تُقَصِّرْ وَٱحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَا فَسَبْقُكَ ٱلْخَصْمَ مِنَ ٱلْمَكَايِدِ تَصِيرُ إِنْ لَمْ تَنْتَهِ زْهَا غُصَّهْ عَنْهُ ٱلتَّوَقِي وَٱسْتَهَانَ فَهَلَكْ لَمْ يَحْفَظُوهُ فِي لِقَاءِ ٱلْخَصْم يُخْذَلُ حِينَ يَشْهَدُ ٱلْحُرُوبَا كَلَّا وَلَا يَحْمُونَ مَنْ أَجَاعَهُمْ مَنْ غَرَّهُ ٱلسِّلْمُ فَأَقْصَى ٱلْجُنْدَا لَا خَيْرَ فِي عَزْم بِغَيْرٍ حَزْم وَٱلصَّبْرِ لَا فِي سُرْعَةِ ٱلْمُزَاوَلَهُ مَا غَلَبَ ٱلْأَيَّامَ إِلَّا ٱلصَّابِرُ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفِ رُوحٌ بلا كَدٍّ وَلَا ٱلْتِمَاس وَنَاجِزٌ بَادٍ وَدَمْعٌ يَنْسَفِكُ مَا لَمْ تَنَلْ بِٱلْحِرْصِ وَٱلتَّعَنِّي وَأَقْبَحَ ٱلْحَيْرَةَ وَٱلتَّبَلُدَا خَطْبٌ تَلَقًاهُ بِصَبْرِ وَثِقَهُ فَثَمَّ أَحْوَالُ ٱلرِّجَالِ تَخْتَلِفْ فَأَصْبِرُ ٱلْآنَ لِهِلذِي ٱلْمِحَن

وَإِنْ رَأَيْتَ ٱلنَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَا وَٱسْبِقْ إِلَى ٱلْأَجْوَدِ سَبْقَ ٱلنَّاقِدِ وَٱنْتَهِ زِ ٱلْفُرْصَةَ إِنَّ ٱلْفُرْصَهُ كَمْ بَطِرَ ٱلْغَالِبُ يَوْماً فَتَرَكُ وَمَنْ أَضَاعَ جُنْدَهُ فِي ٱلسِّلْم وَإِنَّ مَنْ لَا يَحْفَظُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْجُنْدُ لَا يَرْعَوْنَ مَنْ أَضَاعَهُمْ وَأَضْعَفُ ٱلْمُلُوكِ طُرّاً عَقْدَا وَٱلْحَزْمُ وَٱلتَّذبيرُ رُوحُ ٱلْعَزْم وَٱلْحَزْمُ كُلُّ ٱلْحَزْمِ فِي ٱلْمُطَاوَلَهُ وَفِي ٱلْخُطُوبِ تَظْهَرُ ٱلْجَوَاهِرُ لَا تَيْئَسَنْ مِنْ فَرَجِ وَلُطْفِ فَرُبَّمَا جَاءَكَ بَعْدَ ٱلْيَاس فِي لَمْحَةِ ٱلطَّرْفِ بُكَاءٌ وَضَحِكْ تَخَالُ بِٱلرِّفْقِ وَبِٱلتَّاأُنِّي مَا أَحْسَنَ ٱلثَّبَاتَ وَٱلتَّجَلُّدَا لَيْسَ ٱلْفَتَىٰ إِلَّا ٱلَّذِي إِنْ طَرَقَهُ إِذَا ٱلرَّزَايَا أَقْبَلَتْ وَلَمْ تَقِفْ وَكَمْ لَقِيتُ لَذَّةً فِي زَمَانِي

وَٱلْمَوْتُ أَحْلَىٰ مِنْ حَيَاةٍ مُرَّهُ فَأَجْهَدُ ٱلْآنَ لِمَا يَقِينِي وَرُبَّ مَا فَازَ ٱلْفَتَىٰ إِذَا صَبَرْ كَلَّا وَلَا يَخْضَعُ لِلنَّوَائِب وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلنَّائِبَاتِ يَجْمُلُ مَا غَلَبَ ٱلْأَيَّامَ إِلَّا مَنْ رَضِي لَيْسَ ٱلنُّهَىٰ بعِظَم ٱلْعِظَام بَلْ هُوَ فِي ٱلْعُقُولِ وَٱلْأَفْهَام وَٱلْإِبْلُ لِلْحَمْلِ وَلِلتَّرْحَالِ فَرُبَّهَا أَسَالَتِ ٱلدَّمَ ٱلْإِبَرْ جَمِيعُ مَا تَكْرَهُ مِنْ لَجَاجِهِ وَكُنْ إِذَا كَوَيْتَ ذَا إِنْضَاجِ طَمَاعَةً وَطَلَبَ ٱلْمَفْقُودَا كَمْ نُكْتَةٍ جَاءَتْكَ مَعْ إِظْهَارِهَا وَمَا نَظُرْتَ حَسَنَ ٱلسَّرَائِر أَنَّ ٱلضَّريرَ قَطُّ لَا يَراهُ نَافِقَةً وَأَنْتَ عَنْهَا غَافِلُ وَلَوْ رَأَوْهَا لَأَزَالُوا ٱلتُّهُمَهُ

فَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّهُ إِنِّي مِنَ ٱلْمَوْتِ عَلَىٰ يقِين صَبْراً عَلَىٰ أَهْ وَالِهَا وَلَا ضَجَرْ لَا يَجْزَعُ ٱلْحُرُّ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ فَٱلْحُرُّ لِلْعِبْءِ ٱلثَّقِيلِ يَحْمِلُ لِكُلّ شَيْءٍ مُدَّةٌ وَتَنْقَضِي قَدْ صَدَقَ ٱلْقَائِلُ فِي ٱلْكَلَام لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ ٱلْأَجْسَام فَٱلْخَيْلُ لِلْحَرْبِ وَلِلْجَمَالِ لَا تَحْتَقِرْ شَيْئاً صَغِيراً مُحْتَقَرْ لَا تُحْرِجِ ٱلْخَصْمَ فَفِي إِحْرَاجِهِ لَا تَطْلُبِ ٱلْفَائِتَ بِٱللَّجَاجِ فَعَاجِزٌ مَنْ تَرَكَ ٱلْمَوْجُودَا وَفَتِّ شُ ٱلْأُمُ ورَ عَنْ أَسْرَارهَا لَزِمْتَ لِلْجَهْلِ قَبِيحَ ٱلظَّاهِرِ لَيْسَ يَضُرُّ ٱلْبَدْرَ فِي ثَنَاهُ كَمْ حِكْمَةٍ أَضْحَتْ بِهَا ٱلْمَحَافِلُ وَيَغْفُلُونَ عَنْ خَفِيّ ٱلْحِكْمَهُ

<sup>(</sup>١) في « خزانة الأدب » : ( نكبة ) بدل ( نكتة ) .

وَسَمِج عُنْوَانُهُ مَلِيحُ يَا أَبَاهُ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلُ لَا يَنْشَنِي لِزُخْرُفِ ٱلْمَقَالِ وَقَـلَّمَا يُصِدَّقُ ٱلْحَسُودُ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ مُعَانِدِ وَٱلرَّجُلُ ٱلْمُحْسِنُ بِٱللَّئِيم يُـرْدُونَـهُ بـالْـغِـشّ وَالْـفَـسَادِ مَنْ حَسِبَ ٱلْإِسَاءَةَ ٱلْإِحْسَانَا وَلَا تَخَلْ يُسْرَاكَ مِثْلَ ٱلْيُمْنَى وَخِدعٌ مُنْكَرةٌ شَدَائِكُ قَطُّ وَلَا يَغْتَاظُ بِٱلْمَكَايِدِ وَٱمْكُرْ إِذَا لَمْ يَنْفَع ٱلصِّدْقُ وَكِدْ يَبْلُغُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ مَا يُريدُ وَغَيْرُهُ مُخْتَضِبُ ٱلْأَظَافِر وَلَوْ بِقَتْلِ وُلْدِهِ وَعِرْسِهِ لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا صَلَاحَ نَفْسِهِ وَجَدْتَهُ كَمَنْ يُرَبِّي أَسَدَا وَلَيْسَ فِي أَصْلِ ٱلدَّنِيءِ نَصْرُ ضِدُّ ٱلَّذِي فِي طَبْعِهِ مَا أَنْصَفَهُ

كَمْ حَسَنِ ظَاهِرُهُ قَبيحُ وَٱلْحَقُّ قَدْ تَعْلَمُهُ ثَقِيلُ فَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَامِلُ فِي ٱلرَّجَالِ إِنَّ ٱلْعَدُوَّ قَوْلُهُ مَرْدُودُ لا تَقْبَل ٱلدَّعْوَىٰ بِغَيْر شَاهِدِ أَيُـوْخَـذُ ٱلْـبَـريءُ بـالسَّـقِـيـم كَذَاكَ مَنْ يَسْتَنْصِحُ ٱلْأَعَادِي إِنَّ أَكَلَّ مَنْ تَرَىٰ أَذْهَانَا فَأَدْفَعْ إِسَاءَةَ ٱلْعِدَا بِٱلْحُسْنَى وَلِلرِّجَالِ فَاعْلَمَنْ مَكَايِدُ فَٱلنَّدْبُ لَا يَخْضَعُ لِلشَّدَائِدِ فَرَقِع ٱلْخَرْقَ بِلُطْفٍ وَٱجْتَهِدْ فَ هَاكَذَا ٱلْحَازِمُ إِذْ يَكِيدُ وَهْوَ بَرِيءٌ مِنْهُمُ فِي ٱلظَّاهِر وَٱلشَّهُمُ مَنْ يُصْلِحُ أَمْرَ نَفْسِهِ فَإِنَّ مَنْ يَقْصِدُ قَلْعَ ضِرْسِهِ وَإِنَّ مَنْ خَصَّ ٱللَّئِيمَ بِٱلنَّدَىٰ وَلَيْسَ فِي طَبْعِ ٱللَّئِيمِ شُكْرُ وَإِنَّ مَن أَلْزَمَهُ [ وَكَلَّفَهُ ]

وَيُصِوْثِ وَ ٱلْأَرْذَالَ وَٱلْأَنْ خَالَا مَا ظَهَرَتْ بَيْنَكُمُ ٱلْأَسْرَارُ وَٱلْعِرْقُ دَسَّاسٌ إِذَا [ أُطِيعًا] وَلَا زَكَا مَنْ مَجْدُهُ حَدِيثُ وَيَبْلُغُونَ وَطَراً مِنْ بُغْيَا مَبْلَغَ مَنْ كَانَ لَهُ فِيهَا قَدَمْ فِي طِيبهَا وَكَرُمَتْ أَسْلَافُهُ وَبَرَعَتْ فِي أَصْلِهِ حُسْنُ ٱلشِّيمْ مَا بَانَ لِلْعُقُولِ فَضْلُ ٱلْعَالِم فَذَاكَ مَنْ يَكُفُرُهُ فَقَدْ ظَلَمْ أَوْ حَاجَةٍ لَهُ إِلَيْكَ وَاقِعَهُ كَمْ أَكْلَةٍ أَوْدَتْ بِنَفْسِ ٱلْآكِل وَقِسْ بِمَا رَأَيْتَهُ مَا لَمْ تَرَهْ إِفْسَادُ شَخْصِ كَامِل لِقَرَمِهُ لَيْسَ لِمُلْكِ مَعَهُ بَقَاءُ وَٱلْعُجْبُ فَٱتْرُكْهُ شَدِيدُ ٱلْمَصْرَع شَرُّ ٱلْوَرَىٰ مَنْ لَيْسَ يَرْعَى ٱلْعَهْدَا وَرُبَّ مَا ضَرَّ ٱلْحَريصَ حِرْصُهُ وَسَاءَكَ ٱلْمُحْسِنُ مِنْ رَجَالِكَا

كَذَاكَ مَنْ يَصْطَنِعُ ٱلْجُهَّالَا لَوْ أَنَّكُمْ أَفَاضِلٌ أَحْرَارُ إِنَّ ٱلْأُصُولَ تَجْذِبُ ٱلْفُرُوعَا مَا طَابَ فَرْعٌ أَصْلُهُ خَبِيثُ قَدْ يُدْركُونَ رُتَباً فِي ٱلدُّنْيَا لَاكِنَّهُمْ لَا يَبْلُغُونَ فِي ٱلْكَرَمْ وَكُلُّ مَنْ تَمَاثَلَتْ أَطْرَافُهُ كَانَ خَلِيقاً بِٱلْعُلَا وَبِٱلْكَرَمْ لَـوْلَا بَنُـو آدَمَ بَـيْـنَ ٱلْـعَـالَـم فَوَاحِدٌ يُعْطِيكَ فَضْلاً وَكَرَمْ وَوَاحِدٌ يُعْطِيكَ لِلْمُصَانَعَهُ لَا تَشْرَهَنْ إِلَىٰ حُطَام عَاجِلِ وَٱحْذَرْ أُخَى يَا فَتَىٰ مِنَ ٱلشَّرَهُ فَلَيْسَ مِنْ عَقْلِ ٱلْفَتَىٰ أَوْ كَرَمِهُ فَالْبَغْيُ دَاءٌ مَا لَهُ دَوَاءُ وَٱلْبَغْيُ فَٱحْذَرْهُ وَخِيمُ ٱلْمَرْتَع وَٱلْغَدْرُ بِٱلْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا عِنْدَ تَمَام ٱلْأَمْرِ يَبْدُو نَفْصُهُ وَرُبَّمَا ضَرَّكَ بَعْضُ مَالِكَا

فَٱلْمَرْءُ يَفْدِي نَفْسَهُ بِرَفْرهُ عَسَاهُ أَنْ يَنْجُوبِهِ مِنْ أَسْرهُ لَا تُعْطِيَنْ شَيْعًا بِغَيْرِ فَائِدَهْ فَإِنَّهَا مِنَ ٱلسَّجَايَا ٱلْفَاسِدَهُ مِنْ رَجَز ٱلشَّرِيفِ وَٱنْتَخَبْتُهُ هَاذَا ٱلَّذِي أَلَّفْتُهُ وَٱخْتَارْتُهُ وَحُرْمَةُ ٱلْآدَابِ يَا أَهْلَ ٱلْأَدَبْ إِنَّ ٱلشَّريفَ قَدْ أَتَانَا بِٱلْعَجَبْ كَمْ قَدْ أَتَىٰ مُحَمَّدٌ بِمُعْجِزَهْ قُلْنَا جَمِيعاً إِذْ سَمِعْنَا رَجْزَهْ وَكُلُّنَا لِبَيْتِهِ عَبِيدُ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ شَطْرُهُ قَصِيدُ فَرَحْمَةُ ٱللهِ لَهُ فِي ٱلْآخِرَهُ خَاتِمَةٌ مَعَ ٱلْهِبَاتِ ٱلْوَافِرَهُ عَلَى ٱلَّذِي لِلرُّسْلِ جَاءَ خَاتِمَا ثُمَّ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دَائِمَا

والشريفُ المذكورُ صاحبُ « الصادحِ والباغمِ » هوَ المشهورُ بالرضيِ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ أكبرِ أُمراءِ زمانِهِ ، تَولَّىٰ نقابةَ الأشرافِ ببغدادَ وغيرَها مِنَ الوظائفِ الجليلةِ ، وقد أفاضَ اللهُ عليهِ مِنْ بركاتِ بيتِهِ النبويِ العلويِ ، فلم يكنْ أشعرُ منهُ على الإطلاقِ ، ولا يطمعُ أحدٌ أن يجاريهُ في سباقٍ ، فعلم يكنْ أشعرُ منهُ على الإطلاقِ ، ولا يطمعُ أحدٌ أن يجاريهُ في سباقٍ ، شعرُهُ مُدوَّنٌ في أربعةِ أجزاءِ ، وقدِ اقتفىٰ أثرَهُ فأحسنَ تلميذُهُ وصنيعتُهُ مهيارٌ الديلميُّ ، وسنوردُ عليكَ إن شاءَ اللهُ \_ متىٰ أفضنا في أمرِ الشعرِ \_ مِنْ كلامِهِما مصداقَ ذلكَ .

## [ وظائف مريد صناعة الإنشاء ]

ومنها الاستشهادُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، على ما يكونُ أسلفَهُ في نثرِهِ مِنَ الدعاوىٰ ، ومِنَ التضمينِ ؛ بأن يُتمِّمَ المعنى الذي أبرزَهُ النثرُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، أو يقرنَ معنى بما يناسبُهُ .

ومنها استعمالُهُ في الحَلِّ الذي سبق التنبيهُ عليهِ في البديعِ (۱) ، نُقِلَ أنَّ عبدَ الرحيمِ البيسانيَّ المشهورَ بالقاضي الفاضلِ لمَّا وردَ الديارَ المصريَّةَ في آخرِ دولةِ العبيديينَ ، علىٰ نيَّةِ الإقامةِ بها ، والتعيُّشِ فيها بحرفةِ الكُتَّابِ . . لقيَ ابنَ الخلالِ رئيسَ الكتَّابِ إذ ذاكَ ، وعرضَ عليهِ نيَّتَهُ ، وأنَّهُ استعدَّ لذلكَ بحفظِ القرآنِ الشريفِ ، وبعضِ الأخبارِ النبويَّةِ ، و« ديوانِ الحماسةِ » ؛ وهو كتابٌ جمعَ فيهِ أبو تمام أشعاراً انتخبَها مِنْ أشعارِ العربِ وأجادَ الانتخابَ ؛ حتىٰ إنَّهُ في اختيارِهِ أشعرُ منهُ في شعرِهِ ، ورَتَّبَهُ علىٰ عشرةِ أبوابٍ ، كلُّ بابٍ في نوع مِنْ أنواع الشعرِ .

فأمرَهُ أن يبتدئ التعلُّمَ بحلِّ أبياتِ ذلكَ الديوانِ ، وإخراجِها مِنْ صورةِ النظمِ إلى صورةٍ نثريةٍ لا تنقصُ ملاحتُها عمَّا كانَتْ عليهِ وهي نظمٌ ، فلمَّا أتمَّ ذلكَ . . عرضَهُ عليهِ ، فأظهرَ استحسانَهُ ، وأثنى عليهِ ، وأمرَهُ أن يحلَّها

<sup>(</sup>١) تقدم في العقد والحل ( ٤٠٥/٢ ) .

مَرَّةً ثانيةً ، فعندَ ذلكَ تَصرَّفَ قلمُهُ في الصناعةِ ، ولم يزلْ يَترقَّىٰ حتىٰ كانَ الواحدَ المشارَ إليهِ في الدولةِ الكرديَّةِ الماحيةِ للدولةِ العبيديةِ .

## [ نبذةٌ مِنْ أشعارِ « ديوانِ الحماسةِ » ]

وإذ كانَ ذلكَ كذلكَ . . فلا بدَّ أن نوردَ لكَ مِنْ كلِّ بابٍ مِنْ أبوابِ الحماسةِ جملةً صالحةً تحفظُها ، وتتأمَّلُ معانيَها ، وتفتكرُ في استعمالِها لتلكَ الأغراضِ ، حتى تجدَ الزمنَ الذي تَتمكَّنُ فيهِ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ أن تطلعَ على جميعِ الكتابِ وغيرِهِ ممَّا يلزمُ لطالبِ الأدبِ أن يطلعَ عليهِ مِنَ الكتبِ .

فمِنْ بابِ الحماسةِ \_ والحماسةُ : الشدَّةُ ، وبها سُمِّيَتِ الأشعارُ التي يُذكَرُ فيها الشِّدةُ على النفسِ في احتمالِ المكارهِ ، والصَّبرُ عليها لحفظِ الشرفِ وحمايةِ ما يجبُ على الإنسانِ حمايتُهُ \_ :

قالَ رجلٌ مِنْ قومٍ يقُال لهُم: بنو العنبرِ وسُنَّةُ العربِ في النطقِ بأمثالِ هاذهِ العبارةِ أن يقولُوا: بَلْعنبرِ وبَلْحارثِ ، أغارَتْ على إبلِهِ جماعةٌ يقالُ لهُم: بنو اللقيطةِ ، فلم يعنْهُ قومُهُ على استنقاذِها منهُم ، وركنَ إلىٰ بني مازنٍ ، فأعانوهُ ، واستخلصوا إبلَهُ \_ يشكرُهُم ويهجو قومَهُ (١): [من البسيط]

بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنُ فَشُرٌ خُشُنُ قَوْمٌ إِذَا ٱلشَّرُّ أَبْدَىٰ نَاجِذَيْهِ لَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ لَاكِنَّ قَوْمِى وَإِنْ كَانُوا ذَوي عَدَدٍ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي ( ٥/١ ) ، وهو قُريط بن أُنيف .

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ ٱلسُّوءِ إِحْسَانَا كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْسَانَا فَرُكْبَانَا فَرُكْبَانَا فَرُكْبَانَا وَرُكْبَانَا

اللَّوثةُ \_ بفتحٍ فسكونٍ \_ : الشِّدةُ والقُوَّةُ ، ومنها اشتقاقُ اللَّيثِ ، وبضمٍ فسكونٍ مرسلٍ : الضِّعفُ والاسترخاءُ ، وكلتاهُما يَحتمِلُ البيتُ ، وهوَ على الأُولىٰ أبلغُ في وصفِ بني مازنٍ بالشجاعةِ ، وفي الثانيةِ تعريضٌ بقومِهِ .

وقالَ ثابتُ بنُ جابِرِ المشهورُ بتأبَّطَ شرّاً - يُقالُ : إِنَّهُ يوماً مِنَ الأيامِ أَخذَ سيفاً تحتَ إِبْطِهِ وخرَجَ ، فَسُئِلَتْ عنهُ أُمُّهُ ، فقالَتْ : لا أدري ، تأبَّطَ شرّاً ومضىٰ ، فغلبَ عليهِ ذلكَ اللقبُ - يذكرُ بعض ماجرياتِهِ ، وكانَ شجاعاً فاتكاً مغواراً ، عُرِفَ بذلكَ مِنْ صغرِهِ ، وحاصلُ القصّةِ التي فيها الأبياتُ : أنَّهُ كانَ استكشف في أرضِ بعضِ أعدائِهِ غاراً في رأسِ جبلٍ قائم ، ليسَ لهُ إلاَّ طريقٌ واحدةٌ ضيقةٌ اتخذَنهُ نحلٌ بيتاً ، فكانَ يجيءُ يشتارُّهُ رأسَ كلِّ سنةٍ ، فاتفقَ أن فطنَ بهِ قومٌ مِنْ أعدائِهِ أهلِ الناحيةِ ، فأخذوا عليهِ الطريق ، ودعوهُ إلى الخروجِ ، فعرفَهُم وقالَ : على شريطةِ ماذا أخرجُ ؟ فقالوا : على غيرِ شريطةٍ ، فطاولَهُم الكلامَ ، وأخذَ يريقُ العسلَ على الجانبِ الثاني مِنَ الجبلِ ، ثمَّ فطاولَهُم الكلامَ ، وأخذَ يريقُ العسلَ على الجانبِ الثاني فيهِ أعداؤُهُ مسيرةُ وضعَ صدرَهُ على الصفا وأرخىٰ نفسَهُ ، فذهبَ يهوي حتى وصلَ أسفلَ الجبلِ سلماً ، وكانَ بينَ الموضعِ الذي استقرَّ فيهِ والموضعِ الذي فيهِ أعداؤُهُ مسيرةُ شلاثةِ أيامٍ يدورونَ معَ الجبلِ ، وهذهِ الأبياتُ (١) :

أَضَاعَ وَقَاسَىٰ أَمْرَهُ وَهْ وَ مُدْبِرُ بِهِ ٱلْخَطْبُ إِلَّا وَهْوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جَدُّهُ

وَلَكِنْ أَخُو ٱلْحَزْمِ ٱلَّذِي لَيْسَ نَازِلاً

فَذَاكَ قَريعُ ٱلدَّهْرِ مَا عَاشَ [ حُوَّلٌ ]

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٣٨/١ \_ ٤١ ) .

وَطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ ٱلْحُجْرِ مُعْوِرُ وَإِمَّا دَمُ وَٱلْقَتْلُ بِٱلْحُرِّ أَجْدَرُ لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ بِهِ جُوْجُوُ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ بِهِ كَدْحَةً وَٱلْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ بِهِ كَدْحَةً وَٱلْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ

أَقُولُ لِلِحْيَانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ هُمَا خُطَّتا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ هُمَا خُطَّتا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَأُخْرَىٰ أُصَادِي ٱلنَّفْسَ عَنْهَا وَإِنَّهَا فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ ٱلصَّفَا فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ ٱلصَّفَا فَخَالَطَ سَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ ٱلصَّفَا فَخَالَطَ سَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ ٱلصَّفَا فَخَالَطَ سَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ ٱلصَّفَا فَأَبْتُ إِلَىٰ فَهُم وَمَا كِدْتُ آيباً

قريعُ الدهرِ: الذي قرعَتْهُ الأيامُ بنوائبِها حتى عرفَ وجوهَ المنافعِ والمَضارِّ بالممارسةِ والتجارِبِ؛ فإنَّ معرفةَ ذلكَ تكونُ أثبتَ وأمكنَ مِنْ معرفةِ مَنْ كانَتْ طريقُهُ إليها التعلُّمَ والأخذَ عنِ الأخبارِ، يُقالُ: فلانٌ صنيعةُ الدَّهرِ، وحَنَّكَتْهُ التجارِبُ، وأدَّبَتْهُ الأيامُ والليالي . . . إلىٰ غيرِ تلكَ مِنَ العباراتِ .

وقولُهُ: (هما خُطَّتا إمَّا إسارٌ . . . ) يُروى برفع (إسارٌ) وما بعدَهُ بدلاً ، فحذفُ النونِ شاذٌ ، ويُروى بالخفضِ ، فالحذفُ للإضافةِ .

وقولُهُ: ( صَفِرَتْ لهُم وطابي ) هوَ مثلٌ يُضرَبُ لمفارقةِ الروحِ البدنَ ؛ أي : كانَ ذلكَ في خيالِهِم ، وَحَسَبَ مَا سَوَّلَتْ لهُم تلكَ المكنةُ منهُ .

وقولُهُ: ( إذا سُدَّ منهُ مَنْخِرٌ ) أي: كلَّما ضاقَ عليهِ أمرٌ مِنَ الحيلةِ . . اتَّسعَ لهُ آخَرُ .

وقولُهُ: (وكم مثلِها فارقتُها) أي: كمْ مثلِ تلكَ المنزلةِ فارقتُها وأهلُها يَتحسَّرونَ على إفلاتي وفواتي مِنْ يدِهِم.

وقالَ أبو كبيرِ الهذليُّ يَذكُرُ ثابتاً هاذا وهوَ غلامٌ ، وكانَ قد تَزوَّجَ أُمَّهُ ، فكانَ يرى مِنْ عينَيهِ استنكافَهُ لذلكَ ، وأنَّهُ يُضمِرُ لهُ السُّوءَ ، فَعَرضَ ذلكَ على أُمِّهِ ، فسمحَتْ نفسُها بأن يعملَ فيهِ ما شاءَ ، فأصبحَ ذاتَ يوم وقالَ :

يا ثابتُ ؛ هل لكَ في الغزوِ ؟ فقالَ : ذلكَ مِنْ أمري ، فخرجا وأبو كبيرٍ يريدُ بهِ الشُّوءَ ، ولم يكونا تزوَّدا بهِ الشُّوءَ ، ولم يكنْ يَتمكَّنُ لنباهةِ الغلامِ وشدَّةِ حرصِهِ ، ولم يكونا تزوَّدا لسفرِهِما ، فاشتدَّ الجوعُ في الليلةِ الثانيةِ بأبي كبيرٍ ، ولاحَتْ لهُما مِنْ بعيدٍ نارٌ ، فقالَ : يا ثابتُ ؛ اقصدِ النارَ وأنا أنتظرُكَ ، عسىٰ أن تجدَ ما نأكلُ ، فقالَ : أهلذا وقتُ أكل ؟! فقالَ : لا بدَّ مِنْ ذلكَ .

فلمَّا قصدَ النارَ . . وجدَها لرجلَينِ مِنْ مشاهيرِ لصوصِ العربِ ، فهمَّا بهِ ، وجرئ أمامَهُما ، حتى أطمعَهُما في نفسِهِ ، ثمَّ انعطفَ فقتلَ أقربَهُما لهُ ، ثمَّ جرئ للآخرِ فألحقَهُ بهِ ، وجاءَ النارَ فأخذَ ما كانَ مِنْ طعامٍ ، وأحضرَهُ إلىٰ جرئ للآخرِ وقالَ : كُلْ لا أشبعَ اللهُ بطنَكَ ، فسألَهُ عمَّا جرىٰ ، فقالَ : كُلْ ولا تسألْ ، فألحَّ عليهِ حتى أخبرَهُ بما كانَ ، فعندَ ذلكَ عَظُمَ في صدرِهِ جدًا ، واشتدَّتْ مهابتُهُ لهُ وخوفُهُ منهُ .

ثمَّ سارا حتى وجدا إبلاً ، فاستاقاها ورجعا قافلَينِ ، فكانَ يسيرُ بهِ اليومَ أجمعَ ، وصدراً مِنَ الليلِ ، ثمَّ يقولُ لهُ : أنامُ وتحرسُ ، ثمَّ تنامُ وأحرسُ ، وكانَ ذلكَ دأبَهُما ، فبينا ثابتٌ نائمٌ في بعضِ نوباتِهِ . . إذ بدا لأبي كبيرٍ أن يقتلَهُ ، وأرادَ أن يختبرَهُ أوَّلاً إن كانَ قد غمرَهُ النومُ أو لا ، فأخذَ حصاةً ونبذَها ناحية رأسِهِ ، فنهضَ ثابتٌ قائماً كأنَّهُ كعبُ قناةٍ وقالَ : ما هاذهِ الوجبةُ ؟ فقالَ أبو كبيرِ : لا أدري ، سمعتُ كما سمعتَ ، فطافَ ثابتُ حولَ الإبلِ وعسَّ ، فلم يجدُ شيئاً ، ثمَّ رجعَ ونامَ ، فنبذَ أبو كبيرِ حصاةً أصغرَ مِنَ الأُولَىٰ ، فكانَ منهُما كما كانَ في المَرَّةِ الأُولَىٰ ، فلمًا كانَتِ الثالثةُ . . قالَ اللهِ ؛ لئن عُدتُ سمعتُ شيئاً . . قالَ قالتُكُ .

قالَ أبو كبير : فملاَ ني الخوفُ منهُ حتى سهرتُ بقيةَ الليلةِ أطوفُ حولَ الإبلِ ؛ مخافةَ أن يتحرَّكَ بعضُها فيسمعَ فيبرَّ قسمَهُ ، فلمَّا رجعا . . قالَ أبو كبيرٍ

لأُمّ ثابتٍ : ليسَتْ أمُّ مثلِ هـٰذا لي بزوجةٍ ، وهـٰذهِ الأبياتُ (١) : [ من الكامل ] جَلْدٍ مِنَ ٱلْفِتْيَانِ غَيْر مُثَقَّل حُبُكَ ٱلنِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّل وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِل كَرْهاً وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَل سُهُداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ ٱلْهَوْجَل يَنْزُو لِوَقْعَتِهَا طُمُورَ ٱلْأَخْيَل كَرُتُوبِ كَعْبِ ٱلسَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّل مِنْهُ وَحَرْفُ ٱلسَّاقِ طَيَّ ٱلْمِحْمَل يَهُوي مَخَارِمَهَا هُويَّ ٱلْأَجْدَلِ بَرَقَتْ كَبَرْقِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَهَلِّل مَاضِي ٱلْعَزِيمَةِ كَٱلْحُسَامِ ٱلْمُصْقَل وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا فَمَأْوَى ٱلْعُيَّل

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى ٱلظَّلَام بمِغْشَم مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ قَوَاعِدٌ وَمُبَرًّأ مِنْ كُلِّ غُبِّرٍ حَيْضَةٍ حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْؤُودَةٍ فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ ٱلْفُؤَادِ مُبَطَّناً فَإِذَا نَبَذْتَ لَهُ ٱلْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ ٱلْمَنَام رَأَيْتَهُ مَا إِنْ يَمَسُّ ٱلْأَرْضَ إِلَّا مَنْكِبٌ وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ ٱلْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ أُسِرَّةِ وَجْهِهِ صَعْبِ ٱلْكَرِيهَةِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ يَحْمِي ٱلصِّحَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةٌ

قولُهُ : ( مِغْشَم ) هوَ صيغةُ الآلةِ إذا كانَ الغرضُ صفةَ الشيءِ بكونِهِ عدةً للفعلِ ، فهوَ بمنزلةِ آلتِهِ ، عَبَّرَ عنهُ بصيغتِها ؛ كقولِ امرئ القيسِ في صفةِ [ من الطويل ]

مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِلِ مُدْبِرِ مَعاً

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٢/١ ـ ٤٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ١٩ ) ، والبيت بتمامه :

مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِل مُدْبِر مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْر حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَل

بكسرِ ميمَيْ ( مِكرٍّ ومِفرٍّ) ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ قويّاً في الفعلِ ، ثابتاً فيه مستمرّاً . . عُبِّرَ عنهُ بصيغةِ ( فَعولٍ ) إحدىٰ صيغِ المبالغةِ المشهورةِ ؛ كَصَبورٍ وصَدوقٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكثرةِ الفعلِ معَ تخلُّلِ التركِ . . عُبِّرَ بفَعَالٍ ؛ كقولِهِم : طلَّعِ أنجادٍ ، وخوَّاضِ غمراتٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ لهُ عادةً . . عُبِّرَ بمِفْعالٍ ؛ كقولِهِم : هوَ مِنحارٌ للإبلِ ، وهوَ فرقٌ ينبغي التنبُّهُ لهُ ؛ ليُستعمَلَ كلُّ شيءٍ في موضعِهِ .

وقولُهُ ( مُهبَّلِ ) أي : غيرِ مشتومٍ ؛ بأن يُقالَ لهُ : هبلَتْكَ أُمُّكَ ؛ أي : فقدَتْكَ ، كما يُقالُ لهُ : جُعِلتُ فقدَتْكَ ، كما يُقالُ لهُ ن يُؤمَّلُ منهُ النفعُ ، والمُهبَّلُ أيضاً : اللحيمُ المورمُ الوجهِ .

وقولُهُ: (حملَتْ بهِ في ليلةٍ) يُقالُ: إنَّ المرأةَ إذا أُكرِهَتْ على الجِماعِ.. ضعفَتْ شهوتُها، وكانَتِ القُوَّةُ الفَعَّالةُ لشهوةِ الرجُلِ، فإذا حملَتْ في تلكَ الحالةِ.. جاءَ الولدُ نجيباً شهماً خفيفاً ندباً.

وقولُهُ: (وإذا نظرتَ إلىٰ أَسِرَّةِ وجهِهِ) الأَسِرَّةُ: الخطوطُ التي تظهرُ في الجبينِ ، وقد شَرَّفَتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها هاذا البيتَ ؛ حيثُ تَمثَّلَتْ بهِ وقد نظرَتْ إلىٰ وجهِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يَتحدَّرُ منهُ العرقُ ، وهوَ مُقبِلٌ علىٰ مباشرةِ خصفِ نعلِهِ ، فقالَتْ: كأنَّ أبا كبيرٍ رآكَ حيثُ يقولُ:

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسِرَّةِ وَجْهِهِ

فقامَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وقبَّلَها بينَ عينَيها (١).

<sup>(</sup>١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » ( ٤٥/٢ ) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قيسِ بنِ ثعلبةَ ، وقيلَ : إنَّها لبشامةَ بنِ حزنٍ النهشليِّ ، ومَنْ يقولُ : إنَّها للقيسيِّ . . يروي قولَهُ الآتي :

إِنَّا بَنِي مَالِكٍ لَا نَدَّعِي لِأَبٍ

وأهلُ القولِ الثاني يروونَ : ( إِنَّا بَنِي نَهْشَلِ . . . ) (١) : [من البسيط]

وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ ٱلنَّاسِ فَٱسْقِينَا يَوْماً سَرَاةً كِرَام ٱلنَّاس فَٱدْعِينَا عَنْهُ وَلَا هُوَ بِٱلْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا تَلْقَ ٱلسَّوَابِقَ مِنَّا وَٱلْمُصَلِّينَا إِلَّا ٱفْتَلَيْنَا غُلَاماً سَيِّداً فِينَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي ٱلْأَمْنِ أَغْلَيْنَا نَأْسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا قِيلُ ٱلْكُمَاةِ إِلَىٰ أَيْنَ ٱلْمُحَامُونَا مَنْ فَارسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا حَدُّ ٱلظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا مَعَ ٱلْبُكَاةِ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا عَنَّا ٱلْحِفَاظُ وَأَسْيَافٌ تُواتِينَا

إِنَّا مُحَيُّوكِ يَا سَلْمَىٰ فَحَيّينَا وَإِنْ دَعَوْتِ إِلَىٰ جُلَّىٰ وَمَكْرُمَةٍ إِنَّا بَنِي نَهْشَل لَا نَدَّعِي لِأَب إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَداً إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ أَنْفُسَنَا بيضٌ مَفَارقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَىٰ أَوَائِلَهُمْ لَوْ كَانَ فِي ٱلْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا إِذَا ٱلْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمُ وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ وَنَرْكَبُ ٱلْكُرْهَ أَحْيَاناً فَيَفْرُجُهُ

قولُهُ: ( وإن سقيتِ كرامَ الناسِ ) أي: وإن أردتِ أن تَدْعي بالسُّقيا لكرامِ الناسِ فادعي لنا ؛ فإنَّا هم ، وليسَ الغرضُ الدعاءَ حقيقةً ، ولكنِ التعجُّبُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١/٠٥ \_ ٥٥ ) .

واستعظامُ الأمرِ ، فإنَّ مَنِ استعظمَ شيئًا . . يقولُ : سقاهُ اللهُ ، وعندَ استحسانِكَ عملَ إنسانٍ تقولُ : حيَّاكَ اللهُ .

وقولُهُ: (تلقى السّوابق منّا والمُصلّينا) هما مِنْ أسماءِ خيلِ الحلبةِ ؟ أي : خيلِ السباقِ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم أن يجروها عشرةً عشرةً ، فكانَتْ تجيءُ العشرةُ نحوَ الغايةِ ، وهيَ القصبُ المركوزُ في آخرِ مسافةِ السباقِ التي يُقالُ فيها : أحرزَ قصبَ السبقِ ، فكانَ أوّلُ حصانٍ يُسمّى : المُجلّي والسابقُ ؟ لأنّ جحفلتَهُ تكونُ عندَ لأنّهُ جلّىٰ عن نفسِهِ ، والثاني يُسمّى : المُصلّي ؛ لأنّ جحفلتَهُ تكونُ عندَ صلوي السابقِ ، والصّلوانِ : عرقانِ يكتنفانِ الصّلبَ ، أو عظمانِ ، اختُلِفَ في تفسيرِهِما ، والثالثُ يُسمّى : المُسلّي ، والرابعُ : التالي ، والخامسُ : في تفسيرِهِما ، والثامنُ : العاطفُ ، والسابعُ : المُومِّلُ ، والسبعةُ لها أنصبةُ مِنْ مبلغِ المراهنةِ ، والثامنُ : الحظيُّ ، والسابعُ : اللطيمُ ، والعاشرُ : السُّكيثُ ؛ مثلُ كُمَيتٍ ، ويُشدَّدُ فيُقالُ : سِجِّيتٌ ؛ كجِمِّيزٍ ، ويُسمَّىٰ أيضاً : فسكلاً ؛ كفُنفُذٍ وزِبْرِجٍ ، وذكرَ هاذهِ الأسماءَ في نظمٍ وصفَ بهِ حلبةَ سباقٍ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فقالَ (۱۱) :

وَسَلَّىٰ فَلَمْ يُنْمَمِ ٱلْأَدْهَمُ وَانَّىٰ مِنَ ٱلْمُنْجِدِ ٱلْمُتْهِمُ وَانَّىٰ مِنَ ٱلْمُنْجِدِ ٱلْمُتْهِمُ وَقَدْ جَاءَ يَقْدُمُ مَا يَقْدُمُ مَا يَقْدُمُ يَكَادُ لِحَيْرَتِهِ يُحْرِمُ وَعَىنَّ لَهُ ٱلطَّائِرُ ٱلْأَشْامُ وَعَىنَّ لَهُ ٱلطَّائِرُ ٱلْأَشْامُ فَأَسْهَمَ حِصَّتَهُ ٱلْمُسْهِمُ

فَجَلَّى ٱلْأَغَرُّ وَصَلَّى ٱلْكُمَيْتُ وَأَتْبَعَهَا رَابِعٌ تَالِياً وَمَا ذُمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِساً وَمَا ذُمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِساً وَسَادِسُهَا ٱلْعَاطِفُ ٱلْمُسْتَحِيرُ وَخَابَ ٱلْمُؤَمِّلُ فِيمَا يَخِيبُ وَجَاءَ ٱلْحَظِيُّ لَهَا ثَامِناً

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٥٢/١ ) .

حَدَا سَبْعَةً وَأَتَىٰ ثَامِناً وَثَامِنَةُ ٱلْخَيْلِ لَا تُسْهَمُ وَجَاءَ ٱللَّطِيمُ لَهَا تَاسِعاً فَمِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُلْطَمُ وَجَاءَ ٱللَّطِيمُ لَهَا تَاسِعاً وَعُلْيَاهُ مِنْ قَنْبِهِ أَعْظَمُ يَخُبُّ ٱلسُّكَيْتُ عَلَىٰ إِثْرِهَا وَعُلْيَاهُ مِنْ قَنْبِهِ أَعْظَمُ عَلَىٰ إِثْرِهَا وَعُلْيَاهُ مِنْ قَنْبِهِ أَعْظَمُ عَلَىٰ سَاقَةِ ٱلْخَيْلِ يَعْدُو بِهَا مُلِيماً وَسَائِسُهَا ٱلْوَمُ إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ ذَالَمْ يُحِبْ مِنَ ٱلْحَزْنِ بِٱلصَّمْتِ مُسْتَعْصِمُ إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ ذَالَمْ يُحِبْ

خيبةُ المُؤمِّل : كونُهُ أقلَّ ذواتِ الأنصباءِ .

وقولُهُ: ( أسهمَ حصَّتَهُ المسهمُ ) أي: كانَتْ حصتُهُ سهماً لذوي السِّهامِ ، وحِصَّتُهُ التي لهُ لو لم يجئ ثامناً.

وقولُهُ: ( افتلَيْنا ) أي : انتزعْنا ومَيَّزْنا ، كما يُنزَعُ الفُلُوُّ عن أُمِّهِ عندَ الفِطامِ ، والفُلُوُّ - كسُمُوِّ وعَدُوِّ - : المهرُ الصغيرُ عندَ فطامِهِ .

وقولُهُ: (الكُماةُ) جمعُ كامٍ ؛ كقاضٍ ، وقولُهُم: (جمعُ كَمِيٍّ) مسامحةٌ ، وسُمِّيَ الشجاعُ كميًّا ؛ لأنَّهُ يكتمُ صفاتِ نفسِهِ حتى تُعبِّرَ عنها أعمالُهُ أو يسترَ نفسَهُ في السلاح .

وقالَ زفرُ بنُ الحارثِ يُقِرُّ لأعدائِهِ بالغَلَبةِ (١):

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لَيَالِيَ لَاقَيْنَا جُذَامَ وَحِمْيَرَا فَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا وَلَمَّا قَرَعْنَا ٱلنَّبْعَ بِٱلنَّبْعِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً تَعْلِبِيَّةً يَعْلِبِيّةً يَعْلِبِيَّةً يَعْلِبِيَّةً يَعْلِبِيّةً يَعْلِبِيّةً مَعْرَا لِلْمَنِيّةِ ضُمَّرَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ٱلْمَوْتِ أَصْبَرَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ٱلْمَوْتِ أَصْبَرَا

[من الطويل]

وتغلبُ التي ذكرَها في الشعرِ : قومٌ مِنْ قضاعة ، وليسَتْ تغلبَ وائلِ .

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٧٩/١ \_ ٨٠ ) .

وقالَ يَذكُرُ هزيمتَهُ في تلكَ الواقعةِ ويعتذرُ (١):

أُرِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكِ إِنَّنِي وَلَمْ تُرَمِنِي نَبْوَةٌ قَبْلَ هَاذِهِ

عَشِيَّةَ أَجْرِي بِٱلصَّعِيدِ وَلَا أَرَىٰ أَيَٰذُهُ بُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ

وَقَدْ يَنْبُتُ ٱلْمَرْعَىٰ عَلَىٰ دِمَنِ ٱلثَّرَىٰ

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ الزبيديُّ (٢):

[من الطويل]

[ من الطويل ]

جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَٱسْبَطَرَّتِ فَرُدَّتْ عَلَىٰ مَكْرُوهِهَا فَٱسْتَقَرَّتِ إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا ٱلْخَيْلُ كَرَّتِ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَٱزْبَأَرَّتِ وَلَكِنَّ جَرْماً فِي ٱللِّقَاءِ ٱبْذَعَرَّتِ أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ ٱلرِّمَاحَ أَجَرْمٍ

أَرَى ٱلْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبَيَّ وَرَائِيا

مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ وَلَا لِيَا

بصَالِح أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَائِيَا

وَتَبْقَىٰ حَزَازَاتُ ٱلنُّفُوس كَمَا هِيَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا فَحَاشَتْ إِلَيَّ ٱلنَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَحَلَامَ تَقُولُ ٱلرُّمْحَ يُثْقِلُ عَاتِقِي عَلَامَ تَقُولُ ٱلرُّمْحَ يُثْقِلُ عَاتِقِي لَحَا ٱللهُ جَرْماً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ فَلَمْ تُغْنِ جَرْماً كُلَّمَا إِذْ تَلَاقَتَا فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقَتَا ظَلِلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةٌ فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ

اسبطرَّتِ: امتدَّتْ في استرسالِها ، وازبارَّتْ: تَهيَّاتْ ، وابذعرَّتْ: تَهيَّاتْ ، وابذعرَّتْ: تَهيَّاتْ ، وابذعرَّتْ نفو تَفوَقَتْ وتناكصَتْ ، وأصلُ الإجرارِ: أن يُشَقَّ لسانُ الفصيلِ ويُوضَعَ فيهِ عُودٌ يُمنَعُ بذلكَ مِنْ رضاعٍ أُمِّهِ ، واستُعِيرَ ها هنا لقبيحِ الإسكاتِ والمنعِ مِنَ النطقِ بالثناءِ ، وجَرْمُ هاؤلاءِ كانوا نزلوا في جوارِ عمرو وفيهِم ثأرٌ مِنَ النطقِ بالثناءِ ، وجَرْمُ هاؤلاءِ كانوا نزلوا في جوارِ عمرو وفيهِم ثأرٌ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ۸۰/۱ ـ ۸۱ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda Y/1$  \_  $\Lambda X$  ) .

لنهد ، فجاؤوا يَطلبونَهُ منهُم ، فأرادَ يدفعُهُم عمرٌو ويعينُ جيرانَهُ ، فثبتَ ولم يثبتوا .

وقالَ أنيفُ بنُ زبَّانَ النبهانيُّ مِنْ طيءٍ (١):

[ من الطويل ]

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ لَهُمْ عَجُزُ بِٱلرَّمْلِ فَٱلْحُزْنِ فَٱللِّوَىٰ لَهُمْ عَجُزُ بِٱلرَّمْلِ فَٱلْحُزْنِ فَٱللِّوَىٰ وَتَحْتَ نُحُورِ ٱلْخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ أَبَىٰ لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا ٱلضَّيْمَ أَنَّهُمْ فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ فَلَمَّا أَلْتَقَيْنَا بَيَّنَ ٱلسَّيْفُ بَيْنَا لِطَيِّعَ فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا بَيَّنَ ٱلسَّيْفُ بَيْنَا لِطَيِّعَ وَلَمَّا تَدَانَوْا بِٱلرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ

حَرْشَفُ رَجْلَةٍ \_ بفتحِ أولِهِما وسكونِ ثانيهِما \_ : جماعةُ المشاةِ الكثيرةِ .

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ (٢):

[ من مجزوء الكامل ] في أعْلَم مَ وَإِنْ رُدِّيت بُرْدَا في أَعْلَم مَ وَإِنْ رُدِّيت بُرْدَا وَمَناقِب أُوْرَثُنَ مَحْدا في عَلَمْ في عَلَمْ الله عَلَم الله الله عَلَم الله عَ

لَـيْسَ ٱلْـجَـمَالُ بِـمِئْزِرِ إِنَّ ٱلْـجَـمَالُ مَـعَادِنٌ أَعْـدَدْتُ لِـلْحَـدَثَان سَـا

<sup>. (</sup>  $^{1}$  ) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $^{1}$   $^{1}$   $^{1}$ 

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٠/١ ـ ٩٣ ) .

ٱلْبَيْضَ وَٱلْأَبْدَانَ قَدًّا كَ مُنَازِلٌ كَعْباً وَنَهْدَا لَهُ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقِلَّا يَـوْم ٱلْـهِـيَـاج بِـمَـا ٱسْـتَـعَـدَّا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شَدًّا بَدْرُ ٱلسَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّىٰ تَخْفَى وَكَانَ ٱلْأَمْرُ جِدًّا أَرَ مِنْ نِزَالِ ٱلْكَبْشِ بُدًّا بَوَّأْتُهُ بيَدَيَّ لَحْدَا ـــتُ وَلَا يَــرُدُّ بُــكَــايَ زَنْــدَا ــنَ أُعَــدُّ لِــلأَعْــدَاءِ عِــدَّا وَبَقِيتُ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ فَرْدَا

نَهُ داً وَذَا شَطْبِ يَـقُـدُّ وَعَلِمْتَ أَنِّي يَوْمَ ذَا قَـوْمٌ إِذَا لَـبـــــــوا ٱلْـحَــدِيــ كُلُ ٱمْرِئَ يَحِرِي إِلَكِي لَـمَّا رَأَيْتُ نِـسَاءَنَا وَبَدَتْ لَهِ عِلَى كَأَنَّهُا وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا ٱلَّتِي نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَمْ كَـمْ مِـنْ أَخ لِـيَ صَـالِـح مَا إِنْ جَزعْتُ وَلَا هَالِعْ أُغْنِي غَنَاءَ ٱلذَّاهِبِي ذَهَبَ ٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ

قولُهُ: ( إِنَّ الجمالَ معادنٌ) أي: غرائزُ وطبائعُ ، وقد أقرَّ ذٰلكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ: « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، حِيارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَام » (١).

والمناقبُ: هي الأحوالُ والأفعالُ ، وبها وبالغرائزِ يكونُ تمامُ الشرفِ في الإنسانِ ، والعَلَنْدَى : الشَّديدُ ، يُوصَفُ بهِ الخيلُ والإبلُ ، والبيضُ : جمعُ

<sup>(</sup>١) وتمامه : « إذا فَقُهوا » ، والحديث أخرجه البخاري ( ٣٣٨٣ ) ، ومسلم ( ١٦٠/٢٦٣٨ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

بيضةٍ ؛ وهي والمِغفرُ والخوذةُ : وِقاءُ الرأسِ مِنْ ضمنِ السلاحِ ، والأبدانُ : جمعُ بدنٍ ؛ لصنفٍ مِنْ أصنافِ الدُّروع ، والقِدُّ : درعٌ مِنْ جلدٍ .

وقولُهُ: ( ولا يَرُدُّ بُكايَ زَنْدا ) أي: لا يَرُدُّ شيئاً ؛ كما يُقالُ: لا يَرُدُّ فتيلاً .

وقالَ قيسُ بنُ الخَطِيم (١):

[ من الطويل ]

لَهَا نَفَذُ لَوْلا ٱلشُّعَاعُ أَضَاءَهَا يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا عُيُونَ ٱلْأَوَاسِي إِذْ حَمِدْتُ بَلاءَهَا خِيدَاشٌ فَأَدَّىٰ نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا أُسَبُّ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا أُسبُّ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا بِأَقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا وَأَنْبَعْتُ دَلُوي فِي ٱلسَّمَاحِ رِشَاءَهَا لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا وَلَايَةً أَشْيَاحُ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا وَلَايَةً أَشْيَاحُ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا إِلَا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا إِلَى إِلَى قَدْ فَيَاءَهَا إِلَى قَدْ فَيْ السَّمَاحِ وَلَايَةً إِنَّاءَهَا إِلَى قَدْ قَدْمَاءَهَا إِلَا قَدْ قَنْ فَيْ اللَّهُ الْمُعَامِقُونَ إِلَى اللَّهُ إِلَى الْمَاءَةُ إِلَا قَدْ قَدْمَاءَهُا إِلَى اللَّهُ إِلَا قَدْ قَدْمَاءَهُا إِلَى اللَّهُ الْمُعَامِلَ اللَّهُ إِلَا اللَّهُ الْمُعَامُ الْمُعَامِلَ اللَّهُ الْمُنْ الْمُعْلَى اللَّهُ الْمُعَامِلَ الْمُعْلَاتُ إِلَا قَدْ قَضَاءَهَا إِلَا قَدْ فَا الْمُعْلَى الْمِنْ الْمُعْتُ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَامُ الْمُعْلَى الْمُعْلِيَةُ الْمُعْلَى الْمُعْلِيْ الْمُعْلَى الْمُعْلِي الْمِعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِمِ الْمُعْلَى الْمُ

طَعَنْتُ ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ مَلَكُتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَهُ وِنُ عَلَي أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا يَسَهُ وِنُ عَلَي أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا وَسَاعَدَنِي فِيهَا ٱبْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ وَسَاعَدَنِي فِيهَا ٱبْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ وَكُنْتُ ٱمْرَأً لَا أَسْمَعُ ٱلدَّهْرَ سُبَّةً فَإِنِّي فِيها ٱبْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ فَوَكُنْتُ امْرَأً لَا أَسْمَعُ ٱلدَّهْرَ سُبَّةً فَإِنِّي فِي ٱلْحَرْبِ ٱلضَّرُوسِ مُوكَلِّ فَإِنِي فِي ٱلْحَرْبِ ٱلضَّرُوسِ مُوكَلِّ إِنْ الضَّرُوسِ مُوكَلِّ إِنْ الضَّرُوسِ مُوكَلِّ إِنْ الْمَوْتُ لَا تُلْقَ حَاجَةً مَا الْمَوْتُ لَا تُلْقَ حَاجَةً مَا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَضَعْ فَلَمْ أَضَعْ فَلَمْ أَضَعْ فَلَمْ أَضَعْ فَلَمْ أَضَعْ فَلَمْ أَضَعْ فَلَمْ أَضَعْ

وقالَ الحارثُ بنُ هشامٍ أخو أبي جهلٍ يَعتذِرُ مِنْ فِرارِهِ يومَ بدرٍ وتركِهِ أخاهُ وبقيةَ أهلِهِ ، حتىٰ عَيَّرَهُ حسانُ بنُ ثابتٍ حيثُ يقولُ (٢): [من الكامل]

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنِي فَنَجَوْتِ مَنْجَى ٱلْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ تَرَكُ ٱلْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِهِرَّةٍ وَلِجَام

ُدعا عليها بلُحوقِ العار والفضيحةِ كما لحقَ هنذا الفارُّ ، وذكرَ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٥/١ - ٩٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضى الله عنه ( ٢٩/١ ) .

ذلكَ في ضمنِ أبياتِ الحماسةِ للجَمْعِ بينَ الشيءِ وضدِّهِ ، وهاذه أبياتُ الاعتذارِ (١):

اَللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّىٰ عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ وَشَمِمْتُ رِيحَ ٱلْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَٱلْخَيْلُ لَمْ [تَتَبَدّد] وَعَلِمْتُ أَنِي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِداً أُقْتَلْ وَلَا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَٱلْأَحِبَّةُ فِيهِمُ طَمَعاً لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُرْصَدِ

الأشقرُ المزبدُ : هوَ الدمُ الخارجُ ؛ إمَّا مِنْ جرحِهِ ، أو جرح فرسِهِ .

وقالَ حيَّانُ بنُ الحكمِ السلميُّ المشهورُ بالفرَّارِ يَتبجَّحُ بالفِرارِ ، وأنَّهُ مُقتضى العقلِ ، وأنَّ مُن أمرِهِ أنَّهُ يوافقُ السفهاءَ في آرائِهِم حتى يشتبكوا ، فإذا اشتبكوا . . رجعَ هوَ إلى ما هوَ الخيرُ عندَهُ (١٠) : [من الكامل]

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِبَيةٍ حَتَّىٰ إِذَا ٱلْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ ٱلرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ مَا كَانَ يَنْفَعُنِي فَعَالُ نِسَائِهِمْ وَقُتِلْتُ دُونَ نِسَائِهَا لَا تَبْعَدِ

يُقالُ: إنَّ بعضَ العلماءِ سُئِلَ تفسيرَ قولِهِ: (وكتيبةٍ...) فقالَ: هوَ كقولِهِ تعالىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَنِ ٱكْفُرْ...﴾ الآيةَ (٣).

وقالَ الحصينُ بنُ الحِمامِ المريُّ (''): [من الطويل] تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٧/١ \_ ٩٨ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٩/١ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة الحشر: (١٦).

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٠٣/١).

فَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا نُلُفَلِّ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا نُلُفَلِّ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَتَّ وَأَظْلَمَا فُلُ مَا يُلُوا أَعَتَّ وَأَظْلَمَا فَاعَلُ ( تقطرُ ) ضميرُ ( الكلوم ) ، والدمُ : مفردٌ مفعولٌ .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني عقيلٍ وقد حاربَهُ بنو عمِّهِ ، فقتلَ منهُم: [من الوافر] بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍ نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍ نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ نُفَدِّيهِ فَيْ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ ٱلنِّصَالِ لَفَ لَي يَوْمَ ٱلرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ ٱلنِّصَالِ لَهَا لَوْنٌ مِنَ ٱلْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِٱلصِقَالِ لَهَا لَوْنٌ مِنَ ٱلْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِٱلصِقَالِ وَنَعْتُلُكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

مِنْ هَلْذَا أَخْذَ البحتريُّ قُولَهُ ، وحَلَّاهُ بحليةِ البديعِ المزاوجةِ ('`: [من الطويل] إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

وهاذا الكلامُ في الانتقامِ والأخذِ بالثأرِ عن قريبٍ مِنْ قريبٍ آخَرَ ، وقدِ اختلفَتْ آراؤُهُم في ذلك ؛ فمنهُم مَنْ رَجَّحَ الانتقامَ لتبريدِ الغُلَّةِ ودفعِ الهوانِ ، وإن كانَ فيهِ نقصُ عددِ الحُماةِ والأنصارِ ، ومنهُم مَنْ رَجَّحَ العفوَ ؛ إبقاءً لوفور العددِ .

فَمِنَ الْأَوَّلِ مَا مَضَىٰ ، وقولُ قيسِ بنِ زهيرٍ " تا الوافر ]

شَفَيْتُ ٱلنَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي فَانِي فَالْمُ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

<sup>(</sup>١) في « شرح ديوان الحماسة » ( نعدِّهِنَّ ) بمعنى : نصرفهُنَّ .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان البحتري » ( ١٢٩٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٦/١ ) .

وكانَ حملٌ وحذيفةُ قريبَين قتلا قريباً لهُ ، فقتلَهُما .

وقولُهُ : ( فإن أَكُ قد بردتُ بهم غليلي ) جمعَ الضَّميرَ لأنَّهُ رَدَّهُ على القتيلَينِ وقومِهِما ، فإنَّهُ قتلَهُما وأدخلَ الحزنَ على قومِهِما ، وفرحَ هوَ وقومُهُ ، وبذلكَ بردَ غليلُهُ .

ومِنَ الثاني قولُ الحارثِ بنِ وعلةَ الذهليِّ (١):

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي فَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونْ جَلَلاً وقولُ أعرابيّ (٢): [من البسيط]

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَىٰ يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هَانَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وفي هاذا قليلُ بعدٍ عمَّا قبلَهُ ؛ فإنَّهُ جعلَ سببَ العفو القرابةَ وعدمَ الإرادةِ ، والسابقُ جعلَ السببَ محضَ القرابةِ .

> وقالَ بعضُ بني فقعسِ (٢): رَأَيْتُ مَوَالِيَّ ٱلْأُلَىٰ يَخْذُلُونَنِي فَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلاً مِنَ ٱلْقَوْم إِنَّنِي

[من الطويل]

[ من الكامل ]

عَلَىٰ حَدَثَانِ ٱلدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ إِذَا ٱلْخَصْمُ أَبْزَىٰ مَائِلُ ٱلرَّأْسِ أَنْكَبُ وَفِي ٱلْأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ أَرَى ٱلْعَارَ يَبْقَىٰ وَٱلْمَعَاقِلُ تَذْهَبُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٧/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١١٠/١ \_ ١١١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١١٥/١ ـ ١١٦).

كَأَنَّكَ لَمْ تُسْبَقْ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ ٱلَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ وَلَكُ لَمْ تُسْبَقْ مِنَ ٱلدَّهِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ ٱلَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ وَلَهُ : ( رأيتُ مواليَّ الأُلئ ) أي : رأيتُ بني عمِّي همُ الأُلئ ، فالأُلئ : مفعولٌ ثانٍ .

وقولُهُ ( [ إذا ] الخصمُ أبرى ) مُذكّر بزواء ، ومِنْ معاني البزاء \_ ومنهُ الاستعارة \_ : خروجُ الصدرِ ، ودخولُ الظهرِ ، يفعلُ ذلكَ الخصمُ تكبّراً .

وقولُهُ: (شجاعٌ وعقربُ) كنايةٌ عن العدوِّ، ولذلكَ صحَّ أن يكونَ مبتداً ومعطوفاً عليهِ، و(مبثوثٌ) خبرٌ دونَ تثنيةٍ ؛ إذِ المعنى : وعدوٌ مبثوثٌ في الأرضِ، ولهُم في هذا المعنى ـ وهو تفظيعُ أخذِ الديةِ، والتحريضُ على الثأر ـ كلام كثيرٌ.

وقالَ عنترةُ طيّئ (١١):

أَطِلْ حَمْلَ ٱلشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَٱنْظُرْ مَنْ تَضِيرُ فَمَا بِيَدَيْكَ نَفْعُ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقالَ الطرماحُ بنُ حكيمٍ مِنْ وادي هـٰذا الكلامِ (٢): [من الطويل]

بَغِيضٌ إِلَىٰ كُلِّ ٱمْرِئَ غَيْرِ طَائِلِ شَقِيّاً بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ ٱلشَّمَائِلِ وَبَيْنِيَ فِعْلَ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُتَجَاهِلِ

[ من الوافر ]

لَقَدْ زَادَنِي حُبّاً لِنَفْسِيَ أَنَّنِي وَإِنِّي شَقِيٌّ بِٱللِّنَامِ وَلَا تَرَىٰ إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ ٱلطَّرْفَ بَيْنَهُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١١٩/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٢٢/١ \_ ١٢٣ ) .

مَلَأْتُ عَلَيْهِ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا أَكُلُّ ٱمْرِئَ أَلْفَىٰ أَبَاهُ مُقَصِّراً إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ ٱضْطَنَىٰ وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا

مِنَ ٱلضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ مُعَادٍ لِأَهْلِ ٱلْمَكْرُمَاتِ ٱلْأَوَائِل وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتْم أَهْل ٱلْفَضَائِل مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا بِٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلِ

القنابلُ : جمعُ قَنْبَلٍ أو قَنْبَلةٍ بفتح فسكونٍ ففتحٍ ، للجماعةِ مِنَ الناسِ أو الخيل.

> وقالَ يزيدُ بنُ الحكم الكلابيُّ (١): دَفَعْنَاكُمُ بِٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ بَطِرْتُمُ فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهِ مَسِسْنَا مِنَ ٱلْآبَاءِ شَيْعًا وَكُلُّنَا فَلَمَّا بَلَغْنَا ٱلْأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ بَنِي عَمِّنَا لَا تَشْتُمُونَا وَدَافِعُوا وَكُنَّا بَنِي عَمّ نَزَا ٱلْجَهْلُ بَيْنَنَا

[ من الطويل ]

[ من الطويل ]

وَبِٱلرَّاحِ حَتَّىٰ كَانَ دَفْعَ ٱلْأَصَابِع وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِع إِلَىٰ حَسَبِ فِي قَوْمِهِ غَيْر وَاضِع بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ ٱلْمَضَاجِع عَلَىٰ حَسَبِ مَا فَاتَ قِيدَ ٱلْأَكَارِعِ فَكُلُّ يُوفِّي حَقَّهُ غَيْرَ وَادِع

قولُهُ: ( ما فاتَ قِيدَ ) أي: لم يزلْ عن موضعِهِ قدرَ كراع ، وضعَ الجمعَ موضعَ المفردِ ؛ لإقامةِ الشعرِ ، ولأنَّ الجمعَ لا يقعُ بهِ اشتَباهٌ ؛ إذِ الغرضُ التقليلُ ، وذالكَ يأتي مِنْ حقارةِ الكُراع بضمّ أوَّلِهِ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ كنيفٍ النبهانيُّ (٢):

تَعَزَّ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ بِٱلْحُرِّ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَىٰ رَيْبِ ٱلزَّمَانِ مُعَوَّلُ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( 1/2/1 - 170 ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٣٦/١ ـ ١٣٨).

لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي ٱلتَّذَلُّ لُ وَنَائِبَةٍ بِٱلْحُرِّ أَوْلَىٰ وَأَجْمَلُ وَنَائِبَةٍ بِٱلْحُرِّ أَوْلَىٰ وَأَجْمَلُ وَمَا لِآمْرِئُ عَمَّا قَضَى ٱللهُ مُزْحَلُ بِبُؤْسَىٰ وَنُعْمَىٰ وَٱلْحَوَادِثُ تَفْعَلُ بِبُؤْسَىٰ وَنُعْمَىٰ وَٱلْحَوَادِثُ تَفْعَلُ وَلاَ ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِي لَيْسَ تَجْمُلُ وَلاَ ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِي لَيْسَ تَجْمُلُ تُحَمِّلُ مَا لاَ يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ فَرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ فَصَحَّتْ لَنَا ٱلْأَعْرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ فَصَحَّتْ لَنَا ٱلْأَعْرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى ٱلْمَوْءُ جَازِعاً لَكَانَ ٱلتَّعَزِّي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ فَمَا لُيِّنَتْ مِنَّا قَنَاةٌ صَلِيبَةٌ وَلَاكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوساً كَرِيمَةً وَلَاكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوساً كَرِيمَةً

قولُهُ: ( مزحلُ ) مِنْ زحلَ ؛ أي : لا يتجاوزُ ولا يفوتُ المرءَ ما قضاهُ اللهُ عليهِ .

[من الكامل] مِحَاكَ وَنَامَتِ ٱلعُوادُ

عَلَمْ مَسَجًا وَالْمَبُ الْعُوادُ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ ٱلْأَكْبَادُ مَوْتَىٰ وَفِينَا ٱلرُّوحُ وَٱلْأَجْسَادُ لَا يَدْفَعُونَ بِنَا ٱلْمَكَارِهَ بِادُوا لَا يَدْفَعُونَ بِنَا ٱلْمَكَارِهَ بِادُوا أَمْسَىٰ عَلَيْهِ تَظَاهَرَ ٱلْأَقْيَادُ عَلَيْهِ تَظَاهَرَ ٱلْأَقْيَادُ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ تَذْهَبُ ٱلْأَحْقَادُ بِالْرِقْدِ حِينَ تَقَاصَرَ ٱلْأَرْفَادُ بِالْرِقْدِ حِينَ تَقَاصَرَ ٱلْأَرْفَادُ وَلَنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ وَلَنَا إِلَيْهِ مَعَادُ وَلَنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

وقالَ عويفُ القوافيُّ الفزاريُّ (۱): 
ذَهَبَ ٱلرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ 
خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعٌ 
بَلَغَ النُّفُوسَ بَلَاؤُهُ فَكَأَنَّنَا 
يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوَ ٱنَّهُمْ 
لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُييْنَةَ أَنَّهُ 
لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُييْنَةَ أَنَّهُ 
نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي ٱلنَّصِيحَةَ أَنَّهُ 
وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهُ 
وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهُ 
أَمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كَرَائِمَ مَالِهِ

<sup>. (</sup> 180 - 189/1 ) . ( 180 - 189/1 ) .

الأجسادُ في الشعرِ: جمعُ جسدٍ، والمرادُ بهِ: الدمُ، كما هوَ المرادُ في قولِ النابغةِ (١٠):

..... وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وقالَ بشرُ بنُ المغيرةِ أخي المُهلَّبِ بنِ أبي صفرةَ ، وهوَ أبو يزيدَ المذكورُ في الشعرِ ، وكانَ المُهلَّبُ أميرَ العسكرِ إذ ذاكَ ، وهوَ مشهورٌ ، يَتوجَّعُ في هاذهِ [ الأبياتِ ] مِنْ عمِّهِ وأبيهِ وابن عمِّهِ (١٠) :

جَفَانِي ٱلْأَمِيرُ وَٱلْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَىٰ يَزِيدُ لِي قَدِ ٱزْوَرَّ جَانِبُهْ وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ وَشِبْعُ ٱلْفَتَىٰ لُؤُمُّ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهْ وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ وَشِبْعُ ٱلْفَتَىٰ لُؤُمُّ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ فَيَا عَمِّ مَهْلاً وَٱتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ تَنُوبُ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ جَمُّ عَجَائِبُهُ أَنَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَمِثْلِيَ لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ أَنَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَمِثْلِيَ لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

وقالَ رجلٌ في ابنِهِ واختُلِفَ في تسميتِهِ ؛ فقيلَ : هوَ أبو الشغبِ العبسيُّ ، وقيلَ غيرُ ذلكَ (٣) :

رَأَيْتُ رِيَاطاً حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّىٰ شَبَابِي لَيْسَ فِي بِرِّهِ عَتْبُ إِذَا كَانَ أَوْلَادُ ٱلْحُلُو وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ إِذَا كَانَ أَوْلَادُ ٱلْحُلُو وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ لِنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ ٱلْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ ٱلْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ وَتَالْحُدُهُ عِنْدَ ٱلْبَارِحِ ٱلْغُصُنُ ٱلرَّطْبُ وَتَالْحُدُهُ عِنْدَ ٱلْمَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا ٱهْتَزَّ تَحْتَ ٱلْبَارِحِ ٱلْغُصُنُ ٱلرَّطْبُ

الحزازة : تألُّم النفس غيظاً ؛ أي : إذا كانوا سببَها .

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ٢٥ ) والبيت بتمامه :

فَلَا لَعَمْرُ ٱلَّذِي مَشَحْتُ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٤١/١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٤/١ \_ ١٤٥ ) .

وقالَ إسحاقُ بنُ خلفٍ (١):

لَوْلَا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ ٱلْعَدَمِ وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي ٱلْعَيْشِ مَعْرِفَتِي وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي ٱلْعَيْشِ مَعْرِفَتِي أَحَاذِرُ ٱلْفَقْرَ يَوْماً أَنْ يُلِمَّ بِهَا تَهْوَىٰ مَوْتَهَا شَفَقاً تَهُوَىٰ مَوْتَهَا شَفَقاً أَخْشَىٰ فَظَاظَةَ عَمِّ أَوْ جَفَاءَ أَخِ وَقَالَ حِظَّانُ بِنُ المُعلَّىٰ (٢):

أَنْزَلَنِي ٱلدَّهْرُ عَلَىٰ حُكْمِهِ وَغَالَنِي ٱلدَّهْرُ بِوَفْرِ ٱلْغِنَىٰ أَبْكَانِي ٱلدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا لَبْكَانِي ٱلدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا لَوْلَا بُنَيَّاتُ كَزُغْبِ ٱلْقَطَا لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ وَإِنَّهَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا وَاسِعٌ لَوْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَىٰ بَعْضِهمْ

[من البسيط] وَلَمْ أُقَاسِ ٱلدُّجَىٰ فِي حِنْدِسِ ٱلظُّلَمِ ذُلَّ ٱلْيَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُو ٱلرَّحِمِ فَيَهْتِكَ ٱلسَّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَىٰ وَضَمِ

وَكُنْتُ أَبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَذَى ٱلْكَلِمِ

وَٱلْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ عَلَى ٱلْحُرَم

[ من السريع ]

مِنْ شَامِحٍ عَالٍ إِلَى خَفْضِ فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَىٰ [عِرْضي] أَضْحَكَنِي ٱلدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَىٰ بَعْضِ فِي ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى ٱلْأَرْضِ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ ٱلْغَمْض

قولُهُ: (لولا بنياتٌ كرُغْبِ القطا) أي: ضعافٌ كفراخِ القطا التي لم يقوَ ريشُها بعدُ ، بل هوَ زغبٌ ، فهيَ في الاحتياجِ إلى ما يعولُها ويجلبُ رزقَها.

وقولُهُ : ( رددنَ مِنْ بعضٍ إلى بعضٍ ) يريدُ : أنَّ كبارَهُنَّ وإن قَوِيَتْ بنيتُهُنَّ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥١/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٢/١ \_ ١٥٣ ) .

حتى رُدَّتْ إليهِنَّ الصِّغارُ ليَحفظنَهُنَّ ويُدبِّرنَ أُمورَهُنَّ . فهُنَّ ضِعافُ العقولِ والعزائمِ بحيثُ يرددنَ إلى الصِّغارِ ، ويجعلْنَ مِنْ عددِهِنَّ ؛ إذِ الفريقانِ في الضَّعفِ سواءٌ ، فخُلاصةُ المعنىٰ : أنَّ البناتِ في عدمِ غنائِهِنَّ واحتياجِهِنَّ إلىٰ مَنْ يَكفلُهُنَّ ويعولُ أمرَهُنَّ . لا تَميُّزَ لبعضِهِنَّ عنِ البعضِ .

وقالَ رجلٌ أسديٌّ (١):

[ من الطويل ]

وَمَا أَنَا بِٱلنِّكْسِ ٱلدَّنِيءِ وَلَا ٱلَّذِي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو ٱلْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ وَلَا كَنْ يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبُ وَلَا يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبُ أَلَا إِنَّ ذَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ ٱلنَّفْسُ لَا وُدُّ أَتَىٰ وَهُوَ مُتْعَبُ أَلَا إِنَّ خَيْرَ ٱلْوُدِّ وُدُّ تَطَوَّعَتْ لَهُ ٱلنَّفْسُ لَا وُدُّ أَتَىٰ وَهُوَ مُتْعَبُ

يُقالُ: إنَّ الأفصحَ إذا أُخبِرَ بموصولٍ عن ضميرِ مُتكلِّمٍ أو مُخاطَبٍ أن يُقالُ: إنَّ الأفصحَ إذا أُخبِرَ بموصولٍ عن ضميرِ مُتكلِّمٍ أو مُخاطَبٍ أن يُؤتى بالضَّمائرِ طبقَ الموصولِ ضمائرَ غَيبةٍ ، وهلذا الشعرُ على خلافِ ذلكَ ، فكانَ يقولُ: ( إذا صُدَّ عنهُ ذو المودةِ . . يحربُ ) ، ويحربُ : يغتاظ ، ومِنْ فكانَ يقولُ : ( إذا صُدَّ عنهُ ذو المودةِ . . يحربُ ) ، ويحربُ : من مشطور الرجز] كلامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (٢٠):

أَنَا ٱلَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهُ

فهوَ كالشعرِ .

وقالَ بشامةُ بنُ حزنٍ (٢):

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا لَـ دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا وَأَ إِنِّي ٱمْرُؤٌ أَسِمُ ٱلْقَصَائِدَ لِلْعِدَا إِذَ

[ من الكامل ]

لَمَّا وَنَىٰ عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالُهَا وَلَىٰ عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالُهَا وَلَـدَيَّ فِي أَمْثَالُهَا إِنَّ ٱلْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٧/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «الروض الأنف» ( ١٠٧/٧ ).

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٢٠٦/١ \_ ٢٠٨ ) .

قَوْمِي بَنُو ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ وَٱلْمَشْرِفِيَّةُ وَٱلْقَنَا إِشْعَالُهَا مَا زَالَ مَعْرُوفاً لِمُرَّةَ فِي ٱلْوَغَىٰ عَلَّ ٱلْقَنَا وَعَلَيْهِمُ إِنْهَالُهَا مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا أَسْرُ ٱلْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا مَنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا أَسْرُ ٱلْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

في «القاموس»: (ولدَ إلياسُ بنُ مُضَرَ عمراً وهوَ مُدرِكةُ ، وعامراً وهوَ طابخةُ ، وعميراً وهوَ قمعةُ ، وأُمُّهُم خِنْدِفُ كزِبْرِج ؛ وهيَ ليلىٰ بنتُ حلوانَ بنِ عمرانَ ، وكانَ إلياسُ خرجَ في نُجعةٍ ، فنفرَتْ إبلُهُ مِنْ أرنبٍ ، فخرجَ إليها عمرٌو فأدركها ، وخرجَ عامرٌ فتصيَّدَها وطبخها ، وانقمعَ عميرٌ في الخباءِ ، وخرجَتْ أُمُّهُم تسرعُ ، فقالَ لها إلياسُ : أينَ تخندفينَ ؟ فقالَتْ : ما زلت أخندفُ في أثرِكُم ، فلُقِّبوا : مدرِكةَ وطابخةَ وقمعةَ وخِنْدِفَ ) (١) ، فسُمِّيَتِ القبيلةُ باسم أُمِّها .

وقولُهُ : ( أَسِمُ القصائدَ ) : وسمُ القصيدةِ عبارةٌ عن ذكرِ مَنْ قيلَتْ برسمِهِ مِنْ ممدوحِ أو مهجوٍ .

وقالَ العباسُ بنُ مرداسٍ ، وهي مِنَ المُنصفاتِ ؛ إذ لم يكتمْ حالَ أعدائِهِ (٢) :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا فَوَارِسَا أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَانِسَا إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ ٱلْمَذَاكِي وَٱلرِّمَاحَ ٱلْمَدَاعِسَا إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ ٱلْمَذَاكِي وَٱلرِّمَاحَ ٱلْمَدَاعِسَا إِذَا ٱلْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعِ نَكُرُّهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

ذكاءُ الخيل : تمامُها وخروجُها مِنْ سنِّ الفتاءِ .

<sup>(</sup>١) القاموس المحيط ( ٢٠٣/٣ ) مادة ( خ ن د ف ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ٢٢٨/١ \_ ٢٢٩ ) .

وقالَ عبدُ الشارقِ بنُ عبدِ العزى الجهنيُّ مِنَ المنصفاتِ أيضاً (''):

نُحَيِّيهَا وَإِنْ كَرُمَتْ عَلَيْنَا عَلَىٰ أَضْمَاتِنَا وَقَدِ [ٱخْتَوَيْنَا] فَقَالَ أَلَا ٱنْعَمُوا بِٱلْقَوْمِ عَيْنَا فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارسِهِمْ لَدَيْنَا كَمِثْلِ ٱلسَّيْلِ نَرْكَبُ وَازعِينَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي مَلاً جُهَيْنَا فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ٱرْعَوَيْنَا أَنَخْنَا لِلْكَلَاكِل فَارْتَمَيْنَا مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا بأَرْجُل مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُويْنَا وَكَانَ ٱلْقَتْلُ لِلْفِتْيَانِ زَيْنَا وَأُبْنَا بِٱلسُّيُوفِ قَدِ ٱنْحَنَيْنَا وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا ٱلْكَلْمَىٰ سَرَيْنَا

أَلَا حُيّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا فَأَرْسَلْنَا أَبَاعَمْ رو رَبيئاً وَدَسُّوا فَارساً مِنْهُمْ عِشَاءً فَجَاؤُوا عَارضاً بَرداً وَجِئْنَا تَنَادَوْا يَا لَبَهْثَةَ إِذْ رَأَوْنَا سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْر غَيْب فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلاً فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْساً وَسَهْماً تَلَأْلُوً مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لِأُخْرَىٰ شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ وَشَــدُّوا شَــدَّةً أُخْـرَىٰ فَـجَـرُوا وَكَانَ أَخِي جُويْنٌ ذَا حِفَاظٍ فَآبُوا بِٱلرِّمَاحِ مُكَسَّرَاتٍ فَبَاتُوا بِٱلصَّعِيدِ لَهُمْ أُحَاحُ

قولُهُ : ( نحيّيها وإن كرمُتْ علينا ) تحقُّقُ المنافرةِ ؛ بأن يُرادَ بتحيَّتِها

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٢٢٩/١ \_ ٢٣٣ ) .

تحيةُ الوداعِ ، أو تحيةُ الغائبِ ؛ أداءً لواجبِ المَحبَّةِ علىٰ لسانِ رسولٍ مراغمةً للغيرةِ ، أو يُرادَ بكرمِها عليه : تعذُّرُها وامتناعُها .

وقولُهُ: (علىٰ أضماتِنا وقدِ اختوينا) أي: علىٰ أشدِّ أحقادِنا وقد أخلينا أجوافَنا ، وكانَتْ تلكَ لهُم عادةً إذا أرادوا الحربَ .

وقولُهُ: ( نركبُ وازعينا ) أي: لا يطيعُ أحدُ الجيشَينِ وازعَهُ ورئيسَهُ إذا أرادَ أن يَكُفَّهُ عنِ الإقدامِ ، والملأُ في قولِهِ: ( أحسني ملاً ) معناهُ: الخُلُقُ ، وبهثةُ : ولدُ الزنا ، وهوَ اسمٌ للقبيلةِ هنا .

وقالَ المساورُ بنُ هندِ بنِ زهيرٍ (١):

أَوْدَى ٱلشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّدُ وَأَرَى ٱلْغَوانِي بَعْدَ مَا أَوْجَهْنَنِي وَأَيْنَ رَأْسِي صَارَ وَجْها كُلُّهُ وَرَأَيْنَ شَيْحًا قَدْ تَحَنَّىٰ ظَهْرُهُ وَرَأَيْنَ شَيْحًا قَدْ تَحَنَّىٰ ظَهْرُهُ لَكَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً لَكَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً وَتَسَعَبُوا شُعَباً فَكُلُّ جَزِيرَةٍ وَتَشَعَبُوا شُعَباً فَكُلُّ جَزِيرَةٍ وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَلَنَا اللَّهُ مِنْ رُدَيْنَةً صَدْقَةٌ وَلَنَا أَيْنَا أَنْ إِنْ هَيَ أَعْرَضَتْ وَلَنَا أَنْ مِنْ رُدَيْنَةً صَدْقَةٌ

[ من الكامل]

وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ ٱلْمَغْبَرُ أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ إِلَّا قَفَايَ وَلِحْيَةً مَا تُضْفَرُ يَمْشِي فَيُقْعِسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ عَمْشِي فَيُقْعِسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ عَمْشِي فَيُقْعِسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ عَمْشِي فَيُعْتُرُ عَمْشِي فَيُعْتُرُ عَمْشِينَ وَمِنْبَرُ عَمْشِينَ وَمِنْبَرُ فِي اللّهَ يَعْدُرُ اللّهُ وْمِنِينَ وَمِنْبَرُ أَلْمُ وْمِنِينَ وَمِنْبَرُ وَمِنْبَرُ أَلْمُ وْمِنِينَ وَمِنْبَرُ أَلْمُ وَمِنِينَ وَمِنْبَرُ أَلْمُ وَمِنِينَ وَمِنْبَرُ أَلْمُ اللّهَ يَعْدُلُ اللّهَ يَعْدُلُ اللّهَ يَعْدُلُ اللّهَ يَعْدُلُ اللّهَ يَعْدُلُ اللّهَ وَمُنْبَرُ وَرُورُ اللّهَ يَعْدُلُ اللّهَ يَعْدُلُ اللّهَ يَعْدُلُولُ أَذْوَرُ وَرُورُ اللّهُ عَلَيْ اللّهَ اللّهَ يَعْدُلُولُ أَذْوَرُ وَرُورُ اللّهُ عَلَيْ اللّهَ اللّهَ يَعْدُلُولُ أَذْوَرُ وَرُورُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللّهَ يَعْدُلُولُ أَذْورُ وَرُورُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللللللللللللللللللللم

اقتفرَ الشيءَ: تَتبَّعَهُ ، وقولُهُ: ( ولحيةً لا تضفرُ ) تَأسَّفَ على فقدِ الذوائبِ التي مِنْ شأنِها الضفرُ ، وقولُهُ: ( يقعسُ ) أي: يكونُ كالأقعسِ ؛ وهوَ مقابلُ الأحدبِ ، وفي قولِهِ: ( يُكِبُّ فيعثرُ ) قلبٌ ؛ لأمنِ اللبسِ .

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ۲/۵ \_ 7 ) .

[ من الطويل ]

[ من الوافر ]

عَشِيَّةَ بِتْنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحِ إِلَىٰ مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ مِنَ ٱلْمَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ وقالَ عروةُ بنُ الوردِ العبسيُ (۱): قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي ٱلْكَنِيفِ تَرَوَّحُوا تَنَالُوا ٱلْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِراً لِيَبْلُغَ عُدْراً أَوْ يُصِيبَ رُغَيْبَةً لِيَبِيْلُغَ عُدْراً أَوْ يُصِيبَ رُغَيْبَةً

كانَ عروةُ غائباً ، فلمّا حضرَ . . وجدَ قومَهُ قد نهكَهُمُ ٱلْجَدْبُ وهُم رُزَّحُ قاعدونَ في مُلتفٍّ مِنَ الشجرِ \_ وهوَ الكنيفُ \_ ينتظرونَ الهلاكَ ، فقالَ لهُم : تَروَّحوا ، يُحرِّضُهُم على النهوضِ في طلبِ المعيشةِ ، فترتيبُ البيتِ الأوَّلُ : قلتُ لقومٍ رُزَّحٍ في الكنيفِ عشيةَ بتنا عندَ ماوانَ : تَروَّحوا تنالوا الغنى ، أو تُقتلوا فتريحوا أنفسَكُم مِنْ حالةٍ تشبهُ الحِمامَ ، للكنَّهُ حِمامٌ مُبرِّحٌ .

وقالَ ربيعةُ بنُ مقرومٍ (٢):

مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِي ٱسْتَجَابَا وَزَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ ٱقْتِرَابَا حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبِعَ ٱلْجِذَابَا عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهِبُ ٱلْتِهَابَا ذُنُوبَ ٱلشَّرِ مَلْأَىٰ أَوْ قُرابَا بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱلْقَوْمَ ٱلْغِضَابَا أُسُودَ خَفِيَّةَ ٱلْغُلْبَ ٱلرِّقَابَا أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي وَكُنْتُ إِذَا قَرِينِي جَاذَبَتْهُ فَإِنْ أَهْلِكُ فَذِي حَنَقٍ لَظَاهُ مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّىٰ تَحَسَىٰ بِمِثْلِي فَٱشْهَدِ ٱلنَّجُوىٰ وَعَالِنْ بِمِثْلِي فَٱشْهَدِ ٱلنَّجُوىٰ وَعَالِنْ فَإِنَّ ٱلْمُوعِدِيَّ يَرَوْنَ دُونِي

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( $\sqrt{1}$  ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٥٣/٢ \_ ٥٥ ) .

كَأَنَّ عَلَىٰ سَوَاعِدِهِنَّ وَرْساً عَلا لَوْنَ ٱلْأَشَاجِعِ أَوْ خِضَابَا قُولُهُ: (فذي حَنَقٍ) أي: فربَّ، حذفَها بعدَ الفاءِ، وهوَ أحدُ مواضعِ حذفِها، وقولُهُ: (الغلبَ الرقابَا) نصبَ معمولَ الصفةِ على التشبيهِ بالمفعولِ بهِ.

تمالَوا: أصلُهُ: تمالَؤوا بالهمزِ ، فخُفِّفَ وصارَ مُعتلاً ، وفي الأبياتِ ( ذو ) الطائيةُ ، وهيَ بمعنى ( التي ) ، والشاعرُ مِنْ أهلِ أشهرِ لغاتِ طيِّعُ في استعمالِ كلمةِ ( ذو ) الذينَ ينطقونَ بها على صورةٍ واحدةٍ دائماً .

[من الطويل]
تَنَاذَرَهُ أَعْرَابُهُمْ وَٱلْمُهَاجِرُ
وَأَعْلَامُ سَلْمَىٰ وَٱلْهِضَابُ ٱلنَّوَادِرُ
إِلَى ٱلْحَيِّ خُوصٌ كَٱلْحَنِيِّ ضَوَامِرُ
جِيَادُ ٱلسُّيُوفِ وَٱلرِّمَاحُ ٱلْخَوَاطِرُ

وقالَ إياسُ بنُ مالكِ الطائيُّ (٢): سَمَوْنَا إِلَىٰ جَيْشِ ٱلْحَرَورِيِّ بَعْدَمَا بِجَمْعٍ تَظَلُّ ٱلْأَكْمُ سَاجِدَةً لَهُ فَلَمَّا ٱدَّرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَّصَتْ بِهِمْ أَنَحْنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ وَزَادُنَا

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٧٢/٢ \_ ٧٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٧٥/٢ \_ ٧٦ ) .

كِلَا ثَقَلَيْنَا طَامِعُ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ ٱلرَّحْمَانُ مَا هُو قَادِرُ فَلَمْ أَرَ يَوْماً كَانَ أَكْثَرَ سَالِباً وَمُسْتَلِباً سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ وَلَى أَكْثَرُ مِنَا يَافِعاً يَبْتَغِي ٱلْعُلَا يُضَارِبُ قِرْناً دَارِعاً وَهُو حَاسِرُ فَمَا كَلَّتِ ٱلْأَيْدِي وَلَا ٱنْأَطَرَ ٱلْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَا ٱلْجُدُودُ ٱلْعَوَاثِرُ فَمَا كَلَّتِ ٱلْأَيْدِي وَلَا ٱنْأَطَرَ ٱلْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَا ٱلْجُدُودُ ٱلْعَوَاثِرُ

حَرَوْرَىٰ \_ بفتح الراءِ الأُولىٰ \_ : بلدٌ يُنسَبُ لها بعضُ الخوارجِ ، والخوارجُ : أهلُ مذهبٍ في الإسلامِ ، أولُهُم جماعةٌ خرجوا علىٰ عليّ ومعاوية ومَنْ كانَ معَهُم مِنَ المسلمينَ بعدَ ما كانَ مِنْ حربِ صفينَ ، وجرىٰ مِنْ أمرِ تحكيمِ الحكمينِ ، فقالوا بكفرِ مَنْ حَكَّمَ الحكمينِ ، وكانوا يَتشدَّدونَ في أحكامِهِم ، وعَظُمَ أمرُهُم ، وشغلوا ملوكَ الإسلامِ بالحربِ مُدَّةً مِنَ الزمانِ ، واشتَهرَ فيهِم كثيرٌ بالشجاعةِ والإقدامِ ، وكانوا يرونَ أنَّهُم هُم أُمَّةُ الإسلامِ ، وأميرُ المؤمنينَ منهُم ، والمذكورُ في الشعرِ جيشٌ مِنْ جيوشِهِم ، وصفَهُ الشاعرُ بالقُوَّةِ والشدةِ ، وأنَّهُ عمَّتْ مخافتُهُ الناسَ ، فكانَ يتناذرُهُ أهلُ الباديةِ وهُمُ الأعرابُ ، والفريقُ المهاجرُ وهُم مَنْ تركَ الباديةَ وسكنَ الأمصارَ .

وقولُهُ: (بجمع تَظلُّ الأكمُ) أي: جمعٌ كثيفٌ ذو خيلٍ وإبلٍ كثيرةٍ، بحيثُ إنَّهُ [بثقلِ] وطأتِهِ يُسوِّي مرتفعاتِ الأرضِ، فمعنى سجودِ الأكمِ: هبوطُها وزوالُ ارتفاعِها.

وقولُهُ: (كانَ أكثرَ سالباً) أي: مِنْ ذلكَ اليومِ، (ومستلباً سربالهُ) بنصبِ سربالٍ ، مفعولٌ ثانٍ ، تقولُ: استلبتُهُ كذا.

وقالَ سعدُ بنُ ناشب (١):

وَشِدَّةِ نَفْسِي أُمُّ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي

[ من الطويل ]

تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَىٰ مِنْ شَرَاسَتِي

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٥/٢ ) .

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكَرِيمَ وَإِنْ حَلاَ وَفِي ٱللِّينِ ضَعْفٌ وَٱلشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ وَمَا بِي عَلَىٰ مَنْ لَانَ لِي مِنْ فَظَاظَةٍ أُقِيمُ صَغَا ذِي ٱلْمَيْلِ حَتَّىٰ أَرُدَّهُ فَإِنْ تَعْذُلِينِي تَعْذُلِي بِي مُرَزَّأً إِذَا هَمَّ أَلْقَىٰ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ

وقالَتْ عاتكةُ بنتُ عبدِ المطلبِ (۱):

سَائِلْ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلْيَكُ
قَيْساً وَمَا جَمَعُ والَنَا فِي مَهِ
فِيهِ السَّنَوَّرُ وَالْقَنَا وَالْكَبْ
بِعُكَاظَ يُعْشِي النَّاظِرِينَ إِذَا هُمُ أَوْفِيهِ وَالْكَبْ
فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكاً قَسْراً وَمُسَجَدًا فَا اللَّنَاظِرِينَ إِذَا هُمُ أَوْفِيهِ وَمُسَجَدًا فَا خَسَراً وَمُسَجَدًا فَا اللَّنَوَرُ : يُوادُ بهِ الدروعُ ، ويُرادُ بهِ السلاحُ كلُّهُ .

لَيُلْفَىٰ عَلَىٰ حَالٍ أَمَرَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ وَمَنْ لَمْ يُهَبْ يُحْمَلْ عَلَىٰ مَرْكَبٍ وَعْرِ وَلَـٰكِنَّنِي فَـظُّ أَبِيُّ عَـلَى ٱلْـقَـسْرِ وَأَخْطِمُهُ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَى ٱلْقَدْرِ كَرِيمَ نَثَا ٱلْإِعْسَارِ مُشْتَرَكَ ٱلْيُسْرِ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ ٱلسُّرَيْجِيِّ ذِي ٱلْأُثْرِ

[من مجزوء الكامل]

وَلْيَكُفِ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاعُهُ وَٱلْكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِنَاعُهُ وَٱلْكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِنَاعُهُ إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهُ قِنسراً وَأَسْلَمَهُ رَعَاعُهُ بِٱلْقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهُ

وقالَ أميةُ بنُ أبي الصَّلتِ يشتكي مِنْ ولدِهِ (١): [من الطويل]

تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ

إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِٱلشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً

<sup>(1)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » ( 1 % / 1 % ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٣٣/٢ ) .

كَأَنِّي أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِي فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْها وَغِلْظَةً فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي فَلَكَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي وَسَمَّيْتَنِي بِٱسْمِ ٱلْمُفَنَّدِ رَأَيْهُ وَسَمَّيْتَنِي بِٱسْمِ ٱلْمُفَنَّدِ رَأَيْهُ تَرَاهُ مُعِدًا لِلْحِلَافِ كَأَنَّهُ تَرَاهُ مُعِدًا لِلْحِلَافِ كَأَنَّهُ

وقالَتِ امرأةٌ في مثلِ هاذا المعنى ('):

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ ٱلْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ ٱلْ
حَتَّىٰ إِذَا آضَ كَٱلْفُحَّالِ شَذَّ بِهِ أَبَّارُ

أَنْشَا يُمَزِّقُ أَثْوَابِي يُوَدِّبُنِي أَبَعْ

إنِّي لَأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ وَخَ

طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِيَ تَهْمُلُ إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيكَ أُقْمِّلُ إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيكَ أُقْمِّلُ كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ وَفِي رَأْيِكَ ٱلتَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ وَفِي رَأْيِكَ ٱلتَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ بِرَدِّ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلصَّوَابِ مُوكَّلُ .

أُمُّ ٱلطَّعَامِ تَرَىٰ فِي جِلْدِهِ زَغَبَا أَمُّ ٱلطَّعَامِ تَرَىٰ فِي جِلْدِهِ زَغَبَا أَبَارُهُ وَنَفَىٰ عَنْ مَتْنِهِ ٱلْكَرَبَا أَبَعْدَ شَيْبِيَ عِنْدِي يَبْتَغِي ٱلْأَدَبَا وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا مَهْلاً فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا مُهُلاً فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا ثُمُ ٱسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا ثُرَبَا خَطَبَا

أعظَمُهُ أَمُّ الطعامِ ؛ أي : أكثرُهُ حوصلتُهُ ، وأمُّ الطعامِ مِنَ الآدميِّ : المَعِدةُ ، وأَمُّ الطعامِ مِنَ الآدميِّ : المَعِدةُ ، وأَبْرُ النخلِ : تلقيحُ إناثِها مِنْ ذكورِها ، والأَبَّارُ : فاعلُ ذلكَ ، فإضافتُهُ إلى الفُحَّالِ ـ وهوَ ذكرُ النخلِ ـ لأدنى ملابسةٍ ؛ كالإضافةِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ اللهُ حَالَىٰ لَا اللهُ ال

انتهى ما أردتُ إيرادَهُ مِنْ بابِ الحماسةِ .

وَلَوْ رَأَتْنِيَ فِي نَارِ مُسَعَّرَةٍ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٣٤/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة العنكبوت : ( ٥ ) .

## [ نبذةٌ من أشعار الرثاءِ من « ديوانِ الحماسةِ » ]

وهاذه جملةٌ مِنْ بابِ الرثاءِ ؛ وهوَ ذكرُ محاسنِ الميتِ والبكاءُ عليهِ ، والتحسُّرُ على فقدِهِ ؛ يُقالُ : رثيتُهُ ورثوتُهُ ، والمَرْثِيَةُ : الكلامُ الذي يكونُ بهِ الرثاءُ .

قالَ أبو خِراشِ الهذليُّ وقد سافرَ أخوهُ وابنُهُ ، فأُسِرا ، وقُتِلَ أخوهُ ، وألقى رجلٌ رداءً على ابنِهِ واجتهدَ في إطلاقِهِ وتخليصِهِ ممَّنْ أرادوا قتلَهُ (١):

خِرَاشٌ وَبَعْضُ ٱلشَّرِ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ بِجَانِبِ قُوسَىٰ مَا مَشَيْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ بِجَانِبِ قُوسَىٰ مَا مَشَيْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ نُوكَّلُ بِٱلْأَدْنَىٰ وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ أَضَاعَ ٱلشَّبَابَ فِي ٱلرَّبِيلَةِ وَٱلْخَفْضِ عَلَىٰ أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ ٱلنَّهُضِ عَلَىٰ أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ ٱلنَّهُضِ عَلَىٰ أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ ٱلنَّهُضِ

حَمِدْتُ إِلَاهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا فَوَاللّٰهِ مَا أَنْسَىٰ قَتِيلاً رُزِئْتُهُ عَلَىٰ أَنَّهَا تَعْفُو ٱللّٰكُلُومُ وَإِنَّمَا وَلَىٰ أَنَّهَا تَعْفُو ٱللّٰكُلُومُ وَإِنَّمَا وَلَىٰ أَذْرِ مَنْ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَىٰ مَنْ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَىٰ مَنْ أَلْفَوْادِ مُهَبَّجَا وَلَىٰ مَنْ أَلْفُؤَادِ مُهَبَّجَا وَلَاكِنَّهُ قَلْ لَوَجَ ٱلْفُؤَادِ مُهَبَّجَا وَلَكِنَّهُ قَلْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِ صَيْ

وقد قيل : إنَّ الذي ألقىٰ عليهِ الرداءَ هوَ عروة ، وقد وجدَه ملقيهِ مكشوف العورةِ ، وهاذا القولُ أوفقُ لسياقِ الكلامِ ، والرَّبيلة : تُطلَقُ على السِّمنِ والنعمةِ ، فإذا أُريدَ السِّمنُ . . فهوَ على حذفِ مضافٍ ؛ أي : في تحصيلِ الربيلةِ ، وكانوا يَتمدَّحونَ بقِلَّةِ الطعامِ والشرابِ ؛ إمَّا لكثرةِ الاشتغالِ بالمُهِمَّاتِ ، وإمَّا لإيثارِ الغير ، وقالَ عبدة بنُ الطبيب (٢) :

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِم وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٣/٢ \_ ١٤٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٥/٢ \_ ١٤٦ ) .

تَحِيَّةَ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ ٱلرَّدَىٰ إِذَا زَادَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَّمَا فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْم تَهَدَّمَا

وقالَ هشامُ بنُ عقبةَ العدويُّ أخو ذي الرِّمةِ يرثي أوفى بنَ دلهم (۱):

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ ٱلْعَيْنِ مَلْآنُ مُتْرَعُ نَعَى ٱلرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرِّ فَأَوْجَعُوا نَعَى ٱلرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرِّ فَأَوْجَعُوا نَعَوْا بَاسِقَ ٱلْأَفْعَالِ لَا يَخْلُفُونَهُ تَكَادُ ٱلْجِبَالُ ٱلصَّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ خَوَى ٱلْمَسْجِدُ ٱلْمَعْمُورُ بَعْدَ ٱبْنِ دَلْهَمٍ وَأَمْسَىٰ بِأَوْفَىٰ قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا خَوَى ٱلْمَسْجِدُ ٱلْمَعْمُورُ بَعْدَ ٱبْنِ دَلْهَمٍ وَأَمْسَىٰ بِأَوْفَىٰ قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى ٱلْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْءَ ٱلْقَرْحِ بِٱلْقَرْحِ بَالْقَرْحِ أَوْجَعُ

وقالَ مُتمِّمُ بنُ نُويرةَ يرثي أخاه مالكاً ، وكانا أسلما ، وهاجرَ مُتمِّمُ إلى المدينةِ ، وبقيَ مالكُ في الباديةِ ، وكانَ عريفَ قومٍ ؛ أي : نقيبَهُم والمُتكلِّمَ عنهُم ، فلمَّا قُبِضَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . ارتدَّ كثيرٌ مِنَ العربِ ، ومنهُم مالكُ هاذا ، وكانَتْ إبلُ الصدقةِ مجموعةً في موضع يُقالُ لهُ : رحرحانُ ، لم تصلُ بعدُ إلى المدينةِ ، فأغارَ عليها مالكُ ، ونهبَ منها ثلاثَ مئةٍ ، فلامَهُ على ذلكَ الأقرعُ بنُ حابسٍ وضرارُ بنُ القعقعِ ، ومشيا بهِ في بني تميمٍ يُحرِّضانِهِم عليهِ ليردُّوهُ عن منكرٍ فعلَهُ ، فقالَ ومشيا بهِ في بني تميمٍ يُحرِّضانِهِم عليهِ ليردُّوهُ عن منكرٍ فعلَهُ ، فقالَ في ذلكَ (اللهَ الوافر)

بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي غَنَائِمُ قَدْ تَجُودُ بِهَا بَنَانِي

أَرَانِي ٱللهُ بِٱلنَّعَمِ ٱلْمُنَدَّىٰ

أَإِنْ قَرَّتْ عُيُونٌ [ وَٱسْتُفِيئَتْ ]

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٧/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٩/٢ ) ، وستأتى الأبيات المراد إثباتها .

وَلَـمْ تَـرْعُـدْ يَـدَايَ وَلَا جَـنَانِـي حَوَيْتُ جَمِيعَهَا وَٱلسَّيْفُ صَلْتُ وَصَاحِبُكَ ٱلْأُقَيْرِعُ تَلْحَيَانِي تَمَشَّىٰ يَا بْنَ عَوْذَةً فِي تَمِيم فَتَتَّقِيَا أَذَايَ وَتَرْهَبَانِي أَلَحُ أَكُ نَارَ رَابِيَةٍ تَلَظَّىٰ عَلَىٰ قَطْعِ ٱلْمَذَلَّةِ وَٱلْهَوَانِ فَقُلْ لِأَبْنِ ٱلْمُذِبِّ يَغُضُّ طَرْفاً

النَّعم المندى : هي الإبلُ تُسقى قليلاً ثم تُراحُ ناحيةً ، ثم تُورَدُ الماءَ لتحصيلِ تمامِ الريِّ ، يظهرُ غيظَهُ وشماتتَهُ باجتماع إبلِ [الصدقةِ] ، وكانوا يرونَ ذٰلكَ نهباً لأموالِهِم.

وقولُهُ : ( تَمشَّىٰ ) أي : تَتمشَّىٰ وهوَ معلولٌ .

قولُهُ : ( أَإِنْ قَرَّتْ عيونٌ ) ، وقولُهُ : ( يا بن عوذة ) ناداهُ باسم أُمِّهِ تحقيراً ، وعوذة أ: أمُّ ضرارٍ ، ومذبة أ: أمُّ الأقرع .

فلمَّا قامَ أبو بكرِ بالأمرِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . بعثَ جيشاً رئيسُهُ خالدُ بنُ الوليدِ لقتالِ أهلِ الردَّةِ ، وأوصاهُ بقتلِ مالُّكٍ هلذا ، فلمَّا قُتِلَ . . أكثرَ مِنْ رثائِهِ والبكاءِ عليهِ أخوهُ مُتمِّمٌ .

يُروىٰ : أنَّ أميرَ المؤمنينَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لمُتمِّم يوماً : لو رُثِيَ أَخي زيدٌ بمثل ما رَثيتَ بهِ أَخاكَ ، فقالَ مُتمِّمٌ له : لو علمتُ أنَّ أخي صارَ لِمَا صارَ إليهِ أخوكَ . . ما رثيتُهُ ؛ يعني : لو علمَ موتَهُ على الإسلام ، فقالَ عمرُ : ما عزَّاني أحدٌ بمثل ما عزَّاني بهِ مُتمِّمٌ (١).

والأبياتُ المُرادُ إثباتُها مِنْ رثاءِ مُتمِّم قولُهُ (١): [ من الطويل ]

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ٱلْبُكَا رَفِيقِي لِتَذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ

(۱) تقدم ( ۳۷۸/۱ ).

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٨/٢ ) .

فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَىٰ بَيْنَ ٱللِّوَىٰ فَٱلدَّكَادِكِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا فَدَعْنِي فَهَاذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

ولابنِ نباتةَ المصريِّ قصيدةٌ يرثي فيها ملكاً ويُهنِّئُ ابنَهُ بالجلوسِ مكانَهُ ، مطلعُها (١٠) :

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ ٱلْعَزَاءَ ٱلْمُقَدَّمَا فَمَا عَبَسَ ٱلْمَحْزُونُ حَتَّىٰ تَبَسَّمَا ثُغُورُ ٱبْتِسَامٍ فِي ثُغُورِ مَدَامِعٍ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو ٱلسَّبْقِ مِنْهُمَا

يقولُ فيها تلميحاً بمالكٍ ومُتمِّم ابنَيْ نويرةً : [من الطويل]

فَقَدْنَا لِأَعْنَاقِ ٱلْبَرِيَّةِ مَالِكاً وَشِمْنَا لِأَفْعَالِ ٱلْجَمِيلِ مُتَمِّمَا وسنوردُها بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالى .

وقالَ رجلٌ مِنْ خثعمٍ (٢):

نَهِلَ ٱلزَّمَانُ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرَّدِ مِنْ كُلِّ فَيَّاضِ ٱلْيَدَيْنِ إِذَا غَدَتْ فَٱلْيَوْمَ [ أَضْحَوْا ] لِلْمَنُونِ وَسِيقَةً خَلَتِ ٱلدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ

[من الكامل] مِنْ آلِ عَتَابٍ وَآلِ ٱلْأَسْوِدِ نَكْبَاءُ تُلْوِي بِٱلْكَنِيفِ ٱلْمُؤْصَدِ مِنْ رَائِحٍ عَجِلٍ وَآخَرَ مُغْتَدِي وَمِنَ ٱلشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِٱلسُّؤْدَدِ

النكباء : واحدة النُّكْبِ ؛ وهي الرياح الخارجة بين المَهابِ الأصليةِ ؛ وهي مَهَبُّ الصَّبا للشَّمالِ ، ومَهَبُّ الصَّبا للشرقِ ، ومَهَبُّ الشَّمالِ ، ومَهَبُّ الجَنوبِ ، ومَهَبُّ الدَّبور .

وإذا توالَتِ النُّكُبُ . . كانَ الجدبُ ، والكنيفُ المُؤصَدُ : الحظيرةُ مِنَ

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » ( ص ٤٢٩ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٤/٢ ) .

الشجرِ التي جُعِلَ لها إصادٌ ؛ أي : بابٌ وعتبةٌ ؛ اعتناءً بها ، ومحافظةً عليها ، وألوَتْ بها : أَفْسدَتْها ، وجودُ الجوادِ أظهرُ ما يكونُ في الجدب .

وقالَ محمدُ بنُ بشيرِ الخارجيُّ ؛ نسبةً إلى خارجةَ ('': [من الكامل] نِعْمَ ٱلْفَتَىٰ فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ يَوْمَ ٱلْبَقِيعِ حَوَادِثُ ٱلْأَيَّام

سِهْلُ ٱلْفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ مُ وَدِّبُ ٱلْخُدَّامِ وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْر أَيُّهُ مَا ذَوُو ٱلْأَرْحَام

أرادَ بالصَّديقِ والشَّقيقِ الجنسَ ؛ أي : أصدقاءَهُ وأشقاءَهُ ، ولذُلكَ قالَ : أيُّهُما ذوو الأرحام .

وقالَ دريدُ بنُ الصِّمةِ يرثي أخاهُ \_ ودريدٌ هاذا مِنْ فرسانِ العربِ المعدودينَ ، وكانوا أخرجوهُ معَهُم المعدودينَ ، وكانوا أخرجوهُ معَهُم شيخاً فانياً ليستضيئوا برأيهِ (١) \_ :

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي ٱلسَّوْدَاءِ وَٱلْقَوْمُ شُهَّدِي فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي ٱلْفَارِسِيِّ ٱلْمُسَرَّدِ فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَىٰ غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِي فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَىٰ غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِي أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَىٰ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا ٱلرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى ٱلْغَدِ أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَىٰ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا ٱلرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى ٱلْغَدِ وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوتُ غَويْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْتُ أَعَبْدُ ٱللهِ ذَلِكُمُ ٱلرَّدِي فَحَدُ لَكُا إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَقْع ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ فَحَجِ نُتُ إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَقْع ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٥/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٦/٢ \_ ١٥٩ ) .

إِلَىٰ جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ وَحَتَّىٰ عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِي وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ فَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ فَيَعْلَمُ ٱلْيَدِ فَيَا كَانَ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ ٱلْيَدِ بَعِيدٌ مِنَ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ مِنَ ٱلْيَوْمِ أَعْقَابَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ مِنَ ٱلْيَوْمِ أَعْقَابَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ سَمَاحاً وَإِتْلَافاً لِمَا كَانَ فِي ٱلْيَدِ فَي ٱلْيَدِ فَي ٱلْيَدِ فَي ٱلْيَدِ فَيَ ٱلْهُمَا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ٱبْعَدِ فَي كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلُ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلُ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْبَوِّ رِيعَتْ فَأَقْبَلَتْ فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ تَنَفَّسَتْ فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ تَنَفَّسِهِ قِتَالَ ٱمْرِئَ آسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَىٰ مَكَانَهُ كَمِيشُ ٱلْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ قَلِيلُ ٱلتَّشَكِي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ وَإِنْ مَسَّهُ ٱلْإِقْوَاءُ وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ صَبَا مَا صَبَا حَتَّىٰ عَلَا ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ

قولُهُ: (مُدجَّجٍ) على صيغةِ اسمِ الفاعلِ أو اسمِ المفعولِ: تامُّ السلاحِ، وذاتُ البوِّ: هيَ الناقةُ يموتُ ولدُها، فيُحشى جلدُهُ على صورةِ ولدِها لترأمَهُ؟ وذاتُ البوِّ: هيَ الناقةُ يموتُ ولدُها، فيُحشى جلدُهُ على صورةِ ولدِها لترأمَهُ؟ أي: تَشمَّهُ وتعطفَ عليهِ ؛ تخيُّلاً أنَّهُ ابنُها، فتدرُ لتحلبَ، ومَسْكُ الحيوانِ : جِلدُهُ ، بفتحٍ فسكونٍ ، والسَّقبُ : ولدُ الناقةِ الصغيرُ ، والصَّياصي : جمعُ صِيصاةٍ بكسرٍ فسكونٍ ؛ شوكةٌ للحائكِ يسوي بهِ اللحمةَ والسُّدَىٰ مِنْ منسوجِهِ ، وقالَ بكسرٍ فسكونٍ ؛ شوكةٌ للحائكِ يسوي بهِ اللحمة والسُّدَىٰ مِنْ منسوجِهِ ، وقالَ تأبَّطَ شرّاً كما روى أبو تمام ، وللكنْ قيلَ : إنَّ الشعرَ لخلفٍ الأحمرِ ، واستدلُّوا علىٰ ذلكَ بأنَّهُ قد ذُكِرَ فيهِ سَلْعٌ ؛ وهوَ بالمدينةِ ، وتأبَّطَ شرّاً كانَ في بلادٍ بعيدةٍ عنها ، وبها انتهتْ حياتُهُ ، وكيفَما كانَ فالشعرُ جيدٌ (١) :

إِنَّ بِٱلشِّعْبِ ٱلَّذِي دُونَ سَلْعِ لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦١/٢ \_ ١٦٤ ) .

أَنَا بِٱلْعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُ مَصِعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ رَقَ أَفْعِى يَنْفِثُ ٱلسُّمَّ صِلُّ جَـلَّ حَـتَّـىٰ دَقَّ فِيهِ ٱلْأَجَـلُّ بِاًبِيّ جَارُهُ مَا يُلِذُلُّ ذَكَتِ ٱلشِّعْرَىٰ فَبَرْدٌ وَظِلُّ وَنَدِي ٱلْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ حَلَّ حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْتُ أَبَلُّ وَإِذَا يَــغْــزُو فَــسِــمْــعٌ أَزَلُّ وَكِلَا ٱلطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ حَبُهُ إِلَّا ٱلْيَهَانِيُّ ٱلْأَفَلُّ لَيْلَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا ٱنْجَابَ حَلُّوا كَسَنَا ٱلْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ يَنْجُ مِلْحَيَّيْن إِلَّا ٱلْأَقَلُّ هَـوَّمُـوا رُعْتُهُمْ فَٱشْمَعَلُّوا لَــِمَـا كَـانَ هُــذَيْـلاً يَــفُـلُّ جَعْجَع يَنْقَبُ فِيهِ ٱلْأَظَلُّ

خَلَّفَ ٱلْعِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّىٰ وَوَرَاءَ ٱلشَّارِ مِنِّي ٱبْنُ أُخْتٍ مُطْرِقٌ يَـرْشَحُ سَمّاً كَمَا أَطْ خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَئِلٌ بَـزَّنِـى ٱلـدَّهْـرُ وَكَـانَ غَـشُـومـاً شَامِسٌ فِي ٱلْقُرّ حَتَّىٰ إِذَا مَا يَابِسُ ٱلْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْس ظَاعِنٌ بِٱلْحَزْمِ حَتَّىٰ إِذَا مَا غَيْثُ مُزْدٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي مُسْبِلٌ فِي ٱلْحَيِّ أَحْوَىٰ رِفَلُّ وَلَـهُ طَعْمَانِ أَرْيٌ وَشَرِيٌ يَرْكَبُ ٱللهَوْلَ وَحِيداً وَلَا يَصْ وَفُتُ قَ هَ جَ رُوا ثُهِ مَ أَسْرَوْا كُـلُّ مَـاض قَـدْ تَـرَدَّىٰ بـمَـاض فَادَّرَكْنَا ٱلثَّأْرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْم فَلَمَّا فَلَئِنْ فَلَّتْ هُذَيْلٌ شَبَاهُ وَبِمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاخ

وَبِمَا صَبَّحَهَا فِي ذَرَاهَا صَلِيَتْ مِنِي هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ صَلِيَتْ مِنِي هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ يُنْهِ لُ الصَّعْدَةَ حَتَّىٰ إِذَا مَا يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ حَتَّىٰ إِذَا مَا حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَاماً فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍ وَكَانَتْ حَرَاماً تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَىٰ هُذَيْلٍ تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَىٰ هُذَيْلٍ وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَعْدُو بِطَاناً

مِنْهُ بَعْدَ ٱلْقَتْلِ نَهْ بُ وَشَلُّ لَا يَمَلُّ ٱلشَّرَّ حَتَّىٰ يَمَلُّ وَاللَّ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّىٰ يَمَلُّ وَا نَهِ اللَّهُ عَلُّ نَهِ اللَّهُ عَلُّ فَهِ اللَّهُ عَلُّ فَهِ اللَّهُ عَلُّ فَي مَا أَلَكَّ تَحِلُّ وَبِلَاْيٍ مَا أَلَكَّ تَحَلُّ أَلِي لَخَلُّ وَبِلَا يَعْدَ خَالِي لَخَلُّ وَتَرَى ٱلذِّنْ بَ لَهَا يَسْتَهِلُّ وَتَرَى ٱلذِّنْ فَمَا تَسْتَهِلُّ وَتَمَى اللَّهُ الْمُ الْمُ الْمُ الْمُلْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُلْمُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْلَالُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ ال

طُلَّ دمُ القتيلِ: أُهدِرَ ولم يُؤخَذْ بثأرِهِ ، والمصْعُ: الشديدُ القتالِ ، والمصمئلُّ: الشديدُ ، وقولُهُ: (بَزَّنِي الدهرُ بأبي) بزَّ: معناهُ: سلبَ ، والمصمئلُّ: الشديدُ ، وقولُهُ: (بَزَّنِي كذا ، ولكنْ في (بزَّ) هنا معنى ( فجعَ ) ، فالباءُ لأجلِهِ ، وهوَ التضمينُ ، وليثُ أبلُّ ؛ أي : ماضٍ على وجهِهِ ، لا يبالي ما لقيَ ، ورفَلُّ - بكسرٍ ففتحٍ - أي : طويلُ الشعرِ أو الذنبِ ، الأَرْيُ والشَّرْيُ : العسلُ وشجرٌ مرُّ ، مناخٌ جعجعٌ ؛ أي : غليظٌ وعرٌ ، والأظلُّ : باطنُ الخفِّ ، وينقب : يصيبُهُ النقبُ ؛ أي : يتخدَّشُ .

وقالَ الحارثُ بنُ زيدِ الخيلِ (۱): أَلَا بَكَرَ ٱلنَّاعِي بِأَوْسِ بْنِ خَالِدٍ فَإِنْ يَقْتُلُوا بِٱلْغَدْرِ أَوْساً فَإِنَّنِي فَلَا تَجْزَعِي يَا أُمَّ أَوْسٍ فَإِنَّهُ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ ٱلْقَوْم عُصْبَةً

[ من الطويل ]

أَخِي ٱلشَّتْوَةِ ٱلْغَبْرَاءِ وَٱلزَّمَنِ ٱلْمَحْلِ
تَرَكْتُ أَبَا سُفْيَانَ مُلْتَزِمَ ٱلرَّحْلِ
تُصِيبُ ٱلْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ
تُصِيبُ ٱلْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ
كِرَاماً وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ ٱلنَّخْلِ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٦/٢ ـ ١٦٧ ) .

وَلَوْلَا ٱلْأَسَىٰ مَا عِشْتُ فِي ٱلنَّاسِ سَاعَةً وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي

قالَ أبو رياشٍ: كانَ سببُ هاذهِ الأبياتِ: أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بعثَ رجلاً يكنى أبا سفيانَ \_ ليسَ بالهاشميِّ ولا الأمويِّ \_ إلى الباديةِ يستقرئهُم، فمَنْ لم يقرأ شيئاً . . ضربَهُ ، فانتهى إلى بني نبهانَ ، فاستقرأ أوسَ بنَ خالدِ بنِ عمرو ابنَ عم لزيدِ الخيلِ ، فلم يقرأ شيئاً ، فضربَهُ ، فماتَ مِنْ ضربِهِ ، فقامَتْ أُمُّ أُوسٍ تندبُهُ ، فأقبلَ حريثُ بنُ زيدِ الخيلِ حتىٰ دخلَ علىٰ أبي سفيانَ فقتلَهُ وأصحابَهُ ، وقالَ هاذهِ الأبياتَ .

وقالَتْ قُتيلةُ ـ سُمِّيَت بمُصغَّرِ قَتْلةٍ ـ بنتُ النضرِ بنِ الحارثِ بنِ كلدةَ بنِ علقمةَ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ ، وكانَ النضرُ مِنْ أَشدِّ أَهلِ مكَّةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فكانَ يشتري كتبَ القصصِ بينَ فارسَ والرومِ ويقولُ : إن كانَ محمدٌ يقصُّ على الناسِ أخبارَ عادٍ وثمودَ . . فأنا أقصُّ عليكُم أخبارَ فارسَ والرومِ ، يريدُ بهاذا معارضةَ القرآنِ ، وإبطالَ الرسالةِ ، وفيهِ نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشَتَرِي لَهُوَ ٱلْحَدِيثِ . . . ﴾ الآية (١٠) .

فلمَّا أُسِرَ ببدر . . أمرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بقتلِهِ صبراً ، والقتلُ صبراً : أن يُحبَسَ مكتوفاً ويُرمىٰ حتىٰ يموتَ ، ولمَّا أنشدَتْ قتيلةُ الأبياتَ ، وبلغَتِ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . رَقَّ لها وقالَ : « لَوْ بَلَغَتْنِي قَبْلَ قَتْلِهِ . . لَعَفَوْتُ عَنْهُ » ، وقالَ : « لَا تُقْتَلُ قُرَيْشٌ صَبْراً بَعْدَ هَلذَا ٱلْيَوْم » (٢) : [من الكامل]

مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا ٱلرَّكَائِبُ تَخْفِقُ جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَىٰ تَخْنُقُ

يَا رَاكِباً إِنَّ ٱلْأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ بَلِّغْ بِهِ مَيْتاً فَإِنَّ تَحِيَّةً مِنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً

<sup>(</sup>١) سورة لقمان : (٦).

<sup>(</sup>٢) انظر « الروض الأنف » ( ٢٦٨/٥ ) ، و« شرح ديوان الحماسة » ( ١٣/٣ \_ ١٥ ) .

فَلَيَسْمَعَنَّ ٱلنَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتُ أَوْ يَنْطِقُ ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِلّٰهِ أَرْحَامٌ هُلَانَاكَ تُلَسَقَّتَ أَمُحَمَّدٌ وَلأَنْتَ ضَنْءُ نَجِيبَةٍ مِنْ قَوْمِهَا وَٱلْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنْ ٱلْفَتَىٰ وَهُوَ ٱلْمَغِيظُ ٱلْمُحْنَقُ وَٱلنَّصْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسِيلَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقُ يُعْتَقُ

الضَّنْءُ بفتحِ أُوَّلِهِ: الفرعُ ، وبكسرِهِ: الأصلُ ، وقولُها: ( وأحقُّهُم إن كانَ عتقٌ يُعتَقُ ) أي: بأن يُعتَقَ ، حُذِفَ الخافضُ وأن ، فارتفعَ الفعلُ ، وكانَ تامَّةٌ .

وقالَ ابنُ عنمةَ الضَّبيُّ في مقتلِ بِسطامَ بنِ قيسٍ ، قتلَهُ عاصمُ بنُ خليفةَ ، وكانَ ابنُ عنمةَ مجاوراً في بني شيبانَ ، فخافَ على نفسِهِ لمَّا قُتِلَ بسطامُ ، فرثاهُ يستميلُ بذلكَ بني شيبانَ ، وهوَ مِنْ بني السيدِ بنِ مالكِ بنِ بكرِ بنِ سعدِ بن ضبة (١):

بِحَيْثُ أَضَرَّ بِٱلْحَسَنِ ٱلسَّبِيلُ أَبَا ٱلصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ ٱلْأَصِيلُ تَحُبُّ بِهِ عُـذَافِرَةٌ ذَمُولُ تُحَارِضُهَا مُرَبَّبَةٌ دَوُولُ تُحَمَّرُ فِي جَوانِبِهِ ٱلْخُيُولُ وَحُكْمُكَ وَٱلنَّشِيطَةُ وَٱلْفُضُولُ وَكُكُمُكَ وَٱلنَّشِيطَةُ وَٱلْفُضُولُ لِأُمِّ ٱلْأَرْضِ وَيْلُ مَا أَجَنَّتُ ثُنُ فَينَا وَنَدْعُو نُنَّهُ فِينَا وَنَدْعُو نُنَّةً فِينَا وَنَدْعُو أَجِنَّتُ مُالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَجِنَّكَ لَا تَصرَاهُ وَلَـنْ تَصرَاهُ وَلَـنْ تَصرَاهُ وَلَـنْ تَصرَاهُ وَلَـنْ تَصرَاهُ وَلَـنْ مُحْفَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرْجٌ إِلَى مِيعَادِ أَرْعَنَ مُحُفَّهِ إِلَى مِيعَادِ أَرْعَنَ مُحُفَّهِ إِلَى مِيعَادِ أَرْعَنَ مُحُفَّهِ إِلَى مِيعَادِ أَرْعَنَ مُحُفَّهِ إِلَى مَيعَادِ أَرْعَنَ مُحُفَّهِ إِلَى مَيعَادِ أَرْعَنَ مُحُفَّةً فِي اللَّهُ فَايَا لَكَ ٱلْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَٱلصَّفَايَا أَلْكَ ٱلْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَٱلصَّفَايَا أَفُاتَتُهُ بَنُو زَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٣٥/٣ \_ ٣٧ ) .

وَخَرَّ عَلَى ٱلْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسَّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

الحسن في الأبياتِ: اسمُ جبلٍ ، وأمامَهُ هضبةٌ يُقالُ لها: حسينٌ ، ويقولونَ: الحسنانِ في التثنيةِ ، وحقيبةُ الرحلِ: وعاءٌ خلفَ الراكبِ كالخرجِ ، والبدنُ: الدرعُ القصيرةُ ، والمرببةُ الدؤولُ ؛ أي : المتقاربةُ العدْوِ ؛ عبارةٌ عنِ الفرسِ ؛ فإنَّهُم كانوا يركبونَ الإبلَ في سفرِهِم للغزوِ ، ويُجنِّبونَ الخيلَ ليركبوها في الحربِ ، والمِرباعُ : الرُّبُعُ ؛ كالمِعشارِ العشرُ ، ولا يُستعمَلُ غيرُهُما ، كانَ رئيسُ الجيشِ يأخذُ رُبُعَ الغنيمةِ ، ثمَّ يقسمُ ، والصَّفايا : جمعُ صفيةٍ ، كانَ للرئيسِ أن يصطفيَ ما شاءَ ؛ كسيفٍ أو فرسٍ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم عندَ افتتاحِ الحربِ أن يبادرَ فارسٌ فارساً ، فإذا قتلَهُ . . فالحكمُ في سَلَبِهِ للرئيسِ ؛ إمَّا أن يُنقِّلُهُ القاتلَ ، وإمَّا أنْ يَردَّهُ للمغنم ، والنشيطةُ : ما يصيبونَهُ قبلَ الوصولِ إلى المَقصِدِ ، وهيَ للرئيسِ ، والفضولُ : أشياءُ كانَتْ تبقىٰ بعدَ القسمةِ فيأخذُها ، وكانَ لهُمُ النقسمةِ يطعمُهُ الناسَ .

بقيَ مِنْ ذَلكَ في الإسلامِ الصَّفايا ؛ فقدِ استصفى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يومَ بدرٍ ذا الفقارِ سيفَ منبهِ بنِ الحجَّاجِ ، وجويريةَ بنتَ الحارثِ في المصطلقِ ، وجعلَ صداقَها عتقَها ، وصفيةَ بنتَ حييٍّ مِنْ خيبرَ كذَلكَ ، وأُبدِلَ الرُّبُعُ بالخُمُسِ ؛ للمذكورينَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱعۡلَمُوۤا أَنَّمَا غَنِمْتُهُ . . . ﴾ الآيةَ (١) ، وبطلَ الباقى .

وقالَ الغَطَمَّشُ (٢):

[ من الطويل ]

أَبُوهُ ٱلَّذِي يُدْعَىٰ إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ

عَلَىٰ رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْلِغَيَّةٍ

أَلَا رُبَّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنَّنِي

فَيَغْلِبَهَا فَحْلٌ عَلَى ٱلنَّسْلِ مُنْجِبُ

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال : ( ٤١ ) .

<sup>(</sup>Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( $^{*}$  -  $^{*}$  1 ) .

وَأَيُّ ٱمْرِئَ يُفْتَالُ مِنْهُ ٱلتَّرَهُّ بُ فَبِٱلْخَيْرِ لَا بِٱلشَّرِّ فَٱرْجُ مَوَدَّتِي أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَىٰ وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ لِعَيْنِيَ عَبْرَةٌ أَخِلَّايَ لَوْ غَيْرَ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَاكِنْ مَا عَلَى ٱلدَّهْرِ مَعْتَبُ

قُولُهُ : ( أَيُّ امرئ يُقتالُ ؟! ) هُوَ افتعالٌ مِنَ القولِ ؛ أي : وأيُّ امرئ يظهرُ منهُ الترهُّبُ \_ القولُ بالمودةِ \_ ذلكَ الضعيفُ المقهورُ دونَ القويّ ؛ فإنَّهُ لا يظهرُ المودةَ إلَّا وهيَ حتٌّ ، فلا يَتملَّقُ ، فالاستفهامُ إنكاريٌّ ؛ أي : لا أحدَ يُقتالُ منهُ الترهُّبُ ، جعلَ مَنْ يُقتالُ منهُ لا شيءَ .

وقالَتْ زينبُ بنتُ الطَّثَريةِ ترثي أخاها يزيدَ ، وهوَ شاعرٌ ، ومِنْ كلامِهِ في الغزل (١): [ من الطويل ]

عَلَىٰ كَبدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ بنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهِبْتُهُ [ قالَتْ ] <sup>(۲)</sup> : [ من الطويل ]

مُقِيماً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ أَرَى ٱلْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ ٱلْعَقِيقِ مُجَاوِري وَلَا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَبَادِكُ فَتى قُدَّ قَدَّ ٱلسَّيْفِ لَا مُتَضَائِلٌ

عَلَى ٱلْحَيّ حَتَّىٰ تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهُ إِذَا نَـزَلَ ٱلْأَضْـيَـافُ كَـانَ عَـذَوَّراً وَأَبْيَضَ هِنْدِيّاً طَوِيلاً حَمَائِلُهُ مَضَىٰ وَوَرِثْنَاهُ دَريسَ مُفَاضَةٍ وَيَبْلُغُ أَقْصَىٰ حُجْرَةِ ٱلْحَيّ نَائِلُهُ وَقَدْ كَانَ يُرْوي ٱلْمَشْرِفِيَّ بِكَفِّهِ وَإِمَّا تَوَلَّىٰ أَشْعَثُ ٱلرَّأْسِ جَافِلُهُ كَريحٌ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَبَسِّماً

<sup>(</sup>١) انظر « وفيات الأعيان » ( ٣٦٩/٦ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٤٦/٣ \_ ٤٨ ) .

إِذَا ٱلْقَوْمُ أَمُّوا بَيْتَهُ فَهُو عَامِدٌ لِأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا بِهِ فَهُوَ فَاعِلُهُ تَسرَىٰ جَازِرَيْهِ يُرْعِدَانِ وَنَارُهُ عَلَيْهَا عَدَامِيلُ ٱلْهَشِيمِ وَصَامِلُهُ يَجُرَّانِ ثِنْياً خَيْرُهَا عَظْمُ جَارِهِ بَصِيراً بِهَا لَمْ تَعْدُ عَنْهَا مَشَاغِلُهُ

البآدلُ: جمعُ بأُدلةٍ بتثليثِ أوَّلِهِ ؛ وهوَ اللحمُ حوالَ الثديِ ، وقولُها: (وإمَّا تَولَّىٰ) أي: أعرضَ غضباً ، في مقابلةٍ حالِ الرضا المدلولِ عليها بالتبسُّمِ ، وأشعثُ الرأسِ جافلُهُ: صفةُ الغضبانِ المتهيِّعُ للحربِ ، وجافلُهُ: تأكيدُ لأشعثَ ، والعذوَّرُ: السِّيعُ الخلقِ ، وأرادَتْ أنَّهُ سريعٌ في تهيئةِ القِرىٰ ، تأكيدُ لأشعثَ ، والعذوَّرُ: السِّيعُ الخلقِ ، وأرادَتْ أنَّهُ سريعٌ في تهيئةِ القِرىٰ ، وارتعادُ الجازرَينِ إمَّا مِنْ خوفِهِ ، أو مِنَ البردِ في وقتِ الشِّدَّةِ والاحتياجِ ، والعداميلُ: جمعُ عدمولٍ ؛ القديمُ ، والصَّاملُ: اليابسُ ؛ أي: هوَ مُعَدُّ دائماً لنارِ القِرىٰ ، وقولُها: (خيرُها عَظْمُ جارِهِ ) أرادَتْ أنَّ خيرَ ما فيها هوَ العظمُ بلحمِهِ الذي يُهدىٰ للجارِ ؛ كالذِّراعِ مثلاً ، وقولُها: (بصيراً ) أي: يذبحُها عامداً لا غلطاً فهوَ يَتخيَّرُ للقِرىٰ .

انتهى المنقولُ مِنْ باب الرثاءِ .

[ نبذةٌ من أشعارِ الأدبِ والفضائلِ من « ديوانِ الحماسةِ » ] وهاذهِ جملةٌ مِنْ بابِ الأدبِ ؛ وهيَ أشعارٌ تُنبِّهُ على الفضائلِ الإنسانيَّةِ ؛ مثل كتمانِ السرّ ، والمحافظةِ على حقوقِ الصَّداقةِ .

قالَ مسكينٌ الدارميُّ (١):

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ

لِكُلِّ ٱمْرِئَ شِعْبٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فَارِغٌ

[ من الطويل ]

عَلَىٰ سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَيِّي جِمَاعُهَا وَمَنْ مَنْ اللهِ عُرَامُ ٱطِّلَاعُهَا

<sup>(</sup>١) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ٧٥/٣ ) .

إِلَىٰ صَخْرَةٍ أَعْيَا ٱلرِّجَالَ ٱنْصِدَاعُهَا

فَبِٱلْحِلْمِ سُدْ لَا بِٱلتَّسَرُّعِ وَٱلشَّتْمِ مِنَ ٱلْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْم

وقالَ شبيبُ بنُ البرصاءِ المريُّ \_ يُقالُ : إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ خطبَ البرصاءَ هاذهِ مِنْ أبيها ، فقالَ : لا أرضاها لكَ يا رسولَ اللهِ ؛ فإنَّ بها برصاً ، وليسَ بها برصٌ ، فعادَ فوجدَها قد برصَتْ (٢) \_ : [من الطويل]

ثَرَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَىٰ فَلَا أَسْتَثِيرُهَا يَهِيجُ كَبِيرَاتِ ٱلْأُمُورِ صَغِيرُهَا عَلَىٰ رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا وَتُقْبِلُ أَشْبَاهاً عَلَيْكَ صُدُورُهَا سِوَىٰ مَا ٱبْتَنَيْنَا مَا يَعُدُّ فَخُورُهَا يُبَيِّنُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا يُبَيِّنُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

مِنَ الأدبِ : الحزمُ ، ومِنَ الحزمِ : الإغضاءُ عنِ الصغيرِ إذا كانَ يهيجُ كبيراً . وقالَ معنُ بنُ أوسِ (") :

عَلَىٰ أَيِّنَا تَعْدُو ٱلْمَنِيَّةُ أَوَّلُ إِنَ ٱبْزَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلُ

يَظَلُّونَ شَتَّىٰ فِي ٱلْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ مُ وَقَالَ المرارُ بنُ سعيدٍ (١):

إِذَا شِئْتَ يَوْماً أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً وَلَا شِئْتَ مَغَبَّةً

وَإِنِّي لَتَرَّاكُ ٱلضَّغِينَةِ قَدْ بَدَا مَخَافَةَ أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ تَبَيَّنُ أَعْقَابُ ٱلْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ إِذَا ٱفْتَخَرَتْ سَعْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ

وَإِنِّي أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ لَمْ أَخُنْ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٧٦/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « شرح الزرقاني على المواهب » ( ٤٥٣/٤ ) ، و « شرح ديوان الحماسة » ( VV/V - VV ) .

<sup>(</sup>۳) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\sqrt{8}$   $\sqrt{8}$  .

وَأَحْبِسُ مَالِي إِنْ عَزَمْتَ فَأَعْقِلُ لِيُعْقِبَ يَوْماً مِنْكَ آخَرُ مُقْبلُ وَسُخْطِي وَمَا فِي ريبَتِي مَا تَعَجَّلُ قَدِيماً لَذُو صَفْح عَلَىٰ ذَاكَ مُجْمِلُ يَمِينَكَ فَٱنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ وَفِي ٱلْأَرْضِ عَنْ دَارِ ٱلْقِلَىٰ مُتَحَوَّلُ عَلَىٰ طَرَفِ ٱلْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ ٱلسَّيْفِ مَزْحَلُ وَبَدَّلَ سُوءاً بِٱلَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ عَلَىٰ ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرَ ٱلدَّهْرِ تُقْبِلُ

[ من المنسرح ]

أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَإِنْ سُوْتَنِي يَوْماً صَفَحْتُ إِلَىٰ غَدٍ كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَإِنِّي عَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي مَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي مَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي مَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي وَإِنِّي عَلَىٰ أَشْيَاء إِذَا مَا قَطَعْتَنِي وَفِي ٱلنَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ وَفِي ٱلنَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ وَيَرْكَبُ حَدَّ ٱلسَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ وَيُرْكَبُ حَدَّ ٱلسَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ وَيُرْكَبُ مَلَ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ وَيُرْكَبُ مَلَ الْمَاصِحِبُ رَامَ ظِنَّتِي وَيُلْتَبِي وَكُنْتُ لِهُ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ فَلَمْ [ أَدُمْ ] إِذَا النَّيْءِ لَمْ أَنْ تَضِيمَهُ إِذَا النَّمْرَفَتُ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلْشَيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلْشَيْءِ لَمْ تَكَدْ

قولُهُ: ( إِنَ ٱبزاكَ ) أي: قهرَكَ ، أُلقِيَتْ حركةُ الهمزةِ على النونِ ، ومزحلُ: مِنْ زحلَ بمعنى تأخَّرَ وبَعُدَ ، وقولُهُ: ( وما في ريبتي ما تعجلُ ) أي: ليسَ في إساءتي شفاءُ دائِكَ الذي تَتعجَّلُهُ ، أخرجَهُ بعدَ التظنُّنِ إلى التحقيقِ .

وقالَ عمرُو بنُ قميئةً (١):

يَا لَهْ فَ نَفْسِي عَلَى ٱلشَّبَابِ وَلَمْ أَفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَمَا إِذْ أَسْحَبُ ٱلرَّيْطَ وَٱلْمُرُوطَ إِلَىٰ أَدْنَىٰ تِجَارِي وَأَنْفُضُ ٱللِّمَمَا لَا تُعْبِطِ ٱلْمَرُءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَمْسَىٰ فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا لَا تُعْبِطِ ٱلْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَمْسَىٰ فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا

<sup>(1)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » ( (1) ) .

إِنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ أَضْحَىٰ عَلَى ٱلْوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

المرادُ بالتجارِ: باعةُ الخمرِ، وقولُهُ: (لا تُغْبِطِ المرءَ) معناهُ: لا تعدَّ كونَ الإنسانِ يصيرُ لكبرِهِ واستحكامِ رأيهِ رئيساً يُتحاكَمُ إليهِ مِنْ جليلِ النعمِ بعدَ نعمةِ الشبابِ، والأدبُ في هاذهِ الأبياتِ: أنَّهُ أشارَ إلىٰ أنَّهُ ينبغي أن يكونَ الشبابُ \_ وإن لها فيهِ الإنسانُ ما لها \_ بالتعقُّلِ وضبطِ ما يمرُّ مِنَ يكونَ الشبابُ \_ وإن لها فيهِ الإنسانُ مِنْ لذاتِهِ شرفَ الرئاسةِ إذا فارقَهُ ؛ كقولِ الأحوالِ ؛ ذريعةً لأن يعتاضَ الإنسانُ مِنْ لذاتِهِ شرفَ الرئاسةِ إذا فارقَهُ ؛ كقولِ الآخر (۱):

إِنَّ ٱلشَّبَابَ ٱلَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلَذُّ وَلَا لَذَّاتَ لِلشِّيبِ كَأَنَّهُ لَم يعتبرْ مَنْ فَرَّطَ في شبابهِ حتى ساءَتْ آخرتُهُ شيئاً مذكوراً.

وقالَ إياسُ بنُ القائفِ (٢):

تُقِيمُ ٱلرِّجَالُ ٱلْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي ٱلنَّوَ فَأَكْرِمْ أَخَاكَ ٱلدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعاً كَفَى بِٱلْهَ فَأَكْرِمْ أَخَاكَ ٱلدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعاً فَقَدْتُ صَدِ إِذَا زُرْتُ أَرْضاً بَعْدَ طُولِ ٱجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِ وقالَ ربيعةُ بنُ مقرونِ الضَّبِيُّ (٣):

وَقَالَ ربيعةُ بنُ مقرونِ الضَّبِيُّ (٣):

وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبَّ ضِغْنِ بَعِيدٍ قَ وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبَّ ضِغْنِ بَعِيدٍ قَ وَلَكْنِي وَصَلْتُ ٱلْحَبْلُ مِنْ هُ مُواصَلَةً وَلَكِنِي وَصَلْتُ ٱلْحَبْلَ مِنْ هُ مُواصَلَةً وَضَمْرَةَ إِنَّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جَارِ عَلِقْتُ أَوْضَمْرَةً إِنَّ ضَمْرَةً خَيْرُ جَارٍ عَلِقْتُ أَوْ

وَتَرْمِي ٱلنَّوَىٰ بِٱلْمُقْتِرِينَ ٱلْمَرَامِيَا كَفَى بِٱلْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا

كَمَىٰ بِالمُمَاتِ فَرْفَهُ وَتَنَائِيَا فَقَدْتُ صَدِيقِي وَٱلْبِلَادُ كَمَا هِيَا

[ من الوافر ]

[ من الطويل ]

بَعِيدٍ قَلْبُهُ حُلْوِ ٱللِّسَانِ بِشَغْبٍ أَوْلِسَانٍ تَيِّحَانِ مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَانِ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابٍ مِتَانِ

<sup>(</sup>١) انظر « خزانة الأدب » ( ٢٧/٤ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda 1/\pi$  ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٨٢/٣ ـ ٨٣ ) .

هِ جَانُ ٱلْحَيِّ كَٱلذَّهَ بِ ٱلْمُصَفَّى صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ هِجَانُ ٱلْحَيِّ: كريمُهُ وخالصُهُ ، والذهبُ المُصفَّىٰ ؛ أي: بخلقتِهِ ، ويكونُ مستوراً بالأغبرةِ ، فإذا دامَ المطرُ على معدنِهِ . . أزالَ الأغبرةَ فانكشفَ ، فتجنيهِ جناتُهُ ، وذكرَ أنَّ أبا بيانٍ وضمرةَ صديقاهُ خالصا الصداقةِ والأدبِ .

في الشعرِ التنبيهُ على أنَّهُ ينبغي أن يَعرِفَ الإنسانُ عدوَّهُ مِنْ صديقِهِ ، ثمَّ يَعرِفَ للصديقِ حقَّهُ ، ويداريَ العدوَّ على احتراسِهِ منهُ ، ومِنْ كلامِ الناسِ : اللبيبُ مَنْ [ دارئ ] (۱) .

ويُروئ: أنَّ عيينةَ بنَ حصنِ الفزاريَّ دخلَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قبلَ أن يُؤمَرَ بحجابِ النساءِ ، فلمحَ عائشةَ ، فسألَهُ عنها ، فقالَ : «هِيَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ » ، فقالَ عيينةُ : أتنزلُ لي عنها وأنزلُ لكَ عن أجملِ نساءِ العالمِ ؟ فقالَ لهُ النبيُّ : « ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي ٱلْإِسْلَامِ » ، فلم يزلْ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مُكرِماً لهُ ، فلمَّا خرجَ مِنْ عندِهِ . . قالَ النبيُّ : « بِئْسَ ٱلرَّجُلُ وَعَشِيرَتُهُ » ، فقالَ نه ألاً حُمَقُ ٱلْمُطَاعُ فِي فقالَ نه اللهُ عليهِ قَالَ نه اللهُ عليهِ قَالَ النبيُّ عائشةُ : أليسَتْ هاذهِ الغِيبةَ ؟ فقالَ : « لا ؟ إِنَّهُ ٱلْأَحْمَقُ ٱلْمُطَاعُ فِي فقالَ تالمَعْنُهُمْ » ( ` ` ) ، فَنبَّهَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهي سُنَّةُ ، فينبغي للإنسانِ ألَّا يَتخذَ عليهِ وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهي سُنَّةُ ، فينبغي للإنسانِ ألَّا يَتخذَ عليهِ وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهي سُنَّةُ ، فينبغي للإنسانِ ألَّا يَتخذَ

وقولُهُ في الشعرِ: (بشغبٍ أو لسانِ تيحانِ) الشغبُ: المصاحبةُ في الجدالِ ، والتيحانُ: الذي يَعرِضُ لِمَا لا يعنيهِ ، وقولُهُ: (وصلتُ الحبلَ منهُ...) إلى آخرِهِ ، معناهُ: قرنتُهُ على معرفةِ عداوتِهِ بالصديقِ الذي أنا مُتحقِّقٌ مِنْ صداقتِهِ ، فهُما في المعاملةِ سواءٌ.

<sup>(</sup>١) في الأصل: ( دار ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح المواهب » للزرقاني ( ٢٢/٣ ) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ همَّامِ السَّلوليُّ (۱) ، وقد سعى بهِ ساعِ عندَ زيادِ بنِ أبي سفيانَ ، فقالَ : أفعلْ ، فقالَ أجمعُ بينَكُما ، فقالَ : أفعلْ ، فأحضرَ عبدَ اللهِ وقالَ لهُ : هجوتني ، فأنكرَ ، فقالَ : هاذا أخبرَني ، فسكتَ قليلاً ، ثمَّ خاطبَ الرجلَ بقولِهِ :

وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ إِمَّا ٱئْتَمَنْتُكَ خَالِياً فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلاً بِلَا عِلْمِ فَأَنْتَ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْإِثْمِ

رأيتُ لبعضِ الناسِ اعتراضاً على هذا التقسيمِ ، فقالَ : إنَّ ٱلخيانة إثمٌ ، فلم تَصِحَّ المقابلةُ !! وليسَ كما رأى ؛ فإنَّ الشاعرَ أرادَ إدارةَ الأمرِ بينَ صدقٍ قبيحٍ لِمَا فيهِ مِنَ الخيانةِ ، وبينَ كذبٍ ، والكذبُ ولو على سبيلِ الاحتمالِ قبيحٌ ، وعَبَّرَ عنِ الكذبِ بالإثمِ ؛ فإنَّهُ لا شبهةَ في كونِهِ إثماً ، بخلافِ حالةِ الخيانةِ ؛ فإنَّ فيها شبهةَ الصدقِ ، فهوَ كلامٌ متينٌ صادرٌ عن تعقُّلٍ صحيحٍ ، فقولُ المرءِ ما لم يعلمْ وإن وافقَ الواقعَ ، واتفقَ كونُهُ صواباً . . ذميمٌ سبّى ً .

وقالَ سالمُ بنُ وابصةَ الأسديُّ (٢):

أُحِبُّ ٱلْفَتَىٰ يَنْفِي ٱلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ سَلِيمُ دَوَاعِي ٱلصَّدْرِ لَا بَاسِطاً أَذَى الْخَاسِمُ مُكَرَّماً إِذَا شِئْتَ أَن تُدْعَىٰ كَرِيماً مُكَرَّماً إِذَا شِأْتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ غِنَى ٱلنَّفْس مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ

[ من الطويل ]

كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا وَلَا مَانِعاً خَيْراً وَلَا قَائِلاً هُجْرَا أَدِيباً ظَرِيفاً عَاقِلاً مَاجِداً حُرَّا فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ ٱلْغِنَىٰ فَقْرَا

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda \xi/ \pi$  ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٨٥/٣ \_ ٨٦ ) .

يشبه البيتُ الأخيرُ قولَ المتنبي (١):

وَمَنْ يُنْفِقِ ٱلسَّاعَاتِ فِي جَمْع مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرِ فَٱلَّذِي فَعَلَ ٱلْفَقْرُ

والمعنى : أنَّ مَنِ اشتغلَ بتربيةِ المالِ وتنميتِهِ . . لم يكنْ لهُ وقتُ لاكتسابِ الفضائل واغتنام اللذاذاتِ ، فكانَ فقيراً مِنْ ذلكَ ، فالمُوفَّقُ يكونُ لهُ مِنَ العيشِ ما لا يحتاجُ معَهُ ، ثمَّ يَصرِفُ الأوقاتَ بعدُ في تتميم الإنسانيةِ .

وقالَ عقيلُ بنُ علفةَ المريُّ (٢):

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ

وَكُنْ أَكْيَسَ [ ٱلْكَيْسَىٰ ] إِذَا كُنْتَ فِيهِمُ

وَأَنْزَلَنِي طُولُ ٱلنَّوَىٰ دَارَ غُرْبَةٍ أُحَامِقُهُ حَتَّىٰ يُقَالُ سَجِيَّةٌ

وقالَ بعضُ الفزاريينَ (١٠):

أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأُكْرِمَهُ كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّىٰ صَارَ مِنْ خُلُقِى

قولُهُ : ( أني وجدتُ ) هوَ علىٰ أنَّ المفعولَ الأولَ ضميرُ الشأنِ ، والجملةُ هيَ المفعولُ الثاني ، أو هوَ على حذفِ لام الابتداءِ المُعلِّقةِ للفعلِ عنِ العملِ ؛ لأنَّهُ متى تَقدَّمَ الفعلُ . . لم يَجُزْ إلغاؤُهُ .

[ من الطويل ]

[من الطويل]

كَلِبْسَتِهِ يَوْماً أَجَدَّ وَأَخْلَقَا وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلْحَمْقَىٰ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

يُروئ عنِ الشافعيّ رضيَ اللهُ عنهُ مثلُ هلذا ؛ وهوَ قولُهُ (٢): [من الطويل] يُصَاحِبُنِي فِيهَا ٱلَّذِي لَا أُشَاكِلُهُ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلِ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهُ [ من البسيط ]

وَلَا أُلَقِّبُهُ وَٱلسَّوْءَةُ ٱللَّقَبُ أَنِّي وَجَدْتُ مِلَاكُ ٱلشِّيمَةِ ٱلْأَدَبُ

<sup>(</sup>۱) تقدم ( ۱۹۸/۲ ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda 7/\Upsilon$  ) .

<sup>( \* )</sup> انظر « مناقب الشافعى » ( ( \* ) ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ۸٧/٣ ) .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قريعِ (۱): مَتَىٰ مَا يَرَى ٱلنَّاسُ ٱلْغَنِيَّ وَجَارُهُ فَقِيہُ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ ٱلْفَتَىٰ وَلَاكِنْ إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْيَتْهُ ٱلْمُرُوءَةُ نَاشِئاً فَمَطْ

> وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ وقالَ آخَرُ (٢):

أَضْحَتْ أُمُورُ ٱلنَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِماً جَدِيرٌ بِأَلَّا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَىٰ

[من الطويل]
فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدُ
وَلَكِنْ أَحَاظٍ قُسِمَتْ وَجُدُودُ
فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ
وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهْوَ حَمِيدُ
وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهْوَ حَمِيدُ

بِمَا يُتَّقَىٰ مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ إِذَا ٱلْأَمْرُ وَلَّىٰ مُدْبِراً أَتَبَلَّدُ

[ من الطويل ]

أرادَ بالعالم : نفسَهُ ، فهوَ على تقدير : يغشينَ منِّي عالماً ، والتبلَّدُ : مأخوذٌ مِنْ بلدةِ الصدرِ لنقرتِهِ وما حولَها ؛ فإنَّ المُتحيِّرَ ربَّما يضربُ بلدة صدرهِ ، كما يُقالُ : يقرعُ سنَّهُ ندماً .

وقالَ آخَرُ (٢):

وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ عَسَىٰ سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ مِنَ ٱلْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ وَفِي كَثْرَةِ ٱلْأَيْدِي لِذِي ٱلْجَهْلِ زَاجِرٌ وَلَلْحِلْمُ أَبْقَىٰ لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ

غدُ : اسمُ يكونُ ؛ يعني : عسى أن يكونَ السائلُ الذي عليهِ الأوقاتُ الحاضرةُ تكونُ لهُ الأوقاتُ المستقبلةُ ؛ كقولِهِ : [من المتقارب]

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda\Lambda/\Upsilon$  ) .

<sup>(</sup>Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda\Lambda/\Upsilon$  ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda\Lambda/\pi$  .  $\Lambda$  .

وعنى بكثرةِ الأيدي كثرةَ الإخوانِ ؛ مِنْ قولِهِم : المرءُ قليلٌ بنفسِهِ ، كثيرٌ بإخوانِهِ ، ففي كثرةِ الإخوانِ العزُّ وامتناعُ الجانبِ ؛ بحيثُ يكونُ ذلكَ زاجراً للجاهلِ ، قاطعاً لطمعِهِ في البطشِ بكثيرِ الإخوانِ ، قَالَ آخَرُ في هذا المعنى وهوَ أظهرُ (١):

عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ وَإِنَّ قَلِيلاً أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ وقالَ آخَرُ (٢):

وَإِيَّاكَ وَٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ فَرَاكُ وَٱلْأَمْرَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ وقالَ العباسُ بنُ مرداس (٣):

تَرَى ٱلرَّجُلَ ٱلنَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَيُعْجِبُكَ ٱلطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَمَا عِظَمُ ٱلرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ بَغَاثُ ٱلطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحاً ضِعَافُ ٱلطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُوماً لَقَدْ عَظُمَ ٱلْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبِ يُصَرِّفُهُ ٱلصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ

عِمَادٌ إِذَا ٱسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورُ وَإِنَّ عَـدُوّاً وَاحِداً لَـكَـثِـيـرُ

مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَصَادِرُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ عَاذِرُ [من الوافر]

وَفِي أَثْوابِ أَسَدُ مَنِي رَي وَفِي أَنْ وَابِ أَلْكُر لَالطَّرِيرُ فَي خُلِفُ ظَنَّكَ ٱلرَّجُلُ ٱلطَّرِيرُ وَكَيْرُ وَكَيْرُ وَكَيْرُ وَكَيْرُ وَخَيْرُ وَأَمُّ ٱلصَّفُورُ وَأُمُّ ٱلصَّفُورُ وَلَا ٱلجُزَاةُ وَلَا ٱلصَّفُورُ وَلَا الصَّفُورُ وَلَا الصَّفُورُ وَلَا الصَّفُورُ وَلَا المَّعْفِورُ وَلَا المَعْفِي الْجَعِيرُ وَلَا الْجَعَلِيمُ الْبَعْظِمُ الْجَعِيرُ وَلَا الْجَعْمُ وَلَا الْجَعْرِيرُ وَلَا الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمَعْمِلُ الْمَعْمِلُ الْمُؤْلِقُولُ الْمَعْمِلُ الْمَعْمِ اللْمَعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمِنْ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُولُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُولُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُولُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْمُعْمِلُ الْ

<sup>(</sup>۱) انظر « مناقب الشافعي » (  $\Lambda$ ۳/۲ ) .

<sup>(</sup> $\Upsilon$ ) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( $\Upsilon$ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٨٩/٣ \_ ٩٠ ) .

فَلَا غِيرٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ وَتَنضْربُهُ ٱلْوَلِيدةُ بِٱلْهَرَاوَىٰ فَإِنِّي فِي خِيَاركُمُ كَثِيرُ فَإِنْ أَكُ فِي شِرَاركُمُ قَلِيلاً

مَزُرَ \_ مِنْ بابِ كَرُمَ \_ مَزارةً ، فهوَ مَزِيرٌ ؛ أي : ظريفٌ أو شديدُ القلبِ نافذٌ ؛ وهوَ أنسبُ ، ويُروى : مريرُ ؛ أي : مُمَرُّ اسمُ مفعولٍ مِنْ أمرَّ الشيءَ ؛ أي : أحكمَهُ ، فهوَ حكيمٌ بمعنى مُحكم ، وأصلُهُ : مِنْ أمرَّ الحبلَ ؛ أحكمَ فتلَهُ ، فهوَ ذو مِرَّةٍ بكسر أوَّلِهِ ؛ أي : قُوَّةٍ .

قالَ منظورُ بنُ سحيمِ (١):

عَلَىٰ زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي ٱلْبَوَاكِيَا وَلَسْتُ بِهَاجِ فِي ٱلْقِرَىٰ أَهْلَ مَنْزِلٍ فَحَسْبِي مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ وَإِمَّا لِئَامٌ فَأَدَّرَكْتُ حَيَائِيَا وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَبَطْنِيَ أَطْوِيهِ كَطَيّ رِدَائِيَا وَعِرْضِيَ أَبْقَىٰ مَا ٱدَّخَرْتُ ذَخِيرَةً

قولُهُ : ( على زادِهِم أبكي ) هوَ استهزاءٌ بمَنْ يطعنُ على الناس ، ويصفُهُم بالبخلِ ، ويشتكي منهُمُ الحرمانَ ؛ فإنَّ الناسَ بينَ كريم ولئيم ، فالكريمُ مشكورٌ أو معذورٌ ، واللئيمُ لا يقصدُ في حاجةٍ ، ومَنْ غلطَ فقصدَهُ أو تَعمَّدَ قصدَهُ . . فعلى نفسِهِ يلومُ ؟ حيثُ لم يَتأمَّلْ ، أو وضعَ حاجتَهُ في غيرِ موضع ، فهوَ احتجاجٌ قاطعٌ لعذرِ الهاجي .

وقالَ آخَرُ (٢):

فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي ٱنْطِوَاءُ وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا وَلَا ٱلدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ ٱلْحَيَاءُ فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي ٱلْعَيْش خَيْرٌ

[من الطويل]

[ من الوافر ]

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩١/٣ \_ ٩٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٣/٣ ) .

يَعِيشُ ٱلْمَرْءُ مَا ٱسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى ٱلْعُودُ مَا بَقِيَ ٱللِّحَاءُ

قولُهُ: ( وأُعِرضُ عن مطاعمَ ) هوَ كقولِ عنترةَ (١١): [من الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَىٰ وَأَظَلُّهُ حَتَّىٰ أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ ٱلْمَأْكَلِ

يُروىٰ : أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لمَّا أُنشِدَ قصيدةَ هاذا البيتِ . .

أَظهرَ استحسانَهُ ، وقالَ : « مَا وُصِفَ لِي أَعْرَابِيٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا عَنْتَرَةَ » .

وقالَ مالكُ بنُ حريمِ الهَمْدانيُ (٢): [من الطويل]

أُنْبِئْتُ وَٱلْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ بِأَنَّ ثَرَاءَ ٱلْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ بِأَنَّ ثَرَاءَ ٱلْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ٱلْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمُ وَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحُزُّ كَمَا حَزَّ ٱلْقَطِيعُ ٱلْمُحَرَّمُ

يَرَىٰ دَرَجَاتِ ٱلْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسْطَ ٱلْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

القطيعُ المُحرَّمُ: السَّوطُ الخشنُ الجافي ؛ يعني: أنَّ الفقرَ يُؤثِّرُ في صاحبِهِ تأثيرَ هاذا السَّوطِ فيمَنْ يُضرَبُ بهِ ، وقولُهُ: ( يُثني عليهِ الحمدَ ) أي: يعطفُهُ .

وقالَ محمدُ بنُ بشير (٢):

مَاذَا يُكَلِّفُكَ ٱلرَّوْحَاتِ وَٱلدُّلَجَا كَمْ مِنْ فَتىً قَصُرَتْ فِي ٱلرِّزْقِ خُطْوَتُهُ إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱنْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا

[من البسيط] أَلْبَرَّ طَوْراً وَطَوْراً تَرْكَبُ ٱللُّجَجَا

أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ ٱلرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا فَالْضَيْرَةِ مِنْهَا كُلَّ مَا ٱرْتَتَجَا

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان عنترة العبسي » ( ص ٢٤٩ ) ، و« شرح الشفا » ( ٢١١/١ ) للملا علي القاري .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٦/٣ ـ ٩٧ ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « شرح ديوان الحماسة » ( $(\Upsilon)$  ۹۸ - ۹۸ ) .

لَا تَيْنَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ أَخْلِقْ بِذِي ٱلصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ ٱلْخَطْوِ مَوْضِعَهَا وَلَا يَخُرَّنْكَ صَفْقٌ أَنْتَ شَارِبُهُ وَلَا يَخُرَّنْكَ صَفْقٌ أَنْتَ شَارِبُهُ

إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَىٰ فَرَجَا وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا فَرُبَّمَا كَانَ بِٱلتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

ليسَ قولُهُ: (ماذا يُكلِّفُكَ . . .) البيتَ . . تثبيطاً عنِ السعي وإدامةِ الحركةِ في الطَّلبِ ، وإنَّما هوَ نهيٌ عن كثرةِ الإطرابِ بغيرِ تأمُّلِ جادَّةِ الطريقِ التي يغلبُ على الظنِّ إيصالُها للمَقصِدِ كما هوَ مدلولُ جميعِ الشعرِ ، فحقيقةُ معناهُ: أنَّهُ ينبغي للإنسانِ أن يسعىٰ سعياً حسناً مقروناً بالتبصُّرِ والصَّبرِ في تحصيلِ المرغوبِ .

وقالَ محمدٌ الكنديُّ المُلقَّبُ بالمُقنَّع (١):

دُيُونِيَ فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا حِجَاباً لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدَا وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ مُعْدَا وَإِنْ هُمْ طَيْراً تَمُنُّ بِهِمْ سَعْدَا

وَلَيْسَ رَئِيسُ ٱلْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَا

[ من الطويل ]

يُعَاتِبُنِي فِي ٱلدَّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُوا وَضَيَّعُوا وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ وَإِنَّ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَإِنَّ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي فَإِنْ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي فَإِنْ ٱلَّذِي بَيْنِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي وَلَا أَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ ٱلْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ وَلَا أَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ ٱلْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٠/٣ \_ ١٠١ ) .

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنىً وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً وَما شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ ٱلْعَبْدَا

وقالَ رجلٌ مِنَ الفزاريينَ يُذهِبُ حسرتَهُ علىٰ قِصَرِهِ ؛ فإنَّهُم يَتمدَّحون بتمامِ الأجسامِ ، كما قالَ الشاعرُ (''):

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ ٱلْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَعِزَّاءَ ٱلرِّجَالِ طِيَالُهَا وَاللَّهُ تعالىٰ : ﴿ وَزَادَهُ مِسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ (٢).

[ قالَ ] (۲) :

إِنْ لَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلاً فَإِنَّنِي وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا كُنْتُ فِي حُسْنِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ وَلَا مَذَاقُهُ وَلَا مَذَاقُهُ

وقالَ مضرسُ بنُ ربعيٍ ('): إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَمَتَىٰ نَخَفْ يَوْماً فَسَادَ عَشِيرَةٍ وَإِذَا نَمَوْا صُعُداً فَلَيْسَ عَلَيْهِمُ

[ من الطويل ]

لَهُ بِٱلْخِصَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ بِعَارِفَةٍ حَتَّىٰ يُقَالَ طَوِيلُ بِعَارِفَةٍ حَتَّىٰ يُقَالَ طَوِيلُ تَعُمُونُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِ نَّ أُصُولُ قَصُدُ لُوْ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ وَمُلَا الكامل]

وَنُقِيمُ سَالِفَةَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَصْيَدِ نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحاً لَا نُفْسِدِ مِنَّا ٱلْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ ٱلْحُسَّدِ

<sup>(</sup>١) انظر « الكامل » للمبرد ( ١٢٢/١ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة : ( ٢٤٧ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠١/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٢/٣ ) .

حَتَّىٰ نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ ٱلسَّيِّدِ عَجِلِ ٱلرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ ٱلْمُسْتَنْجِدِ حَتَّىٰ تَبُوخَ وَحَمْيُنَا لَمْ يَبْرُدِ رُتُعَ ٱلْجَمَائِلِ فِي ٱلدَّرِينِ ٱلْأَسْوَدِ [ من الوافر ]

يُهَانُ بِهَا ٱلْفَتَىٰ إِلَّا بَلَاءُ كَدَاءِ ٱلْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ وَيَا بَى ٱللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى ٱلْجُودِ ٱلثَّرَاءُ وَفَقْرُ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ وَلَا مُـزْر بصَاحِبهِ ٱلسَّخَاءُ وَدَاءُ ٱلنَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَىٰ مَا نَابَهُ وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ ٱلصَّبَاحِ بِتَائِبٍ فَنَفُلُّ شَوْكَتَهَا وَنَفْثَأُ حَمْيَهَا وَتَحُلُّ فِي دَارِ ٱلْحِفَاظِ بُيُوتُنَا وقالَ قيسُ بنُ الخطيم (١):

وَمَا بَعْضُ ٱلْإِقَامَةِ فِي دِيَارِ وَبَعْضُ خَلَائِتِ ٱلْأَقْوَامِ دَاءٌ يُريدُ ٱلْمَرْءُ أَنْ يُعْطَىٰ مُنَاهُ وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْم وَلَا يُعْطَى ٱلْحَرِيصُ غِنى لِحِرْصِ غَنِيُّ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا ٱلْبُخْلِ مَالٌ وَبَعْضُ ٱلدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ

وقالَ يزيدُ بنُ الحكم الثقفيُّ يعظُ ابنَهُ بدراً (٢): [ من مجزوء الكامل ] ربُهَا لِذِي ٱللُّبِّ ٱلْحَكِيمُ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ وَٱلْحَقُّ يَعْرِفُهُ ٱلْكَرِيمُ

يَا بَدْرُ وَٱلْأَمْثَالُ يَضْ

دُمْ لِـلْخَـلِـيـل بِـوُدِّهِ

وَٱعْـــرِفْ لِــجَـــاركَ حَـــقّـــهُ

<sup>(</sup>۱) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ۱۰٤/۳ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٥/٣ \_ ١٠٧ ).

ماً سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ حمُودُ ٱلْبنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ بٱلْعِلْم يَنْتَفِعُ ٱلْعَلِيمُ مِمَّا يَهِيجُ لَهُ ٱلْعَظِيمُ خَاهُ وَقَدْ يَلْوِي ٱلْغَريمُ وَٱلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ ـدُ أَخاً وَيَقْطَعُكَ ٱلْحَمِيمُ وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ ٱلْعَدِيمُ وَيُكْثِرُ ٱلْحَمِتُ ٱلْأَثِيمُ هَاذَا فَأَيُّهُ مَا ٱلْمَضِيمُ ق وَللْ كَلَالَة مَا يُسبِمُ نِ وَرَيْسِهَا غَرَضٌ رَجِيهُ هَ مَدُوا كَمَا هَ مَدَ ٱلْهَشِيمُ بُـــؤْسٌ يَـــدُومُ وَلَا نَــعِــيـــمُ ـهُ ٱلْعِرْسُ أَوْ مِنْهَا يَئِيمُ حكَـلُـهُ أَم ٱلْـوَلَـدُ ٱلْـيَـتِـيـمُ بُ عَلَىٰ تَلَاتِلِهَا ٱلْعَزُومُ وَلَدَى ٱلْحَقِيقَةِ لَا يَخِيمُ يَسْطِيعُهَا ٱلْمَرِحُ ٱلسَّؤُومُ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلضَّيْفَ يَوْ وَٱلنَّاسُ مُبْتَنِيان مَحْد وَأَعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ إنَّ ٱلْأُمُ ورَ دَقِيةً هَا وَٱلتَّبْلُ مِثْلُ ٱلدَّيْنِ نُـقْد وَٱلْبَغْنُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَلَـقَـدْ يَـكُـونُ لَـكَ ٱلْبَعِيـ وَٱلْمَرْءُ يُكُرَمُ لِلْغِنَىٰ قَدْ يُقْتِرُ ٱلْحَولُ ٱلتَّقِيُّ ئــمْــلَــن لــذَاكَ وَيُـــتَــلَــن وَٱلْمَرْءُ يَبْخَلُ فِي ٱلْحُقُو مَا بُخْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو وَيَرَى ٱلْـــةُ ــرُونَ أَمَـــامَـــهُ وَتَحَرَّتُ ٱللَّهُ نُسيَا فَلَا كُلُّ ٱمْرِئَ سَتَئِيمُ مِنْ مَا عِلْمُ ذِي وَلَدٍ أَيَثْ وَٱلْحَرْبُ صَاحِبُهَا ٱلصَّلِي مَـنْ لَا يَـمَـلُّ ضِـرَاسَـهَـا وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْحَرْبَ لَا

وَٱلْخَيْلُ أَجْوَدُهَا ٱلْمَنَا وقالَ منقذٌ الهلاليُّ (١٠):

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ كُلْ تُ مِنْهُ كُلْ فَحِ مِنَ ٱلْبِلَادِ كَأَنِّي مَا أَرَى ٱلْفَضْلَ وَٱلتَّكَرُّمَ إِلَّا مَا أَرَى ٱلْفَضْلَ وَٱلتَّكَرُّمَ إِلَّا وَبَلَاءٌ حَمْلُ ٱلْأَيَادِي وَأَنْ تَسْ

وقالَ محمدُ بنُ أبي شحاذِ الضَّبيُّ (۱):
إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ ٱلْغِنَىٰ ثُمَّ لَمْ تَجُدْ بِفَ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا يَمِ
إِذَا ٱلْحِلْمُ لَمْ يَغْلِبُ لَكَ ٱلْجَهْلَ لَمْ تَزَلُ عَـ
إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ يَغْلِبُ لَكَ ٱلشَّكَّ لَمْ تَزَلُ عَـ
إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ يَغْرِجُ لَكَ ٱلشَّكَّ لَمْ تَزَلُ جَبِ
إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ يَغْرُجُ لَكَ ٱلشَّكَّ لَمْ تَزَلُ جَبِ
وَقَلَّ غَنَاءً عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ إِذَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكُ طَعَاماً تُحِبُّهُ وَلاَ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكُ طَعَاماً تُحِبُّهُ وَلاَ يَشَبُهُ سِلَا عَاماً تُحِبُّهُ وَلاَ يَشَبُهُ سِلَا عَاماً تُحِبُّهُ وَلاَ يَرَالُ يَشُبُهُ سِلَا وَقَالَتْ حُرَقَةُ بِنتُ النعمانِ (۱):

هِ بُ عِنْدَ كَ بَّ تِهَا ٱلْأَزُومُ [ من الخفيف ]

بَيْنَ حَلِّ وَبَيْنَ وَشُكِ رَحِيلِ طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِنُحُولِ كَفَّكَ ٱلنَّفْسَ عَنْ طِلَابِ ٱلْفُضُولِ مَعَ مَنّا تُؤْتَى بِهِ مِنْ مُنِيلِ

[ من الطويل ]

بِفَضْلِ ٱلْغِنَىٰ أُلْفِيتَ مَا لَكَ حَامِدُ يَرِيبُ مِنَ ٱلْأَذْنَىٰ رَمَاكَ ٱلْأَبَاعِدُ عَلَيْكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ جَنِيباً كَمَا ٱسْتَتْلَى ٱلْجَنِيبَةَ قَائِدُ إِذَا صَارَ مِيرَاثاً وَوَارَاكَ لَاحِدُ وَلَا مَقْعَداً تُدْعَىٰ إِلَيْهِ ٱلْوَلَائِدُ سِبَابُ ٱلرِّجَالِ نَشْرُهُمْ وَٱلْقَصَائِدُ [من الطويل]

إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

تَـقَـلَّبُ تَـارَاتٍ بـنَـا وَتَـصَـرَّفُ

بَيْنَا نَسُوسُ ٱلنَّاسَ وَٱلْأَمْرُ أَمْرُنَا

فَأُفٍّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا

<sup>(</sup>١) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٨/٣ \_ ١٠٩ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٩/٣ \_ ١١٠ ) .

وقالَ الصَّلَتانُ العبديُّ (١):

أَشَابَ ٱلصَّغِيرَ وَأَفْنَى ٱلْكَبِي إِذَا لَيْ لَتَ هُمَ هَا إِذَا لَيْ لَتُ هُمَ مَا تُن يَوْمَ هَا نَرُوحُ وَنَعْ لُو لِحَاجَاتِ نَا تَرُوحُ وَنَعْ لُو لِحَاجَاتِ نَا تَمُ وَتُ مَعَ ٱلْمَرْءِ حَاجَاتُ لُهُ إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَىٰ إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَىٰ أَلْكُمْ تَرَ لُقُ مَا لَا مَانَ أَوْصَى ٱبْنَ لُهُ أَلْكُمْ تَرَ لُقُ مَا كَانَ عِنْ دَوى ٱلرِّجَالِ وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْ دَ ٱمْرِئَ وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْ دَ ٱمْرِئَ

[من المتقارب] من المتقارب] من المتقارب] مر كَرُّ ٱلْغَشِيُّ الْغَشِيُّ الْغَشِيُّ الْغَشِيُّ أَلْعَ شِي أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي أَرُوْكَ ٱلْغَنِيُّ وَأَوْضَيْتُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱلْوَصِيُّ وَأَوْضَيْتُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱلْوَصِيُّ وَأَوْضَيْتُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱلْوَصِيُّ

فَكُنْ عِنْدَ سِرّكَ خَبَّ ٱلنَّجِيُّ

وَسِرُّ ٱلثَّلَاثَةِ غَيْرُ ٱلْخَفِيّ

انتهى المختارُ مِنْ بابِ الأدبِ ، ويليهِ منتقىٰ بابِ النسيبِ .

## [ نبذةٌ من أشعارِ النسيبِ من « ديوانِ الحماسَةِ » ]

النّسيبُ: ذكرُ محاسنِ النساءِ ، والإخبارُ عن تَصرُّفِ هواهُنَّ بهِ ، وكأَنْ يَتَعنَّىٰ بما يقولُهُ مِنْ ذلكَ ؛ ولأجلِ ذلكَ ترىٰ صيغةَ المصدرِ الصوتيِّ ، ويُسمَّى النسيبُ غزلاً ، والغزلُ في الأصلِ : ظهورُ الإنسانِ في أحوالِ الغزالِ ؛ مِنَ الملاعبةِ وخفَّةِ الحركةِ .

قالَ الصِّمَّةُ القشيريُّ ؛ وهوَ شاعرٌ غَزِلٌ هَوِيَ بنتَ عمٍّ لهُ يُقالُ لها : ريَّا ، فخطبَها إلى عمِّهِ ، فزَوَّجَهُ إيَّاها على خمسينَ مِنَ الإبلِ ، فجاءَ إلى أبيهِ ، فضالَهُ ذلكَ ، فساقَ عنه تسعاً وأربعينَ وقالَ : عمُّكَ لا يناظرُنا بنقصانِ ناقةٍ ، فساقَها إلى عمِّهِ وذكرَ لهُ ما قالَ أبوهُ ، فأبى أن يقبلَها إلا كُمَّلاً ، فلجَّ أبوهُ

<sup>(1)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $111/\pi$  ) .

ولجَّ عمُّهُ ، فقالَ : واللهِ ؛ ما رأيتُ ألأمَ منكُما جميعاً ، وإنِّي لألأمُ إن أقمتُ معَكُما ، فرحلَ إلى الشامِ ، فتتبعَتْها نفسُهُ ، فقالَ (١) \_ ومثلُ هلذا الشعرِ مِنْ بينِ النسيبِ يُسمَّىٰ بالغراميِّ \_ :

مَزَارَكَ مِنْ رَبَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي ٱلصَّبَابَةِ أَسْمَعَا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي ٱلصَّبَابَةِ أَسْمَعَا وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمُصْطَافَ وَٱلْمُتَرَبَّعَا عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا وَمَا أَحْسَنَ ٱلشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا وَحَالَتْ بَنَاتُ ٱلشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا عَلَى عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْجِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْجِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا وَجِعْتُ مِنَ ٱلْإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا وَجِعْتُ مِنَ ٱلْإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا وَلِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا وَلِي الطويل]

عَلَىٰ كَبِدِي جَمْراً بَطِيئاً خُمُودُهَا إِذَا قَدُمَتْ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا عِهَادَ ٱلْهَوَىٰ تُولَىٰ بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا رَفِيفَ ٱلْخُزَامَىٰ بَاتَ طَلُّ يَجُودُهَا رَفِيفَ ٱلْخُزَامَىٰ بَاتَ طَلُّ يَجُودُهَا

حَنَنْتَ إِلَىٰ رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ فَمَا حَسَنُ أَنْ تَأْتِي ٱلْأَمْرَ طَائِعاً قَمَا حَسَنُ أَنْ تَأْتِي ٱلْأَمْرَ طَائِعاً قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَىٰ بِنَفْسِيَ تِلْكَ ٱلْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ ٱلرُّبَا وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَىٰ بِرَوَاجِعِ وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَىٰ بِرَوَاجِعِ وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَىٰ بِرَوَاجِعِ وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْجِمَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبِشْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا بَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا تَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا تَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا تَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا تَكَنَّ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثَمَّ أَنْشَنِي

وقالَ الحسينُ بنُ مطيرٍ الأسديُّ (۱): لَقَدْ كُنْتُ جَلْداً قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ ٱلنَّوَىٰ وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَشَا فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَشَا بِسُودٍ نَواصِيهَا وَحُمْرٍ أَكُفُّهَا بِسُودٍ نَواصِيهَا وَحُمْرٍ أَكُفُّهَا مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا يُعَمَنِيَنَا حَتَّىٰ تَرفَّ قُلُوبُنَا كُنَا الْمَا عَلَى اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١١٣/٣ \_ ١١٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١١٨/٣ ) .

وقالَ أبو صخر الهذليُّ (١):

أَمَا وَٱلَّذِي أَبْكَىٰ وَأَضْحَكَ وَٱلَّذِي لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ ٱلْوَحْشَ أَنْ أَرَىٰ فَيَا حُبُّهَا زِدْنِي جَوىً كُلَّ لَيْلَةٍ عَجِبْتُ لِسَعْيِ ٱلدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وقالَ ابنُ أذينةَ (٢):

إِنَّ ٱلَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا ٱلنَّعِيمُ فَصَاغَهَا حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبي وَإِذَا وَجَـدْتُ لَـهَا وَسَـاوسَ سَـلْـوَةٍ وقالَ آخَرُ (٣):

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً رَأَيْتَ ٱلَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ

وقالَ آخَرُ (١):

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَٱلْعِيسُ تَهْوِي

[ من الطويل ]

أَمَاتَ وَأَحْيَا وَٱلَّذِي أَمْرُهُ ٱلْأَمْرُ [ أَلِيفَيْنِ ] مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا ٱلذُّعْرُ وَيَا سَلْوَةَ ٱلْأَيَّامِ مَوْعِدُكِ ٱلْحَشْرُ فَلَمَّا ٱنْقَضَىٰ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ ٱلدَّهْرُ [ من الكامل ]

خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوىً لَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا شَفَعَ ٱلضَّمِيرُ إِلَى ٱلْفُؤَادِ فَسَلَّهَا [ من الطويل ]

لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ ٱلْمَنَاظِرُ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

أي : لا كلُّهُ والنفسُ لهُ طالبةٌ ، ولا عن بعضِهِ وهيَ بهِ غيرُ قانعةٍ .

[ من الوافر ]

بنَا بَيْنَ ٱلْمُنِيفَةِ فَٱلضِّمَار

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١١٩/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٢١/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٢٢/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٢٢/٣ \_ ١٢٣ ) .

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمٍ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ أَكْدِ فَمَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ أَلْا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرَيَّا رَوْضِهِ بَعْدَ ٱلْقِطَارِ وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ ٱلْحَيُّ نَجْداً وَأَنْتَ عَلَىٰ زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِي وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ ٱلْحَيُّ نَجْداً وَأَنْتَ عَلَىٰ زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِي شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِإِنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سِرَادِ

وقالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ (١) \_ وهوَ مِنْ فتيانِ قريشٍ ، وكلُّ شعرِهِ غزلٌ ، واشتَهرَ بذلكَ ، ولهُ أخبارٌ ، وُلِدَ ليلةَ ماتَ عمرُ بنُ الخطابِ ، فقيلَ : أيُّ حقٍّ رُفِعَ ، وأيُّ باطلِ وُضِعَ .

وكانَ ابنُ عباسٍ يستريحُ لاستماعِ إنشادِهِ شعرَهُ ، فكانَ ربَّما يأتيهِ وهوَ في مجلسِ استفتاءِ الناسِ إيَّاهُ ، فينصرفُ عنهُم إليهِ ، وكانَ معَ غزلِهِ وشدَّةِ كلفِهِ بمحادثةِ النساءِ عفيفاً \_ :

وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا ٱلْحَدِيثَ وَأَسْفَرَتْ وُجُوهٌ زَهَاهَا ٱلْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا تَبَالَهُنَ بِٱلْعِرْفَاذِ لَمَّا عَرَفْنَنِي وَقُلْنَ ٱمْرُوُّ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا وَقَلْنَ ٱمْرُوُّ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ ٱلْهَوَىٰ لِمُتَيَّمٍ يَقِيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قِسْنَ إِصْبَعَا وَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ وَيْحَكَ إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا وَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ وَيْحَكَ إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا

يُروى : أنَّ عائشة بنتَ طلحة \_ وكانَتْ مِنْ أجملِ نساءِ زمانِها ، يُقالُ : إنَّ أبا هريرة رآها يوماً في المسجدِ وهي مارَّةٌ إلى عائشة أمِّ المؤمنين ، فقال : إنَّها مِنَ الحُورِ العينِ \_ كانَتْ لا تسترُ وجهَها ، وكانَ زوجُها مصعبُ بنُ الزبيرِ يأمرُها بسترِهِ ، فتقولُ : إنَّ الله وسمَني بمِيسمِ جمالٍ ، فلا أحبُّ أن أسترَ نعمة اللهِ على .

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٢٧/٣ ) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنةِ الخثعميُّ (١):

أَلاَ يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتَ مِنْ نَجْدِ أَلِا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتَ مِنْ نَجْدِ أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضَّحَىٰ بَكُنْ بَكُنْ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ وَقَدْ زَعَمُ وا أَنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا دَنَا بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفِ مَا بِنَا فِي عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ وَقَالَ آخَرُ (٢):

أَلَا طَرَقَتْنَا آخِرَ ٱللَّيْلِ زَيْنَبُ وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبَنَّنَا يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ ٱلشَّيْبِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا وقالَ كثيرٌ (٣):

وَأَدْنَيْتِنِي حَتَّىٰ إِذَا مَا مَلَكْتِنِي تَنَاهَیْتِ عَنِّي حِینَ لَا لِيَ حِیلَةٌ وقالَ آخَرُ<sup>(1)</sup>:

[ من الطويل ]

لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْداً عَلَىٰ وَجْدِ عَلَىٰ وَجْدِ عَلَىٰ فَنَنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ ٱلَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّانِي يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّاٰي يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ عَلَىٰ ذَاكَ قُرْبُ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ عَلَىٰ ذَاكَ قُرْبُ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ

عَلَيْكِ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ وَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَىٰ مِنَ ٱللَّهْوِ مَرْكَبُ بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَىٰ مِنَ ٱللَّهْوِ مَرْكَبُ

بِقَوْلٍ يُحِلُّ ٱلْعُصْمَ سَهْلَ ٱلْأَبَاطِحِ وَغَادَرْتِ مَا غَادَرْتِ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ

[ من الطويل ]

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٥/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٦/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٦/٣ ) .

<sup>(3)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $18\Lambda/\Upsilon$  ) .

بِهِ ٱلْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ مَقَامَ أَخِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱخْتَرْتُ ذَلِكِ بِدَمْع كَنَظْم ٱللُّؤلُوِ ٱلْمُتَهَالِكِ رَبِيعِي ٱلَّذِي أَرْجُو نَوَالُ وِصَالِكِ سِنِيَّ ٱلَّتِي أَخْشَىٰ صُرُوفُ ٱحْتِمَالِكِ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

سَلِي ٱلْبَانَةَ ٱلْغَيْنَاءَ بِٱلْأَجْرَعِ ٱلَّذِي وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهِنَّ عَشِيَّةً وَهَلْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ فِي ٱلدَّارِ غُدْوَةً أَرَى ٱلنَّاسَ يَرْجُونَ ٱلرَّبِيعَ وَإِنَّمَا أَرَى ٱلنَّاسَ يَخْشَوْنَ ٱلسِّنِينَ وَإِنَّمَا لَئِنْ سَاءَنِى أَنْ نِلْتِنِى بِمَسَاءَةٍ لِيَهْنِكِ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى ٱلْحَشَا

الغيناء : الظليلة ، فهي تستر ما تحتَها ، ولِمَا في السَّحابِ مِنَ السترِ يُسمَّىٰ غيناً ، ومنه : غانَ علىٰ قلبهِ كذا ، ويُروى : ( الغَنَّاءَ ) ويصفونَ الشجرَ بالغِناءِ لِمَا يُسمَعُ منهُ إذا مرَّت بهِ الرياحُ ، قالَ بعضُهُم (١): ءِ خَريرٌ وَلِـلْغُـصُـوذِ غِـنَاءُ [ من الطويل ]

عَلَيْكَ شَجاً فِي ٱلْحَلْقِ حِينَ تَبينُ لِغَيْرِكَ مِنْ خُلَّانِهَا سَتَلِينُ فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَاذِ يَمِينُ

وقالَ أبو بكرِ عبدُ الرحمانِ الزهريُّ (٢): [ من الطويل ] أَنِيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ ٱلنَّوْرِ حَالِيَا

لِلثَّرَىٰ تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا وقالَ آخَرُ (٢):

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَكُنْ وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ ٱللِّيَانَ فَإِنَّهَا وَإِنْ حَلَفَتْ لَا يَنْقُضُ ٱلنَّأْيُ عَهْدَهَا

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلُّهُ ٱلنَّدَىٰ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٤٩/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٥/٣ ) .

أَجَدَّ لَنَا طِيبُ ٱلْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنىً فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ ٱلْأَمَانِيَا

وقالَ معدانُ بنُ المضربِ الكنديُّ (١):

صَفَا وُدُّ لَيْلَىٰ مَا صَفَا ثُمَّ لَمْ نُطِعْ عَدُوّاً وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ فَلَمَّا تَوَلَّىٰ فَا لِهَا لِهَ لَيْلَىٰ لِجَانِبٍ وَقَوْمٍ تَوَلَّیْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ فَلَمَّا تَوَلَّیٰ وَدُّ لَیْلَیٰ لِجَانِبٍ وَقَوْمٍ تَوَلَّیْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ وَکُلُّ خَلِیلٍ بَعْدَ لَیْلَیٰ یَخَافُنِي عَلَی ٱلْغَدْرِ أَوْ یَرْضَیٰ بِوُدٍّ مُقَارِبِ وَکُلُّ خَلِیلٍ بَعْدَ لَیْلَیٰ یَخَافُنِي عَلَی ٱلْغَدْرِ أَوْ یَرْضَیٰ بِوُدٍ مُقَارِبِ وَقَالَ آخَرُ (۱):

هَلِ ٱلْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرُّ عَلَى ٱلْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ وَفَيْضُ دُمُوعِ ٱلْعَيْنِ يَا مَيُّ كُلَّمَا بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقالَ يزيدُ بنُ المُنتشِرِ القشيريُّ المشهورُ بابنِ الطَّثَريَّةِ وهيَ أُمُّهُ ؛ نُسِبَتْ يَّ مِنْ قُضاعةَ يُقالُ لهُم : طَثَرُ ("): [من الطويل]

فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي ٱلْأَرَاكِ مَقِيلُ إِلَيْكِ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ لَنَا مِنْ أَخِلَّاءِ ٱلصَّفَاءِ خَلِيلُ عَدُوُّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ وَخَوْفَ ٱلْعِدَا فِيهِ إِلَيْكِ سَبِيلُ بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكِ قَلِيلُ

وقال يريد بن المنسر الفسيري الدحيّ مِنْ قُضاعة يُقالُ لهُم: طَثَرٌ (٣): عُقَدْ لَا عَدْ اللهُم : طَثَرٌ (٣): عُقَدْ لِللَّهُ إِزَارِهَا تَقَدَّ اللَّهُ إِزَارِهَا تَقَدَّ اللَّهُ اللَّهُ إِزَارِهَا تَقَدَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٥/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٨/٣ \_ ١٥٩ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦١/٣ \_ ١٦٣ ) .

فَأَفْنَيْتُ عِلَّاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكِ رَسُولُ سَتُنْشَرُ يَوْماً وَٱلْعِتَابُ طَوِيلُ فَحَمْلُ دَمِي يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ثَقِيلُ [من الكامل]

قَمَرُ تَوسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبْرِدِ إِنَّ ٱلْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ بِحِمَى ٱلْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ ٱلْإِثْمِدِ وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكِ حَاجَةٌ صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوَيْتُهَا فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ وقالَ آخَرُ(١):

بَيْضَاءُ آنِسَةُ ٱلْحَدِيثِ كَأَنَّهَا مَوْسُومَةٌ بِٱلْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ ٱلْحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ وَتَرَىٰ مَدَامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً

إنَّما يكونُ الليلُ ذا بردٍ إذا صفا الجوُّ .

وقالَ آخَرُ (٢):

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ وَمَا مِكِ قُدْرَةٌ وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا وَقَالَ ابنُ الدُّمَيْنَةِ (٣):

أَلَا لَا أَرَىٰ وَادِي ٱلْمِيَاهِ يُثِيبُ أَرَىٰ وَادِي ٱلْمِياهِ يُثِيبُ أُحِبُ هُبُوطَ ٱلْوَادِيَيْنِ وَإِنَّنِي أَحْدَةً عُبَادَ ٱللهِ أَنْ لَسْتُ وَارداً

[ من الطويل ]

عَلَيَّ وَلَاكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا قَلِيلٌ وَلَاكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

[ من الطويل ]

وَلَا ٱلنَّفْسَ عَنْ وَادِي ٱلْمِيَاهِ تَطِيبُ لَمُ شَتَهِ رُ بِٱلْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ لَمُ شُتَهِ رُ بِٱلْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَى رَقِيبُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٧٠/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٧٠/٣ \_ ١٧١ ) .

وَلَا زَائِراً فَرْداً وَلَا فِي جَمَاعَةٍ وَهَلْ رِيبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ وَهَلْ رِيبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ وَإِنَّ ٱلْكَثِيبَ ٱلْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِمَىٰ لَكِ ٱللهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتِنِي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتِنِي وَآخِذُ مَا أَعْطَيْتِ عَفْواً وَإِنَّنِي فَلَا تَتُرُكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّهَا فَلَا تَتُرُكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّهَا وَإِنِّي لَأَسْتَحْييكِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا وَقَالَ آخَرُ (١):

تَحَمَّلَ أَصْحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي أَحِبُّكُمُ مَا دُمْتُ حَيَّاً فَإِنْ أَمُتْ وَاللَّمُ وَاللَّمُ وَاللَّمُ مَا دُمْتُ حَيَّاً فَإِنْ أَمُتُ وَاللَّمُ وَاللَّمُ أَمْتُ وَاللَّمُ وَاللَّمُ أَبُو حَيَّةَ النميريُّ (٢):

رَمَتْ هُ أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ فَحَاءً كَخُوطِ ٱلْبَانِ لَا مُتَتَايِعٌ فَجَاءً كَخُوطِ ٱلْبَانِ لَا مُتَتَايِعٌ فَقُلْنَ لَهَا سِرًا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ فَقُلْنَ لَهَا سِرًا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ فَقُلْفَتْ قِنَاعاً دُونَهُ ٱلشَّمْسُ وَٱتَّقَتْ وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغَتْ فِي فُؤَادِهِ وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغَتْ فِي فُؤَادِهِ فَوَدَ بِجَدْعِ ٱلْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ فَوَدَ بِجَدْعِ ٱلْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ

مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُرِيبُ إِلَىٰ إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ إِلَىٰ إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ إِلَىٰ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيب وَمُثِيب وَمُثِيب وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتِنِي وَمُثِيب لَأَزْوَرُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ لَأَزْوَرُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ مِنْ الْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكِ تَذُوبُ مِنَ الْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكِ تَذُوبُ عَلَيْكِ تَذُوبُ عَلَيْكِ تَذُوبُ عَلَيْكِ رَقِيبُ عَلَيْكِ رَقِيبُ عَلَيْكِ رَقِيبُ الْعَيْبِ مِنْكِ رَقِيبُ الطويل ]

وَلِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَحْدِي فَوَا كَبِدَا مِمَّنْ يُحِبُّكُمُ بَعْدِي

[ من الطويل ]

نَوُّومُ ٱلضُّحَىٰ فِي مَأْتَمٍ أَيِّ مَأْتَمِ وَلَكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمِ وَلَكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمِ صَحِيحاً وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي بِأَحْسَنِ [ مَوْصُولَيْنِ ] كَفٍّ وَمِعْصَمِ وَعَيْنَيْهِ مِنْهَا ٱلسِّحْرَ قُلْنَ لَهُ قُمِ وَعَيْنَيْهِ مِنْهَا ٱلسِّحْرَ قُلْنَ لَهُ قُمِ تَنْادَوْا وَقَالُوا فِي ٱلْمَنَاخِ لَهُ نَم

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٧١/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ۱۷۲/۳ \_ ۱۷۳ ) .

الأناةُ: إمَّا مِنْ ( وَنَىٰ ) ، وإبدالُ الهمزةِ مِنَ الواوِ المفتوحةِ قليلٌ ؛ كأحدٍ ، وأجمٍ في وجمَ ؛ أي: سكتَ حزناً ، أو مِنْ ( أنىٰ ) أي: تأنَّىٰ ، وقولُهُ: ( فجاءَ كخُوطِ البانِ ) أي: المرميُّ حينَ أقبلَ أقبلَ في وقارٍ وتُؤدةٍ شابًا ناعماً معتدلَ القامةِ كالخُوط ـ بضمِّ الخاءِ ـ أي: الغصنِ ، والمتتابعُ : المتسرعُ في حماقةٍ ، والمأتمُ : المجمعُ مِنَ النساءِ في خيرٍ أو شرِّ .

وقالَ أبو الشِّيصِ الخزاعيُّ (۱):

وقالَ أبو الشِّيصِ الخزاعيُّ (۱):

وَقَفَ ٱلْهُوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَ أَخَّرُ عَنْهُ وَلَا مُتَ قَدَّمُ الْهُوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَ أَخَّرُ كِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ أَجِدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَ وَاكِ لَذِيذَةً حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ أَجْدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَ وَاكِ لَذِيذَةً حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْمُ مَنْكِ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْكُ حَظِّي مِنْكُ حَظِّي مِنْكُ مَ مُنْكُ مَ أَمْنُ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أَكْرِمُ وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ صَاغِراً مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أَكْرِمُ وَأَهَنْتِي فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ صَاغِراً مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أَكْرِمُ

المُحِبُّ [ يستطيبُ ] اللَّومَ والعذلَ ؛ لِمَا فيهِ مِنْ ذكرِ الحبيبِ كما قالَ ، وقالَ آخَرُ (٢٠) :

أُصْغِي إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْعَذُولِ بِجُمْلَتِي مُسْتَفْهِماً عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالِ لِتَلَقُّطِي زَهَرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ ٱلْعُذَّالِ

وخالفَ ذٰلكَ المتنبي حيثُ يقولُ (٢): [من الكامل]

أَأْحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ ٱلْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وقالَ آخرُ (١٤):

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٧٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « معاهد التنصيص » ( ١٥٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان المتنبى » ( ص ٢٦٦ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٧٥/٣ ) .

وَلَا غَرْوَ إِلَّا مَا يُخَبِّرُ سَالِمٌ وَمَا لِيَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ وَمَا لِيَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ نَعَمْ فَاسْلَمِي ثُمَّتَ ٱسْلَمِي ثُمَّتَ ٱسْلَمِي

بِأَنَّ بَنِي أَسْتَاهِ هَا نَذَرُوا دَمِي سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةُ ٱسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ [ تَكَلَّمِي]

لا غروَ إلَّا ما يخبر ؛ أي : لا عجبَ إلَّا إخبارٌ ، والسَّرْحةُ : واحدةُ السَّرْحِ ؛ وهوَ مِنَ الشجرِ ما لا شوكَ لهُ ، ويقابلُهُ العضهُ ، كنَّىٰ بالسَّرْحة عنِ المرأةِ .

وقالَ زيادُ بنُ حملٍ ، أوِ ابنُ منقذٍ التميميُّ ، وكانَ قد أتى اليمنَ واشتاقَ بلادَهُ (۱):

وَلا شُعُوبُ هَوىً مِنِّي وَلَا نُقُمُ عَنْساً وَلَا بَلَداً حَلَّتْ بِهِ قَدَمُ فَلَا سَقَاهُ نَّ إِلَّا ٱلنَّارَ تَضْطَرِمُ فَلَا سَقَاهُ نَّ إِلَّا ٱلنَّارَ تَضْطَرِمُ وَادِي أُشَيَّ وَفِتْ يَانٌ بِهِ هُضُمُ عَلَى ٱلْعَشِيرَةِ وَٱلْكَافُونَ مَا جَرَمُوا وَبَاكُرَ ٱلْحَيَّ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمُ وَبَاكُرَ ٱلْحَيَّ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمُ عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا ٱلْأُزُمُ عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا ٱلْأُزُمُ بِنَجُوةٍ مِنْ حِذَارِ ٱلشَّرِّ مُعْتَصِمُ وَفِي ٱللِّقَاءِ إِذَا تَلْقَى بِهِمْ بُهَمُ وَفِي ٱللِّقَاءِ إِذَا تَلْقَى بِهِمْ بُهَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ

لَا حَبَّذَا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ وَلَنْ أُحِبَّ بِلَاداً قَدْ رَأَيْتُ بِهَا إِذَا سَقَى ٱللهُ أَرْضاً صَوْبَ غَادِيَةٍ وَحَبَّذَا حِينَ تُمْسِي ٱلرِّيحُ بَارِدَةً الْمُواسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمُ الْمُطْعِمُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمُ وَالْمُعَلَّ فَا الْمَعْمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيةٌ وَالْمُعُمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيةٌ وَالْمُعُمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيةٌ وَالْمُعُمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيةً وَالْمُعُمُ وَجَارُهُمُ وَكَوَاتِبِهَا وَهُمْ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا وَهُمْ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا وَهُمْ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا وَهُمْ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا

إِلَّا يَـزيـدُهُـمُ حُـبًّا إِلَـيَّ هُـمُ جَمّ ٱلرَّمَادِ إِذَا مَا أَخْمَدَ ٱلْبَرَمُ إِذَا ٱلْأُنُوفُ ٱمْتَرَىٰ مَكْنُونَهَا ٱلشَّبَمُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذِمُ مِنْ مُسْتَحِير غَزير صَوْبُهُ دِيَمُ إِلَّا غَدَا وَهُوَ سَامِي ٱلطَّرْفِ يَبْتَسِمُ حَتَّىٰ يَنَالَ أُمُوراً دُونَهَا قُحَمُ عَرْفَاءَ يَشْتُو عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمُ قُدَّامَهُ زَانَهَا ٱلتَّشْرِيفُ وَٱلْكَرَمُ عَلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ ٱلنَّهْلَةِ ٱلنَّعَمُ لَدَىٰ نَوَاحِلَ فِي أَرْسَاغِهَا ٱلْخَدَمُ فَقُلْتُ أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمُ مِنَ ٱلْقَريبِ وَمِنْهَا ٱلنَّوْمُ وَٱلسَّأَمُ تَمْشِي ٱلْهُوَيْنَيْ وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمُ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمُ وَمَا أَهَلَّ بِجَنْبَيْ نَخْلَةَ ٱلْحُرُمُ عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمُ لا وَٱلَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نِعَمُ خَلَّ ٱلنَّقَا بِمَرُوحِ لَحْمُهَا زِيَمُ

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فَأَخْبُرُهُمْ كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَتِيَّ حُلُو شَمَائِلُهُ تُحِبُّ زَوْجَاتُ أَقْوَام حَلَائِلُهُ تَرَى ٱلْأَرَامِلَ وَٱلْهُلَّاكَ تَتْبَعُهُ كَأَنَّ أَصْحَابَهُ بِٱلْقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ غَمْرُ ٱلنَّدَىٰ لَا يَبِيتُ ٱلْحَقُّ يَثْمُدُهُ إِلَى ٱلْمَكَارِم يَبْنِيهَا وَيَعْمُرُهَا [ تَشْقَىٰ ] بِهِ كُلُّ مِرْبَاعِ مُودَّعَةٍ تَرَى ٱلْجِفَانَ مِنَ ٱلشِّيزَىٰ مُكَلَّلَةً يَنُوبُهَا ٱلنَّاسُ أَفْوَاجاً إِذَا نَهَلُوا زَارَتْ رُوَيْقَةُ شُعْثاً بَعْدَمَا هَجَعُوا وَقُمْتُ لِلزَّوْرِ مُرْتَاعاً فَأَرَّقَنِي وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَٱلْمَشْئِ يَبْهَظُهَا وَبِٱلتَّكَالِيفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا سُودٌ ذَوَائِبُهَا بيضٌ تَرَائِبُهَا رُوَيْقَ إِنِّي وَمَا حَجَّ ٱلْحَجِيجُ لَهُ لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرَكُمْ مُذْ لَمْ أُلَاقِكُمُ وَلَمْ تُشَارِكُكِ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةٌ مَتَىٰ أَمُرُّ عَلَى ٱلشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفاً

مِنَ ٱلثَّنَايَا ٱلَّتِي لَمْ أَقْلِهَا ثَرَمُ وَحَيْثُ تُبْنَىٰ مِنَ ٱلْحِنَّاءَةِ ٱلْأُطُمُ وَهَلْ تَخَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا أَرَمُ جَبَّارُهَا بِٱلنَّدَىٰ وَٱلْحَمْلِ مُحْتَزِمُ لَمْ يَغْذُهُنَّ شَقَا عَيْش وَلَا يَتَمُ جَارٌ غَريبٌ [ وَلَا ] يُؤْذَىٰ لَهُمْ حَشَمُ وَفِي ٱلرِّحَالِ إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمُ جَرْدَاءُ سَابِحَةٌ أَوْ سَابِحٌ قُدُمُ بفِتْيَةٍ فِيهِمُ ٱلْمَرَّارُ وَٱلْحَكَمُ إِلَّا جِيَادُ قِسِيِّ ٱلنَّبْعِ وَٱللُّجُمُ لِلصَّيْدِ حِينَ يَصِيحُ ٱلْقَانِصُ ٱللَّحِمُ أَفْنَىٰ دَوَابرَهُنَّ ٱلرَّكْضُ وَٱلْأَكَمُ كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مِرْضَاخِهِ ٱلْعَجَمُ طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضَمُ

وَٱلْوَشْمِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَابَلَهَا يَا لَيْتَ شِعْرِيَ عَنْ جَنْبَيْ مُكَسَّحَةٍ عَن ٱلْإِشَاءَةِ هَلْ زَالَتْ مَخَارمُهَا وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ ٱلدَّهْرَ حَاضِرُهَا فِيهَا عَقَائِلُ أَمْثَالُ ٱلدُّمَىٰ خُرُدُ يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُمُّهُمُ مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي مَجَالِسِهمْ بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَىٰ أَغْدُو تُعَارِضُنِي نَحْوَ [ ٱلْأُمَيْلِح ] أَوْ سَمْنَانَ مُبْتَكِراً لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ [ إِذَا] يَغْدُونَ أَرْدِيَةٌ مِنْ غَيْرِ عُدْم وَلَاكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ فَيَفْزَعُونَ إِلَىٰ جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ يَرْضَخْنَ صُمَّ ٱلْحَصَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ يَغْدُو أَمَامَهُمُ فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ

شُعُوبٌ ونُقُم بضمَّتَينِ: موضعانِ ، تقولُ للشيءِ: هوَ منِّي هوى ؛ أي: محبوبٌ ، وعَنْسٌ وقَدَمُ بفتحتَينِ: حيانِ مِنْ أحياءِ اليمنِ ، مِنَ الأوَّلِ الأسودُ العَنْسيُّ الكذَّابُ الذي تَنبَّأَ على عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وكانَ ساحرَ المَنطِقِ ، وقتلَهُ فيروزُ الديلميُّ ، وهُضُمٌ : جمعُ هَضُومٍ ؛ أي : يهضمونَ المالَ في وجوهِ الخيرِ ، والصَّرَّادُ كرمَّانٍ : السحابُ لا ماءَ فيهِ ، والصِّرَمُ : جمعُ صِرْمة بكسرٍ فسكونٍ ؛ الجملةُ مِنَ الإبلِ ، واستعيرَ ها هنا ، اللزبةُ : السنةُ المجدبةُ ،

وفَلَّلُوا أنيابَها: أزالوا شدائدَها ، مِنْ تفليلِ حدِّ السيفِ ؛ أي : إحداثِ الفلولِ بهِ ، والأُزُمُ : جمعُ أَزُومٍ ، والأَزومُ : الإمساكُ على الشيءِ بالأسنانِ ، وكواثبُ الخيلِ : جمعُ كاثبةٍ ؛ أعالي ظهورِها ، وإذا الخيلُ حالوا في كواثبِها : مِنْ تراكيبِ الاشتغالِ ؛ أي : إذا قصدوا الخيلَ .

والقَذَمُ بفتحتَينِ: أراذلُ الناسِ ، وقولُهُ: ( إلَّا يزيدَهُم حُبّاً إليَّ هم ) أي: ألَّا يزيدونَ أنفسَهُم حُبّاً إليَّ ؛ لإبرارِهِم على غيرِهِم ، وضعَ الضَّميرَ المُنفصِلَ موضعَ المتصلِ ، والبَرَمُ : اللئيمُ البخيلُ ، على وزنِ الشَّبَمِ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ وهوَ البردُ ، والعرفاءُ : التي طالَ وبرُها حتى صارَ لها مثلُ العرفِ ، والجبّارُ : النخلُ الطويلُ ، والأَرَمُ : العَلَمُ وزناً ومعنى ، والحناءةُ : نوعُ رملٍ يُستعمَلُ في بناءِ الأُطُم \_ بضمَّتينِ \_ وهيَ الحصونُ والقصورُ .

وقالَ عمرُو ضبيعةَ الرَّقَاشيُّ (١):

تَضِيقُ جُفُونُ ٱلْعَيْنِ عَنْ عَبَرَاتِهَا وَخُصَّةِ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَقَّهَتْ أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا قَضَى ٱللهُ حُبَّ ٱلْمَالِكِيَّةِ فَأَصْطَبِرْ وقالَ جميلٌ (٢):

بُثَيْنَةُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبُصِّرَتْ لَهَا ٱلنَّظْرَةُ ٱلْأُولَىٰ عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ إِذَا ٱبْتَذَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ

[ من الطويل ]

فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ ٱلتَّجَلُّدِ وَٱلصَّبْرِ حَزَازَةَ حَرِّ فِي ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ يُلَامُ ٱلْفَتَىٰ فِيمَا ٱسْتَطَاعَ مِنَ ٱلْأَمْرِ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجْرِي ٱلْأُمُورُ عَلَىٰ قَدْرِ

مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ وَإِنْ كُرَّتِ ٱلْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا ٱلْعَقْبُ وَفِيهَا إِذَا ٱزْدَانَتْ لِذِي نِيقَةٍ حَسْبُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٨٧/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « شرح دیوان الحماسة » ( ۱۹٥/۳ ) .

#### [ نبذةٌ من أشعار الهجاءِ من « ديوانِ الحماسةِ » ]

ذلكَ المختارُ مِنْ بابِ النسيبِ .

وهاكَ أشياءَ مِنْ بابِ الهجاءِ ؛ وهوَ مِنْ هجاهُ يهجوهُ ؛ إذا رماهُ بالمعايبِ في أعمالِهِ أو أعمالِ أسلافِهِ .

قالَ موسى بنُ جابرٍ الحنفيُّ (١): كَانَتْ حَنِيفَةُ لَا أَبَا لَكَ مَرَّةً

فَرَأَتْ حَنِيفَةُ مَا رَأَتْ أَشْيَاعُهَا

وقالَ قرادُ بنُ حنشٍ الصارديُّ (٢):

لَقَوْمِيَ أَدْعَىٰ لِلْعُلَا مِنْ عِصَابَةٍ وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَ رِزُّهَا

تُقَطِّعُ أَطْنَابَ ٱلْبُيُوتِ بِحَاصِبِ

فَوَيْلُمِّهَا خَيْلاً بَهَاءً وَشَارَةً

[من الكامل] عِنْدَ ٱللِّقَاءِ أَسِنَّةً لَا تَنْكُلُ وَالْكِيرِةِ وَٱلرِّيحُ أَحْيَاناً كَذَاكَ تَحَوَّلُ وَٱلرِّيحُ أَحْيَاناً كَذَاكَ تَحَوَّلُ وَٱلرِّيحُ أَحْيَاناً كَذَاكَ تَحَوَّلُ وَالطويل]

مِنَ ٱلنَّاسِ يَا حَارِ بْنَ عَمْرِو تَسُودُهَا بِآبِدَةٍ تُنْحِي شَدِيدٍ وَئِيدُهَا وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرْقُهَا وَرُعُودُهَا وَرُعُودُهَا إِذَا لَاقَتِ ٱلْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودُهَا

الرِّزُّ - بالكسرِ - : الصوتُ تَسمعُهُ مِنْ بعيدٍ ، والباءُ في ( بآبدةٍ ) بمعنى معَ ، والآبدةُ : المنكرةُ ، وتنحي : مِنْ أنحىٰ ؛ أي : اعتمدَ ، والحاصبُ : الريحُ تأتي بالحصباءِ ؛ أي الحصىٰ ؛ لشدَّتِها ، مثَّلَ تهويلَهُم وما يظهرُ منهُ بسحابٍ لهُ برقٌ ورعدٌ مصحوبٌ بريح شديدةٍ ثمَّ لا يمطرُ ، فهوَ وهُم لا خيرَ فيهِم .

وقالَ طرفةُ بنُ العبدِ (٣):

وَعَمْراً وَعَوْفاً مَا تَشِي وَتَقُولُ

فَرَّقَ عَنْ بَيْتَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٢/٤ ـ ٣ ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Upsilon/\Sigma$  ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda/\xi$  ) .

شَامِيَّةٌ تَزْوي ٱلْـوُجُـوهَ بَـلِـيلُ تَـذَاءَبَ مِـنْـهَا مُـرْزِغٌ وَمُـسِـيلُ إِذَا ذَلَّ مَـوْلَى ٱلْـمَـرْءِ فَـهْـوَ ذَلِيـلُ حَصَاةٌ عَلَىٰ عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

أرادَ بالبيتَينِ : العصبةَ وذوي الأرحام ، وقصدَ تخليصَهُ بالهجاءِ وإخراجَهُ مِنْ شرفِ أهلِهِ بسوءِ عملِهِ ، ومرزغٌ ومسيلٌ ؛ أي : ذاتُ رزغةٍ \_ وهيَ الوحلُ \_ وسيل .

وقالَ قعنبُ بنُ ضمرةً (١):

وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَدْنَىٰ شَمَالٌ عَريَّةٌ

وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَقْصَىٰ صَباً غَيْرُ قُرَّةٍ

وَأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بِٱلظَّنِّ أَنَّهُ

وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ

إِنْ يَسْمَعُوا ريبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ جَهْلاً عَلَيْنَا وَجُبْناً عَنْ عَدُوِّهِم

إِنْ يَعْلَمُوا ٱلْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا

مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِح دَفَنُوا وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرِّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا لَبِئْسَتِ ٱلْخَلَّتَاذِ ٱلْجَهْلُ وَٱلْجُبُنُ

[ من البسيط ]

ولبعضِهِم زيادةً في هذا المعنى (٢): [ من البسيط ] شَرًا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقالَ محرزُ بنُ المكعبرِ الضبيُّ لبني عديِّ بنِ جندبِ بنِ العنبر <sup>(٣)</sup> : [ من الطويل ]

وَلَيْسَ لِدَهْرِ ٱلطَّالِبِينَ فَنَاءُ يُلَهَّىٰ بِهِ ٱلْمَتْبُولُ وَهْوَ عَنَاءُ

أَبْلِغْ عَدِيّاً حَيْثُ صَارَتْ بِهَا ٱلنَّوَىٰ كُسَالَىٰ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِق

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٢/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « التذكرة الحمدونية » ( ١٥٩/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥/٤ \_ ١٦ ) .

أُخبِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ لَهُمْ [رَيْثَةٌ] تَعْلُو صَرِيمَةَ أَمْرِهِمْ وَإِنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلَىٰ بُطْءِ سَعْيِكُمْ فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا كَأَنَّ دَنَانِيراً عَلَىٰ قَسِمَاتِهِمْ وقالَ سويدُ بنُ مشنوء (۱):

دَعِي عَنْكِ مَسْعُوداً فَلَا تَذْكُرِنَّهُ نَهَيْتُكِ عَنْهُ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي مَضَىٰ وقالَ رجلٌ مِنْ طَيِّعٌ (٢):

إِنَّ آمْراً يُعْطِي ٱلْأَسِنَّةَ نَحْرَهُ يَنُدُمُّونَ لِيَ ٱلدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا

وَلَوْ شِئْتُ قَالَ ٱلْمُنْبِئُونَ أَسَاؤُوا وَلِيلاً مُسْرِ يَوْماً رَاحَةٌ فَقَضَاءُ وَلِيلاً مُسْرِ يَوْماً رَاحَةٌ فَقَضَاءُ كَمَا فِي بُطُونِ ٱلْحَامِلاَتِ رَجَاءُ وَهَلْ كُفَلائِي فِي ٱلْوَفَاءِ سَوَاءُ وَهَلْ كُفَلائِي فِي ٱلْحُرُوبِ غُثَاءُ وَبَعْضُ ٱلرِّجَالِ فِي ٱلْحُرُوبِ غُثَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلْوُجُوهَ لِقَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلْوُجُوهَ لِقَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلْوُجُوهِ لِقَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلْوُجُومِ لِسَبِيلِ [من الطويل] وَلَا يَسْبِيلِ إِلَي بِسُوءٍ وَٱعْرِضِي لِسَبِيلِ وَلَا يَسْبِيلِ وَلَا يَسْبِيلِ

وَرَاءَ قُرِيْسٍ لَا أَعُدُّ لَهُ عَفْلًا فَمَا تَرَكُوا فِيهَا لِمُلْتَمِسٍ ثُعْلَا

[ من الطويل]

يعني : الأمراء في خطبِهِم ، والثعلُ \_ بفتحِ أوَّلِهِ أو ضمِّهِ \_ خلفٌ صغيرٌ زائدٌ في أخلافِ الحلوبةِ .

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٨/٤ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Upsilon \Upsilon \Upsilon = \Upsilon \Upsilon \Upsilon$  ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٣٥/٤ ) .

مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى ٱجْتَرَأْتَ عَلَىٰ رُكُوبِ ٱلْمِنْبَرِ الْمِنْبَرِ الْجِبالُ: ناحيةٌ كانَ الحسنُ المذكورُ يلي إمارتَها.

والنظرُ بطرفِ أخزرَ \_ أي : ينظرُ مِنْ مؤخرِهِ \_ : هوَ نظرُ الاحتقار .

ونزلَ بالراعي النميريِّ رجلٌ مِنْ بني كلابٍ في ركبٍ معَهُ ليلاً في سنةٍ مجدبةٍ ، وقد عزبَتْ عنِ الراعي إبلُهُ ، فنحرَ لهُم ناقةً مِنْ رواحلِهِم ، وصَبَّحَتِ الراعي إبلُهُ ، فأعطىٰ ربَّ النابِ ناباً مثلَها وزادَهُ ناقةً ثنيَّةً ، فقالَ (١):

إِلَىٰ ضَوْءِ نَار بَيْنَ فَرْدَةَ فَٱلرَّحَا وَقَدْ يُكْرَمُ ٱلْأَضْيَافُ وَٱلْقِدُّ يُشْتَوَىٰ بَكَوْا وَكِلَا ٱلْحَيَّيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَيْ يَشُدُّ مِنَ ٱلْجُوعِ ٱلْإِزَارَ عَلَى ٱلْحَشَا وَوَطَّأْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَٱلْقِرَىٰ هِجَاناً مِنَ ٱللَّاتِي تَمَتَّعْنَ بٱلصُّوى وَلِلهِ عَيْنَا حَبْتَر أَيَّمَا فَتَيٰ فَإِنْ يَجْبُرِ ٱلْعُرْقُوبُ لَا يَرْفَأَ ٱلنَّسَا مَضَىٰ غَيْرَ مَنْكُوبِ وَمُنْصُلَهُ ٱنْتَضَىٰ جَلَوْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِيَ فَٱنْجَلَىٰ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُصْطَلَىٰ

عَجِبْتُ مِنَ ٱلسَّارِينَ وَٱلرِّيحُ قَرَّةٌ إِلَىٰ ضَوْءِ نَار يَشْتَوي ٱلْقِدَّ أَهْلُهَا فَلَمَّا أَتَوْنَا فَٱشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمُ بَكَىٰ مُعْوزٌ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ سَمِينَةٍ فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتَ عَريكَةٍ فَأَوْمَأْتُ إِيمَاءً خَفِيّاً لِحَبْتَرِ وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَرِ أَنَّ حَبْتَراً كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٣٥/٤ ـ ٣٧ ) .

وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةُ عِنْدَنَا بِسِتِّينَ أَبْقَتْهَا ٱلْأَخِلَّةُ وَٱلْخَلَا فَاتُبُ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي ٱلْحَيَا فَقُلْتُ لِرَبِّ ٱلنَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي ٱلْحَيَا

القَرَّةُ - بفتح القافِ - : الباردةُ ، وفَردةُ - بفتحِ أولِهِ - والرحا : موضعانِ ، قصدَ تعيينَ منزلِهِ ، والقِدُّ : الجلدُ ، والإنسانُ إذا جاعَ . . يأكلُ كلَّ ما لانَ ، والعريكةُ : السَّنامُ ، والصُّوىٰ : جمعُ صُوَّةٍ بضمِّ الصَّادِ ؛ الأرضُ الغليظةُ ، ويُروى : الصَّوىٰ ؛ مصدرُ صَوِيَ كفَرِحَ ؛ أي : خلا الضَّرعُ مِنَ اللبنِ ، وتمتعُ الناقةُ بهِ أنَّها لا تحلبُ ، فهيَ حائلٌ تربي لحماً وشحماً ، وقولُهُ : ( ألصقْ بأيبسِ ساقِها ) معناهُ : بالغْ في القطعِ ليسيلَ دمُها مِنْ مسيلٍ لا ينقطعُ سيلانُهُ علي بأيبسِ ساقِها ) معناهُ : بالغْ في القطعِ ليسيلَ دمُها مِنْ مسيلٍ لا ينقطعُ سيلانُهُ حتىٰ يفنى الدمُ وهوَ النَّسَا ، ورقاً الدمُ والدمعُ : انقطعَ ، والأخلةُ : جمعُ خلالٍ ؛ جمعُ خلالٍ ؛ جمعُ خلالٍ ؛ وهوَ الغطاءُ ، وأرادَ حينَئذٍ : أنَّ حفظَها مِنَ البردِ بالوقاءِ ورعيَها أبقياها جلالٍ ؛ وهوَ الغطاءُ ، وأرادَ حينَئذٍ : أنَّ حفظَها مِنَ البردِ بالوقاءِ ورعيَها أبقياها أو أنقياها ؛ أي : أكثرا فيها النقيَ ؛ وهوَ مُثُ العظامِ ، وهُما روايتانِ ، والحيا : المطرُ ، يُسمَّىٰ بهِ النباتُ مجازاً للسببيةِ ، ويُتجوَّزُ عنِ النباتِ للشَّحمِ ، فهوَ مجازٌ عن مجازٍ .

فقالَ الحلالُ بنُ أرقمَ المُلقَّبُ بالخنزرِ النميريِّ (١): [من الطويل]

تَعَشَّوْنَ مِنْهَا وَهْيَ مُلْقَى قَتُودُهَا عَلَىٰ طُنُبِ ٱلْفَقْمَاءِ مُلْقَى قَدِيدُهَا بِلَيْلَةِ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُهَا إِذَا نَزَلَ ٱلْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا بَرَاذِينُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا بَرَاذِينُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

بَنِي قَطَنٍ مَا بَالُ نَاقَةِ ضَيْفِكُمْ غَدَا ضَيْفِكُمْ غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةُ رَحْلِهِ وَبَاتَ ٱلْكِلَابِيُّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ وَبَاتَ ٱلْكِلَابِيُّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ أَمَنْ يَنْقُصُ ٱلْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةً كَالَّا ثَكُمُ إِنْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا كَانَّا كُمُ إِنْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا كَانَّا كُمُ إِنْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٣٧/٤ ـ ٣٨ ) .

فَمَا فَتَحَ ٱلْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءَةٍ بَنِي قَطَنِ إِلَّا وَأَنْتُمْ شُهُودُهَا

تَعشُونَ ؛ أي : تَتعشُونَ ، حُذِفَتْ منهُ تاءٌ ، والقَتودُ : عدةُ الجملِ ، والفقماءُ : زوجةُ الراعي ، وأصلُ الفقمِ : خروجُ الثنايا السُّفليٰ حتىٰ لا تقعَ عليها العليا ، والقديدُ : اللحمُ يُشرَحُ ليُجفَّفَ ، وكانَ يُنشَرُ علىٰ أطنابِ البيوتِ ؛ وهيَ الحبالُ التي تُشدُّ بها .

ولا حقَّ لهاذا الهاجي في هجائِهِ بعدَما صنعَ الراعي ، ولذلكَ أجابَهُ عن فريتِهِ بقولِهِ (۱):

بسَيْفِي وَضِيفَانُ ٱلشِّتَاءِ شُهُودُهَا مَاذَا نَكِرْتُمْ مِنْ قَلُوص نَحَرْتُهَا فَرَاحَ عَلَىٰ عَنْسِ بِأُخْرَىٰ يَقُودُهَا فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا وَأُمَّكَ إِذْ يُحْدَىٰ إِلَيْنَا قَعُودُهَا قَرَيْتُ ٱلْكِلَابِيَّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ رَفَعْنَا لَهَا نَاراً تُثَقَّبُ لِلْقِرَىٰ وَلِقْحَةَ أَضْيَافٍ طَوِيلاً رُكُودُهَا جَوَانِبُهَا حَتَّىٰ نَبِيتَ نَذُودُهَا إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ ٱلْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ نَعَامَةَ حِزْبَاءٍ تَقَاصَرَ جِيدُهَا إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارقِينَ حَسِبْتَهَا تَبيتُ ٱلْمَحَالُ ٱلْغُرُّ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَىٰ مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا لِكَيْ يُنْزِلَاهَا وَهْيَ حَام حُيُودُهَا بَعَثْنَا إِلَيْهَا ٱلْمُنْزِلَيْنِ فَحَاوَلًا فَبَاتَتْ تَعُدُّ ٱلنَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيع بِأَيْدِي ٱلْآكِلِينَ جُمُودُهَا مَذَاخِرُهَا وَٱرْفَضَّ رَشْحاً وَريدُهَا فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا ٱلْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي ٱلْإِنَاءِ لُبَانَةً أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نُريدُهَا

نَكِرَ الشيءَ وأنكرَهُ: نفرَ منهُ واستقبحَهُ ، والعَنسُ \_ بفتح أوَّلِهِ \_:

<sup>(1)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » (70/8 - 80).

الناقةُ الصلبةُ ، وإثقابُ النارِ وتثقيبُها : إذكاؤُها ، وما بهِ إلَّا ثَقابٌ ثَقوبٌ \_ كوَقودٍ \_ بفتحٍ أَوَّلِهِما ، وأرادَ بلقحةِ الأضيافِ : القِدْرَ ، استعارةٌ رَشَّحَها بقولِهِ : ( إذا أُخلِيَتْ ) أي : أُعطِيَتِ الخلاءَ ، وإرزامُ الناقةِ : حنينُها ، والمحالُ : فقارُ الظهرِ ، الواحدةُ : محالةٌ ، وجعلَها غُرًا لسمنِها ، وشكارى : جمعُ شكرى ؛ وهي في الأصلِ الضَّرعُ الممتلئةُ ، ولذلك قالَ : مَرَاها ؛ أي : اعتصرَها ، والخُلاصةُ : أنَّ الماءَ بحرارتِهِ استخرجَ ما فيها .

وقولُهُ: ( فباتَتْ تَعُدُّ النجمَ ) أي: أُمُّكَ باتَتْ تنظرُ في مَرَقِ القِدْرِ ، وهوَ المرادُ بالمُستحيرةِ ؛ مِنْ قولِهِمُ: استحارَ الماءُ ؛ أي: دارَ حتى ملأَ قرارتَهُ ، وتَعُدُّ النجمَ: إمَّا مِنَ العَدِّ الحسبانيِّ أو الحسابيِّ ، فالأوَّلُ: يصفُ المرقةَ بالدُّسومةِ حتى تَمثَّلَ فيها صورةُ النجومِ ، والثاني : يقولُ : إنَّ الثريا تَمثَّلَتْ في بالدُّسومةِ حتى تَمثَّلَ فيها صورةُ النجومِ ، والثاني : يقولُ : إنَّ الثريا تَمثَّلَتْ في الإناءِ لكونِها محاذيةً للرؤوسِ ؛ إذ كانَ الوقتُ في وسطِ الشتاءِ ، والعكيسُ : لبن يُصَبُّ عليهِ مَرَقٌ ، وتَملَّأَتْ مذاخرُها : أي : المواضعُ التي تَذخَرُ فيها الأغذيةُ ، ووصفَها بغايةِ الشَّرَهِ حيثُ تَملَّأَتْ جدًا حتى تَصبَّبَ عَرَقُها ، وذلكَ في قولِهِ : ( وارفضَّ رشحاً وريدُها ) .

وقولُهُ: (ولمَّا قضتْ مِنْ ذي الإناءِ لُبانةً) أي: ولمَّا شبعَتْ فوقَ كفايتِها \_ فإنَّ اللبانة بعدَ الحاجةِ الأصليَّةِ \_ اغتلمَتْ ، وطوىٰ ذلكَ في قولِهِ: (أرادَتْ إلينا حاجةً لا نريدُها) يُقالُ: أرادَ إليهِ ، وطلبَ إليهِ كذا ، والحُيُودُ: جمعُ حَيدٍ بفتح أوَّلِهِ ، المرادُ منها هنا: الجوانبُ .

وقالَ رجلٌ مِنْ أسدٍ (١):

[ من البسيط ]

جَهْدَ ٱلنُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ ٱلْأُزُرَا وَعَانَقَ ٱلْمُجْدَ مَنْ أَوْفَىٰ وَمَنْ صَبَرَا

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَٱلسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا فَكَابَرُوا ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ مَلَّ أَكْثَرُهُمْ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( $\xi \cdot /\xi$ ).

لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ وقالَ آخَرُ (١):

وَمُسْتَعْجِلٍ بِٱلْحَرْبِ وَٱلسِّلْمُ حَظُّهُ وَحَارَبَ فِيهَا بِٱمْرِئَ حِينَ شَمَّرَتْ فَأَعْطَى ٱلَّذِي يُعْطِي ٱلذَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ وقالَ آخَرُ (٢):

كَاثِرْ بِسَعْدِ إِنَّ سَعْداً كَشِيرَةً وَلَا تَدْعُ سَعْداً لِلْقِرَاعِ وَخَلِّهَا وَلَا تَدْعُ سَعْداً لِلْقِرَاعِ وَخَلِّهَا يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو جُسُومُهَا وقالَ آخَرُ (٣):

أَعَارِيبٌ ذَوُو فَخْرٍ بِإِفْكٍ رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلاً

أي : ورضوا بحسنِ القُولِ بدلَ حسنِ الفَعالِ .

وقالَ آخَرُ (١):

هَ جَوْتُ ٱلْأَدْعِيَاءَ فَنَاصَبَتْنِي فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَويلاً

لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا [من الطويل]

فَلَمَّا ٱسْتُثِيرَتْ كَلَّ عَنْهَا مَحَافِرُهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِعْجَازٍ لَئِيمٍ مَكَاسِرُهُ لَهُ سَعْيُ صِدْقٍ قَدَّمَتْهُ أَكَابِرُهُ [من الطويل]

وَلَا تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا إِذَا أَمِنَتْ وَنَعْتَهَا ٱلْبَلَدَ ٱلْقَفْرَا وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا [من الوافر]

وَأَلْسِنَةٍ لِطَافٍ فِي ٱلْمَقَالِ وَحُسْنِ ٱلْفَعَالِ وَحُسْنِ ٱلْفَعَالِ

[ من الوافر ]

مَعَاشِرُ خِلْتُهَا عَرَباً صِحَاحَا عَلَي فَلَمْ أُجِبْ لَهُمُ نُبَاحَا

<sup>(</sup>١) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ٤٠/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٤٤/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٤٤/٤ \_ ٤٥ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٤٥/٤ \_ ٤٦ ) .

وَأَدْفَعَ عَنْكُمُ ٱلشَّتْمَ ٱلصُّرَاحَا أَمِنْهُمْ أَنْتُمُ فَأَكُفَّ عَنْكُمْ سَأَنْفِي عَنْكُمُ ٱلتُّهَمَ ٱلْقِبَاحَا وَإِلَّا فَاحْمَدُوا رَأْيِسِ فَإِنِّسِي وَحَسْبُكَ تُهْمَةً بِبَرِيءِ قَوْم يَضُمُّ عَلَىٰ أَخِي سَقَم جَنَاحَا وقالَ فرعانُ بنُ الأعرفِ في ابنِهِ مُنازلٍ (١):

[ من الطويل ]

جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ ٱلدَّيْنَ طَالِبُهُ يَكَادُ يُسَاوي غَارِبَ ٱلْفَحْلِ غَارِبُهُ قَريباً وَذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْبَعِيدِ أُقَارِبُهُ لَـوَىٰ يَـدَهُ ٱللهُ ٱلَّـذِي هُـوَ غَـالِبُـهُ مِنَ ٱلزَّادِ أَحْلَىٰ زَادِنَا وَأَطَايبُهُ أَخَا ٱلْقَوْم وَٱسْتَغْنَىٰ عَنِ ٱلْمَسْحِ شَارِبُهُ أَشَاءُ نَخِيل لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهْ حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَاربُهُ يَدَاكَ يَدَيْ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازلٍ لَرَبَّيْتُهُ حَتَّىٰ إِذَا آضَ شَيْظُماً فَلَمَّا رَآنِي أُبْصِرُ ٱلشَّخْصَ أَشْخُصاً تَغَمَّدَ حَقِّى ظَالِماً وَلَوَىٰ يَدِي وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَيْ وَرَبَّيْتُهُ حَتَّىٰ إِذَا مَا تَرَكْتُهُ وَجَمَّعْتُهَا دُهْماً جِلَاداً كَأَنَّهَا فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيباً كَأَنَّنِي أَإِنْ أُرْعِشَتْ كَفًّا أَبِيكَ وَأَصْبَحَتْ انتهى المنقولُ مِنْ بابِ الهِجاءِ .

ودونَكَ ما يُستحسَنُ مِنْ بابِ الأضيافِ والمديح.

قالَ مرَّةُ بنُ محكانَ التميميُّ (٢): [ من البسيط ]

ضُمِّي إِلَيْكِ رِحَالَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْقُرْبَا يَا رَبَّةَ ٱلْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩/٤ \_ ١٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٢٠/٤ \_ ٦٣ ) .

لَا يُبْصِرُ ٱلْكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا ٱلطُّنُبَا حَتَّىٰ يَلُفَّ عَلَىٰ خَيْشُومِهِ ٱلذَّنبَا فِي جَانِبِ ٱلْبَيْتِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَبَا مَنْ كَانَ يَكْرَهُ ذَمّاً أَوْ يَقِي حَسَبَا مِثْلَ ٱلْمُجَادِلِ كُومٌ بَرَّكَتْ عُصَبَا جَلْس فَصَادَفَ مِنْهُ سَاقُهَا عَطَبَا لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي سَرْحِنَا ٱنْتَحَبَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتَبَا كَمَا تُنَشْنِشُ كَفَّا فَاتِلِ سَلَبَا غَدِّي بَنِيكِ فَلَنْ تَلْقَيْهِم حِقَبَا وَقَدْ عَمِرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا أَنْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَراً نُجُبَا

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَىٰ ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يَنْبَحُ ٱلْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَاذَا تَرَيْنَ أَنُدْنِيهِمْ لِأَرْحُلِنَا لِمُرْمِلِ ٱلزَّادِ مَعْنِيّ بِحَاجَتِهِ وَقُمْتُ مُسْتَبْطِناً سَيْفِي فَأَعْرَضَ لِي فَصَادَفَ ٱلسَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُتْلِيَةٍ زَيَّافَةٍ بنْتِ زَيَّافٍ مُلذَكَّرَةٍ أَمْطَيْتُ جَازِرَنَا أَعْلَىٰ سَنَاسِنِهَا يُنَشْنِشُ ٱللَّحْمَ عَنْهَا وَهْيَ بَارِكَةٌ وَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا أُدْعَىٰ أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِم أَنَا ٱبْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِي بَنُو مَطَرِ

وقالَ أبو زيادِ الأعرابيُّ الكلابيُّ (''): لَـهُ نَـارٌ تُـشَـبُُ عَـلَـىٰ يَـفَـاعٍ وَلَـمْ يَـكُ أَكْثَرَ ٱلْفِـتْـيَـانِ مَـالاً

إِذَا ٱلنِّيرَانُ أُلْبِسَتِ ٱلْقِنَاعَا وَلَاكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

[ من الوافر ]

اليفاعُ: المُرتفِعُ مِنَ الأرضِ، وكانَ مِنْ عادتِهِم إيقادُ النارِ على رؤوسِ المرتفعاتِ؛ ليبصرَها الساري فيقصدَها.

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٧١/٤ ) .

وقالَ آخَرُ (١):

سَأَشْكُرُ عَمْراً إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ رَأَىٰ خَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ رَأَىٰ خَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ رَأَىٰ خَيْرُ مَحْبُونُ مَكَانُهَا وَاللَّهُ مَكَانُهَا وَقَالَ آخَرُ (٢):

تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ ٱلذِّئْبَ رَاعِيَهَا الذِّئْبَ رَاعِيَهَا الذِّئْبُ يَطْرُقُهَا فِي ٱلدَّهْرِ وَاحِدَةً وقالَ العرندسُ (٣):

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ إِنْ يُسْأَلُوا ٱلْحَقَّ يُعْطَوْهُ وَإِنْ خُبِرُوا وَإِنْ شُهِمُوا وَإِنْ شُهِمُوا وَإِنْ شُهِمُوا فِينْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ ٱلْمَجْدُ مُتَّلِداً لَا يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا مَنْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مَنْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ

[ من الطويل ]

أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ وَلَا مُظْهِرِ ٱلشَّكْوَىٰ إِذَا ٱلنَّعْلُ زَلَّتِ وَلَا مُظْهِرِ ٱلشَّكْوَىٰ إِذَا ٱلنَّعْلُ زَلَّتِ فَكَانَتْ قَذَىٰ عَيْنَيْهِ حَتَّىٰ تَجَلَّتِ فَكَانَتْ قَذَىٰ عَيْنَيْهِ حَتَّىٰ تَجَلَّتِ

وَأَنَّهَا لَا تَرانِي آخِرَ ٱلْأَبَدِ وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةً بِيَدِي وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةً بِيَدِي

سُوّاسُ مَ كُرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ فِي ٱلْجَهْدِ أُدْرِكَ مِنْهُمْ طِيبُ أَخْبَارِ كَشَّفْتَ أَذْمَارَ شَرِّ غَيْرَ أَشْرَارِ وَلَا يُسعَدُّ نَشَا خِنْيٍ وَلَا عَارِ وَلَا يُسعَدُّ نَشَا خِنْيٍ وَلَا عَارِ وَلَا يُسمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْشَارِ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

شُهِمُوا : بالبناءِ للمجهولِ مِنْ شَهَمَ كَمَنَعَ ؛ أي : حُرِّكَ للشرِّ وأفزعَ .

<sup>(</sup>١) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ٦٩/٤ \_ ٧٠ ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Upsilon$  ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٧٢/٤ ) .

وقالَ آخرُ (١):

رَهَنْتُ يَدِي بِٱلْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بِرِّهِ

وَلَوْ كَانَ شَيْئاً يُسْتَطَاعُ ٱسْتَطَعْتُهُ

وقالَ الحسينُ بنُ مطيرٍ الأسديُّ (٢):

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ فَيهُ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ فَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْجُودِ مِنْ كَفِّهِ ٱلنَّدَىٰ وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ خَلَّىٰ عِقَابَهُ وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْجُودِ خَلَّىٰ يَمِينَهُ وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْجُودِ خَلَّىٰ يَمِينَهُ

وقالَتْ ليلي الأخيليةُ (٢):

يَا أَيُّهَا ٱلسَّدِمُ ٱلْمُلَوِي رَأْسَهُ أَتُرِيدُ عَمْرَو بْنَ ٱلْخَلِيعِ وَدُونَهُ إِنَّ ٱلْخَلِيعَ وَرَهْ طَهُ فِي عَامِرٍ لاَ تَغْزُونَّ ٱلدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ وَمُخَرَّقٌ عَنْهُ ٱلْقَمِيصُ تَخَالُهُ حَتَّىٰ إِذَا رُفِعَ ٱللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ حَتَّىٰ إِذَا رُفِعَ ٱللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ

[ من الطويل ]

وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشَّكُورِ مَزِيدُ وَلَاكِنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

وَيَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ وَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ مِنْ كَفِّهِ ٱلدَّمُ عَلَى ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُجْرِمُ عَلَى ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُعْدِمُ عَلَى ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُعْدِمُ

لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ بَرِيمَا كَعْبُ إِذاً لَوَجَدْتَهُ مَرْؤُومَا كَعْبُ إِذاً لَوَجَدْتَهُ مَرْؤُومَا كَالْقَلْبِ أُلْبِسَ جُؤْجُؤاً وَحَزِيمَا لَا ظَالِماً أَبَداً وَلَا مَظْلُومَا وَسُطَ ٱلْبُيُوتِ مِنَ ٱلْحَيَاءِ سَقِيمَا وَسُطَ ٱلْبُيُوتِ مِنَ ٱلْحَيَاءِ سَقِيمَا تَحْتَ ٱللِّوَاءِ عَلَى ٱلْخَمِيس زَعِيمَا تَحْتَ ٱللِّوَاءِ عَلَى ٱلْخَمِيس زَعِيمَا

السَّدِمُ: النادمُ، أوِ اللَّجوجُ، أو هوَ مُستعارٌ مِنْ فحلِ الإبلِ الممنوعِ ناحيةً عنِ الدُّخولِ في الإبلِ، فهوَ يهدرُ وحدَهُ، والمُلَوِّي رأسَهُ: المُتكبِّرُ جهلاً، والبَريمُ: أصلُهُ: حبلٌ يُفتَلُ مِنْ قُوىً مختلفةِ الألوانِ، مُستعارٌ للجيشِ مِنَ الأخلاطِ.

<sup>(1)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » (Y7/8).

<sup>(</sup> $\mathbf{Y}$ ) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( $\mathbf{Y}$  $\mathbf{Y}$  $\mathbf{Y}$ ).

<sup>(\*)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » ( 7/2 – 7/2 ) .

[ من الكامل ]

حَتَّىٰ يَدِبَّ عَلَى ٱلْعَصَا مَذْكُورَا جَزَعاً وَتَعْلَمُنَا ٱلرِّفَاقُ بُحُورَا مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ ٱلصُّرَاخُ بُكُورَا مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ ٱلصُّرَاخُ بُكُورَا

شُوسُ ٱلرِّجَالِ خُضُوعَ ٱلْجُرْبِ لِلطَّالِي لَمُوسُ ٱلرِّجَالِ خُضُوعَ ٱلْجُرْبِ لِلطَّالِي لَا خَوْفَ إِجْلَالِ لَا خَوْفَ إِجْلَالِ [من الطويل]

مُنَاخُ ٱلْمَطَايَا مِنْ مِنىً فَٱلْمُحَصَّبُ
تَمُرُّ وَسِهْواءً مِنَ ٱللَّيْلِ يَذْهَبُ
طَوِي ٱلْبَطْنِ مَمْشُوقُ ٱلذِّرَاعَيْنِ شَرْجَبُ
عَلَيْكَ وَمَنْزُورُ ٱلرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ
بِهِ ٱلرَّكْبُ وَٱلتِّلْعَابَةُ ٱلْمُتَحَبِّبُ

وقالَتْ \_ وقيلَ : هيَ لأبيها \_ ('') : نَحْنُ ٱلْأَخَايِلُ لَا يَزَالُ غُلَامُنَا تَبْكِي ٱلسُّيُوفُ إِذَا فَقَدْنَ أَكُفَّنَا وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ وقالَ آخَرُ ('') :

إِذَا ٱنْتَدَىٰ وَٱحْتَبَىٰ بِٱلسَّيْفِ دَانَ لَهُ كَأَنَّمَا ٱلطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ هَامِهِمِ وَقَالَ العجيرُ السَّلُوليُّ ("):

أَقُولُ لِعَبْدِ ٱللهِ وَهْناً وَدُونَنَا لِكَ ٱلْخَيْرُ عَلِّلْنَا بِهَا عَلَّ سَاعَةً فَكَامَ فَأَدْنَى مِنْ وِسَادِي وِسَادَهُ فَقَامَ فَأَدْنَى مِنْ وِسَادِي وِسَادَهُ بَعِيدٌ مِنَ ٱلشَّيْءِ ٱلْقَلِيلِ ٱحْتِفَاظُهُ هُو ٱلظَّفِرُ ٱلْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا هُوَ ٱلظَّفِرُ ٱلْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

أولُ الشعرِ غزلٌ ؛ فإنَّهُ أرادَ بضميرِ (ودونَنا) نفسَهُ وحبيبتَهُ ، والكنايةُ في قولِهِ : (لكَ الخيرُ علِّلْنا بها) عن حبيبتِهِ ، وسهواءٌ مِنَ الليلِ ، ويُروى : وتِهْواء بكسرِ التاءِ ؛ أي : جانبٌ منهُ ، والشَّرْجَبُ : الطَّويلُ ، والاحتفاظُ : الغضبُ ؛ أي : لا يغضبُ عليكَ غضبَ السُّفهاءِ مِنَ الشيءِ الذي لا خطرَ الغضبُ ؛ أي : لا يغضبُ عليكَ غضبَ السُّفهاءِ مِنَ الشيءِ الذي لا خطرَ

<sup>(1)</sup> انظر « شرح ديوان الحماسة » ( VV/E ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $\Lambda \Upsilon / \xi$  ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ۸۰/٤ ) .

لهُ ، فإن جاء موضعُ الغضبِ . . فهوَ قليلُ الرضا ، فبقيةُ الشعرِ مدحٌ لصاحبِهِ عبدِ اللهِ .

وقالَ حجرُ بنُ خالدٍ يمدحُ النعمانَ بنَ المنذرِ (١): [ من الطويل ]

سَمِعْتُ بِفِعْلِ ٱلْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ فَسَاقَ إِلَهِي ٱلْغَيْثَ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ فَأَصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ مَتَىٰ تُنْعَ يُنْعَ ٱلْجُودُ وَٱلْبَأْسُ وَٱلتُّقَىٰ فَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنَّكَ سَعْيُهُ وقالَ آخَرُ (٢): [ من الطويل ]

> وَمُسْتَنْبِح بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ دَعَوْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ فَإِنْ شِئْتَ أَثْوَيْنَاكَ فِي ٱلْحَيّ مُكْرَماً وقالَ آخَرُ (٣):

> وَمُسْتَنْبِح تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ يُصَفِّقُهُ أَنْفٌ مِنَ ٱلرِّيحِ بَارِدٌ حَبِيبٌ إِلَىٰ كَلْبِ ٱلْكَرِيم مُنَاخُهُ

كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْماً وَنَائِلًا إِلَيْكَ فَأَضْحَىٰ حَوْلَ بَيْتِكَ نَازلًا مِنَ ٱلْأَرْضِ مَسْفُوحَ ٱلْمَذَانِبِ سَائِلًا وَتُصْبِحْ قَلُوصُ ٱلْحَرْبِ جَرْبَاءَ حَائِلًا وَلَا سُوفَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلًا

بِشَقْرَاءَ مِثْلِ ٱلْفَجْرِ ذَاكٍ وَقُودُهَا بِمُوقِدِ نَارِ مُحْمِدٍ مَنْ يَرُودُهَا مِنَ ٱلدُّهْم مِبْطَاناً طَوِيلاً رُكُودُهَا وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضاً تُرِيدُهَا [ من الطويل ]

إِلَىٰ كُلِّ شَخْصٍ فَهْوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ وَنَكْبَاءُ لَيْلِ مِنْ جُمَادَىٰ وَصَرْصَرُ بَغِيضٌ إِلَى ٱلْكَوْمَاءِ وَٱلْكَلْبُ أَبْصَرُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٨٩/٤ . ٩٠ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ٩٠/٤ \_ ٩١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩١/٤ - ٩٣ ) .

وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضْأَةُ ٱلنَّارِ يُبْصِرُ فَأَسْرَىٰ يَبُوعُ ٱلْأَرْضَ وَٱلنَّارُ تَزْهَرُ فَأَسْرَىٰ يَبُوعُ ٱلْأَرْضَ وَٱلنَّارِ أَبْشِرُوا هَلُمَّ وَلِلصَّالِينَ بِٱلنَّارِ أَبْشِرُوا إِلَيْهَا وَدَاعِي ٱللَّيْلِ بِٱلصَّبْحِ يَصْفِرُ عَلَىٰ أَهْلِهِ وَٱلْحَتُ لَا يَتَاتَّرُ وَالنَّهُ وَٱلْحَتْ لَا يَتَاتَّرُ وَا وَٱلْمَوْتُ فِي ٱلسَّيْفِ يَنْظُرُ بَلَاءً وَحَيْرُ ٱلْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ بَلَاءً وَحَيْرُ ٱلْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ بِلِاءً وَحَيْرُ ٱلْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ بِلَاءً وَخَيْرُ ٱلْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ بِنِكُ السَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ بِنِكُ اللَّهَ يَعْمُ وَقُوهَا يَتَغَرْغَرُ وَفُوهَا يَتَغَرْغَرُ

مساقطُ الرأسِ: ميلاتُهُ، فهوَ مصدرٌ، إلىٰ كلِّ شخصٍ؛ أي: شيءٍ قائمٍ يرجوهُ إنساناً، والسمعُ: التسمعُ، وهوَ لهُ أصورُ؛ أي: مائلُ الرأسِ لأجلِهِ، وصفَّقَهُ أنفُ الريحِ؛ أي: ضربَهُ أوَّلُهُ، وحضاً النارَ: أذكاها فرفعَها، والبهازرُ]: السِّمانُ، الواحدُ [بهزرةٌ] أو [بهزورةٌ] أو [بهزارٌ]، وأوفضنَ عنها: تَفرَّقنَ، والحُشاشةُ: بقيةُ النفسِ، نُصِبَ تمييزاً، وعُريانُ: غيرُ مصروفِ ضرورةً.

وقالَ عمرُو بنُ الأهتمِ ('): [من الطويل] ذرينِي فَإِنَّ ٱلشُّعَ يَا أُمَّ هَيْتَمٍ لِصَالِحِ أَخْلَقِ ٱلرِّجَالِ سَرُوقُ ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي عَلَى ٱلْحَسَبِ ٱلزَّاكِي ٱلرَّفِيعِ شَفِيقُ ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي عَلَى ٱلْحَسَبِ ٱلزَّاكِي ٱلرَّفِيعِ شَفِيقُ ذَرِينِي فَإِنِّي ذُو فَعَالٍ تُهِمُّنِي نَوَائِبُ يَغْشَىٰ رُزْؤُهَا وَحُقُوقُ ذَرِينِي فَإِنِّي ذُو فَعَالٍ تُهِمُّنِي

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٤/٤ ) .

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي ٱلذَّمَّ بِٱلْقِرَىٰ وَلِلْحَقِّ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ طَرِيقُ لَعَمْرُكِ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ ٱلرِّجَالِ تَضِيقُ لَعَمْرُكِ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ ٱلرِّجَالِ تَضِيقُ العَمْرُكِ مَا ضَاقَتْ عَيرُ مَفَارَقٍ ، استُعِيرَ الصَّاحِبُهُ ، فهوَ موافقٌ غيرُ مفارقٍ ، استُعِيرَ للموافقةِ .

وقالَ عروةُ بنُ الوردِ (١١):

إِنِّي ٱمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِيَ شِرْكَةٌ أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَىٰ أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَىٰ أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ العُفاةُ: طُلَّابُ المعروفِ.

وقالَ آخَرُ (۲):

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى ٱلْغِنَىٰ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ إِلَّا غِنىً زَيَّنَ ٱلْفَتَىٰ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ إِلَّا غِنىً زَيَّنَ ٱلْفَتَىٰ وقالَ آخَرُ (٣):

أَيَا بْنَةَ عَبْدِ ٱللهِ وَٱبْنَةَ مَالِكِ إِذَا مَا صَنَعْتِ ٱلزَّادَ فَٱلْتَمِسِي لَهُ أَخَا طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي وَإِنَّنِي وَإِنَّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً

[ من الطويل ]

وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ بِوَجْهِي شُحُوبَ ٱلْحَقِّ وَٱلْحَقُّ جَاهِدُ وَأَحْسُو قَرَاحَ ٱلْمَاءِ وَٱلْمَاءُ بَارِدُ

[ من الطويل ]

وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي ٱلْقُلُوبِ جَلِيلُ عَشِيَّةَ يَقْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ [من الطويل]

وَيَا بْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ ٱلْعَبْدِ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٤/٤ \_ ٩٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٩٥/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠٠/٤ \_ ١٠١ ) .

وقالَ آخَرُ (١):

وَلَيْسَ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ جُلُّ هَمِّهِ وَلَيْسَ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

وقالَ حسانُ بنُ حنظلةَ الطَّائِيُّ (٢): تِلْكَ ٱبْنَةُ ٱلْعَدُوِيِّ قَالَتْ بَاطِلاً إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيكِ يَحْمَدُ ضَيْفُنَا وَأَنَا ٱمْرُؤُ مِنْ آلِ حَيَّةَ مَنْصِبِي وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي أَحْلَامُنَا تَنِنُ ٱلْجِبَالَ رَزَانَةً

وقالَ النمريُّ ويُقالُ : إنَّها لرجل مِنْ باهلةَ (٢) :

وَدَاعِ دَعَا بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ كَأَنَّمَا فَلَمَّا سَمِعْتُ ٱلصَّوْتَ نَادَیْتُ نَحْوَهُ فَلَمَّا سَمِعْتُ ٱلصَّوْتَ نَادَیْتُ نَحْوَهُ فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا فَلَدَمَّا رَآنِي كَبَّرَ ٱللهَ وَحْدَهُ فَلَدَمَّا لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً وَقُدْمَتُ إِلَى بَرْكٍ هِجَانٍ أُعِدُّهُ وَقُدْمَتُ إِلَى بَرْكٍ هِجَانٍ أُعِدُّهُ بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ

[من الطويل] صَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَىٰ فَفَضْلُ غَبُوقِ

لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيتِ لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيتِ

أَذْرَىٰ بِقَوْمِكَ قِلَّهُ ٱلْأَمْوَالِ وَيَسُودُ مُقْتِرُنَا عَلَى ٱلْإِقْلَالِ وَبَنُو جُوَيْنٍ فَٱسْأَلِي أَخْوَالِي مُرْدٌ عَلَى جُرْدِ ٱلْمُتُونِ طِوَالِ وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى ٱلْجُهَّالِ

[ من الطويل ]

يُقَاتِلُ أَهْ وَالَ ٱلسُّرَىٰ وَتُقَاتِلُهُ

بِصَوْتٍ كَرِيمِ ٱلْجَدِّ حُلْوٍ شَمَائِلُهُ

وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهْوَ فِي ٱلْبَيْتِ دَاخِلُهُ

وَبَشَّرَ قَلْباً كَانَ جَمَّا بَلَابِلُهُ

رَشِدْتَ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أُسَائِلُهُ

لِوَجْبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهُ

مِنَ ٱلْأَرْض لَمْ تَخْطَلْ عَلَىَّ حَمَائِلُهُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٠١/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٤ \_ ١٠٦ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١١١/٤ \_ ١١٣ ) .

فَجَالَ قَلِيلاً وَأَتَّ قَانِي بِخَيْرِهِ بِقَرْمٍ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كَانَ فَحْلُهَا فَخَرَّ وَظِيفُ ٱلْقَرْمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِمِثْلِهِ

سَنَامِاً وَأَمْلَاهُ مِنَ ٱلنَّيِّ كَاهِلُهُ طَوِيلِ ٱلْقِرَىٰ لَمْ يَعْدُ أَنْ شَقَّ بَازِلُهْ وَذَاكَ عِقَالٌ لَا يُنَشَّطُ عَاقِلُهُ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيماً أَوَائِلُهُ

مثلُ هلذا لكونِهِ مَدْحَ المرءِ نفسَهُ أفردَهُ الناسُ بعدُ باسمِ الفخرِ ، فيقولونَ في تمييزِ الشعرِ : قالَ يمدحُ ، وقالَ يفتخرُ .

وقالَ حاتِمٌ (١):

وَعَاذِلَةٍ قَامَتْ عَلَيَّ تَلُومُنِي أَعَاذِلُ إِنَّ ٱلْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي وَتُذْكَرُ أَخْلَاقُ ٱلْفَتَىٰ وَعِظَامُهُ وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ وقالَ (۱):

أَكُفُّ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ ٱلْتِمَاسُهَا أَبِيتُ هَضِيمَ ٱلْكَشْحِ مُضْطَمِرَ ٱلْحَشَا وَإِنِّي هَضِيمَ ٱلْكَشْحِ مُضْطَمِرَ ٱلْحَشَا وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَىٰ وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وقالَ جؤيةُ بنُ النضر (٢):

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَىٰ دَرَاهِمُنَا

[ من الطويل ]

كَأَنِّي إِذَا أَعْطَيْتُ مَالِي أَضِيمُهَا وَلَا مُخْلِدِ ٱلنَّفْسِ ٱلشَّحِيحَةِ لُؤْمُهَا مُغَيَّبَةٌ فِي ٱللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا مُغَيَّبَةٌ فِي ٱللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى ٱلنَّفْسِ خِيمُهَا يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى ٱلنَّفْسِ خِيمُهَا

[ من الطويل ]

أَكُفَّ صِحَابِي حِينَ حَاجَاتِنَا مَعَا مِنَ ٱلْجُوعِ أَخْشَى ٱلذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا مِنَ ٱلْجُوعِ أَخْشَى ٱلذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ ٱلزَّادِ أَقْرَعَا وَفَرْجَكَ نَالًا مُنْتَهَى ٱلذَّمِّ أَجْمَعَا وَفَرْجَكَ نَالًا مُنْتَهَى ٱلذَّمِّ أَجْمَعَا

وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خُرُقُ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١١٧/٤ ـ ١١٨ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٢٦/٤ ) .

ظَلَّتْ إِلَىٰ طُرُقِ ٱلْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ لَلْكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ لَلْكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَزِقُ

إِنَّا إِذَا ٱجْتَمَعَتْ يَوْماً دَرَاهِمُنَا مَا يَأْلَفُ ٱلدِّرْهَمُ ٱلصَّيَّاحُ صَرَّتَنَا حَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ حَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ بابُ المدحِ أوسعُ أبوابِ الشعرِ.

وكفى هلذا القَدْرُ مِنْ مدائح « الحماسةِ » .

#### [ نبذةٌ من أشعار الصفاتِ من « ديوانِ الحماسةِ » ]

ودونَكَ مثالَ ما يُسمَّىٰ مِنَ الشعرِ بالصِّفاتِ ؛ وذلكَ لأنَّهُ يذكرُ شيئاً فيأخذُ في متابعةِ أوصافِهِ .

قالَ البعيثُ الحنفيُّ يصفُ ناقةً (١):

طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً وَٱشْتَوَيْتُهَا

[من الطويل]

مُسَانَدَةً سِرَّ ٱلْمَهَارَى ٱنْتَقَيْتُهَا

إِذَا عُدَّ مَجْدُ ٱلْعِيسِ قُدِّمَ بَيْتُهَا

لَّتُ أَبَاهَا رَائِضِ يُهَا وَأُمَّهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا ٱلْحُكْمَ حَتَّىٰ حَوَيْتُهَا وَأُمَّهَا وَأُمَّهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا ٱلْحُكْمَ حَتَّىٰ حَوَيْتُهَا وقالَ عنترةُ بنُ الأخرسِ يصفُ ثعباناً (٢):

بِأَرْقَمَ يَسْقِي ٱلسُّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفِ عَلَى مَنْظِفِ عَلَى مَتْنِهِ أَخْلَاقُ بُرْدٍ مُفَوَّفِ

وَمَجْمَعِ لِيتَيْهِ تَهَاوِيلُ زُخْرُفِ

وَهَاجِرَةٍ يَشْوِي مَهَاهَا سَمُومُهَا مُ فَرَّجَةً مَنْفُوجَةً حَضْرَمِيَّةً فَطُرْتُ بِهَا شَجْعَاءَ قَرْوَاءَ جُرْشُعاً وَجَدْتُ أَبَاهَا رَائِضَيْهَا وَأُمَّهَا

لَعَلَّكَ تُمْنَىٰ مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا تَرَاهُ بِأَجْوَازِ ٱلْهَشِيمِ كَأَنَّمَا كَأَنَّ بِضَاحِي جِلْدِهِ وَسَرَاتِهِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٠/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٠/٤ \_ ١٥١ ) .

كَأَنَّ مُثَنَّىٰ نِسْعَةٍ تَحْتَ حَلْقِهِ إِذَا أَنْسَلَ ٱلْحَيَّاتُ بِٱلصَّيْفِ لَمْ يَزَلْ

بِمَا قَدْ طَوَىٰ مِنْ جِلْدِهِ ٱلْمُتَغَضِّفِ يُشَاعِرُ بَاقِي جُلْبَةٍ لَمْ تُقَرَّفِ

مِنِ استعمالِ جملةِ الرجاءِ في الدعاءِ: ما في صدْرِ هاذا الشعرِ ، دعا عليهِ بأن يُقدَّرَ لهُ ويُصابَ بأرقمَ أو برحلٍ يشبهُ ثعباناً هاذهِ صفتُهُ ، وتغضفُ الجلدِ: تَثنِيهِ ، واستعارَ الأنسالَ الذي هوَ سقوطُ ريشِ الطائرِ لسلخِ الحيَّةِ ؛ فإنَّهُ يُقالُ: سلختِ الحيَّةُ ؛ إذا خلعَتْ ثوبَها ، وأنسلَ الطائرُ ؛ إذا سقطَ ريشُهُ ، ويشاعرُ: مِنْ لبسِ الشعارِ ؛ وهوَ الثوبُ الذي يلي البدنَ ، وأرادَ بالجلبةِ : ثوبَهُ ، ولم يقرفْ : ولم ينقشرْ ، يصفُهُ بصلابةِ جلدِهِ .

وقالَ ملحةُ الجرميُّ يصفُ سحاباً (١):

[ من الطويل ]

حَبِيّاً سَرَىٰ مُجْتَابَ أَرْضٍ إِلَىٰ أَرْضِ اللهٰ يَكَدْ يَقْضِي يُعَرِّبِ ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ يَكَدْ يَقْضِي كَمَا حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إِلَىٰ بَعْضِ كَمَا حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إِلَىٰ بَعْضِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ بِمُنْ هَجِرِ ٱلْأَرْوَاقِ ذِي قَنَعٍ رَفْضِ بِمُنْ هَجِرِ ٱلْأَرْوَاقِ ذِي قَنَعٍ رَفْضِ عَلَىٰ إِثْرِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ عَلَىٰ إِثْرِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ مِنَ ٱلْعَرْفَجِ ٱلنَّهُ عَدْدِيّ ذُو بَادَ وَٱلْحَمْضِ كَنَهْضِ ٱلْمُدَانَىٰ قَيْدُهُ ٱلْمُوعِثِ ٱلنِّقْضِ كَنَهُضِ ٱلْمُدَانَىٰ قَيْدُهُ ٱلْمُوعِثِ ٱلنِّقْضِ

أَرِقْتُ وَطَالَ ٱللَّيْلُ لِلْبَارِقِ ٱلْوَمْضِ نَشَاوَىٰ مِنَ ٱلْإِدْلَاجِ كُدْرِيُّ مُزْنِهِ نَشَاوَىٰ مِنَ ٱلْإِدْلَاجِ كُدْرِيُّ مُزْنِهِ تَسَجَنُّ بِأَجْوَازِ ٱلْفَلَا قُطُرَاتُهُ كَأَنَّ ٱلشَّمَارِيخَ ٱلْعُلَا مِنْ صَبِيرِهِ كُأَنَّ ٱلشَّمَارِيخَ ٱلْعُلَا مِنْ صَبِيرِهِ يُبَارِي ٱلرِّياحَ ٱلْحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ يُبَارِي ٱلرِّياحَ ٱلْمَاءِ ذُو هُوَ مَحْضُهُ يُغَادِرُ مَحْضَ ٱلْمَاءِ ذُو هُوَ مَحْضُهُ يُرَوِّي ٱلْعُرُوقَ ٱلْهَامِدَاتِ مِنَ ٱلْبِلَىٰ يُنْهَضُ مُقْدِماً وَبَاتَ ٱلْحَبِيُّ ٱلْجَوْنُ يَنْهَضُ مُقْدِماً وَبَاتَ ٱلْحَبِيُّ ٱلْجَوْنُ يَنْهَضُ مُقْدِماً

البارقُ: ذو البرقِ ؛ وهوَ عاملُ الحالِ مِنْ قولِهِ: (حبيّاً) ، واجتابَ الأرضَ وجابَها: قطعَها بالسيرِ ، ونشاوى مِنَ الإدلاج: مُستعارٌ لقطع السحابِ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٢/٤ \_ ١٥٣ ) .

المتمايلةِ لثقلِها بكثرةِ مائِها ، والكدرى : أصلُهُ مِنْ صفةِ القطا ، استعارَهُ لِمَا في لونِهِ كُدرةٌ مِنَ المزنِ ، الصبيرُ : السحابُ الأبيضُ ، والحَبِيُّ الجونُ : السّحابُ الأبيضُ ، ولذلكَ ينهضُ السَّحابُ الأسودُ أو الأبيضُ الذي يشبهُ سيرُهُ لثقلِهِ حبوَ الصَّبيِّ ، ولذلكَ ينهضُ كما ينهضُ البعيرُ المُقارَبُ قيدُهُ ، الذي يسيرُ في الوعثاءِ ؛ وهوَ الرملُ الذي تسوخُ فيهِ الأقدامُ ، النقضُ : الهزيلُ الضَّعيفُ .

هاذا ما أورد أبو تمامٍ في بابِ الصِّفاتِ مِنَ «الحماسةِ»، وهاذا النوعُ كثيرٌ، يقولونَ في تمييزِهِ مِنْ دواوينِ الشعرِ: (قالَ يصفُ كذا) إن كانَ الكلامُ مسوقاً للصفةِ، (وقالَ ووصفَ في هاكذا كالأسدِ والذئبِ) إن كانَتِ القصيدةُ في نوعٍ مِنْ أنواعِ المعاني، واستطردَ فيها بصفةِ ما وصفَ.

## [ نبذةٌ مما قيلَ في السيرِ والنعاسِ من « ديوانِ الحماسة »] ثمَّ عَقَّبَهُ بذكرِ بعضِ ما قيلَ في السيرِ والنعاسِ ، قالَ بعضُهُم (١٠):

وَفِتْ يَانٍ بَنَيْتُ لَهُمْ رِدَائِي عَلَىٰ أَسْيَافِنَا وَعَلَى ٱلْقِسِيِّ فَظَلُّوا لَائِلِينَ بِهِ وَظَلَّتْ مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ بِٱللِّحِيِّ فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ ٱللَّيْلِ هَنَّا وَهَنَّا نِصْفُهُ قَسْمَ ٱلسَّوِيِّ دَعَوْتُ فَتَى أَجَابَ فَتَى دَعَاهُ بِلَبَيْهِ أَشَمَ شَمَرُدَلِيِّ فَقَامَ يُصَارِعُ ٱلْبُرْدَيْنِ لَدْناً يَقُوتُ ٱلْعَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَهِيِّ فَقَامُ وا يَرْحَلُونَ مُنَفَّهَاتٍ كَأَنَّ عُيُونَ هَا نُنْحُ ٱلرَّكِيِ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٥٤/٤ \_ ١٥٥ ) .

[ من البسيط ]

كَأَنَّ مَا لَيْلُهُ بِٱللَّيْلِ مَوْصُولُ وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِٱلسَّوْطِ مَقْتُولُ وَٱللَّيْلُ قَدْ مُزِّقَتْ عَنْهُ ٱلسَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ كَأَنَّهُ السَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ كَأَنَّهُ السَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ السَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ السَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ السَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ السَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ السَّرَابِيلُ مَنْهُ الْمَولُ مَنْهُ وَهُو مَأْهُولُ حَتَّى يُرَى ٱلرَّبُعُ مِنْهُ وَهُو مَأْهُولُ حَتَّى يُرَى ٱلرَّبْعُ مِنْهُ وَهُو مَأْهُولُ

وقالَ حُنْدُجُ بنُ حُنْدُجٍ المُرِّيُّ (۱):
فِي لَيْلِ صُولٍ تَنَاهَى ٱلْعَرْضُ وَٱلطُّولُ
لاَ فَارَقَ ٱلصُّبْحَ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ
لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صُولٍ تَمَلْمُلُهُ
مَتَىٰ أَرَى ٱلصُّبْحَ قَدْ لاَحَتْ مَخَايِلُهُ
لَيْلٌ تَحَيَّرُ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ
نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةً
نَا أَقْدَرَ ٱلله أَنْ يُدْنِي عَلَىٰ شَحَطٍ
مَا أَقْدَرَ ٱلله أَنْ يُدْنِي عَلَىٰ شَحَطٍ

وقالَ حميدٌ الأرقطُ ووصفَ فيها الصَّقرَ عندما جاءَ بهِ التشبيهُ وتلكَ عادتُهُم والتَّعراءُ (٢) : [من مشطور الرجز]

قَدْ أَغْتَدِي وَٱلصَّبْحُ مُحْمَرُ ٱلطُّرَرْ وَٱللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ ٱلسَّحَرْ وَٱللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ ٱلسَّحَرْ وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَٱلشَّرَرْ وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَٱلشَّرَرْ بِسُحُقِ ٱلْمَيْعَةِ مَيَّالِ ٱلْعُذَرْ بِسُحُقِ ٱلْمَيْعَةِ مَيَّالِ ٱلْعُذَرْ كَأَنَّهُ يَوْمَ ٱلرِّهَانِ ٱلْمُحْتَضَرْ وَقَدْ بَدَا أَوَّلَ شَخْصِ يُنْتَظُرْ

<sup>(</sup>١) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٠/٤ - ١٦١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦١/٤ \_ ١٦٢ ) .

دُونَ أَثَابِيَّ مِنَ ٱلْخَيْلِ زُمَرْ ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبَانَ ٱلْمَطْرُ ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبَانَ ٱلْمُنْكَدَرُ عَنْ زِفِّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ ٱلْمُنْكَدَرُ عَنْ زِفِّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ ٱلْمُنْكَدَرُ أَقْنَى تَظُلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَذَرْ يَلْمُنْكَ مَنْ مَنْ مَنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ ٱلشَّجَرُ مَنْ صَادِقِ ٱلْوَدْقِ طَرُوحٍ بِٱلْبَصَرْ مِنْ صَادِقِ ٱلْوَدْقِ طَرُوحٍ بِٱلْبَصَرْ بَعْييدِ تَوْهِيمِ ٱلْوِقَاعِ وَٱلنَّظُرْ بَعْيدِ تَوْهِيمِ ٱلْوِقَاعِ وَٱلنَّظُرُ كَمَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفَيْ حَجَرْ فَيْ حَجَرْ بَيْنَانَ مَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفَيْ حَرَقْ بِٱلْإِبَرْ

طُرَرُ الشيءِ: حافاتُهُ، وسحقُ الميعةِ؛ أي: بعيدُ النشاطِ، فهوَ لا يَفنىٰ عن قربٍ، ويُروىٰ: مشعلُ الميعةِ؛ أي: ملتهبُها، والعذرُ: خِصَلُ الشَّعرِ في نواحي الرأسِ، والأثابيُّ: الجماعاتُ، لا واحدَ لهُ، وقيلَ: هوَ جمعُ أُنْبِيَّةٍ؛ كأُمْنِيَّةٍ، والضَّاري: الجريءُ، وصَيْبانُ المطرِ - بفتحِ الصَّادِ -: صائبُهُ، أو هوَ صِئْبانُ - بكسرِ الصَّادِ والهمزِ بعدَها - : جمعُ صُوابٍ، على التشبيهِ، والمنكدرُ: المهويُّ، ومِنْ صادقِ الودقِ ؛ أي: صادقِ الهُبوطِ، بدلٌ مِنْ قولِهِ: (منهُ)، وبعيدُ توهيمِ الوقاعِ والنظرِ ؛ أي: هوَ لا يَلحقُهُ بدلٌ مِنْ قولِهِ: (منهُ)، وبعيدُ توهيمِ الوقاعِ والنظرِ ؛ أي: هوَ لا يَلحقُهُ وحشيتِهِ لم يأخذُهُ الناسُ، والصَّقرُ إذا أُخِذَ . . حِيصَتْ عيناهُ ؛ أي: خيطتا ليأنسَ.

انتهى ما اخترتُ إثباتَهُ مِنْ هـُذا الباب.

## [ ذكُر طرفٍ من بابِ المُلَح من « ديوانِ الحماسةِ » ]

وهاكَ طرفاً مِنْ بابِ المِلَحِ ، وأرادَ أبو تمامِ بالمِلَحِ : الأشعارَ الهزليَّةَ المستطرفة .

قالَ بعضُهُم (١):

يَفُولُ لِيَ ٱلْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْم فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وقالَتِ امرأةٌ (٢):

فَقَدْتُ ٱلشُّيُوخَ وَأَشْيَاعَهُمْ تَرَىٰ زَوْجَةَ ٱلشَّيْخِ مَغْمُومَةً فَكَ بَارَكَ ٱللهُ فِي عَردِهِ وَإِنَّ دِمَ شُتَ وَفِتْ يَانَهَا نَكَحْتُ ٱلْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي لَـهُ ذَفَـرٌ كَـصُـنَـانِ ٱلـــُّـيُــو

وقالَ أبو الخندقِ الأسديُّ ، وقيلَ : إنَّه لدِعْبل (٣) : [من البسيط] أَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ لَيْل يُقَرّبُنِي لَقَدْ لَمَسْتُ مُعَرَّاهَا فَمَا وَقَعَتْ فِي كُلِّ عُضْو لَهَا قَرْنٌ تَصُكُّ بهِ

[ من الوافر ]

تَفَدَّمْ حِينَ جَدَّ بِنَا ٱلْمِرَاسُ وَمَــا لِــي غَــيْــرَ هَـٰـذَا ٱلــرَّأْس رَاسُ [ من المتقارب ]

وَذَالِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيَهُ وَتُمْسِى لِصُحْبَتِهِ قَالِيَهُ وَلَا فِي غُضُونِ ٱسْتِهِ ٱلْبَالِيَة أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ ٱلْجَالِيَةُ فَيَالَكِ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيَهُ س أَعْيَا عَلَى ٱلْمِسْكِ وَٱلْغَالِيَهُ

إِلَىٰ مُضَاجَعَةٍ كَٱلدَّلْكِ بٱلْمَسَدِ مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إِلَّا عَلَىٰ وَتِدِ جَنْبَ ٱلضَّجِيعِ فَيَضْحَىٰ وَاهِيَ ٱلْجَسَدِ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٢/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٣/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٤/٤ ) .

وقالَ عمرُ بنُ أبى ربيعةً (١):

خَبَّرُوهَا بِأَنَّنِي قَدْ تَزَوَّجْ ثَلَمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَىٰ ثُلَمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَىٰ وَأَشَارَتْ إِلَىٰ نِسَاءٍ لَدَيْهَا وَأَشَارَتْ إِلَىٰ نِسَاءٍ لَدَيْهَا مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي مِنْ حَدِيثٍ نَمَا إِلَيَّ فَظِيعٍ مِنْ حَدِيثٍ نَمَا إِلَيَّ فَظِيعٍ وقالَ آخَوُ (٢):

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ذَاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِمَا فَعَلَتْ بِنَا أَفِيضُوا عَلَىٰ عُزَّابِكُمْ بِنِسَائِكُمْ وقالَ آخَرُ("):

[ من الخفيف ]

تُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ ٱلْغَيْظَ سِرًا جَزَعاً لَيْتَهُ تَنزَوَّجَ عَشْرَا لَيْتَهُ تَنزَوَّجَ عَشْرَا لَا تَرَىٰ دُونَهُ نَّ لِلسِّرِ سِتْرَا لَا تَرَىٰ دُونَهُ نَّ لِلسِّرِ سِتْرَا وَعِظَامِي كَأَنَّ فِيهِ نَّ فَتْرَا خِلْتُ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرَا خِلْتُ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرَا

عَلَىٰ عَزَبٍ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ أَهْلُ إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ فَمَا فِي كِتَابِ ٱللهِ أَنْ يَحْرُمَ ٱلْفَضْلُ [من مشطور الرجز]

وَفَيْشَةٍ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاضِحَهُ
نَابِلَةٍ طَوْراً وَطَوْراً رَامِحَهُ
عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَٱلصَّدِيقِ جَامِحَهُ
مَنْ لَقِيَتْ فَهْيَ لَهُ مُصَافِحَهُ
تَسُدُّ فَرْجَ ٱلْقَحْبَةِ ٱلْمُسَافِحَهُ

<sup>(</sup>۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٤/٤ \_ ١٦٥ ) .

 <sup>(</sup>٢) انظر «شرح ديوان الحماسة» ( ١٦٥/٤ ) ، وفيه : أنه أنشد هاذه الأبيات على مئذنة وسط الحي ، فعدا الناس إليه ، فطرحوه من المنارة ، فهلك .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٧/٤ ) .

## مُفْسِدَةٍ لِأَبْنِ ٱلْعَجُوزِ ٱلصَّالِحَهُ كَأَنَّهَا صَنْجَةُ أَلْفِ رَاجِحَهُ

وقالَ آخَهُ (١):

وَفَيْشَةٍ لَيْسَتْ كَهَاذِي ٱلْفَيْش إِذَا بَدَتْ قُلْتَ أَمِيرُ ٱلْجَيْش وقالَ آخَرُ (٢):

لَا أَكْتُمُ ٱلْأَسْرَارَ لَلْكِنْ أَنُمُّهَا وَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً

وأفردَ أبو تمام مَذمَّةَ النساءِ ببابِ جعلَهُ عاشرَ الأبوابِ ، فمنهُ :

قالَ بعضُهُم (٣): دِمَشْقُ خُذِيهَا وَٱعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةً أُكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بضَرَّةٍ وقالَ آخَرُ (٣):

سَقَى ٱللهُ دَاراً فَرَّقَ ٱللَّهْ رُ بَيْنَنَا وَلَا ذَكَرَ ٱلرَّحْمَانُ يَـوْماً وَلَـيْـلَـةً وقالَ آخَرُ في امرأةٍ طَلَّقَها (١): رَحَلَتْ أُنَيْسَةُ بِٱلطَّلَاقِ

[ من السريع ]

قَدْ مُلِئَتْ مِنْ خُرُقِ وَطَيْس مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ ٱلْعَيْشِ [ من الطويل ]

وَلَا أَتْرُكُ ٱلْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَىٰ قَلْبي تُقَلِّبُهُ ٱلْأَسْرَارُ جَنْباً إِلَىٰ جَنْب

[من الطويل]

تَمُرُّ بِعُودَيْ نَعْشِهَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْر بَعِيدَةِ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ طَيّبَةِ ٱلنّشر [ من الطويل ]

وَبَيْنَكِ فِيهَا وَابِلاً سَائِلَ ٱلْقَطْر مَلَكْنَاكِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ ٱلْبَدْر [ من مجزوء الكامل]

وَعَتَهُ مِنْ رَقِّ ٱلْوَثَاقِ

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٧/٤ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٦٧/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «شرح ديوان الحماسة » ( ١٧٦/٤ ـ ١٧٧ ) . .

<sup>(</sup>ع) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( 1۷۷/2 - 1۷۷ ) .

بَانَتْ فَلَمْ يَأْلَمْ لَهَا وَدَوَاءُ مَا لَا تَسْتَهِي وَدَوَاءُ مَا لَا تَسْتَهِي لَا لَا تَسْتَهِي لَا أُرِحُ بِفِرَاقِها وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أُرِي وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أُرِي وَقَالَ آخَرُ (۱):

تَمَّتْ عُبَيْدَةُ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِهَا قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِقٍ وَقَالَ آخَرُ (٢):

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ أُتِيتَ بِهَا وَإِنْ أُتِيتَ بِهَا وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ وقالَ آخَرُ ("):

رَقْطَاءُ حَدْبَاءُ يُبْدِي ٱلْكَیْدَ مَضْحَكُهَا لَهَا فَمٌ مُلْتَقَیْ شِدْقَیْهِ نَقْرَتُهَا [ أَسْنَانُهَا] أَضْعَفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَداً

قَلْبِي وَلَمْ تَبْكِ ٱلْمَآقِي هِ ٱلنَّفْسُ تَعْجِيلُ ٱلْفِرَاقِ لأَرَحْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ لأَرَحْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ لدُ حَلِيلَةً حَتَّى ٱلتَّلَاقِي [من البسيط]

وَٱلْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ الشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ الْمَلْحُ مِنْهَا مَكَانَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْفَمَرِ أَقْصِرْ فَرَأْسُ ٱلَّذِي قَدْ عِبْتِ لِلْحَجَرِ أَقْصِرْ فَرَأْسُ ٱلَّذِي قَدْ عِبْتِ لِلْحَجَرِ

وَٱخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْعِناً هَرَبَا فَإِنَّ أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا ٱلَّذِي ذَهَبَا [من البسيط]

قَنْوَاءُ بِٱلْعَرْضِ وَٱلْعَیْنَانِ بِٱلطُّولِ كَأَنَّ مِشْفَرَهَا قَدْ طُرَّ مِنْ فِیلِ مُظَهَّرَاتٌ جَمِیعاً بِٱلرَّوَاوِیلِ

الرَّاوُولُ كطاووسِ : السِّنَّةُ الزائدةُ تنبتُ خلفَ الأصليَّةِ .

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٧٨/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٨٠/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ١٨٠/٤ ) .

<sup>(</sup>٤) في « شرح ديوان الحماسة » : ( الكِبْدَ ) .

وقالَ آخَرُ (''):

[ من الطويل ]

أُلَّامُ عَلَىٰ بُغْضِي لِمَا بَيْنَ حَيَّةٍ تُحَاكِي نَعِيماً زَالَ فِي [ قُبْح ] وَجْهِهَا هِيَ ٱلضَّرَبَانُ فِي ٱلْمَفَاصِل خَالِياً إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ سُخْنَةً وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبِ حَدِيثٌ كَقَلْع ٱلضِّرْس أَوْ نَتْفِ شَارِبِ وَتَفْتَرُّ عَنْ قُلْحِ عَدِمْتُ حَدِيثَهَا

وَضَبْع وَتِمْسَاح تَغَشَّاكَ مِنْ بَحْرِ وَصَفْحَتُهَا لَمَّا بَدَتْ سَطْوَةُ ٱلدَّهْرِ وَشُعْبَةُ بِرْسَام ضَمَمْتَ إِلَى ٱلنَّحْرِ وَإِنْ بُرْقِعَتْ فَٱلْفَقْرُ فِي غَايَةِ ٱلْفَقْرِ مُوَقَّرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ ٱلظَّهْرِ وَغَنْجٌ كَحَطْم ٱلْأَنْفِ عِيلَ بِهِ صَبْرِي وَعَنْ جَبَلَيْ طَيّ وَعَنْ هَرَمَيْ مِصْرِ الحنفيّ (۲): [ من المتقارب]

أَلَصُّ وَأَخْبَثُ مِنْ كُنْدُش وَتَمْشِي مَعَ ٱلْأَخْبَثِ ٱلْأَطْيَش وَلَوْنٌ كَبَيْضِ ٱلْقَطَا ٱلْأَبْرَش كَقِرْبَةِ ذِي ٱلثَّلَّةِ ٱلْمُعْطِشِ أَشَدُّ ٱصْفِرَاراً مِنَ ٱلْمِشْمِشِ يُجِيزُ ٱلْمَحَامِلَ لَمْ تَخْدِش كَسَاقِ ٱلْجَرَادَةِ أَوْ أَحْمَش إِذَا سَفَرَتْ بَدَدُ ٱلْكِشْمِشِ

وأنشدَ أبو عبيدة لأبي الغطمش مُنِيتُ بزَنْمَرْدَةٍ كَٱلْعَصَا تُحِبُّ ٱلنِّسَاءَ وَتَأْبَى ٱلرِّجَالَ لَهَا وَجْهُ قِرْدٍ إِذَا ٱزَّيَّنَتْ وَثَـدْيٌ يَـجُـولُ عَـلَـىٰ نَـحْـرِهَـا لَهَا دَكَبٌ مِثْلُ ظِلْفِ ٱلْغَزَالِ وَفِخْذَانِ بَيْنَهُ مَا نَفْنَفٌ وَسَاقٌ مُخَلْخَلُهَا حَمْشَةٌ كَأَنَّ [ٱلثَّآلِيلَ] فِي وَجْهِهَا

<sup>(</sup>١) انظر « شرح ديوان الحماسة » : ( ١٨١/٤ - ١٨٨ ) .

<sup>(</sup>Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (  $1 \wedge 2 / 2$  ) .

لَهَا جُمَّةٌ فَوْقَهَا جَثْلَةٌ كَمِثْلِ ٱلْخَوَافِي مِنَ ٱلْمُرْعَشِ

الزنمردة : المرأة المُتشبّهة بالرجال ، أصلُها فارسية مِنْ كلمتَينِ : زن ؛ وهيَ المرأة ، ومرد ؛ وهوَ الرجل ، وكندش : قيل : هوَ لص مشهور ، وقيل : هوَ العقعق أو الفأرة ؛ لكونِهِما يُوصَفانِ بالسَّرقة ، والرَّكب : منبت العانة .

\* \* \*





## [ قرضُ الشِّعر ]

ذلك ؛ وحيث كانَتِ العزيمةُ على أن أوردَ هنالكَ طرفاً مِنْ جيّدِ الشعرِ في بعضِ طوالِ قصائدَ لفحولٍ مِنَ الشُّعراءِ . . تَعيَّنَ كما اقتضاهُ الحالُ أن أقدِّمَ تعريفَكَ بما يُسمِّيهِ أهلُ الأدبِ : فنَّ القريضِ ، وسمَّاهُ قدامةُ قبلُ : نقدَ الشعرِ ؛ لتَعرفَ ما المرادُ بجيدِ الشعرِ ورديئِهِ ، فتكونَ على بصيرةٍ مِنْ ذلكَ .

قرأتُ لأبي هلالٍ العسكريِّ كتابَهُ المشهورَ بـ « الصِّناعتَينِ » ، فوجدتُهُ رَتَّبَهُ عشرةَ أبوابِ :

البابُ الأوَّلُ: في تعريفِ البلاغةِ.

البابُ الثاني : في تمييزِ جيدِ الكلام مِنْ رديئِهِ .

البابُ الثالثُ : في معرفةِ صنعةِ الكلام .

البابُ الرابعُ: في البيانِ عن حسن السبكِ وجودةِ الرصفِ.

البابُ الخامسُ: في ذكر الإيجاز والإطناب.

البابُ السادسُ: في حسن الأخذِ وقبحِهِ وجودتِهِ ورداءتِهِ.

البابُ السابعُ: في القولِ في التشبيهِ.

البابُ الثامنُ : في ذكرِ السجع والازدواجِ .

البابُ التاسعُ: في شرحِ البديعِ.

البابُ العاشرُ: في ذكرِ مقاطعِ الكلامِ ومباديهِ ، والقولِ في الإساءةِ في ذلكَ والإحسانِ .

وهاأنذا مُلخِّصٌ لكَ منهُ ما تقعُ الكفايةُ بهِ في ذلكَ الغرض.

#### [البلاغة ]

أمَّا البلاغةُ ، والإيجازُ وما يقابلُهُ ، والبديعُ ، وفي ضمنِهِ القولُ في المبادئ والمقاطع . . فقد تَقدَّمَتْ ، وللكنْ أزيدُكَ نورَ بصيرةٍ بما أُثبِتُ لكَ مِنْ أشياءَ نقلَها أبو هلالٍ في هاذهِ الأبوابِ ، قالَ في بابِ البلاغةِ بعدَ أن تَكلَّمَ عليها وعلى الفصاحةِ بكلام ما سلفَ لكَ صدرَ المعاني أحسنُ منهُ وأضبطُ (١٠):

# [حدُّ البلاغةِ عندَ ابنِ المقفَّع]

قد جاءً عنِ الحُكماءِ والعُلماءِ في البلاغةِ أقوالٌ أنا ذاكرُها ومُفسِّرُها ، قالَ إسحاقُ بنُ حسانَ : لم يُفسِّرُ أحدٌ البلاغةَ تفسيرَ ابنِ المُقفَّعِ إذ قالَ : البلاغةُ السمِّ لمعانِ تجري في وجوهِ كثيرةٍ ، منها ما يكونُ في السُّكوتِ ، ومنها ما يكونُ في السُّكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ، ومنها ما يكونُ سجعاً ، ومنها ما يكونُ خطباً ، وربَّما كانَتْ رسائلَ ، بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هاذهِ الأبوابِ . . فالوحيُ فيها والإشارةُ إلى المعنى أبلغُ ، والإيجازُ هوَ البلاغةُ .

فقولُهُ: (منها ما يكونُ في السُّكوتِ) فالسُّكوتُ يُسمَّىٰ بلاغةً مجازاً؛ وهوَ في حالةٍ لا ينجعُ فيها القولُ، ولا تنفعُ إقامةُ الحججِ؛ إمَّا عندَ جاهلٍ لا يفهمُ الخطابَ، أو عندَ وضيع لا يرهبُ الجوابَ، أو ظالم سليطٍ يحكمُ بالهوىٰ ، ولا يرتدعُ بكلمةِ التقوىٰ ، وإذا كانَ الكلامُ يعرىٰ مِنَ الخيرِ ، أو يجلبُ الشرَّ . . فالسُّكوتُ أولىٰ ، كما قالَ أبو العتاهيةِ (١): [من مخلع البسيط] يجلبُ الشرَّ . . فالسُّكوتُ أَولىٰ ، كما قالَ أبو العتاهيةِ رأَ : [من مخلع البسيط]

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٠ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر «لباب الآداب» ( ص ۲۷٦ ) .

وقالَ معاويةُ لابنِ أوسِ : ابغني مُحدِّثاً ، قالَ : أَوَيُحتاجُ معي إلى مُحدِّثِ ؟! قالَ : أستريحُ منكَ إليهِ ، ومنهُ إليكَ ، وربَّما كانَ صمتُكَ في حالٍ أوفقَ مِنْ كلامِكَ .

ولهُ وجهٌ آخَرُ ؛ وهوَ في كلامِهِم ('' : كلُّ صامتٍ ناطقٌ مِنْ جهةِ الدلالةِ ؛ وذلكَ أنَّ دلائلَ الصَّنعةِ في جميع الأشياءِ واضحةٌ ، والموعظةُ فيها قائمةٌ .

وقد قالَ الرَّقَاشيُّ : سَلِ الأرضَ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغرسَ أشجارَكِ ، وجنى ثمارَكِ ، وجنى ثمارَكِ ، فإن لم تجبْكَ حواراً . . أجابَتْكَ اعتباراً .

ولمَّا ماتَ الإسكندرُ . . وقفَ عليهِ بعضُ اليونانيةِ فقالَ : قد طالما وعظَنَا هاذا الشخصُ بكلامِهِ ، وهوَ اليومَ الساكتُ الواعظُ بسكوتِهِ ، وحقّاً إنَّهُ في يومِهِ هاذا أوعظُ ، فنظمَ هاذا الكلامَ أبو العتاهيةِ في قولِهِ (٢) : [من الوافر] وكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

وأحسنُ مِن هاذا كلِّهِ وأبلغُ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَأَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسَبِيحَهُمْ ﴾ (٢) ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسَجُدُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي اللَّهِ مِن دَابَّةِ ﴾ (١) ؛ معناهُ : يدلُّ على اللهِ بصنعتِهِ وكأنَّهُ يسجدُ وإن لم يسجدُ ولم يقرَّ بذلكَ ، وقولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسَجُدُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَرَهُ هَا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوقِ وَالْإَصَالِ ﴾ (٥) .

وقولُهُ: (وربَّما كانَتْ رسائلَ بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هاذهِ الأبوابِ) معناهُ: وربَّما كانَتْ كلاماً مُشتمِلاً على الشِّعرِ والسَّجع والخُطبةِ، فالباءُ فيهِ

<sup>(</sup>١) في « الصناعتين » : ( وهو قولهم ) بدل ( وهو في كلامهم ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « ديوان أبى العتاهية » ( ص ٤٤٢ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة الإسراء: (٤٤).

<sup>(</sup>٤) سورة النحل : ( ٤٩ ) .

<sup>(</sup>٥) سورة الرعد : (١٥).

للملابسة ، ثمَّ أفردَ الوحيَ والإشارةَ والإيجازَ بالثناءِ ؛ لظهورِ بداعتِها وحسنِ موقعِها مِنَ النفوس .

وحاصلُ كلامِ ابنِ المُقفَّعِ: إنَّ لكلِّ شيءٍ موضعاً يكونُ وضعُ غيرِهِ فيهِ إساءةً.

## [حدُّ البلاغةِ عندَ حكيم الهندِ]

وقالَ حكيمُ الهندِ (١): أوَّلُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ؛ وذلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأْشِ ، ساكنَ الجوارحِ ، مُتخيِّرَ اللَّفظِ ، لا يُكلِّمُ سيدَ الأَمةِ [بكلامِ الأَمّةِ] ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ ، ويكونُ في قُواهُ التصرُّفُ في كلِّ طبقةٍ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ، كلِّ طبقةٍ ، ولا يُدقِّقُ المعانيَ كلَّ التدقيقِ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ، ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حتى يصادفَ حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ، وإسقاطَ مشتركِ حكيماً ، ونظرَ ] في صناعةِ المَنطِقِ على جهةِ الصِّياغةِ والمبالغةِ فيها ، لا على جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها .

قال : واعلم: أنَّ حقَّ المعنى أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً ، وتلكَ الحالُ لهُ وَفقاً ، ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ، ولا مُقصِّراً ، [ ولا ] مشتركاً ، ولا مُضمَّناً ، ويكونُ تصفُّحُهُ لمصادرِ كلامِهِ بقَدْرِ تَصفُّحِهِ لمواردِهِ ، ويكونُ لفظُهُ مونقاً ، ويكونُ تصفُّحُهُ لمصادرِ كلامِهِ بقَدْرِ تَصفُّحِهِ لمواردِهِ ، ويكونُ لفظُهُ مونقاً ، ومعناهُ : نيِّراً واضحاً ، ومدارُ الأمرِ : على إفهامِ كلِّ قوم بمقدارِ طاقتِهِم ، والحملِ عليهِم على قَدْرِ منازلِهِم ، وأن تواتيهُ آلتُهُ ، وتَتصرَّفَ معهُ أداتُهُ ، ويكونَ في التُّهمَةِ لنفسِهِ معتدلاً ، وفي حسنِ الظنِّ بها مقتصداً ، فإنَّهُ إن تجاوزَ الحقَّ في مقدارِ حسنِ الظَّنِّ . . أودعَها تهاونَ الأميينَ ، وإن تجاوزَ بها مقدارَ الحقّ في التُّهمةِ . . ظلمَها وأودعَها ذلَّ المظلومينَ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٥ ) .

فقولُهُ: (أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ) أي: أوّلُ آلاتِ البلاغةِ جودةُ القريحةِ ، وطلاقةُ اللسانِ ، وذلكَ مِنْ فعلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لا يَقدِرُ العبدُ على القريحةِ ، وطلاقةُ اللسانِ ، وذلكَ مِنْ الناسِ مَنْ إذا خلا بنفسِهِ وأعملَ فكرَهُ . . اكتسابِهِ لنفسِهِ واجتلابِهِ لها ، ومِنَ الناسِ مَنْ إذا خلا بنفسِهِ وأعملَ فكرَهُ . . أتى بالبيانِ العجيبِ ، والتبيانِ البديعِ المصيبِ ، واستخرجَ المعنى الرائقَ ، وجاءَ باللفظِ الرائعِ ، وإذا حاورَ أو ناظرَ . . قَصَّرَ وتأخَّرَ ؛ فحقُ هلذا [ألّا] يتعرَّضَ لارتجالِ الخُطَبِ ، ولا يجاريَ أصحابَ البداهةِ في ميدانِ القريضِ ، ويكتفي بنتائج فكرهِ .

والناس في صناعةِ الكلام على طبقاتٍ :

منهُم مَنْ إذا حاورَ وناظرَ . . أبلغَ وأجادَ ، وإذا كتبَ وأمليٰ . . أخلَّ وتَخلَّفَ .

ومنهُم مَنْ إذا أملى . . بَرَّزَ ، وإذا حاورَ أو كتبَ . . قَصَّرَ .

ومنهُم مَنْ إذا كتبَ . . أحسنَ ، وإذا حاورَ وأملى . . أساءَ .

ومنهُم مَنْ يُحسِنُ في جميع هاذه الحالاتِ ، ومنهُم مَنْ يسيءُ فيها كلِّها .

فأحسنُ حالاتِ المسيءِ الإمساكُ ، وأحسنُ حالاتِ المحسنِ التوسُّطُ ؛ فإذَّ الإكثارَ يورثُ الإملالَ ، وقلَّما ينجو صاحبُهُ مِنَ الزلل ، والعيبِ والخطل .

وليسَ ينبغي للمُحسِنِ في أحدِ هنذهِ الفنونِ ، المسيءِ في غيرِها . . أن يتجاوزَ ما هوَ مُحسِنٌ فيهِ إلى ما هوَ مسيءٌ فيهِ ، فإنِ اضطُرَّ في بعضِ الأحوالِ إلى تجاوزِهِ . . فخيرُ سبيلِهِ قصدُ الاختصارِ ، وتَجنُّبُ الإكثارِ والإهذارِ ؛ ليقلَّ السقطُ في كلامِهِ ، ولا يَكثُرَ العيبُ في مَنطِقِهِ .

وقيلَ لابنِ المُقفَّع (١): لمَ لا تطيلُ القصائدَ ؟ قالَ : لو أطلتُها . . عُرِفَ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٧ ) .

صاحبُها ؛ يريدُ : أنَّ المُحدَثَ يَتشبَّهُ بالقديمِ في القليلِ مِنَ الكلامِ ، فإذا طالَ . . أخلَّ ، فغرِفَ أنَّهُ كلامٌ مُولَّدٌ ، على أنَّ السابقَ في ميادينِ البلاغةِ إذا أكثرَ . . أسقطَ ، فكيفَ المُقصِّرُ عن غايتِها ، والمُتخلِّفُ عن أمدِها ؟!

ومِنْ تمامِ آلةِ البلاغةِ: التوسُّعُ في معرفةِ العربيةِ ، ووجوهِ الاستعمالِ لها ، والعلمُ بفاخرِ الألفاظِ وساقطِها ، وجيدِها ورديئِها ، ومعرفةُ المَقاماتِ وما يَصلُحُ في كلِّ واحدٍ منها مِنَ الكلامِ .

وقولُهُ: (وذلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأشِ ، ساكنَ الجوارحِ) هاذا لأنَّ الحَيرةَ والدَّهَشَ يُورثانِ الحُبْسةَ والحَصَرَ ، وهما سببا الإرتاجِ والإخبالِ ، وقد بلغكَ ما أصابَ عثمانَ بنَ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا صَعِدَ المِنبرَ فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : إنَّ اللَّذينِ كانا قبلي كانا يُعِدَّانِ لهاذا المَقامِ المِنبرَ فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : إنَّ اللَّذينِ كانا قبلي كانا يُعِدَّانِ لهاذا المَقامِ مَقالاً ، وأنتُم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمامٍ قائلٍ ، وستأتيكُمُ الخُطبةُ على وجهِها ، ثمَّ نزلَ .

وصَعِدَ بعضُ العربِ مِنبراً بخراسانَ ، فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : [من الطويل] لَئِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيباً فَإِنَّنِي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ ٱلْوَغَىٰ لَخَطِيبُ وَنزلَ (١).

ومِنْ حسنِ الاعتذارِ عندَ الإرتاجِ: ما رُوِي: أنَّ داوودَ بنَ عليِ خطبَ ، فَحَمِدَ الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليهِ ، وصلَّى على النبيِّ صلَّى الله عند عليهِ وسَلَّم ، فحَمِدَ الله عذ . امتنعَ عليهِ الكلامُ ، ثمَّ قالَ : أمَّا بعدُ : فقد يجدُ المعسرُ ، ويعسرُ الواجدُ ، ويُفَلُّ الحديدُ ، ويقطعُ الكليلُ ، وإنَّما الكلامُ بعدَ الإفحامِ كالإشراقِ بعدَ الإظلامِ ، وقد يعزبُ البيانُ ، ويعتقمُ الصَّوابُ ، وإنَّما [ اللسانُ ]

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » (ص ۲۸ ).

بضعةٌ مِنَ الإنسانِ ، يفترُ بفتورِهِ إذا نكلَ ، ويثوبُ بانبساطِهِ إذا ارتجلَ ، الا وإنَّا لا ننطقُ بطراً ، ولا نسكتُ حَصَراً ، بل نسكتُ معتبرينَ ، وننطقُ مرشدينَ ، ونحنُ بعدُ أُمراءُ الكلامِ ، فينا وشجَتْ أعراقُهُ ، وعلينا عطفَتْ أغصانُهُ ، ولنا تَهدّلَتْ ثمرتُهُ ، فنتخيّرُ منهُ ما احلوليٰ وعَذُبَ ، ونطرحُ منهُ ما املولحَ وخَبُثَ ، ومِنْ بعدِ مَقامِنا مَقامٌ ، وبعدَ يومِنا أيامٌ ، يُعرَفُ فيها فضلُ البيانِ ، وفصلُ الخطاب ، واللهُ أفضلُ مُستعانٍ ، ثمَّ نزلَ (١).

وعلامةُ سكونِ نفسِ الخطيبِ ورباطةِ جأشِهِ : هدوءُهُ في كلامِهِ ، وتَمهُّلُهُ في مَنطِقِهِ .

وقالَ ثمامةُ: كانَ جعفرُ بنُ يحيى أنطقَ الناسِ ؛ قد جمعَ الهدوءَ والجَزالةَ ، والتمهُّلَ والحلاوةَ ، ولو كانَ في الأرضِ ناطقٌ يستغني عنِ الإشارةِ . . لَكَانَهُ (٢) .

وقولُهُ: ( مُتخيِّر الألفاظِ) فمدارُ البلاغةِ على تخيُّرِ اللفظِ، وتخيُّرُ اللفظِ أصعبُ مِنْ جمعِهِ وتأليفِهِ.

وقولُهُ: ( ويكونُ في قُواهُ فضلٌ للتصرُّفِ في كلِّ طبقةٍ) وهوَ أن يكونَ صانعُ الكلامِ قادراً على جميعِ ضروبِهِ مُتمكِّناً مِنْ جميعِ فنونِهِ ، لا يَعتاصُ عليهِ قسمٌ مِنْ أقسامِهِ ، فإن كانَ شاعراً . . تَصرَّفَ في وجوهِ الشعرِ ؛ مديجِهِ وهجائِهِ ومراثيهِ وصفاتِهِ ومفاخرِهِ وغيرِ ذلكَ مِنْ أصنافِهِ .

ولاختلافِ قُوى الناسِ في الشعرِ وفنونِهِ قيلَ: كانَ امرُؤُ القيسِ أشعرَ الناسِ إذا ركبَ ، والنابغةُ إذا رهبَ ، وزهيرٌ إذا رغبَ ، والأعشىٰ إذا طربَ (٣).

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » (ص ۲۸ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٩ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٩ ) .

وكذلكَ الكاتبُ ربَّما تَقدَّمَ في ضربٍ مِنَ الكتابةِ وتَأخَّرَ في غيرِهِ ، وسَهُلَ عليهِ نوعٌ منها ، وعَسُرَ [عليه] نوعٌ آخَرُ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ العباسِ: سمعتُ أحمدَ بنَ يوسفَ يقولُ: أمرَني المأمونُ أن أكتبَ إلى النواحي في الاستكثارِ مِنَ القناديلِ في المساجدِ، فبتُ لا أدري كيفَ أحتذي، فأتاني آتٍ في منامي فقالَ لي: قُلْ: فإنَّ في ذلكَ عمارةً للمساجدِ، وإرشاداً للسابلةِ، وإضاءةً للمُتهجِّدينَ، ونفياً لكامنِ الريبِ، وتنزيهاً لبيوتِ اللهِ مِنْ وَحْشةِ الظُّلَمِ، فانتبهتُ وقدِ انفتحَ لي ما أُريدُ، فابتدأتُ بهاذا وأتممتُ عليهِ (۱).

والمُقدَّمُ في صنعةِ الكلامِ هوَ المستولي عليهِ مِنْ جميعِ جهاتِهِ ، المُتمكِّنُ مِنْ جميعِ أنواعِهِ ، وبهاذا فَضَّلوا جريراً على الفرزدقِ ، وقالوا : إنَّ في الشعرِ ضروباً ما كانَ يَعرِفُها الفرزدقُ ، وشاهدُ ذلكَ : أنَّهُ لمَّا ماتَتْ زوجتُهُ النوارُ . . ناحَ عليها بشعرِ جريرِ (٢) : [من الكامل]

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ لَهَاجَنِي ٱسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَٱلْحَبِيبُ يُزَارُ

وكانَ البحتريُّ يُفضِّلُ الفرزدقَ على جريرٍ ، ويَزعُمُ أَنَّهُ يَتصرَّفُ مِنَ المعاني فيما لا يَتصرَّفُ فيهِ جريرٌ ، ويوردُ منهُ في كلِّ قصيدةٍ خلافَ ما يوردُهُ في الأخرى ، قالَ : وجريرٌ يُكرِّرُ في هجاءِ الفرزدقِ ذكرَ الزبيرِ وجِعْثنَ والنوارِ ، وأنَّهُ قينُ مجاشع ، لا يَذكرُ شيئاً غيرَ هاذا (٣) .

وسُئِلَ بعضُهُم عن أبي نُواسٍ ومسلمٍ ، فذكرَ أنَّ أبا نُواسٍ أشعرُ ؛ لتصرُّفِهِ في وجوهِ الشعرِ ، وكثرةِ مذاهبِهِ فيهِ ، ومسلمٌ جارِ علىٰ وتيرةٍ ، ولا يَتغيَّرُ عنها .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٩ ) .

<sup>(</sup> $\Upsilon$ ) انظر « دیوان جریر » (  $\Upsilon$ /  $\Upsilon$  ) ، و « الصناعتین » (  $\varpi$  ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «الصناعتين» (ص ٣٠).

وأبلغُ مِنْ هاذهِ المنزلةِ أن يكونَ في قُوَّةِ صانعِ الكلامِ أن يأتيَ مَرَّةً بالجزلِ ، وأخرى بالسهلِ ؛ فيلينَ إذا شاءَ ، ويَشتدَّ إذا أرادَ ، ومِنْ هاذا الوجهِ فَضَّلُوا جريراً على الفرزدقِ ، وأبا نُواسٍ على مسلمٍ ، قالَ جريرٌ ('' : [من الكامل] طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ ٱلْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ ٱلزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ تُحْرِي ٱلسِّوَاكَ عَلَىٰ أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ فانظرْ إلىٰ رِقَّةِ هاذا الكلامِ ، والفرزدقُ يجري علىٰ طريقةٍ واحدةٍ ، والتصرُّفُ فانظرْ إلىٰ رِقَّةِ هاذا الكلامِ ، والفرزدقُ يجري علىٰ طريقةٍ واحدةٍ ، والتصرُّفُ

فانظرْ إلىٰ رِقَّةِ هـٰذا الكلامِ ، والفرزدقُ يجري علىٰ طريقةٍ واحدةٍ ، والتصرُّفُ في الوجوهِ أبلغُ .

[من مجزوء الرمل]

وقالَ أبو نُواسِ (٢):

قُلْ لِذِي ٱلْوَجْهِ ٱلنَّضِيرِ وَلِذِي ٱلْوَدْفِ ٱلْوَثِيرِ وَلِلْهِ وَلِي ٱلْوَثِيرِ وَلِي وَلِي الْوَدِي وَلِي مُنْ مَن وَمِي وَلِي مِنْ فَي تَاحِ سُرُودِي يَا قَلِيلاً فِي ٱلنَّكَ لَاقِي وَكَثِيراً فِي ٱلنَّهُ مِيرِ

فانظرْ إلىٰ سلاسةِ هـٰذا الكلام وسهولتِهِ ، وقالَ (٢): [من المديد]

مَاهَوى إِلَّا لَهُ سَبَبُ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ فَتَنَتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةٌ بِرِدَاءِ ٱلْحُسْنِ تَنْتَقِب حُلِّيَتْ وَٱلْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ وَٱسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ صَارَ جِدًا مَا مَزَحْتُ بِهِ رُبَّ جِدٍّ سَاقَهُ ٱللَّعِبُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان جرير » طبعة الصاوي ( ص ٥٥١ ).

<sup>(</sup>۲) انظر « دیوان أبی نواس » ( ص ۵۱۷ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبى نواس » ( ص ٥٩٠ ) .

فهاذا أجزلُ مِنَ الأولِ قليلاً ، وقالَ في صفةِ الكلب (١٠): [من مشطور الرجز] أَنْعَتُ كَلْباً جَالَ فِي ربَاطِهِ جَـوْلَ مُصَابِ فَـرَّ مِـنْ إِسْعَاطِهِ عِنْدَ طَبيبِ خَافَ مِنْ سِيَاطِهِ هِ جُنَا بِ وَهَاجَ مِنْ نَصَاطِهِ كَالْكَوْكَبِ ٱلدُّرِيّ فِي ٱنْخِرَاطِهِ عِنْدَ تَهَاوِي ٱلشَّدِّ وَٱنْبِسَاطِهِ يُقَحِّمُ ٱلْقَائِدَ فِي حِطَاطِهِ وَقَدِهِ ٱلْبَيْدَاءَ فِي ٱعْتِبَاطِهِ لَـمَّا رَأَى ٱلْعَلْهَبَ فِي أَقْوَاطِهِ سَانِحَةً وَمَرَّ فِي ٱلْتِبَاطُهِ كَالْبَرْقِ يُدُرِي ٱلْمَرْوَ بِٱلْتِقَاطِهِ مِثْلَ قَلِيّ طَارَ فِي أَنْفَاطِهِ وَٱنْصَاعَ يَتُلُوهُ عَلَىٰ قِطَاطِهِ أَغْضَفُ لَا يَئِدَّسُ مِنْ خِلَاطِهِ

يَصِيدُ بَعْدَ ٱلْبُعْدِ وَٱنْبِسَاطِهِ

إِنْ لَمْ يَبُّتَّ ٱلْقَلْبَ مِنْ نِيَاطِهِ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٢٢٣ \_ ٢٢٥ ) .

<sup>(</sup>٢) في « ديوان أبي نواس » : ( سابَحَهُ ) بدل ( سانحة ) .

فَلَمْ يَزَلْ يَأْخُذُ فِي لِطَاطِهِ كَ ٱلصَّفْرِ يَنْقَضُّ عَلَىٰ غِطَاطِهِ يَـقْشِرُ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ مِنْ بلَاطِهِ بأَرْبَع تَهُولُ مِنْ إِفْرَاطِهِ لِشِدَّةِ ٱلْجَرْيِ وَلِاسْتِحْطَاطِهِ مَا إِنْ تَمَسُ ٱلْأَرْضَ فِي أَشْوَاطِهِ قَدْ خَدَشَتْ رجْلَاهُ فِي آبَاطِهِ وَخَرَّمَ ٱلْأُذْنَيْنِ بِٱنْتِ شَاطِهِ خَـلْ جُ ذِرَاعَـيْهِ إِلَـيْ مِللَاطِهِ يَنْقَدُّ عَنْهُ ٱلصِّيقُ بِٱنْعِطَاطِهِ فِي هَبَوَاتِ ٱلصِّيقِ أَوْ ريَاطِهِ فَأَدْرَكَ ٱلطَّبْىَ وَلَهُ يُبَاطِهِ وَلَهُ عِـشْرين إِلَـى أَشْراطِهِ فَلَمْ يَزَلْ يَفْرنُ فِي ربَاطِهِ وَيَخْمِطُ ٱلشَّاوُونَ مِنْ خِمَاطِهِ وَيَطْبُخُ ٱلطَّابِخُ مِنْ إِسْقَاطِهِ حَتَّىٰ عَلَا فِي ٱلْجَوِّ مِنْ شِيَاطِهِ كَدَاخِن ٱلنَّفْطِ إِلَى نَفَّاطِهِ

المُصابُ ها هنا: المجنونُ ، وإسعاطُهُ: إنشاقُهُ السَّعوطَ لمداواتِهِ ، وقولُهُ:

( يُقحِّمُ القائدَ فِي حطاطِهِ ) أي : لقُوَّتِهِ يجذبُهُ حتىٰ يوقعَهُ في حالِ حطِّهِ ؛ أي : اندفاعِهِ في العدْوِ ، والاعتباطُ : الجريُ علىٰ غيرِ رويَّةٍ ، والعَلْهبُ ـ بفتحِ أوَّلِهِ ـ : المُسِنُّ مِنْ تُيوسِ الجبلِ ، والأقواطُ : جمعُ قَوْطٍ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ القطيعُ أو الجماعةُ ، و( في ) بمعنىٰ ( مع ) ، والالتباطُ : خبطُ الأرضِ في العدْوِ ، ويُدري المروّ ؛ أي : يُفرِّقُها ، والقِطاطُ ـ ككتابِ ـ : المِثالُ ، ومعناهُ : أنَّهُ يتبعُهُ في طريقِهِ لا يميلُ ، والأغضفُ : مسترخي الأُذنينِ ذاهبتَينِ إلىٰ خلفٍ ، والغَطاطُ ـ كسَحابِ ـ : القطا ، والصِّيقُ ـ بكسرِ أوَّلِهِ ـ : الغبارُ في الهواءِ ، والانعطاطُ : الانشقاقُ ، والملاطُ : العَضُدُ إلى الكتفِ ، والأشراطُ : الأشباهُ ، والخمطُ : الشَّيُ .

فانظرْ إليهِ كيفَ يَتصرَّفُ بينَ الشدَّةِ واللِّينِ ، ويضعُ كلَّ واحدٍ منهُما في موضعِهِ ، ويَستعمِلُهُ في حينِهِ .

وعلى ذكرِ المفاضلةِ بينَ الشُّعراءِ فلا بأسَ أن أستطردَ لكَ ها هنا بذكرِ كلامٍ رأيتُهُ في « شرحِ ديوانِ أبي نُواسٍ » يَتضمَّنُ صفةَ شعراءَ تطلعُ بهِ على ما لكلٍّ منهُم في أنفسِ علماءِ عصرِهِم ، وما كانَ لأولئكَ العلماءِ مِنَ الفطنةِ والنقدِ [ وتمييز ] الأشياءِ ، والوقوفِ بكلّ عندَ حدِّهِ ، وهاذا نصُّهُ:

قالَ ابنُ دريدٍ: سألتُ أبا حاتمٍ عن أبي نُواسٍ ، فقالَ: إن جدَّ . . أحسنَ ، وإن هزلَ . . ظرُفَ ، وإن وصفَ . . بالغَ ، يلقي الكلامَ على عواهنِهِ ، لا يبالي مِنْ حيثُ أخذَهُ (١٠) .

وهانه الحكاية وجدتُها في « أماليهِ » في أثناء أوصافِ خمسةٍ وعشرينَ رجلاً مِنَ الشُّعراءِ المُحدَثينَ (٢) ، أنا أحكيها على وجهِها ؛ لِمَا فيها مِنَ

<sup>(</sup>۱) انظر « معاهد التنصيص » ( ۸٥/۱ ) .

<sup>(</sup>٢) نقل جلَّها الهاشمي في « جواهر الأدب » ( ٣٧١/١ ـ ٣٧٢ ) .

الفائدةِ ، قالَ : وسألتُهُ عن بشارٍ ، فقالَ : نَظَّارٌ غَوَّاصٌ ، مطيلٌ مجيدٌ ، يصفُ ما لم يرَ كأنَّهُ قد رآهُ ، على أنَّ في شعرهِ خللاً كثيراً .

قلتُ : فمروانُ ، قالَ : شاعرٌ راضٍ عن نفسِهِ ، يستحسنُ كلَّ ما جاءَ منهُ ، مُعجَبٌ لا يرى أنَّ أحداً يَتقدَّمُهُ ، كثيرُ الصَّوابِ ، كثيرُ الخطأ ، ليسَ لشعرِهِ صنعةٌ .

قلتُ : فمسلمٌ ، قالَ : خليجٌ صافٍ ، ينزعُ مِنْ بحرٍ كدرٍ ، كالزندِ يوري تارةً ، ويصلدُ أخرىٰ .

قلتُ : فأبو العتاهيةِ ، قالَ : غثاءٌ جمٌّ ، واقتدارٌ سهلٌ ، وشعرٌ كخرزِ الزجاج ، وربَّما أشبهَ الياقوتَ والزبرجدَ .

قلتُ : فابنُ الأحنفِ ، قالَ : يلقي دلوَهُ في الدلاءِ ، فيغترفُ الصفوَ أحياناً ، والحمأةَ أحياناً ، على أنَّ كدرَهُ أكثرُ مِنْ صفوهِ .

قلتُ : فسَلْمٌ الخاسرُ ، قالَ : مُقِلُّ مَدَّاحٌ ، شعرُهُ ديباجٌ وعهْنٌ ، يُموِّهُ الرديءَ حتى يُشبّهَهُ بالجيدِ .

قلتُ : فالعتابيُّ ، قالَ : عالمٌ بأشعارِ العربِ ، محتذِ على مثالِهِم أحياناً ، وربَّما مالَ إلىٰ تعقيدِ الكلامِ ، علىٰ أنَّهُ ينالُ مرامَهُ مِنْ كلتا الجهتينِ .

قلتُ : فالخزيميُّ ، قالَ : صنعةٌ سهلةٌ ، لا يكابرُ طبعَهُ ، ولا يكدُّ فكرَهُ ، يسوقُ ما انقادَ لهُ عفواً .

قلتُ : فأشجعُ ، قالَ : يُحسِنُ ويسيءُ ، فصولُهُ مختلفةٌ ، إن شئتَ . . قلتَ : مطبوعٌ ، وإن شئتَ . . قلتَ : مُتكلِّفٌ .

قلتُ : فأبو الشِّيصِ ، قالَ : جِدُّ كلُّهُ ، فيهِ حلاوةٌ وبشاعةٌ ؛ كالسِّدرةِ التي نفضَتْ ، ففيها المُستعذَبُ والمُستبشَعُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ جبلةَ ، قالَ : بحَّاثٌ عنِ الكلامِ الفَخْمِ والمعنى الرائعِ ، لا ينالُ مرتبةَ القُدماءِ ، ويَجِلُّ عن منزلةِ النظراءِ .

قلتُ: فدِعْبِلٌ ، قالَ: شديدُ الأُسْرِ ، مُحكَمُ الصَّنعةِ ، قليلُ الطُّلاوةِ ، مفحشُ الهجاءِ ، غيرُ مقنع المديح .

قلتُ : فأبو تمام ، قالَ : سيلٌ كثيرُ الغثاءِ ، غزيرُ الغمارِ ، جمُّ النطافِ ، فإذا صفا . . فهوَ السُّلافُ بالماءِ الزُّلالِ .

قلتُ : فالحاركيُّ ، قالَ : ظريفٌ مُقِلُّ ، مُنحَلُّ الألفاظِ ، مُتعقِّدُ المعاني .

قلتُ : فأبو سعدٍ قوصرةُ ، قالَ : ورقٌ ناضرٌ ، وعودٌ خُوارٌ ، إن حُفِظَ . . لم ينفعْ ، وإن ضُيِّعَ . . لم يَضُرَّ .

قلتُ : فابنُ بشيرٍ ، قالَ : عذبُ الكلامِ سهلُهُ ، إذا أرادَ الشيءَ . . قَدَرَ عليهِ ، وإنِ اشتدَّتْ كلفتُهُ في مرامِهِ .

قلتُ : فابنُ أبي عيينةَ ، قالَ : أعجبَهُ اقتدارُهُ ، فتجاوزَ مِقدارَهُ ، على أنَّهُ إذا فخرَ . . أفلقَ ، وإذا كوى . . أنضجَ .

قلتُ: فعبدُ الصَّمدِ بنُ المُعذِّلِ ، قالَ : خَرَّاجٌ وَلَّاجٌ ، يَعتسِفُ تارةً ، ويهتدي أخرىٰ ، إن سلكَ سبلَ العربِ الأولِ . . أربَ ، وإن مالَ إلىٰ طريقِ المُولَّدينَ . . شاكَهُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ الجهمِ ، قالَ : كلامٌ رصينٌ ، ومسلكٌ وَعْرٌ ، عقلُهُ أغلبُ على شعرهِ مِنْ طبعِهِ .

قلتُ : فبكرُ بنُ النَّطاحِ ، قالَ : تَشبَّهَ بالأعرابِ فأفرطَ ، وتَجاوزَ حدَّ المُولَّدينَ فأسهبَ ، فهوَ الساقطُ بينَ القريتَين .

قلتُ : فخالدٌ النجارُ ، قالَ : سيِّئُ الكلامِ ، رخوُ النظامِ ، إن طالَ . . بلدَ ، وإن قصرَ . . أجهدَ .

قلتُ : فأبو دلامةَ ، قالَ : جِدٌّ وهزلٌ ، ومُجتنىً ومرغوبٌ عنهُ ، إذا قصدَ مراماً . . تناولَهُ غثًا وسميناً .

قلتُ : فأبو الشمقمقِ ، قالَ : هجاؤُهُ لدَّاغٌ ، ومديحُهُ بلا ماءٍ ، أكثرُهُ لا نفعَ فيهِ .

قلتُ : ففلانٌ ، قالَ : كلامٌ مُؤلَّفٌ ، تلمظُهُ أسماعُ الجُهَّالِ ، وتلفظُهُ آذانُ العلماءِ .

قالَ ابنُ دريدٍ: وذهبَ عنِي أن أسألَ عنِ الأغرَّينِ المطبوعَينِ ؛ السيدِ والنميريِّ ؛ فقد أغفلَ ابنُ دريدِ استيصافَ هالدَينِ الشاعرَينِ ، ووقعَ لي وصفُهُما في حكايتَينِ أُخريَينِ ، فأمّا النُّميريُّ . . فذكرَ إسحاقُ الموصليُّ قالَ : حضرتُ الفضلَ بنَ يحيى بنِ خالدِ بنِ برمكَ وعندَهُ منصورٌ النُّميريُّ ومسلمُ بنُ الوليدِ يُنشِدانِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : يا إسحاقُ ؛ احكمْ أيُّهُما أشعرُ ، فقلتُ : إنَّهُ قلَّ مَنْ حكمَ بينَ الشُّعراءِ فسلمَ منهُم ، وللكنْ إن أحبَّ الأميرُ تكلَّفتُ وصفَ شعرِهِما ، فقالَ : صِفْ ، فقلتُ : أمَّا النُّميريُّ . . فإنَّ المعنى ، سهلٌ كلامهُ ، صعبٌ مرامهُ ، سليمُ المعنى ، سهلٌ كلامهُ ، صعبٌ مرامهُ ، سليمُ المتونِ ، وأمَّا مسلمٌ . . فإنَّهُ مزجَ كلامَ البدويينَ بكلامِ المحضريينَ ، فضمَّنهُ المعانيَ اللطيفةَ ، وكساهُ الألفاظَ الظريفةَ ، فلَهُ جزالةُ البدويينَ ، ورقَّةُ الحضريينَ ، ورقَّةُ العَرْقِينَ المُعْلَقُ العَرْقَيْهُ المَعْلَقُ العَلْمُ الْهُ الْمُعْلَقِ المَعْلِينَ الْهُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِيقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُعْلِقِ الْمُ

فقالَ الفضلُ : وصفتَ واللهِ فأحسنتَ ، وأُوتيتَ الحُكْمَ فحكمتَ ، النَّميريُّ أشعرُهُما .

وأمَّا الحكايةُ الأُخرىٰ . . فللجاحظِ فصلٌ مِنْ فصولِ كتبهِ ذكرَ فيهِ السيدَ

الحميريَّ ، وأبانَ بنَ عبدِ الحميدِ ، وأبا العتاهيةِ ، وبشاراً ، وأبا نواسٍ ، فقالَ : أمَّا السيدُ الحميريُّ . . فأطبعُ الناسِ علىٰ قولِ الشعرِ ، وأقلُّهُم صنعةً ، وأبعدُهُم مِنَ التكلُّفِ ، وأجدرُ أن ينقلَ جميعَ أحاديثِ الناسِ شعراً سهلاً بلا تعقُّدٍ ولا استكراهِ .

وأمَّا أبانُ بنُ عبدِ الحميدِ . . فلم يكنْ في زمانِهِ أطبعُ منهُ ، ولا أسلسُ كلاماً ، ولا أسلسُ كلاماً ، ولا أسهلُ مخارجَ ، وكانَ يقولُ على الثاءِ والذالِ والغينِ والظاءِ مئةَ قصيدةٍ .

وأمَّا أبو العتاهيةِ . . فأحدُ المطبوعينَ ، وكادَ كلامُهُ يكونُ شعراً ، على أنَّ غزلَهُ ضعيفٌ مشاكلٌ لطبع النساءِ .

وأمَّا بشارٌ وأبو نُواسٍ . . فمعناهُما واحدٌ ، والعدةُ اثنانِ ، بشارٌ حَلَّ مِنَ الطَّبعِ بحيثُ لم يَتكلَّفُ قطُّ قولاً ، ولا تَعِبَ مِنْ عملِ شعرٍ ، وأبو نُواسٍ حَلَّ مِنَ الطَّبع بحيثُ يصلُ شعرُهُ إلى القلبِ بلا إذنٍ .

رجعنا إلىٰ نقلِ كلامِ أبي هلالٍ في شرح قولِ حكيمِ الهندِ: قالَ (١):

وقولُهُ: (ولا يُكلِّمُ سيدَ الأَمَةِ بكلامِ الأَمَةِ ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ ) ، لأنَّ ذلكَ جهلٌ بالمقاماتِ ، وما يصلحُ في كلِّ واحدٍ منها (٢) مِنَ الكلامِ ، وأحسنَ الذي قالَ : لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، فإذا كانَ موضعُ الكلامِ على طبقاتِ الناسِ . . فليخاطبِ السوقيَّ بكلامِ السوقيِّ ، والبدويَّ بكلامِ البدويِّ ، ولا يتجاوزْ به ما يعرفُهُ إلى ما لا يعرفُهُ ، فتذهبَ فائدةُ الكلامِ ، وتنعدمَ منفعةُ الخطاب .

وقولُهُ: (ولا يُدقِّقُ المعاني كلَّ التدقيقِ) لأنَّ الغايةَ في تدقيقِ المعاني

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٣٣ ) .

<sup>(</sup>۲) في « الصناعتين » ( منهما ) .

سبيلٌ إلى تعميةِ المعنى ، وهي لُكنةٌ إلَّا إذا أُرِيدَ بهِ الإلغازُ ، وكانَتْ في تعميتِهِ فائدةٌ ؛ مثلُ أبياتِ المعانى .

وأمَّا مَنْ أرادَ الإبانةَ في مديحٍ أو غزلٍ أو صفةِ شيءٍ فأتى بإغلاقٍ . . دلَّ ذلكَ على عجزِهِ عن الإبانةِ ، وقصورِهِ عنِ الإفصاح .

وقولُهُ: (ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ)، تنقيحُ اللَّفظِ: أن يَبنيَهُ بناءً لا يكثرُ في الاستعمالِ، فربَّما وقعَ مَنْ يَقصِدُ ذلكَ في إساءةٍ يغفلُهُ عنها الاغترارُ بالاقتدارِ على ابتداعِ ما ليسَ جارياً في كلامِ الناسِ، مثلُ ما وقعَ لبعضِهِم في خطابِ وزيرٍ حيثُ قالَ في الدعاءِ لهُ: أحسنَ اللهُ إثابتكَ، فردَّ عليهِ الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ: وأنت عَجَّلَ اللهُ أمانتَكَ ، فردَّ عليهِ الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ: وأنت عَجَّلَ اللهُ أمانتَكَ ، فردَّ عليهِ الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ: وأنت عَجَّلَ اللهُ أمانتَكَ . .

وقولُهُ: (ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ ) ، فتصفيتُهُ: تعريتُهُ مِنَ الوحشيِّ ، ونفيُ الشواغلِ عنهُ ، وتهذيبُهُ: تبرئتُهُ مِنَ الرديءِ المرذولِ ، والسُّوقيِّ المردودِ .

فمِنَ الكلامِ المُهذَّبِ الصافي: قولُ بعضِ الكُتَّابِ: مثلُكَ أوجبَ حقّاً لا يجبُ عليهِ ، وسمحَ بحقٍ يجبُ لهُ ، وقبلَ واضحَ العذرِ ، واستكثرَ قليلَ الشكرِ ، لا زالَتْ أياديكَ فوقَ شكرِ أوليائِكَ ، ونعمةُ اللهِ عليكَ فوقَ آمالِهِم فيكَ .

وقولُ أحمدَ بنِ يوسفَ : يومُنا يومٌ لذيذُ الحواشي ، وطيءُ النواحي ، وهذهِ سماءٌ قد تَهلَّلَتْ بودقِها ، وضحكَتْ بلوامعِ برقِها ، وأنتَ قُطبُ السُّرورِ ، ونظامُ الأمورِ ، فلا تغبْ عنَّا فنَقِلَّ ، ولا تُفرِدْنا فنستوحشَ ؛ فإنَّ الحبيبَ بحبيبهِ كثيرٌ ، وبمساعدتِه جديرٌ .

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٣٦ ) .

وقولُهُ: (ولا يفعلُ ذلكَ حتىٰ يلاقيَ حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ومشتركاتِ الألفاظِ . . نظرَ في المَنطِقِ علىٰ جهةِ الصناعةِ فيها ، لا علىٰ جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها ) ، يقولُ : ينبغي أن يَتكلَّمَ بفاخرِ الكلامِ ونادرِهِ ، ورصينِهِ ومُحكَمِهِ عندَ مَنْ يَفهمُهُ عنهُ ، ويَقبلُهُ منهُ .

وأمَّا قولُهُ: ( مَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ) هوَ أن يسقطَ مِنَ الكلامِ ما يكونُ الكلامُ معَ إسقاطِهِ تامَّا غيرَ منقوصٍ ، ولا يكونُ في زيادتِهِ فائدةٌ ؛ سألَ معاويةُ رجلاً عنِ البلاغةِ ، فقالَ : هيَ أن تقولَ فلا تُخطِئَ ، وتُسرِعَ فلا تُبطِئَ ، فقالَ . هيَ ألَّا تُخطِئَ ولا تُبطِئَ ، فحذفَ منهُ الفضلَ .

وقولُهُ: ( ومُشترَكاتِ الألفاظِ ) ، هوَ أن يريدَ الإبانةَ عن معنىً فيأتيَ بألفاظِ لا تَدُلُّ عليهِ خاصَّةً ، بل تشتركُ فيها معَهُ معانٍ أُخَرُ ، فلا يَعرِفُ السامعُ أيَّها أرادَ ، وربَّما استبهمَ الكلامُ في نوعٍ مِنْ هاذا الجنسِ حتىٰ لا يُوقَفَ علىٰ معناهُ إلَّا بالتوهُّم .

فمِنَ الجنسِ الأوَّلِ قولُ جريرِ (١):

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمُ ٱلرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ

[ من الكامل]

فليسَ يدري إلى أيِّ أفعالِهِ أشارَ بقولِهِ: (فعلتُ ما لم أفعلِ) ، أن يبكيَ إذا رحلوا ، أو يَهِيمَ على وجهِهِ مِنَ الغمِّ الذي لحقّهُ ، أو يَتبعَهُم إذا ساروا ، أو يَمنعَهُم مِنَ المُضيِّ على عزيمةِ الرحيلِ ، أو يأخذَ منهُم شيئاً يَتذكَّرُهُم بهِ ، أو يمنعَهُم مِنَ المُضيِّ على عزيمةِ الرحيلِ ، أو يأخذَ منهُم شيئاً يَتذكَّرُهُم بهِ ، أو غيرَ ذلكَ ممّا يجوزُ أن يفعلَهُ العاشقُ أو يدفعَ إليهِم شيئاً يَتذكَّرونَهُ بهِ ، أو غيرَ ذلكَ ممّا يجوزُ أن يفعلَهُ العاشقُ عندَ فراقِ أحبَّتِهِ ؟! فلم يُبيّنْ عن غرضِهِ ، وأحرجَ السائلَ أن يَسألَهُ عمّا أرادَ فعلَهُ عندَ رحيلِهم .

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان جرير » ( ۹٤٠/۲ ) .

وليسَ هاذا كقولِهِم: (لو رأيتَ عليّاً عليهِ السلامُ بينَ الصَّفَّينِ) فإنَّ إرادةَ البسالةِ والنكايةِ بينةٌ ، وأمارةَ النقصانِ في بيتِ جريرٍ واضحةٌ ، فمَنْ سمعَهُ وإن لم يكنْ مِنْ أهلِ البلاغةِ . . يَستبرِدُهُ ويَستغِثُهُ ، ويَسترجِحُ الآخَرَ ويَستجيدُهُ .

ومثلُهُ قولُ سعدِ بن مالكِ الأسديّ (١):

[من الطويل]

[ من الطويل ]

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ لَلاَقَيْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ يَفْعَلُ

فلم يبنْ بقولِهِ عمَّا أرادَ يلقىٰ منه ؛ أخيراً أم شرّاً ، إلَّا أن يسمعَ ما قبلَهُ وما بعدَهُ ، فيَتبيَّنَ معناهُ ، وأمَّا في نفسِ البيتِ . . فلا يَتبيَّنُ .

وأقولُ (''): إنَّ النقدَ على جريرٍ في غيرٍ مَحَلِّهِ ؛ حيثُ كانَ كلامُهُ معَ نفسِهِ ، وليسَ لأحدٍ أن يَسألَهُ عمَّا أرادَ ، وقصدُهُ أن يخفيَ مرادَهُ ، فذلكَ مقتضى الحال .

ومثلُهُ قولُ أبي تمام (٣):

وَقُمْنَا فَقُلْنَا بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ ٱلثَّرَىٰ بِهِ مَا يُقَالُ فِي ٱلسَّحَابَةِ تُقْلِعُ

وقولُ الناسِ في السَّحابِ إذا أقلعَ على وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنهُم مَنْ يَمدحُهُ ، ومنهُم مَنْ يَمدحُهُ ، ومنهُم مَنْ يكرهُ إقشاعَهُ ، على حَسَبِ ما كانَتْ حالُها عندَهُم ومواقعُها منهُم ، فلم يُبيِّنْ بقولِهِ : ( ما يُقالُ في السَّحابةِ تُقلِعُ ) معنى يَعتمِدُهُ السامعُ ، وأينَ هوَ مِنْ قولِ مسلم ( أ ) :

فَٱذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلسَّهْلُ وَٱلْأَوْعَارُ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٣٩ ) .

<sup>(</sup>٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٩٦/٤ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان صريع الغواني » ( ص ٣١٤ ) ، فمسلم بن الوليد مشهور بصريع الغواني .

على أنَّ المُحتجَّ لهُ لو قالَ: العادةُ في السَّحابِ أن يُحمَدَ أثرُهُ ويُثنَى عليهِ بعدَهُ. . لَمَا كانَ مُبعِداً ، ولم أُرِدْ عيبَ أبي تمامٍ ، إنَّما أُريدُ الإخبارَ عن وجهِ الاشتراكِ ، وذكرَ ما يَتشعَّبُ منهُ ويَقرُبُ مِنْ بابِهِ ، وينظرُ إليهِ مِنْ قريبٍ أو مِنْ بعيدٍ .

وأمَّا ما يُستبهَمُ فلا يُعرَفُ المعنى إلا بالتوهُّمِ . . فمثلُ قولِ أمَّا ما يُستبهَمُ فلا يُعرَفُ المعنى إلا بالتوهُّمِ . . فمثلُ قولِ أبي تمام (١) :

جَهْ مِيَّةُ ٱلْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَ وَٱلْأَشْيَاءِ

فوجهُ الاشتراكِ في هاذا: أنَّ للجهمِ مذاهبَ كثيرةً ، وآراءً مختلفةً مُتشعِّبةً ، لم يَدُلَّ فحوىٰ كلامِ أبي تمامٍ على شيءٍ منها يَصلُحُ أن يُشبَّهَ بهِ الخمرُ وتُنسَبَ إليهِ ، إلَّا أن يَتوهَمَ المُتوهِمُ فيقولَ : إنَّما أرادَ كذا وكذا مِنْ مذاهبِ جهمٍ مِنْ غيرِ أن يَدُلَّ الكلامُ منهُ على شيءٍ بعينِهِ ، ولا يُعرَفُ معنى قولِهِ : (قد لقَبوها جوهرَ الأشياءِ) إلَّا بالتوهُم أيضاً .

ومِنَ الكلامِ الخالي مِنَ الاشتراكِ كلامُ بعضِهِم لأخِ لهُ أرادَ فراقَهُ (۱): لمَّا تَصفَّحتُ أخلاقَكَ ، فوجدتُها مباينةً لشاكلتي ، زائغةً عن قصدِ طريقي . صبرتُ عليها ؛ رياضةً لنفسي على الصَّبرِ لمَساوي أخلاقِ المعاشرينَ ، ولعلمي بكامنِ العدوانِ في العالمينَ ، والذي رجوتُ مِنْ مروءةِ (۱) خصالِكَ بما أقابلُها مِنَ التجاوزِ ، فأسحبُ في سوءِ آثارِها أذيالَ التغاضي . . رأيتُ ذلكَ لا يُقوِّمُ اعوجاجَ مذاهبِكَ (۱) ، ولا يعطفُ بكَ الرأيَ على رشدِكَ ، فلمَّا

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان أبي تمام » ( ۳۰/۱ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٠ ـ ٤١ ) .

<sup>(</sup>٣) كذا في الأصل ، وفي « الصناعتين » : ( من مذمة ) بدل ( من مروءة ) .

<sup>(</sup>٤) كذا في الأصل ، والعبارة في « الصناعتين » : ( وأنت مع ذلك دائب لا تقوِّم اعوجاج مذاهبك ) بدل ( رأيت ذلك . . . ) .

فنيَتْ حيلتي فيكَ ، وانقطعَتْ أسبابُ أملي منكَ ، ورأيتُ الداءَ لا يزيدُ على التعهُّدِ إلَّا فساداً ، والخرقَ على الترقيع إلَّا اتساعاً . . قَدَّمتُ اليأسَ منكَ على الرجاءِ فيكَ ، واحتسبتُ أيامي السالفةَ في استصلاحي لكَ .

أقولُ (١): والاحترازُ عنِ المُشترَكِ أمرٌ مُهِمُّ ، مُحتاجُ لدِقَّةِ نظرٍ وإطالةِ فكرٍ ، حتىٰ يأخذَ بجميعِ مواردِ الانتقادِ ، ويَضرِبَ دونَها بالإسدادِ ، فيَسلَمَ ممَّا وقعَ فيهِ كثيرٌ مِنْ فُحولِ الشعراءِ ، وتستبينُ ذلكَ ممَّا أحكيهِ لكَ :

يُحكىٰ: أنَّ جريراً قدمَ المدينةَ مَرَّةً وشاعرُها يَومَئذِ الأحوصُ ، فاجتمعَ الناسُ لتعظيمِ جريرٍ ؛ إذ كانَ مِنْ أكابرِ الشُّعراءِ ذلكَ العصرَ ، ولم يرَ مِنَ الناسُ لتعظيمِ حريدٍ ، فقالَ لهُ: الأحوصِ ما يرضيهِ ، فأرادَ أن يُطأطأَ منهُ ، ويَحُطَّ مِنْ كِبْرِهِ ، فقالَ لهُ: يا أحوصُ ؛ أنتَ القائلُ (٢):

يَقَرُّ بِعَيْنِي مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ ٱلْعَيْنُ قَرَّتِ

فقالَ: نعم ، يَرَىٰ أَنَّهُ استحسنَهُ ، وأَنَّهُ سيُثني عليهِ ، فكانَ الأمرُ على خلافِ ذلكَ ، وقابلَهُ مِنَ البيتِ بدامغةٍ ؛ فقالَ لهُ: إنَّهُ يَقَرُّ بعينِها أن يدخلَ فيها مثلُ ذراعِ البَكْرِ أَفيَقَرُّ بعينِكَ ذلكَ ؟! فخَجِلَ الأحوصُ ولم يقابلُهُ بعدُ (٣).

وأنَّ الفرزدقَ لمَّا قالَ يفتخرُ (١٠):

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا سَارَتِ ٱلنَّاسُ خَلْفَنَا

[ من الطويل ]

وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَّفُوا

. . قالَ بعضُ أهلِ عصرِهِ : ذلكَ وقومُهُ أدلاءُ ركبانٍ !!

<sup>(</sup>١) القول للمؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان الأحوص الأنصاري » ( ص ١٠٧ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «وفيات الأعيان» ( ٤٣٠/١ ).

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان الفرزدق » ( ١٢٧/٢ ) .

وأنَّ ابنَ هرمةَ لمَّا قالَ في التمدُّحِ بالكرمِ ('': [من الكامل] نَارِي وَنَارُ ٱلْهَارِ وَاحِدَةٌ وَإِلَيْهِ قَبْلِي تَنْزِلُ ٱلْهِادُرُ . . قالَتِ امرأتُهُ: لأنَّها نارُ الجار وقدرُهُ!!

ولمَّا قالَ المتنبي في صفةِ جسمِهِ بالنحولِ على عادةِ العُشَّاقِ (٢):

أَبْلَى ٱلْهَوَىٰ أَسَفاً يَوْمَ ٱلنَّوَىٰ بَدَنِي وَفَرَّقَ ٱلْهَجْرُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْوَسَنِ رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ ٱلْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ ٱلرِّيحُ عَنْهُ ٱلثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ كُوحٌ تَرَدِي مِثْلِ ٱلْخِلَالِ إِذَا لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي كَفَىٰ بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

قالَ عَصريُّهُ الرماديُّ شاعرُ الأندلسِ: لم يزدْ أن جعلَ نفسَهُ ضرطةً يُسمَعُ صوتُها ولا يُرىٰ لها شخصٌ ، فاتفقَ أن قالَ الرماديُّ في غزلِ يُصيدةٍ (٢٠):

فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مُعَذِّبِي سَلِمَتْ مِنَ ٱلتَّجْرِيح وَٱلتَّنْكِيلِ

فقالَ المتنبي: يَصونُهُ في استِهِ ، وللكنْ لم يبلغْ مِنَ الرَّماديِّ بهاذا الانتقادِ ما بلغهُ منهُ ، وهاذا النوعُ مِنَ الانتقادِ هوَ الذي يُسمِّيهُ ظُرفاءُ أهلِ مصرَ بالتنكيتِ ، ولهُم فيهِ غرائبُ ، وعلى مَنْ يُحِبُّ تربيةَ ذوقِهِ وإيقاظَ فكرِهِ أن يعاشرَهُم ، ويستفيدَ ذلكَ منهُم ، فالعاقلُ يخرجُ مِنَ الهزلِ إلى الجِدِّ ، ويُحصِّلُ مِنْ صغار الأمور على كبارها .

رجعنا إلى كلامٍ أبي هلالٍ ، قالَ (؛):

<sup>(</sup>١) انظر « خزانة الأدب » ( ٧٢/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان المتنبى » ( ص ٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « نفح الطيب » ( ٧١/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤١ ) .

وقولُهُ (وحقُّ المعنىٰ أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً) أي: اللفظُ بقَدْرِ المعنىٰ ، غيرَ زائدٍ عليهِ ، ولا ناقصٍ عنهُ ، وكأنَّ ذلكَ مِنْ قولِ امرئ القيس (١):

..... طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرُّ

أي : هوَ على الأرضِ كالطَّبقِ على الإناءِ ، لا يَنقُصُ منهُ شيءٌ ، قولُ امرئ القيس هلذا في صفةِ المطر ، والبيتُ :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرُّ

وقولُهُ: (ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ولا مُقصِّراً) مثالُ الفاضلِ مِنَ اللفظِ عنِ المعنى: قولُ عروةَ بنِ أذينةَ (٢):

وَٱسْقِ ٱلْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَٱعْلَمْ لَهُ بِالْغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكَهَا وَٱسْقِ ٱلْعَرْامَةَ مَنْ تَرَىٰ أَنْ لَوْ لَهُ يَوْماً بَذَلْتَ كَرَامَةً لَجَزَاكَهَا وَٱجْذِ ٱلْكَرَامَةَ مَنْ تَرَىٰ أَنْ لَوْ لَهُ يَوْماً بَذَلْتَ كَرَامَةً لَجَزَاكَهَا

ومعنى هاذا الكلام محصورٌ تحتَ ثلاثِ كلماتٍ : اجزِ كُلَّا بفعلِهِ ، وكانَ السكوتُ لعروةَ خيراً منهُ .

ومِنَ الكلامِ الفاضلِ لفظُهُ عن معناهُ: قولُ أبي العيالِ الهذليِّ (٣):

ذَكَ رْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صَدَاعُ ٱلصَّرَاءُ ٱلصَّرَاءُ الْسِ وَٱلْوَصَبُ فذكرُ الرأسِ معَ الصُّداع فضلٌ ، وقولُ أوسِ بنِ حجرٍ (١٠): [من الطويل]

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ١٤٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان عروة بن أذينة » ( ص ٣٤٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « معاهد التنصيص » ( ٣٢٦/١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أوس بن حجر » ( ص ٩١ ) .

وَهُمْ لِمُقِلِّ ٱلْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضاً فِي ٱلْعُمُومَةِ مُخْوِلَا

فقولُهُ: (المالُ) معَ (المُقِلِّ) فضلةٌ ؛ يعني: أنَّ المُقِلَّ والمُكثِرَ معناهُما في الاستعمالِ: الفقيرُ والغنيُّ ، وأولادُ عَلَّةٍ: هُمُ الأولادُ لأُمَّهاتٍ شتَّىٰ ، وهُم غالباً أعداءٌ لبعضِهِم ، فمعنى الكلام: أنَّ الناسَ أعداءُ الفقير.

والمُقصِّرُ مِنَ الكلامِ: ما لا يُنبئُكَ عن معناهُ عندَ سماعِكَ إيَّاهُ ، ويُحوِجُكَ إلى شرح ، كبيتِ الحارثِ بنِ حلزةَ (١): [من مجزوء الكامل]

وَٱلْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَا لِ ٱلنُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا

معناهُ: والعيشُ في ظلالِ الحماقةِ \_ وهوَ العيشُ الرخيُّ \_ خيرٌ مِنْ عيشِ العُقلاءِ ؛ وهوَ العيشُ الشديدُ ، ذلكَ حَسَبَ ما هوَ دائرٌ بينَ الناسِ مِنْ أَنَّ الدنيا لا تزالُ معَ الحمقىٰ ، والعاقلَ محرومٌ منها ، وللناسِ في ذلكَ كلامٌ كثيرٌ .

وقولُهُ: (ولا مُضمَّناً)، التضمينُ: أن يكونَ الفصلُ الأوَّلُ مُفتقِراً إلى الأخيرِ ؛ كقولِ مُفتقِراً إلى الفصلِ الثاني ، والبيتُ الأولُ مُحتاجاً إلى الأخيرِ ؛ كقولِ الشاعر (۲):

كَأَنَّ ٱلْقَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى ٱلْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ ٱلْجَنَاحُ

فلم يُتِمَّ المعنى إلَّا في البيتِ الثاني ، وهوَ قبيخٌ .

ومثالُهُ مِنْ نثرِ الكتابِ : قولُ بعضِهِم : وجعلَ سيِّدَنا آخذاً مِنْ كلِّ ما دُعِيَ بِهِ أَو يُدعَىٰ في الأعيادِ ، بأجزلِ الأقسام وأوفرِ الأعدادِ .

<sup>(</sup>۱) انظر « معاهد التنصيص » ( ۳۰۸/۱ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٢ ) .

وقالَ بعضُ الحكماءِ (١٠): البلاغةُ: قولٌ يسيرٌ يَشتمِلُ على معنى خطيرٍ. وهاذا مثلُ قولِ الآخَر (٢٠): البلاغةُ: علمٌ كثيرٌ في قولٍ يسير.

ومثالُهُ: قولُ الأعرابيِّ وقد سُئِلَ عن مالٍ يَسوقُهُ: لِمَنْ هوَ ؟ فقالَ: للهِ في يدي .

فأيُّ شيءٍ لم يدخلْ تحتَ هاذا الكلامِ القليلِ مِنَ الفوائدِ الخطيرةِ والحِكمِ البارعةِ الجسيمةِ ؟!

وقالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللّهِ فَهُوَحَسَّبُهُ ﴾ (٢) فدخلَ تحتَ قولِهِ: ﴿ فَهُوَحَسِّبُهُ ﴾ ومِنَ إيتاءِ ما يُرجى ، قولِهِ: ﴿ فَهُوَحَسِّبُهُ ﴾ مِنَ المعاني ما يَطولُ شرحُهُ ؛ مِنْ إيتاءِ ما يُرجى ، وكفايةِ ما يُخشى ، وهاذا مثلُ قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُ اللّهُ عَيْنُ ﴾ (١) .

وسُئِلَ بعضُ الأوائلِ عن سببِ موتِ أخيهِ ، فقالَ : كونُهُ ؛ أي : سببُ موتِهِ كونُهُ ؛ أي : سببُ موتِهِ كونُهُ ؛ أي : وجودُهُ بحَسَبِ استعدادِهِ وطبيعةِ خلقتِهِ .

وقد تنازعَ الناسُ في هاذا المعنى (°): أخبرنا أبو أحمدَ ، قالَ : أنبأنا أبو بكرِ بنُ دريدٍ ، عن الرِّياشيِّ قالَ : قيلَ لأعرابيٍّ : كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ : ما حالُ مَنْ يَفنى ببقائِهِ ، ويَسقَمُ بسلامتِهِ ، ويُؤتى مِنْ مأمنِهِ ؟!

وأخبرَنا أبو أحمدَ ، قالَ : أنبأَنا محمدُ بنُ يحيىٰ ، قالَ : حدَّثَنا القلابيُّ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ عائشةَ ، قالَ : قلتُ لأبي : حدَّثَني حمادُ بنُ سلمةَ عن

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٣ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة الطلاق : (٣).

<sup>(</sup>٤) سورة الزخرف : (٧١).

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٤ ) .

حميدِ بنِ ثابتٍ ، عن أنسٍ والحسنِ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ :  $(1)^{1/3}$  قالَ : يا بنيَّ ؛  $(1)^{1/3}$  مُسنَداً ، وقد قالَ حميدُ بنُ ثور  $(1)^{1/3}$  :

أَرَىٰ بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْقَمَا وَقَالَ الآخَرُ (٣):

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ فَأَلَانَهَا ٱلْإِصْبَاحُ وَٱلْإِمْسَاءُ وَوَعَوْتُ رَبِّي بِٱلسَّلَامَةِ دَاءُ لِيُصِحَّنِي فَإِذَا ٱلسَّلَامَةُ دَاءُ

وأوَّلُ مَنْ نطقَ بهاذا المعنى النمرُ بنُ تولبٍ في الجاهليةِ (''): [من الطويل] يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ وَٱلْغِنَىٰ فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ يَرُدُّ ٱلْفَتَىٰ بَعْدَ ٱعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ يَنْوءُ إِذَا رَامَ ٱلْقِيمَامَ وَيُحْمَلُ وَالْمَ الْقِيمَامَ وَيُحْمَلُ وَقَالَ آخَرُ (''):

مَا حَالُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ نَغَّصَ عَيْشِي كُلَّهُ فَنَاؤُهُ وقالَ ابنُ الروميِّ (`` :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ ٱلْبَصِيرِ غِطَاؤُهَا وَكِيْفَ بَقَاءُ ٱلنَّفْس فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ ٱلْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا

<sup>(</sup>١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ( ١٤٠٩ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان حميد بن ثور الهلالي » ( ص ٢١٨ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٤ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان النمر بن تولب » ( ص ١٠٠ \_ ١٠١ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « ديوان ابن الرومي » ( ١٣٠/١ ) .

ولبعض المُتأخِّرينَ في هلذا المعنى شعرٌ حسنٌ لا بأسَ بإثباتِهِ معَ ما أثبتَ أبو هلالٍ ؛ وهو (١): [ من الخفيف]

وَطَرِيقُ [ ٱلْفَنَاءِ] هَاذَا ٱلْبَقَاءُ أَقْتَلُ ٱلدَّاءِ لِلنُّفُوسِ ٱلدَّوَاءُ نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذُهَا وَٱلْعَطَاءُ يَهَب ٱلصُّبْحُ يَسْتَردَّ ٱلْمَسَاءُ كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ امُ أَمْ لَيْسَ تُعْقَلُ ٱلْأَشْيَاءُ نَالَهَا ٱلْأُمَّهَاتُ وَٱلْآبَاءُ ـدَ فَإِيجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

صِحَّةُ ٱلْمَرْءِ لِلسَّقَامِ طَرِيتٌ بٱلَّذِي [ نَغْتَذِي ] نَمُوتُ وَنَحْيَا مَا لَقِينَا مِنْ غَدْر دُنْيَا فَلَا كَا جُودُهَا رَاجِعٌ إِلَيْهَا فَمَهْمَا صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ لَيْتَ شِعْرِي حُلْمٌ تَمُرُّ بِهِ ٱلْأَيَّ قَبَّحَ ٱللهُ لَـذَّةً لِشَـقَانَا نَحْنُ لَوْلَا ٱلْوُجُودُ لَمْ نَأْلَم ٱلْفَقْ

ولبعضِهِمُ (٢): البلاغة : حسنُ الاقتضابِ عندَ البديهةِ ، والغزارة عندَ الإطالة .

الاقتضابُ : أخذُ القليلِ مِنَ الكثيرِ ، وأصلُهُ مِنْ قولِهِمُ : اقتضبتُ الغصنَ ؛ إذا قطعتُهُ مِنْ شجرتِهِ.

فمِنَ البديهةِ الحسنةِ (٢): ما أخبرَنا بهِ أبو أحمدَ ، قالَ : أخبرنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ الشطبيُّ ، قالَ : حدَّثَني أحمدُ بنُ يحيىٰ ، قالَ : دخلَ المأمونُ ديوانَ الخراج ، فمرَّ بغلام جميلٍ على أَذنِهِ قلمٌ ، فأعجبَهُ ما رأى مِنْ حسنِهِ ، فقالَ : مَنْ أنتَ يا غلامُ ؟ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ الناشئُ في

<sup>(</sup>١) انظر « معجم الأدباء » ( ٢٣/٤ \_ ٢٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦ ) .

دولتِكَ ، وخِرِّيجُ أدبِكَ ، والمُتقلِّبُ في نعمتِكَ ، الحسنُ بنُ رجاءٍ ، فقالَ المأمونُ : بالإحسانِ في البديهةِ تفاضلَتِ العقولُ ، ثمَّ أَمرَ برفعِ رتبتِهِ ، وإعطائِهِ مئتَيْ أَلفِ درهم .

ومِنَ الاقتضابِ الجيدِ (١٠): ما وردَ في خبرِ عن أبي عبيدةَ قالَ: استفتحتُ غلامَينِ في الصِّبا، فزَكَنْتُ منهما بلوغَ الغايةِ ، فجاءَ كما زكنتُ .

بلغَني : أنَّ النَّظَّامَ يَتعاطىٰ علمَ الكلامِ ، فمرَّ بي وهوَ غلامٌ علىٰ حمارٍ يطيرُ بهِ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ ما عيبُ الزُّجاج ؟ فقالَ : سريعُ الكسرِ ، بطيءُ الجبرِ .

وبلغني: أنَّ أبا نُواسٍ يَتعاطىٰ قرضَ الشعرِ ، فلقيَني وهوَ سكرانُ يوماً وما طَرَّ شاربُهُ بعدُ ، فقلتُ : كيفَ فلانٌ عندَكَ ؟ فقالَ : ثقيلُ الظِّلِّ ، جامدُ النَّسيمِ ، فقلتُ : زِدْ ، فقالَ : مظلمُ الهواءِ ، مُنتِنُ الفِناءِ ، فقلتُ : زِدْ ، فقالَ : غليظُ الطَّبعِ ، بغيضُ الشَّكلِ ، قلتُ : زِدْ ، قالَ : وخمُ الطَّلعةِ ، عسرُ القلعةِ ، قلتُ : حسبُكَ ، فقالَ : قلتُ : حسبُكَ ، فقالَ : قلتُ : حسبُكَ ، فقالَ : زِدْ ، قالَ . . أزدْكَ جواباً ، فقلتُ : كفىٰ مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعُنُقِ .

ومِنْ جيدِ البديهةِ (۱): ما كانَ مِنْ يحيى بنِ أكثمَ وقد قالَ لهُ المأمونُ: صفْ لي حالي عندَ الناسِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدِ انقادَتْ لكَ الأمورُ بأزمَّتِها ، وملَّكَتْكَ الأُمَّةُ فضولَ أعنَّتِها بالرغبةِ إليكَ ، والمحبةِ لكَ ، والرفقِ منكَ بهِم ، ومنكَ عليهِم ، فالحمدُ للهِ الذي [جمعنا] بكَ بعدَ التقاطع ، ورفعنا في دولتِكَ بعدَ التواضع ، فقالَ : يا يحيىٰ ؛ تحبيراً أمِ ارتجالاً ؟ قالَ : وهل يمتنعُ فيكَ وصفٌ ، أو يَتعذَّرُ علىٰ مادحِكَ قولٌ ، أو يُفحَمُ فيك شاعرٌ ، أو يَتلجلجُ فيكَ خطيبٌ ؟!

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧ ) .

ومِنْ حسنِ البديهةِ (١): ما يُحكىٰ: أنَّهُ قدمَ للمهديِّ رجلٌ مِنْ خُراسانَ ، فقالَ: أطالَ اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنينَ ؛ إنَّا قومٌ نأينا عنِ العربِ ، وشغلَتْنا الحُروبُ عنِ الخُطَبِ ، وأميرُ المؤمنينَ يعلمُ طاعتَنا ، وما فيهِ مصلحتُنا ، فيكتفي منَّا باليسيرِ عنِ الكثيرِ ، ويقتصرُ علىٰ ما في الضّميرِ .

ومِنْ حسنِ البديهةِ (۱): ما تسمعُهُ فيما يُحكىٰ: أنَّ أعرابيّاً دخلَ على المنصورِ ، فتكلَّمَ ، فأُعجِبَ بكلامِهِ ، فقالَ لهُ: سلْ حاجتَكَ ، فقالَ: يبقيكَ اللهُ ، ويزيدُ في سلطانِكَ ، فقالَ: سلْ حاجتَكَ ، فليسَ فقالَ: يبقيكَ اللهُ ، ويزيدُ في سلطانِكَ ، فقالَ: سلْ حاجتَكَ ، فليسَ في كلِّ وقتٍ يُؤمَرُ بذلكَ ، فقالَ: ولمَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟! فواللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؟! فواللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما أستقصرُ عمرَكَ ، ولا أخافُ بخلكَ ، ولا أغتنمُ مالكَ ، وإنَّ عطاءَكَ لزينٌ ، وما بامرئ بذلَ وجهَهُ لكَ نقصٌ ولا شَيْنٌ .

أَخذَ المعنى الأخيرَ مِنْ قولِ أميةَ بنِ أبي الصَّلْتِ في عبدِ اللهِ بنِ جدعانَ (٣):

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِأَمْرِئَ إِنْ حَبَوْتَهُ بِسَيْبٍ وَمَا كُلُّ ٱلْعَطَاءِ يَزِينُ وَلَيْسُ بِشَيْنِ لِآمْرِئَ بَذْلُ وَجْهِهِ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ ٱلسُّوَالِ يَشِينُ

## [حدُّ البلاغةِ عندَ جعفرِ بنِ يحيى ]

وقالَ جعفرُ بنُ يحيى (''): البلاغةُ: أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ ، ويُجلِّي عن مغزاكَ ، ويُخرِجُهُ مِنَ الشركةِ ، ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرِ ،

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧ ـ ٤٨ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أمية بن أبي الصلت » ( ص ٤٩٩ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «الصناعتين» (ص ٤٨).

ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ ، بعيداً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ ، بريئاً مِنَ التعقيدِ ، غنيّاً عن التأمُّل .

قولُهُ: (أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ) ، فالاسمُ ها هنا: اللفظُ ؛ أي: يَحصُرُ اللفظُ جميعَ المعنى ، ويَشتمِلُ عليهِ ؛ فلا يَشِذُّ منهُ شيءٌ يحتاجُ إلى أن يُعرَفَ بشرحٍ أو بتفسيرٍ ، فإذا سمعتَ اللفظَ . . عرفتَ أقصى المعنى ، وهاذا مثلُ قولِ الآخرِ : البليغُ : مَنْ طَبَّقَ المَفْصِلَ ، وأغناكَ عنِ المُفسِّر .

ولا يكونُ الكلامُ بليغاً معَ ذلكَ حتى يَعرى مِنَ العيبِ، ويَتضمَّنَ الجَزالةَ والسُّهولةَ وجودةَ الصَّنعةِ فيما ذكرنا، ومثالُ ذلكَ (١): ما كتبَ بعضُهُم إلى أخ لهُ: أمَّا بعدُ: فإنَّ المرءَ يَسُرُّهُ دَرَكُ ما لم يكنْ ليُحرَمَهُ، ويَسوءُهُ فوتُ ما لم يكنْ ليُحرَمَهُ، ويَسوءُهُ فوتُ ما لم يكنْ ليدركَهُ، فليكنْ سرورُكَ فيما قدمتَ مِنْ خيرٍ، وأسفُكَ على ما فاتكَ مِنْ برّ.

وقولُ أعرابي لابنهِ : يا بني ؟ إنَّ الدنيا تسعىٰ علىٰ مَنْ يسعىٰ لها ، فالهربَ قبلَ العطبِ ؛ فقد آذنتْكَ بدينِ (٢) ، وانطوَتْ لكَ علىٰ حَيْنِ .

وقالَ الشاعرُ (٣):

حَلَالٌ لِلَيْلَىٰ أَنْ يَرُوحَ فُوَّادُهُ تَطَلَّعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكِ نَوَازِعٌ وَزَالَتْ زَوَالَ ٱلشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا

[من الطويل]

بِهَجْرٍ وَمَغْفُورٌ لِلَيْلَىٰ ذُنُوبُهَا عَوَارِفُ أَنَّ ٱلْيَأْسَ مِنْكِ نَصِيبُهَا فَمَنْ مُخْبري فِي أَيِّ أَرْض غُرُوبُهَا

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٨ ) .

<sup>(</sup>۲) في « الصناعتين » : ( ببين ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨ ).

<sup>(</sup>٤) في « الصناعتين » : ( تروع ) بدل ( يروح ) .

وقالَ آخَرُ (۱): [من الطويل]

وَمَاذَا عَسَى ٱلْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَىٰ أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكِ عَاشِقُ أَخَلُ عَاشِقُ أَخُلُ عَاشِقُ أَخُلُ عَاشِقُ أَخُلُ عَاشِقُ أَخُلُ عَاشِقُ أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكِ ٱلْخَلَائِقُ

وقولُهُ : ( ويُجلِّي عن مغزاكَ ) أي : يُوضِّحُ مقصدَكَ ، ويُبيِّنُ للسامعِ مرادَكَ ، ينهى عن التعميةِ والإغلاقِ .

وقولُهُ: ( ويخرجُهُ مِنَ الشركةِ ) فقد مضى تفسيرُهُ (٢).

وقولُهُ: (ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرةِ) هاذا لأنَّ الكلامَ إذا تَقطَّعَتْ أجزاؤُهُ، ولم تتصلْ فصولُهُ. ذهبَ رونقُهُ، وغاضَ ماؤُهُ، وإنَّما رونقُ الكلامِ إذا جرى جريانَ السيلِ، وانصبَّ انصبابَ القطرِ.

وقالَ ثمامةُ ("): ما رأيتُ أحداً إذا تَكلَّمَ لا يَتحبَّسُ ، ولا يَتوقَّفُ ، ولا يَتلقَّفُ ، ولا يَتلقَفُ ، ولا يَتلقَفُ ، ولا يَتلحنحُ ، ولا يَترقَّبُ لفظاً استدعاهُ مِنْ بَعدُ ، ولا يلتمسُ التخلُّصَ إلى معنىً قدِ اعتاصَ عليهِ بعدَ طلبِهِ . . إلَّا جعفرَ بنَ يحيىٰ .

فمِنَ الكلامِ الجاري مَجرى السيلِ ('): قولُ بعضِ العربِ لبعضِ ملوكِ بني أمية : أقطعتَ فلاناً أرضاً وَسُطَ [ مَحَلَّتِنا ، وسواءَ ] (') خِطَّتِنا ، ومركزَ رماحِنا ، ومنزلَ لقاحِنا ، ومخرجَ نسائِنا ، ومُتقلَّبَ آبائِنا ، ومَسرحَ شبابِنا ، ومَصبحَنا في صيفِنا ، فقالَ : تُكْفُونَ ، وعَوَّضَهُ عنها ، وردَّها عليهم .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٩ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر ( ۳۳٦/۳ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٩ ) .

<sup>(</sup>٥) في الأصل : (حلتنا وسوء).

ويُروئ : أنَّ الإمامَ أبا محمدِ الحسنَ بنَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهِما . . خطبَ ، فقالَ ('') : اعلموا : أنَّ الحِلْمَ زينٌ ، والوقارَ مروءةٌ ، والصَّلفَ نقمةٌ ، والإكثارَ صَلفٌ ، والعجلةَ سفةٌ ، والسَّفة ضعفٌ ، والقلقَ ورطةٌ ، ومجالسةَ أهلِ الدناءةِ شَينٌ ، ومخالطةَ أهلِ الفُسوقِ ريبةٌ .

فهانده هي البلاغةُ التامَّةُ ، والبيانُ الكاملُ .

وكما قالَ بعضُهُمُ ('`): البلاغةُ: صوابٌ في سرعةِ جوابٍ ، والعِيُّ: إكثارٌ في إهذارِ ، وإبطاءٌ في دقةِ أخطاءٍ .

وقالَ بعضُهُم (٣): لستُ ممَّنْ يَتوهَّمُ بجهلِهِ ، ويَظنُّ بقِلَةِ عقلِهِ : أَنَّ الدِّيانةَ والأمانةَ ، والنزاهةَ والصِّيانةَ . . إنَّما هي في تشميرِ ثوبِهِ ، وإحفاءِ شاربِهِ ، وكشفِهِ عن ساقِهِ ، وزهوهِ بأطمارِهِ ، وإنعالِ خُفِّهِ ، وترقيعِ ثوبِهِ ، وإظهارِ سَجَّادتِهِ ، وتعليقِ شبحتِهِ ، وخفضِ صوتِهِ ، وخضوعِ جسمِه دونَ قلبِهِ ، واختلاسِ مشيهِ ، وخفةِ وطئِهِ بينَ قومِهِ ، ولا يرتشي في حكمِهِ ، ويأخذُ على علمِهِ ، ولا يرفعُ طرفَهُ مِنْ عظمتِهِ وكبريائِهِ ، ولا يُكلِّمُ الناسَ مِنْ تصنُّعِهِ وريائِهِ .

فه الله الكلامُ وأمثالُهُ في طولِ النفسِ يدلُّ على اقتدارِ المُتكلِّمِ وفضلِ قُوَّتِهِ في التصرُّفِ .

وقولُهُ: ( ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ ) ، فالتكلُّفُ: طلبُ الشيءِ بصُعوبةٍ ، للجهلِ في طلبِهِ بالسُّهولةِ ، فالكلامُ إذا جُمِعَ بتعبٍ وجهدٍ ، [ وتُنُوِّلَتْ ]

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٩ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٠ ) .

أَلْفَاظُهُ مِنْ بُعْدٍ . . فهوَ مُتكلَّفٌ ، مثالُهُ (١) : قولُ بعضِهِم في دعائِهِ : اللهمَّ ربَّنا وإللهَنا ؛ صلِّ على محمدٍ نبيِّنا ، ومَنْ أرادَ بنا سوءاً . . فاحططْ ذلكَ السُّوءَ به وأرسخْهُ به كرسوخِ السِّجِيلِ ، على أصحابِ الفيلِ ، وانصُرْنا على كلِّ بغ وحَسودٍ ، كما انتصرتَ لناقةِ ثَمودٍ .

وقولُهُ: (بريئاً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ)، فسوءُ الصَّنعةِ يتصرَّفُ على وجوهِ ؟ منها: سوءُ التقسيمِ وفسادُهُ، [ وقبحُ ] الاستعارةِ والتطبيقِ، وفسادُ النسجِ والسبكِ . . . إلى غيرِ ذلكَ ممَّا سيُنبِّهُكَ عليهِ لاحقُ الكلام .

ورُوِيَ أَنَّه قالَ : ( بريئاً مِنَ الصَّنعةِ ) ، فالصَّنعةُ : النقصانُ مِنْ غايةِ الجودةِ ، والقصور عن جدِّ الإحسانِ .

ويُحكىٰ ('`): أنَّ النابغةَ لمَّا دخلَ المدينةَ . . شربَ ، وغنَّاهُ المُغنِّي قصيدتَهُ (''): 
[من الكامل]

أَمِنَ ٱلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ وحركةُ رويتها الكسرةُ ، فلمَّا سمعَ قولَهُ :

..... قِيِنَاكَ خَبَّرَنَا ٱلْغُرَابُ ٱلْأَسْوَدُ

وقولُه :

..... عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ ٱللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

. . استنكرَ ذلك ، وخرجَ مِنَ المدينةِ وهوَ يقولُ : دخلتُ المدينةَ فوجدتُ في شعري صنعةً ، فخرجتُ منها وأنا أشعرُ الناس .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥١ ).

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ٨٩ ) .

وقولُهُ: (فيهِ صنعةٌ)، هوَ كقولِ الصَّانعِ إذا لم يُتمِّمْ عملَهُ في شيءٍ: هاذا الشيءُ لم يزلْ فيهِ شغلٌ؛ أي: هوَ محتاجٌ لأن يصنعَ حتىٰ يَتِمَّ ويبلغَ أحسنَ أحوالِهِ، مثلاً: أحسنُ أحوالِ القصيدةِ أن تكونَ أبياتُها جميعُها متفقةَ الرَّويِّ، فقصيدةُ النابغةِ المذكورةُ محتاجةٌ لتغييرِ تركيبِ البيتَينِ حتىٰ يوافقَ رَويُّهُما بقيةَ القصيدةِ ، يُقالُ: إنَّهُ غَيَّرَ قولَهُ:

...... وَبِـذَاكَ خَـبَّـرَنَـا ٱلْـغُـرَابُ ٱلْأَسْـوَدُ

إلىٰ :

..... قِيِذَاكَ تَنْعَابُ ٱلْغُرَابِ ٱلْأَسْوَدِ

وهوَ فِرارٌ مِنْ عيبٍ لأشدَّ منهُ ؛ فإنَّكَ تقارنُ بينَ (خَبَّرَنا) و(تَنعابُ) فتجدُ الأُولى صادرةً عن مصدرِ شعرٍ ، والثانية لم تجئ إلَّا بالبحثِ والتكلُّفِ لها ، وقهرها في وضعِها بغير مَقرِّها .

وحُكِيَ ('): أنَّهُ كانَ ابنُ الأعرابيِّ يأمرُ بكتبِ جميعِ ما يجري في مجلسِهِ ، فأنشدَهُ رجلٌ يوماً أرجوزة أبي تمامٍ في وصفِ السحابِ على أنَّها لبعضِ العرب:

سَارِيَةٌ لَمْ تَكْتَحِلْ بِغَمْضِ
كَدْرَاءُ ذَاتُ هَلَا مَلَانٍ مَدْضِ
[مُوقَرَةٌ] مِنْ خُلَّةٍ وَحَمْضِ
تَمْضِي وَيُبْقِي نِعَماً لَا تَمْضِي
قَضْتْ بِهَا ٱلسَّمَاءُ حَقَّ ٱلْأَرْضِ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٥١ ) .

فقالَ ابنُ الأعرابيِّ : اكتبوها ، فلمَّا كتبوها . . قيلَ : إنَّها لحبيبِ بنِ أوسٍ ، فقالَ : خَرِّقْ ، لا جرمَ أنَّ أثرَ الصَّنعةِ فيها بيِّنٌ !!

وقالَ الفرزدقُ : إنَّ للقصائدِ مصنعاً ؛ أي : معاباً ومنقصةً .

وقولُهُ: ( بعيدٌ مِنَ التعقيدِ) ، فالتعقيدُ: الإغلاقُ ؛ وهوَ استعمالُ الوحشيّ ، وتعليقُ الكلام بعضِهِ ببعضِ حتى يستبهمَ المعنى .

فمِنْ أمثلةِ ذلكَ (''): ما يُحكىٰ: أنَّ رجلاً مرضَتْ أُمُّهُ ، فكتبَ رقاعاً وطرحَها في المسجدِ الجامعِ بمدينةِ السلامِ يطلبُ فيها أن يدعوَ الناسُ لأُمِّهِ ، وهذا ما كتبَ فيها: صِينَ ٱمرؤُ دعا لامرأةٍ [مُقْسَئِنَةٍ] ('')، قد مُنِيَتْ بأكلِ الطُّرموقِ ، فأصابَها مِنْ أجلِهِ الاستمصالُ ؛ أنْ يَمُنَّ اللهُ عليها باطرغشاشٍ وابرغشاشٍ .

الطُّرموقُ : الخفاشُ ، والاستمصالُ : الإسهالُ ، واطرغشَ وابرغشَ ؛ إذا أبلَّ وبَرَأَ ، فكانَ كلُّ مَنْ قرأَ رقعةً . . بالغَ في لعنِهِ ولعنِ أُمِّهِ .

والتعليقُ كقولِ أبي تمام (٢):

جَارَىٰ إِلَيْهِ ٱلْبَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ
يَا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْ وِي لَهْ وُهُ
يَا يَوْمُ أَفَاضَ جَوى أَغَاضَ تَعَزِّياً
يَوْمُ أَفَاضَ جَوى أَغَاضَ تَعَزِّياً
وقولِهِ (١٠):

فَٱلْمَجْدُ لَا يَرْضَىٰ بِأَنْ تَرْضَىٰ بِأَنْ

[ من الكامل ]

[ من الكامل ]

مَاشَتْ إِلَيْهِ ٱلْمَطْلَ مَشْيَ ٱلْأَكْبُدِ بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي خَاضَ ٱلْهَوَىٰ بَحْرَيْ حِجَاهُ ٱلْمُزْبِدِ

يَرْضَى ٱمْرُؤٌ يَرْجُوكَ إِلَّا بِٱلرِّضَا

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٢ ) .

<sup>(</sup>٢) والمقسئنة : كبيرة السن .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٤٤/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٣٠٧/٢ ) .

وقولِ المتنبي (١):

[ من الكامل]

مَنْ يَهْتَدِي فِي ٱلْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي ٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ يَفْعَلَ ٱلشُّعَرَاءُ

وبلغَنا: أنَّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ كانَ يُنشِدُ مثلَ هـُذا عندَ الحسنِ بنِ وهبٍ ، فكانَ يقولُ لهُ: يا هـُذا ؛ إنَّكَ تُشدِّدُ على نفسِكَ ، فكلُّ ما كانَ مِنَ الكلامِ بهـُذهِ المثابةِ . . كانَ مذموماً مردوداً ، وكانَ السُّكوتُ خيراً منهُ .

وقولُهُ: (غنيًا عنِ التأمُّلِ) أي: هوَ مستغنِ لوضوحِهِ عن تأمُّلِ معانيهِ ، وترديدِ النظرِ فيهِ ؛ كقولِ بعضِهِم لصديقٍ لهُ (١): وجدتُ المودَّةَ منقطعةً ما دامَتِ الحشمةُ عليها مُسلَّطةً ، ولا يزولُ سلطانُ الحشمةِ إلَّا بملكةِ المؤانسةِ .

وممَّا يُؤيِّدُ ما قلناهُ (٣): قولُ الجاحظِ: مَنْ أعارَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ معونتِهِ نصيباً ، وأفرغَ عليهِ مِنْ محبَّتِهِ ذَنوباً . . حَبَّبَ إليهِ المعانيَ ، وسَلَّسَ لهُ نظامَ اللهظِ ، وكانَ قد أعفى المستمعَ مِنْ كدِّ التلطُّفِ ، وأراحَ قارئَ الكتابِ مِنَ الفهم .

معناهُ: أنَّهُ يعفيهِ ويريحُهُ مِنْ تعبِ أن يَتطلَّبَ المرادَ بشدَّةِ النظرِ وكثرةِ التأمُّل حتى يعثرَ عليهِ .

## [حدُّ البلاغةِ عندَ بعضِهم]

ولبعضِهِمُ ( أ ) : البلاغةُ : التقريبُ مِنَ المعنى البعيدِ ، والتباعدُ مِنْ

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان المتنبى » ( ص ٩٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٣ ).

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٣ ) .

حشوِ الكلامِ ؛ وذلكَ بالقصدِ إلى الإيجازِ في صوابٍ ، والحُجَّةِ وحسنِ الاستعارةِ (١).

ومثلُهُ: قولُ آخَرَ (٢): البلاغةُ: تقريبُ ما بَعُدَ مِنَ الحكمةِ بأيسرِ الخطاب.

وتقريبُ المعنى البعيدِ: بأن يَعمِدَ إلى المعنى اللطيفِ فيكشفَهُ ، وينفيَ الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهُ أَنْ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في المعنى المعنى

لَمْ نَدْرِ مَا ٱلدُّنْيَا وَمَا طِيبُهَا وَحُسنُهَا حَتَّىٰ رَأَيْنَاهَا إِنَّكَ لَـ وَحُسنُهَا حَتَّىٰ رَأَيْنَاهَا إِنَّكَ لَـ وَ أَبْصَرْتَهَا سَاعَةً أَجْلَلْتَهَا أَنْ تَتَمَنَّاهَا

وقولُ بعضِهِم لملكٍ مِنَ الملوكِ (''): أمَّا التعجُّبُ مِنْ مناقبِكَ . . فقد نسخَهُ تواترُها ، فصارَتْ كالشيءِ القديمِ الذي قد أُنِسَ بهِ ، لا كالشيءِ البديعِ الذي يُتعجَّبُ منهُ .

ومِنْ هاذا أَخذَ أبو تمامٍ قولَهُ (٥):

عَلَىٰ أَنَّهَا ٱلْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّىٰ لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

وقولُ آخَرَ لبعضِ الملوكِ أيضاً (١): أخلاقُكَ تجعلُ العدوَّ صديقاً ، وأحكامُكَ تجعلُ الصَّديقَ عدوًاً .

<sup>(</sup>١) في « الصناعتين » : ( والتباعد من حشو الكلام ، وقُربُ المأخذ ، وإيجازٌ في صواب ، وقصدٌ إلى الحجة ، وحسن الاستعارة ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » ( ص ۵۳ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر «الصناعتين» (ص ٥٣).

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٣ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٤٢/٤ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٣ ) .

وقالَ بعضُ القدماءِ (١): لكلّ جليلةٍ دقيقةٌ ، ودقيقةُ الموتِ الهجرُ .

قالَ أبو هلالٍ (٢): وقلتُ:

[ من المجتث ]

[ من الطويل ]

لَاكِنَّ مَعْنَاهُ مَصْوْتُ اِسْمُ ٱلتَّهُ فَرُّقِ بَيْنُ إِذَا تَــبَـاعَــدْتَ فَــوْتُ

وُجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ

وقولُهُ : ( والتباعدُ مِنْ حشوِ الكلام ) ، فالحشؤ يكونُ على ثلاثةِ أضربِ : اثنانِ منها مذمومانِ ، وواحدٌ محمودٌ ، فأحدُ المذمومين : هوَ إدخالُكَ في الكلام لفظاً لو أسقطتَهُ . . لكانَ الكلامُ تامّاً ؛ مثلَ قولِ الشاعرِ (") : [ من البسيط ] أَبْغِي فَتِي لَمْ تَذَرَّ ٱلشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

فقولُهُ : ( يوماً مِنَ الدَّهرِ ) [ حَشْوٌ ] لا يُحتاجُ إليهِ .

وقولِ بعضِ بني عبسِ (١٠):

مِنَ ٱلْعَيْشِ أَوْ آسَىٰ عَلَىٰ إِثْرِ مُدْبِرِ أَبَعْدَ بَنِي بَكْرِ أُؤَمِّلُ مُقْبِلاً عَلَيْكَ إِذَا وَلَّىٰ سِوَى ٱلصَّبْرِ فَٱصْبِر وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱلصَّبْرِ شَيْءٌ يَـرُدُّهُ وَمَعْرِفَةٍ أَنَّىٰ أُرِيُـدُ وَمُـنْكَرِ أُولَاكَ بَنُو خَيْرِ وَشَرِّ كِلَيْهِ مَا

قولُهُ: (أريدُ) زيادةٌ وحشوٌ، وقولُهُ: (كليهِما) يكادُ يكونُ حشواً، وكذٰلكَ قولُهُ : ( **إذا ولَّىٰ** ) .

والضَّرْبُ الآخَرُ: العبارةُ عنِ المعنى بكلامِ طويلٍ لا فائدةَ في طولِهِ ،

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤ ) .

<sup>(</sup> ص ٥٤ ) .( ص ٥٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٤ ) ، وفيها : ( أنعى فتيّ ) بدل ( أبغى فتيّ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٤ ) .

<sup>(</sup>٥) في « الصناعتين » : ( كليهما جميعاً ومعروفِ أريد ) .

ويمكنُ أن يُعبَّرَ عنهُ بأقصرَ منهُ ؛ مثلُ قولِ النابغةِ (١): [من الطويل]

تَبَيَّنْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا ٱلْعَامُ سَابِعُ

كَانَ ينبغي ( لسبعةِ أعوامٍ ) ، ثمَّ يُتمِّمُ البيتَ بما فيهِ فائدةٌ .

قلتُ (٢): والذي أحوجَ النابغةَ لذلكَ : أنَّ العامَ السابعَ لمْ يَتِمَّ .

وأمَّا الضَّرْبُ المحمودُ . . فكقولِ كثيرٍ (٣) : [من الوافر]

لَوَ ٱنَّ ٱلْبَاخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ رَأُوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ ٱلْمِطَالَا

قولُهُ : ( وأنتِ منهُم ) حشوٌ ، إلَّا أنَّهُ مليحٌ ، وهنذا ما يُسمَّىٰ في البديعِ : اعتراضاً .

ومِنَ الكلامِ الذي لا حشوَ فيهِ ( ' ) : قولُ صبرةَ بنِ [ شيمانَ ] حينَ دخلَ على معاويةَ معَ الوفودِ ، فتكلَّموا فأكثروا ، فقالَ صبرة : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّا حيُّ فِعالٍ ، ولسنا حيَّ مقالٍ ، ونحنُ بأدنى فعالِنا عندَ أحسنِ مقالِهِم ، قالَ معاوية : ( صدقتَ ) .

ومِنْ هاذا قولُ الشاعرِ (°): [من الطويل] وَمَنْ هاذا قولُ الشاعرِ لَهُ: وَنَشْتُمُ بِٱلْأَفْعَالِ لَا بِٱلتَّكَلُمِ وَتَجْهَلُ أَيْنَا وَيَحْلُمُ رَأَيُنَا وَنَشْتُمُ بِٱلْأَفْعَالِ لَا بِٱلتَّكَلُمِ وَكَتْبَ رَجِلٌ لَأَخٍ لَهُ ('`): ثقتي بكرمِكَ تمنعُ مِنِ اقتضائِكَ ، وعلمي بشغلِكَ يحدو على إذكارِكَ (').

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ٣٠ ) ، و« الصناعتين » ( ص ٥٥ ) .

<sup>(</sup>٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوانه » ( ص ٥٠٧ ) ، و« الصناعتين » ( ص ٥٥ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٥ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » (ص٥٥).

<sup>(</sup>٦) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٥ ) .

<sup>(</sup>۷) في « الصناعتين » : ( ادِّ كارك ) .

ولآخَرَ (١): في الناسِ طبائعُ سيئةٌ ، فارتبطْ بمَنْ رَجَحَتْ محاسنُهُ .

وقالَ الحسنُ رضوانُ اللهِ عليهِ (۱): نعمُ اللهِ على العبدِ أكثرُ مِنْ أن تُسكَرَ إلّا أن يُعانَ عليها ، وذنوبُهُ أكثرُ مِنْ أن يَسلَمَ [منها] إلّا أن يُعفىٰ لهُ عنها.

قيلَ : ومِنَ البلاغةِ : قربُ المأخذِ ؛ وهوَ تناولُ المعنىٰ مِنْ قريبٍ دونَ كَدٍّ لهُ ، وتَعمُّلِ في تحصيلِهِ ، وفي ذلكَ غرائبُ كالاتفاقياتِ .

يُحكىٰ ("): أنَّ الرشيدَ قالَ ليلةً وهوَ في ندمائِهِ: قد طلعَتِ الثُّريا ، فقالَ واحدٌ منُهم: كأنَّها عِقدُ ريَّا ، وقالَ رجلٌ: بردَ الماءُ وطابا ، فقالَ آخَرُ: حبذا الماءُ شرابا.

وطالَ وقوفُ بشارٍ ببابِ يعقوبَ ، فأنشدَ : [من الكامل] طَالَ ٱلثَّوَاءُ عَلَىٰ رُسُومِ ٱلْمَنْزِلِ

فرُفِعَ ليعقوبَ ، فقالَ :

..... فَإِذَا تَشَاءُ أَبَا مُعَادٍ فَٱدْخُلِ

ومِنْ قُربِ المأخذِ (''): أنَّ الجاحظَ أو غيرَهُ قالَ [للجمَّازِ]: أنا أريدُ أن أنظرَ إلى الشيطانِ ، فقالَ: انظرْ في المرآةِ .

وقالَ بعضُ الولاةِ لأعرابيِّ: قلِ الحقَّ ، وإلَّا . . أوجعتُكَ ضرباً ، فقالَ : وأنتَ فاعملْ بهِ ، فواللهِ ؛ لَمَا أوعدَكَ اللهُ بهِ منهُ . . أعظمُ ممَّا أوعدتَني بهِ منكَ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٥ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٦ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٦ ) .

ومنهُ (۱): أنَّ المأمونَ قالَ لأُمِّ الفضلِ بنِ سهلٍ بعدَ قتلِهِ إيَّاهُ: أتجزعينَ ولكِ ولدٌ مثلي ؟! فقالَتْ: وكيفَ لا أجزعُ على ولدٍ أفادنيكَ ؟! وكانَتْ أُمَّهُ مِنَ الرَّضاعةِ.

ولأبي حنيفة : إذا أتتنك مُعضِلةٌ . . فاجعلْ جوابَها منها .

ومِنْ ذَلكَ (٢): ما يُحكى: أنَّ عبدَ الملكِ دعا يوماً بالغداءِ وبحضرتِهِ رجلٌ ، فدعاهُ إلىٰ غدائِهِ ، فقالَ : ليسَ بي غداءٌ ، قد تَغدَّيتُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ عبدُ الملكِ : ما أقبحَ بالرجلِ أن يأكلَ حتىٰ لا يكونَ فيهِ فضلٌ للطعامِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فيَّ فضلٌ ، وللكنْ أكرهُ أن آكلَ فأصيرَ إلىٰ ما استقبحَهُ أميرُ المؤمنينَ .

وقالَ محمدُ بنُ عليّ عليهِ ما السلامُ: البلاغةُ: قولٌ يُفقَهُ في لطفٍ ، وفقهُ القولِ فهمُ حقيقتِهِ ، واللطيفُ مِنَ الكلامِ ما تعطفُ بهِ القلوبُ النافرةُ ، وتُؤنَسُ بهِ الأفئدةُ المستوحشةُ ، وتلينُ بهِ العريكةُ الأبيَّةُ المستصعّبةُ ، وتبلَغُ بهِ الحاجةُ ، [ وتُقامُ ] بهِ الحُجَّةُ ، فتُخلِّصُ نفسَكَ مِنَ العيبِ ، وتلزمُ صاحبَكَ الذنبَ ، مِنْ غيرِ أن تهيجَهُ وتقلقَهُ ، وتستدعيَ غضبَهُ وتستبينَ حفيظتَهُ ؛ كقولِ بعضِ الكُتَّابِ لأخٍ لهُ: أنفذَ إليَّ أبو فلانِ كتاباً منكَ فيهِ درةٌ (٣) مِنْ عتابٍ كانَ أحلىٰ عندي مِنْ تعريسةِ الفجرِ ، وألذَّ مِنَ الزلالِ العذبِ ، ولكَ عتابٍ كانَ أحلىٰ عندي مِنْ تعريسةِ الفجرِ ، وألذَّ مِنَ الزلالِ العذبِ ، ولكَ العُتبىٰ داعياً مستجاباً لهُ ، وعاتباً معتذراً إليهِ ، ولو شئتُ معَ هاذا أن أقولَ : إنَّ العتبَ عليكَ أوجبُ ، والاعتذارَ إليكَ ألزمُ . . لفعلتُ ، وللكيِّي أسامحُكَ ولا أَشاحُكَ ، وأُسلِّمُ إليكَ ولا أُرادُكَ ؛ لأنَّ أفعالَكَ عندي مرضيةٌ ، وشيمَكَ ولا أشاحُكَ ، وأُسلِّمُ إليكَ ولا أُرادُكَ ؛ لأنَّ أفعالَكَ عندي مرضيةٌ ، وشيمَكَ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٦ ) .

<sup>. (</sup>  $\circ$  0 - 07 ) (  $\circ$  1 ) (  $\circ$  1 ) .

<sup>(</sup>٣) في « الصناعتين » : ( ذروٌ ) .

لديَّ مقبولةٌ ، ولولا أنَّ للحُجَّةِ موقعَها . . لأعرضتُ عمَّا أومأتُ إليهِ ، وما عرضتُ ممَّا بدأتُ ، وقلتُ :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

فانظرْ كيفَ خَلَّصَ نفسَهُ مِنَ الجُرمِ وأوجبَهُ لصاحبِهِ في ألطفِ وجهٍ وألينِ مسِ .

ومِنَ الكلامِ الذي يعطفُ القلوبَ النافرةَ ('): قولُ آخَرَ لأخيهِ: زَيَّنَ اللهُ أَلفتَنا بمعاودةِ صِلَتِكَ ، واجتماعَنا بترادفِ زيارتِكَ ، وأيَّامَنا المُوحِشةَ بغيبتِكَ برؤيتِكَ ، توعَّدتني بالانتقامِ على إخلالي بمطالعتِكَ ، وصُنتني مِنْ عقوبتِكَ على ما ابتدأتُ بهِ مِنْ عدم مشاهدتِكَ ('').

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (<sup>")</sup>: البلاغةُ: إيضاحُ الملبساتِ ، وكشفُ عَوارِ الجهالاتِ .

وتستبينُ ذلكَ فيما يُحكى عنِ المأمونِ وقد أحضرَ رجلاً ارتدَّ إلى النصرانيةِ بعدَ الإسلامِ ، فقالَ لهُ: ما أوحشَكَ مِنَ الإسلامِ ؟ فقالَ : كثرةُ الاختلافِ فيكُم ، فقالَ المأمونُ : أمَّا اختلافُنا . . فمنهُ ما يكونُ كاختلافِنا في الأذانِ وتكبيرِ الجنائزِ ، والتشهدِ ، وصلاةِ الأعيادِ ، وتكبيرِ التشريقِ ، ووجوهِ القُتيا ، وما أشبهَ ذلكَ ، وليسَ هاذا باختلافٍ ، وإنَّما ذلكَ توسعةٌ ، وتخفيفٌ مِنَ المِحنةِ .

ومنهُ ما يكونُ كاختلافِنا في تأويلِ الآيةِ مِنْ كتابِنا ، وتأويلِ الخبرِ عن نبيّنا ، معَ اجتماعِنا على أصلِ التنزيلِ ، واتفاقِنا على عينِ الخبرِ ؛ فإن

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٧ \_ ٥٨ ) .

<sup>(</sup>٢) الذي في « الصناعتين » : ( وحسبي من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٨ ) .

كانَ الذي أوحشَكَ هوَ هاذا حتى أنكرتَ هاذا الكتابَ . فينبغي أن يكونَ اللفظُ بجميعِ التوراةِ والإنجيلِ مُتَّفَقاً على تأويلِهِ ، كما يكونُ مُتَّفقاً على تنزيلِهِ ، ولا يكونَ بينَ النصارى اختلافٌ في شيءٍ مِنَ التأويلاتِ ، ولو شاءَ اللهُ أن ينزلَ كتبَهُ ويجعلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثةِ رسلِهِ كلاماً لا يحتاجُ إلى التفسيرِ . . لفعلَ ، وللكنَّا لم نرَ شيئاً مِنَ [الدِّينِ] والدنيا دُفِعَ إلينا على الكفايةِ ، ولو كانَ الأمرُ كذلكَ . . [لسقطَتِ] المِحنةُ والبلوى ، وذهبَتِ المسابقةُ] والمنافسةُ ، ولم يكنْ تفاضلٌ ، وليسَ على هاذا بنى اللهُ الدنيا .

فقالَ المُرتدُّ: إنَّكَ أميرُ المؤمنينَ حقًّا (١).

وقالَ ابنُ المُقفَّعِ (٢): البلاغةُ: كشفُ ما غَمُضَ مِنَ الحقِّ، وتصويرُ الحقِّ في صورةِ الباطل.

والذي قالَهُ أمرٌ صحيحٌ ، ولا يَخفىٰ موضعُ الصَّوابِ فيهِ علىٰ أحدٍ مِنْ أهلِ التمييزِ والتحصيلِ ؛ وذلكَ أنَّ الأمرَ الصحيحَ الثابتَ المكشوفَ ينادي علىٰ نفسِهِ بالصحَّةِ ، ولا يُحوِجُ إلى التكلُّفِ لصحتِهِ حتىٰ يُوجِدَ المعنىٰ فيهِ خطيبٌ ، وإنَّما الشأنُ في تحسينِ ما ليسَ بحسنٍ ، وتصحيحِ ما ليسَ بصحيحٍ ؛ بضربٍ مِنَ الاحتيالِ والتخييلِ ، ونوعٍ مِنَ العللِ والمعاريضِ والمعاذيرِ ؛ ليخفىٰ موضعُ الإساءةِ ، ويَغمُضَ موضعُ التقصيرِ ، وما أكثرَ ما يَحتاجُ الكاتبُ إلىٰ هاذا الجنسِ عندَ اعتذارِهِ مِنْ هزيمةٍ ، أو حاجتِهِ إلىٰ تغييرِ رسمٍ ، أو رفعِ منزلةِ دنيءٍ لهُ فيهِ هوى ، أو حطِّ منزلةِ شريفٍ استحقَّ ذلكَ منهُ من . . إلىٰ غير هاذا مِنْ عوارض أمورهِ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٨ \_ ٥٩ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٥٩ ) .

فأعلىٰ رتبِ البلاغةِ أن يحتجَّ للمذمومِ حتىٰ يخرجَهُ في معرضِ المحمودِ ، والمحمودِ حتىٰ يُصيِّرَهُ في منزلةِ المذموم .

وقد ذَمَّ عبدُ الملكِ بنُ صالحِ المشورةَ وهيَ ممدوحةٌ بكلِّ لسانٍ ، فقالَ : ما استشرتُ أحداً إلَّا تَكبَّرَ عليَّ ، وتصاغرتُ لهُ ، ودخلَتْهُ العزَّةُ ، ودخلَتْني النِّلَةُ ، فعليكَ بالاستبدادِ ؛ فإنَّ صاحبَهُ جليلٌ مهيبٌ في الصُّدورِ ، فإذا افتقرت إلى العقولِ . . حقرَتْكَ العيونُ ، فتضعضعَ شأنُكَ ، ورجفَتْ بكَ أركانُكَ ، واستحقرَكَ الصغيرُ ، واستخفَّكَ الكبيرُ ، وما عزَّ سلطانٌ لم يغنِهِ عقلهُ عن عقولِ وزرائِهِ ونصحائِهِ .

قلتُ : عبدُ الملكِ هاذا أحدُ عُقلاءِ بني العباسِ وبلغائِهِم ، وكانَ خليفةُ وقتِهِ هارونُ منحرفاً عنهُ جدّاً ؛ لكثرةِ سعي بغضائِهِ بهِ ، وتفهيم الخليفةِ أنّهُ في عزيمةٍ أن يَتغلَّبَ على الملكِ ، وأنّهُ بقُوَّةِ بلاغتِهِ وحسنِ تَصرُّفِهِ في العقولِ قد وجدَ الأسبابَ الموصلةَ إلىٰ هاذا الغرضِ ، وكأنّهُ قد لحقهُ عندهُ شومُ هاذا الاسمِ الأُمويِّ ، فكانَ يحبسُهُ ، ثمَّ يحتجُّ عن نفسِهِ ويثبتُ براءتهُ ممّا رُمِي بهِ ، فيطلقُهُ .

ويُروئ : أنَّهُ قالَ لهُ مَرَّةً \_ وفيهِ شاهدٌ على ما نحنُ فيه \_ : بلغَني أنَّ فيكَ حقداً ، فقالَ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إن كانَ الحقدُ بقاءَ الخيرِ والشرِّ في قلبي لفاعليهِما . . فأنا حَقودٌ ، فقالَ هارونُ : ما سمعتُ مثلَ احتجاجِكَ للحقدِ ؛ يعني : مِنَ المُسلَّمِ الذي لا ينبغي أن يُنازعَ فيهِ : حُسْنُ تذكُّرِ الإنسانِ ما صُنِعَ بهِ مِنْ خيرٍ ليكافِئ عليهِ بما أمكنهُ ، أو شرٍّ ليحترسَ مِنْ مثلِهِ ويُجازيَ بهِ إنِ اقتضتْ ضرورةٌ ذلكَ .

ومدحَ بعضُهُمُ الموتَ فقالَ (١):

[ من الكامل]

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٠ ) .

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا ٱلْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا فِي ٱلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ مِنْهَا أَمَانُ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

وذلكَ بابٌ واسعٌ ، يَرِدُ عليكَ منهُ إن شاءَ اللهُ تعالى ، وللناسِ فيهِ موضوعاتٌ ضمَّنوها شعراً ونثراً في مدحِ الشيءِ وذمِّهِ ؛ كه «التحفِ والظرفِ » لأبي منصورٍ عبدِ الملكِ الثعالبيِّ صاحبِ « يتيمةِ الدهرِ » .

انتهى ما أردتُ نقلَهُ مِنْ بابِ البلاغةِ .

## [ إيجازُ القَصْر ]

وهنأنا مثبتٌ لكَ مِنْ بابِ الإيجازِ وما يقابلُهُ ما تَتبيَّنُ بهِ حقَّ التبيُّنِ موضعَ كلٍّ منها ، والحُجَّةَ لحسنِ كلِّ واحدٍ في موضعِهِ .

فمِنَ الكلامِ الدالِّ على حسنِ الإيجازِ ، واختيارِ أهلِ البلاغةِ لهُ: ما نقلَهُ أبو هلالٍ رحمَهُ اللهُ حيثُ قالَ (١): قالَ أصحابُ الإيجازِ: الإيجازُ: هوَ البلاغةُ ، وما تجاوزَ مِقدارَ الحاجةِ . . فهوَ فضلٌ داخلٌ في بابِ الهذرِ والحصرِ ، وهُما مِنْ أعظمِ أدواءِ الكلامِ ، وفيهِما دلالةٌ على بَلادةِ صاحبِ الصِناعةِ .

وفي تفضيلِ الإيجازِ يقولُ جعفرُ بنُ يحيىٰ لكُتَّابِهِ : إن قدَرتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ . . فافعلوا .

وقالَ بعضُهُمُ : الزيادةُ في [ الحدِّ ] نقصانٌ .

وقالَ محمدٌ الأمينُ : عليكُم بالإيجازِ ؛ فإنَّ لهُ إفهاماً ، وللإطالةِ استبهاماً .

وقالَ شبيبُ بنُ شبةَ : قليلٌ كافٍ خيرٌ مِنْ كثير شافٍ .

وقالَ آخَرُ: إذا طالَ الكلامُ . . عرضَتْ لهُ أسبابُ التكلُّفِ ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتي بهِ التكلُّفُ .

وقيلَ لبعضِهِم: ما البلاغةُ ؟ قالَ: الإيجازُ ، قيلَ: وما الإيجازُ ، قالَ: حذفُ الفضول ، وتقريبُ [البعيد].

وسمعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ رجلاً يقولُ لرجل : كفاكَ اللهُ ما

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ١٧٩ ) ، والسياق له .

أَهمَّكَ ، فقالَ : « هَاذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ » ، وسمعَ آخَرَ يقولُ : عصمَكَ اللهُ مِنَ المكارهِ ، فقالَ : « هَاذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ » (١٠) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « أُوتِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ » (\*).

وقيلَ لبعضِهِم: لِمَ لا تطيلُ الشِّعرَ؟ قالَ: حسبُكَ مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعنقِ ، وقيلَ لآخَرَ: لِمَ لا تطيلُ شِعرَكَ؟ فقالَ: لستُ أبيعُهُ مذارعةً .

وقيلَ للفرزدقِ : ما صَيَّرَكَ إلى القصائدِ القِصارِ بعدَ الطِّوالِ ؟ قالَ : لأني رأيتُها في القلوبِ أوقعَ ، وفي المحافل أجولَ .

وقالَتْ بنتُ الحطيئةِ لأبيها: ما بالُ قِصارِكَ أكثرُ مِنْ طِوالِكَ ؟ قالَ: لأنَّها في الآذانِ أجولُ ، وبالإقبالِ أخلقُ .

وقالَ أبو سفيانَ لابنِ الزِّبَعْرَىٰ : قَصَّرتَ في شعرِكَ ، قالَ : حسبُكَ مِنَ الشِّعرِ غُرَّةٌ لائحةٌ ، وسمةٌ واضحةٌ .

وقيلَ للنابغةِ الذُّبيانيِّ : لِمَ لا تطيلُ القصائدَ كما أطالَ صاحبُكَ ابنُ حِجْرٍ ؟ فقالَ : مَن انتخلَ . . أسفرَ (٣) .

وقيلَ لبعضِ المُحدثينَ: ما لكَ لا تزيدُ على أربعةٍ واثنَينِ ؟ فقالَ: هيَ بالقلوبِ أوقعُ ، وإلى الحفظِ أسرعُ ، وبالألسنِ أعلقُ ، وللمعاني أجمعُ ، وصاحبُها أبلغُ وأوجزُ .

وقيلَ لابنِ حازمٍ: ألا تطيلُ القصائدَ ؟ فقالَ (١٠):

أَبَىٰ لِي أَنْ أُطِيلَ ٱلشِّعْرَ قَصْدِي إِلَى ٱلْمَعْنَىٰ وَعِلْمِي بِٱلصَّوَابِ

<sup>(</sup>١) كذا أورد العسكري هلذين الخبرين في « الصناعتين » ( ص ١٧٩ ) .

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري ( ٢٩٧٧ ) ، ومسلم ( ٥٢٣ ) عن سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه .

<sup>(</sup>٣) في « الصناعتين » : ( من انتحل . . انتقر ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « أنوار الربيع » ( ١٠/٢ ) .

وَإِنْ جَازِي لِمُخْتَصِرٍ قَرِيبٍ حَذَفْتُ بِهِ ٱلْفُضُولَ مِنَ ٱلْجَوَابِ فَأَبْعَثُهُ وَ الْجَوَابِ فَأَبْعَثُهُ وَخَمْساً مُثَقَّفَةً بِأَلْفَاظٍ عِذَابِ فَأَبْعَثُهُ وَخَمْساً مُثَقَّفَةً بِأَلْفَاظٍ عِذَابِ خَوَالِدُ مَا حَدَا لَيْلٌ نَهَاراً وَمَا حَسُنَ ٱلصِّبَا بِأَخِ ٱلشَّبَابِ وَكُنَّ إِذَا رَسَمْنَ مُسَافِرَاتٍ تَهَادَاهَا ٱلرُّواةُ مَعَ ٱلرِّكَابِ

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ : ( ما رأيتُ بليغاً قطُّ إِلَّا ولهُ في اللفظِ إيجازٌ ، وفي المعاني إطالةٌ ) .

وقيلَ لإياسِ بنِ معاويةَ : ما فيكَ عيبٌ ، غيرَ أنَّكَ كثيرُ الكلامِ ، قالَ : أفتسمعونَ صواباً أم خطأً ؟ قالوا : بل صواباً ، قالَ : فالزيادةُ مِنَ الخيرِ خيرٌ .

وليسَ كما قالَ ؛ لأن للكلامِ غايةً ، ولنشاطِ السامعينَ نهايةً ، وما فَضَلَ عن مِقدارِ الاحتمالِ ، ودعا إلى الاستثقالِ ، وصارَ سبباً للمَلالِ . . فذلكَ الهذرُ والإسهابُ والخطلُ ، وهوَ معيبٌ عندَ كلّ لبيب .

وقالَ بعضُهُمُ : البلاغةُ بالإيجاز أنجعُ مِنَ البيانِ بالإطناب .

وقالوا: المِكثارُ كحاطبِ الليلِ.

وقيلَ لبعضِهِمُ: مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ: مَنْ جلا المعنى المتينَ باللفظِ الوجيزِ ، وطَبَّقَ المَفصِلَ قبلَ التحزيزِ .

مأخوذٌ مِنْ كلامِ معاوية ؛ وهوَ قولُهُ لعمرِو بنِ العاصِ لمَّا أقبلَ أبو موسى: يا عمرُو ؛ إنَّهُ قد ضُمَّ إليكَ رجلٌ قصيرُ اللسانِ ، طويلُ الرأي والعرفانِ ، فأقللِ الحزَّ ، وطَبِّقِ المفصلَ ، ولا تلقَهُ بكلِّ رأيكَ ، فقالَ عمرٌو : أكثرْ مِنَ الطعام ، ما بطنَ قومٌ إلَّا فقدوا بعضَ عقولِهم .

### [ من أمثلةِ الإيجاز]

ثمَّ أوردَ أبو هلالٍ بعدَ هاذا الكلام أمثلةً للإيجازِ (١) ، منها :

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوَةٌ ﴾ (``) ، وقد أسلفنا تعريفَكَ بهِ ، وفضلَ العبارةِ علىٰ قرينتِها مِنْ كلامِ العربِ ؛ وهيَ : القتلُ أنفىٰ للقتلِ ('``).

وقولُهُ : ﴿ إِذَا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَامِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ ﴾ (١).

وعَقَّبَهُ بقولِهِ : لا يوازي هاذا الكلامَ في الاختصار شيءٌ .

وقولُهُ: ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَىٓ أَنفُسِكُم ﴾ (\*).

وقولُهُ: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ (١).

وقولُهُ: ﴿ وَلَا يَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةَ لِلْأَيْمَانِكُمْ ﴾ (٧).

وقولُهُ : ﴿ فَلَمَّا ٱسۡ تَيْعَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيَّا ﴾ (^) ، تَحيَّرَ في فصاحتِهِ جميعُ البلغاءِ ، ولا يجوزُ أن يوجدَ مثلُهُ في كلام البشرِ .

وقولُهُ : ﴿ وَلَقَدْ رَوَدِنُّهُ عَن نَفْسِهِ عِ فَٱسْتَغْصَمَ ﴾ (١) .

وقولُهُ: ﴿ يَآرَضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَسَمَآءُ أَقَلِعِي . . . ﴾ الآية (١٠) ، تَتضمَّنُ معَ الفصاحةِ والإيجاز دلائلَ القدرةِ .

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » (ص ۱۸۱ ) .

<sup>(</sup>۲) سورة البقرة : ( ۱۷۹ ) .

<sup>(</sup>٣) تقدم ( ١١٥/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) سورة المؤمنون : (٩١).

<sup>(°)</sup> سورة يونس : ( ۱۰ ) .

<sup>(</sup>٦) سورة الزخرف : (٥).

<sup>(</sup>٧) سورة البقرة : ( ٢٢٤ ) .

<sup>(</sup>۸) سورة يوسف : ( ۸۰ ) .

<sup>(</sup>٩) سورة يوسف: ( ٣٢).

<sup>(</sup>۱۰) سورة هود : (٤٤).

وقولُهُ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (١) ، كلمتانِ استوعبتا جميعَ المُكوَّناتِ والمقدوراتِ والموجوداتِ والمعدوماتِ ، ورُوِيَ : أَنَّ ابنَ عمرَ قرأَها ، فقالَ : مَنْ بقيَ لهُ شيءٌ . . فليطلبْهُ .

وقولُهُ في صفةِ خمرِ أهلِ الجنةِ : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ (٢) ، فقولُهُ : ( لا يُنزِفون ) انتظمَ عدمَ العقلِ ، وذهابِ المالِ ، ونفادِ الشرابِ ، وانحلالِ القوى ، وفسادِ الصحةِ ، وانقطاع الأُخوُّةِ والمَودَّةِ بالآخرةِ .

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ أُوْلَتَهِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ (") ، دخلَ تحتَ الأمنِ جميعُ المحبوباتِ ؛ لأنَّهُ نفىٰ بهِ أن يخافوا شيئاً أصلاً ؛ مِنَ الفقرِ ، والموتِ ، وزوالِ النعمةِ ، والجورِ ، وغيرِ ذلكَ مِنْ أصنافِ المكروةِ ، فلا ترىٰ كلمةً أجمعَ مِنْ هاذهِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْفُلُكِ ٱلَّتِي تَجَرِّي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ ('') ، انتظمَ جميعَ أنواعِ التجاراتِ ، وصنوفِ المرافقِ التي يَبلُغُها الحدُّ والإحصاءُ ، ومثلُهُ قولُهُ : ﴿ لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ ('') ، تَضمَّنَ جميعَ منافع الدنيا والآخرةِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (١) ، ثلاثُ كلماتٍ تَشتمِلُ علىٰ أمرِ الرسالةِ وشرائعِها وأحكامِها على الاستقصاءِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لِكُلِّ نَبَإِ مُّسْتَقَرُّ ﴾ (٧) ، ثلاثُ كلماتٍ اشتملَتْ عواقبَ الدنيا والآخرةِ .

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف : (٥٤).

<sup>(</sup>٢) سورة الواقعة : (١٩).

<sup>(</sup>٣) سورة الأنعام : ( ٨٢ ) .

<sup>(</sup>٤) سورة البقرة : ( ١٦٤ ) .

<sup>(</sup>٥) سورة الحج : ( ٢٨ ) .

<sup>(</sup>٦) سورة الحجر : (٩٤).

<sup>(</sup>٧) سورة الأنعام : ( ٦٧ ) ، وفي الأصل : ( كل أمر مستقر ) .

وقولُهُ : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (١).

وقولُهُ جلَّ وعزَّ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأَمُر بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ ﴾ (١) ، فجمع جميع مكارم الأخلاق بأصلِها ؛ لأنَّ في العفو : صلة القاطعين ، والصَّفح عنِ الظالمين ، وإعطاء المانعين ، وفي الأمر بالمعروف : تقوى الله ، وصلة الرحم ، وصونَ اللسانِ ، وغضَّ الطرفِ عن المُحرَّماتِ ، والتبرُّوُ مِنْ كلِّ قبيحٍ ؛ إذ لا يجوزُ أن يأمرَ بالمعروفِ وهوَ ملابسُ شَيءٍ مِنَ المُنكرِ ، وفي الإعراضِ عن الجاهلينَ : الصَّبرَ ، والحلمَ ، وتنزيهَ النفسِ عن مقابلةِ السفيهِ بما يُوقِعُ في الذمّ ، ويُسقِطُ القَدْرَ .

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ أَغْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَنهَا ﴾ (") ، فدلَّ بشيئينِ علىٰ جميعِ ما أخرجَهُ مِنَ الأرضِ قُوتاً ومتاعاً للناسِ مِنَ العشبِ والشجرِ والحطبِ واللباسِ والنارِ والملحِ وغيرِ ذلكَ ، والشاهدُ علىٰ أنَّهُ أرادَ ذلكَ كلَّهُ . . قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَتَعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمُ ﴾ (ن) .

وقولُهُ تعالى : ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءِ وَكِدِ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضِ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ (٥)، فانظرْ هل يمكنُ أحداً مِنْ أصنافِ المُتكلِّمينَ إيرادُ هاذهِ المعاني في مثلِ هاذا القَدْر مِنَ الألفاظِ ؟!

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا رَطْبِ وَلَا يَالِسٍ إِلَّا فِي كِتَبِ مُّبِينِ ﴾ (١) ، جمعَ الأشياءَ كلَّها حتى لا يَشِذَّ منها شيءٌ علىٰ وجهٍ .

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام : ( ١٣ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف: (١٩٩).

<sup>(</sup>٣) سورة النازعات : ( ٣١ ) .

<sup>(</sup>٤) سورة النازعات : ( ٣٣ ) .

<sup>(</sup>٥) سورة الرعد : (٤).

<sup>(</sup>٦) سورة الأنعام : (٥٩).

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُ ٱلْأَعَيُثُ ﴾ (١) ، جمعَ فيه مِنْ نعم الجنةِ ما لا تحصرُهُ الأفهامُ ، ولا تَبلغُهُ الأوهامُ .

وقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « ٱلصِّحَّةُ وَٱلْفَرَاءُ [ نِعْمَتَانِ ] » (``. وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « نِيَّةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » (``.

قلتُ (١٠): وهاذا مِنْ أمثلةِ المبالغةِ ؛ فإنّهُ نَبّهَ على عظمِ أمرِ النيةِ بتفضيلِها على العملِ ، وظاهرٌ أنّهُ أفضلُ ؛ إذ هوَ المستتبعُ للمنافعِ المرادةِ ، فمآلُ الكنايةِ تعظيمُ شأنِ النيةِ ، وحينَئذٍ فلا حيرةَ في تفسيرِ الخبرِ ، ولا يَصِحُ أن يُقالَ : إنّ معناهُ : النيةُ فردٌ مِنْ أفرادِ العملِ ، وخيرٌ مِنَ الخيراتِ ، وإنّ لفظَ يُقالَ : إنّ معناهُ : النيةُ فردٌ مِنْ أفرادِ العملِ ، وخيرٌ مِنَ الخيراتِ ، وإنّ لفظَ (خيرٌ) ليسَ اسمَ تفضيلٍ .

وقولُهُ: « تَرْكُ ٱلشَّرّ صَدَقَةٌ » ( • ) .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « إِذَا أَعْطَاكَ ٱللهُ خَيْراً . فَلْيَبِنْ ، وَٱبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَٱرْتَضِحْ مِنَ ٱلْفَصْلِ ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ » ، ويُروىٰ : « وَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، ويُروىٰ : « وَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، وَيُروىٰ : « وَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، وَيُروىٰ : « وَآبُدَأْ بِنَفْسِكَ ، وَهُو مثلُ قولِهِ : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثْرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ » ، وقولُهُ : ( لا تَعجِزْ عن نفسِكَ ) أي : لا تغلبْكَ نفسُكَ بما رُكِّبَ فيها مِنَ الشَّحِ ، فتكونَ لها مقهوراً ، قليلَ الثقةِ .

وقولُ أعرابيّ : اللهمَّ ؛ هبْ لي حَقَّكَ ، وأرضِ عنِّي خلقَكَ .

وقولُ آخَرَ يمدحُ قوماً: أولئكَ قومٌ جعلوا أموالَهُم مناديلَ لأعراضِهِم ؟

<sup>(</sup>١) سورة الزخرف : ( ٧١ ) .

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري ( ٦٤١٢ ) عن سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما .

<sup>(</sup>٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ١٨٥/٦ ) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

<sup>(</sup>٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام أبي هلال العسكري في « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٥) انظر «كشف الخفاء » ( ٩٦٦ ) .

<sup>(7)</sup> كذا بالروايتين في « الصناعتين » ( ص 11 ) .

فالخيرُ بهِم زائدٌ ، والمعروفُ لهُم شاهدٌ ؛ أي : يَقُونَ أعراضَهُم بأموالِهِم . ولآخَرَ يمدحُ إنساناً : إنَّهُ يعطي عطاءَ مَنْ يَعلَمُ أنَّ اللهَ مادَّتُهُ .

وقولُ آخَرَ: أمَّا بعدُ: فعظِ الناسَ بفعلِكَ ، ولا تَعظْهُم بقولِكَ ، واستحيِ مِنَ اللهِ بقدرِ قربهِ منكَ ، وخَفْهُ بقَدْرِ قدرتِهِ عليكَ .

وقولُ آخَرَ : إن شككتَ في شيءٍ . . فسلْ قلبَكَ عن قلبي .

### [ المُساواةُ ]

ثمَّ أتبعَ ذلكَ بإيرادِ أمثلةٍ للمُساواةِ (١): فمنها:

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ حُورٌ مَّقَصُورَتُ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ (٢).

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدِّهِنُ فَيُدِّهِنُونَ ﴾ (٣).

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ ٱلْأَمَانَةَ مَغْنَماً ، وَٱلزَّكَاةَ مَغْرَماً » ( \* ) .

وقولُهُ عليهِ السلامُ: « إِيَّاكَ وَٱلْمُشَارَّةَ ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ ٱلْغُرَّةَ ، وَتُظْهِرُ ٱلْعِرَّةَ » (°°).

ومِنْ نثرِ الكُتَّابِ : قولُ بعضِهِم : سألتَ عن خبري ، فأنا في صحَّةٍ وعافيةٍ لا عيبَ فيها إلَّا بكَ .

وأستصوبُ اطِّراحَ لفظِ ( الفقدِ ) وما شاكلَهُ مِنَ الكلامِ ، فتقولُ مثلاً : لا عيبَ فيها إلَّا بُعْدُكَ أو غيبتُكَ .

وقولُ آخَرَ : قد عَلَّمَتْني نبوتُكَ سلوتَكَ ، وأسلمَني يأسي منكَ إلى الصَّبرِ عنكَ .

وقولُ آخَرَ: فحفظَ اللهُ النعمةَ عليكَ وفيكَ ، وتَولَّىٰ إصلاحَكَ والصَّلاحَ لكَ ، وأَجزلَ مِنَ الخير حَظَّكَ والحظَّ منكَ ، ومَنَّ عليكَ وعلينا بكَ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٥ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة الرحمان : ( ٧٢ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة القلم : (٩).

<sup>(</sup>٤) أخرجه الترمذي ( ٢٢١٠ ) عن سيدنا علي رضي الله عنه بنحوه .

<sup>(</sup>٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٧٨٧٠ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقولُ آخَرَ : يئستُ مِنْ صلاحِكَ ، وأخافُ مِنْ فسادي بكَ .

وقولُ آخَرَ : قد أطنبَ في ذمِّ الحمارِ مَنْ شَبَّهَهُ بهِ .

ومِنَ المنظوم: قولُ طرفةً (١):

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً

وقولُ آخَرَ (٢):

تُهْدَى ٱلْأُمُورُ بِأَهْلِ ٱلرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ

وقولُ آخَرَ (٢):

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ

وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا

وقولُ آخَرَ (١٠):

فَأَمَّا ٱلَّذِي يُحْصِيهِمُ فَمُكَثِّرٌ

أي : كثروا عدداً ، وقلُّوا مدداً ، فهوَ كقولِ الآخر (٥) :

كَاثِرْ بسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةٌ

وقولُ آخَرَ (١٦):

أَصُدُّ بِأَيْدِي ٱلْعِيسِ عَنْ قَصْدِ أَرْضِهَا

[ من الطويل ]

وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

[ من البسيط ]

وَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِ ٱلْأَشْرَارِ تَنْقَادُ

[ من الطويل ]

عَلَيَّ وَلَاكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا قَلِيلٌ وَلَاكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

[ من الطويل ]

وَأَمَّا ٱلَّذِي يُطْرِيهِمُ فَمُقَلِّلُ

ولِ الآخَر (٥٠): [من الطويل]

وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا

[ من الطويل ]

وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِٱلْمَوَدَّةِ قَاصِدُ

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٨ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٦ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦ ).

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٦ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « شرح ديوان الحماسة » ( ٤٤/٤ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٦ ) .

وقولُ الآخَر (١):

يَقُولُ أُنَاسٌ لَا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا

وقولُ آخَرَ (۲):

يَطُولُ ٱلْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ وَقَالُوا لَا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ

[من الطويل]

[ من الوافر ]

بَلَىٰ كُلُّ مَا شَفَّ ٱلنُّفُوسَ يَضيرُهَا

قالَ أبو هلالٍ (٣): قولُهُ: ( لصاحبي ) يكادُ يكونُ فضلاً .

قلتُ: ولو قالَ الشاعرُ: (ونأيُ شهر لا يضيرُ) على معنى الاستفهام الإنكاريِّ والتعجُّبِ مِنْ قولِهِم . . لَكانَ موافقاً لاحتقارِ نأيِ الشهرِ ، فإنَّ زعمَهُم أنَّ نأيَ شهرِ لا يَضيرُ أحداً ، لا أنَّهُ لا يَضيرُهُ دونَ غيرِهِ .

\* \* \*

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٦ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٦ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٧ ) .

### [ إيجازُ الحذفِ]

ثمَّ عَقَبَ ذَلكَ بأن أوردَ مِنْ أمثلةِ إيجازِ الحذفِ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَسَّكِلِ الْعَدْفِ قُولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَسُّكِلِ الْفَرَيَةَ ﴾ (١) ؛ أي : الْفَرَيَةَ ﴾ (١) ؛ أي : وقولَهُ : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ (٢) ؛ أي : حبَّهُ ، وقولَهُ : ﴿ الْحُبُّ أَشْهُرُ مَّعَلُومَتُ ﴾ (٣) ؛ أي : وقتُ الحجّ .

وقولَ الشاعرِ (١٤): [من الطويل]

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ ٱلسِّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أي : أهلُ مجلسٍ ، وسواسيةٌ : جمعُ [ سواءٍ ] .

وقولَ آخَرَ: [من الطويل]

تَـرَاهُ كَـأَنَّ ٱللهَ يَـجُـدَعُ أَنْـفَـهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَـوْلَاهُ بَـاتَ لَـهُ وَفْـرُ أَي ويفقأُ عينيهِ .

وقولَ آخَرَ ( • ):

إِذَا مَا ٱلْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ ٱلْحَوَاجِبَ وَٱلْعُيُونَا أَي : وكَحَّلنَ العُيونا .

وقولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوَ أَنَ قُرْءَانَا سُيِّرَتُ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْكُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَلُّ بَل يِّلَهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (٦) ؛ أي : لكانَ هاذا القرآنَ .

<sup>(</sup>١) سورة يوسف : ( ٨٢ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة : ( ٩٣ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة : ( ١٩٧ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٨ ).

<sup>(</sup>٦) سورة الرعد : ( ٣١ ) .

وقولَهُ أيضاً: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُونٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ؟ أي : لَعذَّ بَكُم .

وقولَ الشاعرِ (٢):

وَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ

[ من الطويل ]

سِوَاكَ وَلَاكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

أي: لَرددناهُ.

وقولَ رجلٍ وقد سُئِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (٢): لم يقلْ فيهِ مستزيدٌ: لو أنَّهُ ، جمعَ الحِلْمَ والعلمَ والسلمَ ، والقرابةَ القريبةَ والهجرة القديمةَ ، وهوَ البصيرُ بالأحكامِ ، والبلاءِ العظيمِ في الإسلامِ ؛ أي : لو أنَّهُ كانَ كذا وكذا لأمورِ يرى أنَّها فاتَتْهُ .

وقولَ آخَرَ: ما زلتُ أمتطي النهارَ إليكَ ، وأستدلُّ بفضلِكَ عليكَ ، حتىٰ إذا جنَّنِي الليلُ ، فقبضَ البصرَ ، ومحا الأثرَ . . أقامَ بدني ، وسافرَ أملي ، والاجتهادُ عاذرٌ ، وإذا بلغتُكَ فقطْ .

ومِنَ الحكاياتِ المُشتمِلةِ على كلامٍ يَتضمَّنُ أمثلةً لإيجازِ الحذفِ ('): ما يُحكى: أنَّ عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ أتى أخاهُ خالداً فقالَ: يا أخي ؛ لقد هممتُ أن أقتلَ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ ، فقالَ خالدٌ: بئسَ واللهِ ما هممتَ بهِ في ابنِ أميرِ المؤمنينَ ، ووليِّ عهدِ المسلمينَ ، فقالَ: إنَّ خيلي مَرَّتْ بهِ ، فعبثَ بها ، وأصغرَني فيها ، فقالَ: أنا أكفيكَ .

فدخلَ على عبدِ الملكِ فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الوليدَ ابنَ أميرِ

<sup>(</sup>١) سورة النور : ( ٢٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٨٨ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٢ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٢ ـ ١٩٣ ) .

المؤمنينَ ووليَّ عهدِ المسلمينَ مَرَّتْ بهِ خيلٌ لابنِ عمِّهِ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ ، فعبثَ بها وأصغرَهُ فيها ، وعبدُ الملكِ مُطرِقٌ ، فرفعَ رأسَهُ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخُلُواْ قَرْيَةً أَشَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِنَّقَ أَهْلِهَا آَذِلَةً ﴾ (١) ، فقالَ خالدٌ : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ دَخُلُواْ قَرْيَةً أَشَدُوهَا فَهَسَعُواْ فِيهَا فَقَ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرَتَهَا تَدُمِيرًا ﴾ (١) .

فقالَ عبدُ الملكِ : أفي عبدِ اللهِ تُكلِّمُني ؟! واللهِ ؛ لقد دخلَ عليَّ فما أقامَ لسانَهُ لحناً ، فقالَ خالدٌ : [ أفعلى ] الوليدِ تُعوِّلُ ؟! فقالَ عبدُ الملكِ : إن كانَ الوليدُ يلحنُ . . فإنَّ أخاهُ سليمانُ ، فقالَ خالدٌ : إن كانَ عبدُ اللهِ يلحنُ . . فإنَّ أخاهُ سليمانُ ، فقالَ خالدٌ ، فواللهِ ؛ ما تُعدُّ في العيرِ أخاهُ خالدٌ ، فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : اسكتْ يا خالدُ ، فواللهِ ؛ ما تُعدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ ، فقالَ خالدٌ : اسمعْ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ثمَّ أقبلَ عليهِ فقالَ : مَنْ للعيرِ والنفيرِ ، وجدِّي عتبةُ بنُ ربيعةَ من للعيرِ والنفيرِ ، ولكنْ لو قلتَ : غُنيماتُ وجُبَيلاتُ والطائفُ ، ورحمَ اللهُ عثمانَ . . قلنا : صدقتَ .

فقولُهُ : ( أفعلى الوليدِ تُعوِّلُ ) أي : فإنَّهُ أسوأُ حالاً في ذلكَ مِنْ عبدِ اللهِ . وقولُهُ : ( فإنَّ أخاهُ سليمانُ ) أي : وهوَ لا يلحنُ .

وقولُهُ : ( فإنَّ أخاهُ خالدٌ ) أي : وهوَ كما تَعرِفُ .

وقولُهُ: (لا تُعَدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ) مثلٌ في الاحتقارِ ، معناهُ: أنَّهُ ليسَ بشيءٍ يُذكَرُ ، وأصلُهُ كما صرفَ الكلامَ إليهِ خالدٌ عنِ التمثُّلِ: أنَّهُ ليسَ بشيءٍ يُذكَرُ ، وأصلُهُ كما صرفَ الكلامَ اللهُ عليهِ وسَلَّم عزمَ أن أنَّهُ لمَّا سمعَ أهلُ مكة أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم عزمَ أن يتلقَّىٰ ركبَ تجارتِهِم عندَ قدومِهِ مِنَ الشامِ وهوَ العيرُ ، وكانَ رئيسُهُ أبا سفيانَ صخرَ بنَ حربِ أبا معاويةَ . . خرجوا بأجمعِهم ورئيسُهُم

<sup>(</sup>١) سورة النمل : ( ٣٤ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة الإسراء : (١٦).

عتبةُ بنُ ربيعةَ ليمنعوا تجارتَهُم ؛ وهوَ المُسمَّىٰ بالنفيرِ ، فكانَتْ غزوةُ بدرٍ الشهيرةُ .

وقولُهُ: (لوقلتَ: غُنيماتُ وجُبَيلاتُ . . .) إلى آخِرِهِ: إشارةٌ لقصَّةٍ ؛ وهيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ نقمَ على الحكمِ أبي مروانَ وجدِّ عبدِ الملكِ أموراً ، فنفاهُ إلى الطَّائفِ ، وأقامَ هنالكَ يعيشُ في قطعةٍ مِنَ الغنمِ بقيةَ مُدَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومُدَّتَيْ أبي بكرٍ وعمرَ ، وردَّهُ إلى المدينةِ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ في خلافتِهِ ، وكانَ ذلكَ مِنَ الحُجَجِ التي تَمسَّكَ بها المسلمونَ إذ ذاكَ على إساءةِ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ (١).

وإذا أحسنتَ النظرَ ، وتَفهُّمَ المعاني ، وما تستدعيهِ مِنَ الألفاظِ . . لم يصعبْ عليكَ أن تَتبيَّنَ عملَ القرائنِ الحاليَّةِ واللفظيَّةِ ، ونيابتَها عن ذكرِ بعضِ ما تقتضيهِ المعاني ، كلمةً كانَ أو أكثرَ .

وبهاندا القَدْرِ معَ ما سلفَ مِنْ فنِّ المعاني . . تجدُ في نفسِكَ مادَّةً لإتقانِ معرفةِ الإيجازِ بنوعَيهِ والمُساواةِ ، وموضع كلٍّ .

<sup>(</sup>١) وفي « الإصابة » ( ٣٤٥/١ ) : ( ويقال : إنَّ عثمان رضي الله عنه اعتذر لما أن أعاده إلى المدينة ؛ بأنه كان استأذن النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيه ، وقال : قد كنت شفعت فيه فوعدني بردِّه ) .

#### [ الإطنابُ ]

ثُمَّ هاكَ بعض ما قيلَ في الإطنابِ، قالَ أبو هلالِ (1): قال أصحابُ الإطنابِ: المَنطِقُ إنَّما هوَ بيانٌ ، والبيانُ لا يكونُ إلَّا بالإشباعِ ، والشفاءُ لا يقعُ الإطنابِ ، وأفضلُ الكلامِ أبينُهُ ، وأبينُهُ أشدُّهُ إحاطةً بالمعاني ، ولا يُحاطُ بالمعاني إحاطةً تامَّةً إلَّا بالاستقصاءِ والإيجازِ للخواصِّ ، والإطنابُ مُشترَكُ بالمعاني إحاطةً تامَّةً إلَّا بالاستقصاءِ والإيجازِ للخواصِّ ، والإطنابُ مُشترَكُ فيهِ الخاصُّ والعامُّ ، والغبيُّ والفَطِنُ ، ولمعنى ما أُطِيلَتِ الكتبُ السُّلطانيةُ في إفهام الرَّعايا .

والقولُ القصدُ: أنَّ الإطنابَ والإيجازَ ـ كما اعترفَ بهِ مادحو الإطنابِ ـ محتاجٌ إليهِما في جميعِ الكلامِ ، وكلِّ نوعٍ منهُ ، ولكلِّ واحدٍ منهُما موضعٌ ، والحاجةُ إلى الإيجازِ في موضعِهِ كالحاجةِ إلى الإطنابِ في مكانِهِ ؛ فمَنْ أزالَ التدبيرَ في ذلكَ عن جهتِهِ ، واستعملَ الإطنابَ في موضعِ الإيجازِ . . أخطأً ، كما رُوِي عن جعفرِ بنِ يحيى أنّهُ قالَ (١) ـ معَ عجبِهِ بالإيجازِ ؛ حيثُ يقولُ كما سلفَ لكتَبَتِهِ : إنِ استطعتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ . . فافعلوا ؛ أي : وجيزةً مثلَ التوقيعاتِ ؛ وهي العباراتُ التي تُكتبُ عنِ السُّلطانِ أو نُو العباراتِ التي تُكتبُ عنِ السُّلطانِ أو نُو العباراتِ التي تُكتبُ عنِ السُّلطانِ أو العباراتِ ، فربَّما كانَ الإيجازِ ما فيها ، فإنَّهُ كما جرَتِ العادةُ يُختارُ لها أوجزُ العباراتِ ، فربَّما كانَ التوقيعُ كلمةً أو كلمتينِ ـ : متى كانَ الإيجازُ أبلغَ . . كانَ الإيجازُ مينًا ، ومتى كانَتِ الكتابةُ في موضعِ الإكثارِ . . كانَ الإيجازُ تقصراً .

وأمرَ يحيى بنُ خالدٍ اثنَينِ أن يكتبا كتاباً في معنى واحدٍ ، فأطالَ أحدُهُما ،

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٦ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٦ ) .

واختصرَ الآخَرُ ، فقالَ للمُختصِرِ وقد نظرَ في كتابِهِ : ما أرى موضعَ مزيدٍ ، وقالَ للمطيل : ما أرى موضعَ نقصانٍ (١) .

قلتُ : لا معنى لإيرادِ أبي هلالِ هذه الحكاية في هذا الموضع ؛ إذ غرضُهُ تمييزُ موضعِ كلٍّ مِنَ الإيجازِ والإطنابِ ، ويُؤخَذُ مِنْ هذا الكلامِ أَنَّهُ ربَّما كانَ المعنى موضعاً لاختلافِ الرأي والذوقِ ؛ فبعضٌ يرى حسنَ الإطنابِ ، وآخَرُ حسنَ الإيجازِ ، وربَّما يستدعي المعنى أحدَهُما فقطْ ، فيكونُ الكاتبُ أو المُتكلِّمُ أسيراً لذلكَ الاستدعاءِ .

وقالَ غيرُهُ (٢): البلاغةُ: الإيجازُ في غيرِ عجزٍ ، والإطنابُ في غيرِ خطلٍ .

ولا شكَّ أنَّ الكتبَ الصادرة عنِ السَّلاطينِ في الأمورِ الجسيمةِ والفتوحِ الجليلةِ ، وتفخيمِ النعمِ الحادثةِ ، أوِ الترغيبِ في الطاعةِ ، والنهي عنِ المعصيةِ . . سبيلُها أن تكونَ مُشبَعةً مُستقصاةً ، تَملأُ الصُّدورَ ، وتأخذُ بمجامعِ القلوبِ ؛ فمِنْ هنا ترىٰ أنَّ ما كتبهُ المُهلَّبُ بنُ أبي صفرةَ إلى الحَجَّاجِ في فتحِ الأزارقةِ : ( الحمدُ للهِ الذي كفىٰ بالإسلامِ فقدَ ما سواهُ ، وجعلَ الحمدَ متصلاً بنعمتِهِ ، وقضىٰ ألَّا ينقطعَ المزيدُ مِنْ فضلِهِ ، حتىٰ ينقطعَ الشُّكرُ مِنْ خلقِهِ ، ثمَّ إنَّا كنَّا وعدوَّنا علىٰ حالينِ مختلفينِ ، نرىٰ فيهم ما يَسُرُّنا أكثرَ ممَّا يسوءُنا ، ويرَونَ فينا ما يسوءُهُم أكثرَ ممَّا يسوءُنا ، ويرَونَ فينا ما يسوءُهُم أكثرَ ممَّا يسُرُهُم ، ويمحَقُهُم ، حتىٰ بلغَ الكتابُ بنا وبِهم أجلَهُ ، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذينَ ويمحَقُهُم ، حتىٰ بلغَ الكتابُ بنا وبِهم أجلَهُ ، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذينَ ظلموا ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ) . . إنَّما حَسُنَ في موضعِهِ ، ومعَ الغَرَضِ ظلموا ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ) . . إنَّما حَسُنَ في موضعِهِ ، ومعَ الغَرَضِ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٦ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٦ ) .

الذي كانَ لكاتبِهِ ، وهوَ تعجيلُ البشرىٰ للسُّلطانِ بما تَمَّ لعسكرِهِ وفي عدوّهِ ، وذلكَ القَدْرُ كافٍ .

وأمَّا إذا كُتِبَ مثلُهُ في فتح يوازي ذلكَ الفتحَ في جلالةِ القدْرِ ونباهةِ الخطرِ، وقد تَطلَّعَتْ أنفسُ الخاصَّةِ والعامَّةِ إليهِ، وتَصرَّفَتْ ظنونُهُم فيهِ.. وردَ عليهِم مثلُ هاذا القَدْرِ مِنَ الكلامِ في أقبحِ صورةٍ وأسمجِها وأشوهِها وأهجنِها، وكانَ حقيقاً أن يُتعجَّبَ منهُ.

ومِنَ الوجيزِ في موضعِهِ (١): ما كتبَ بهِ بعضُ ملوكِ بني أُميَّةَ لرجلٍ تَأخَّرَ عنِ البيعةِ : أُمَّا بعدُ : فإنِي أُراكَ تُقدِّمُ في الطَّاعةِ رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرىٰ ، فإذا أَتاكَ كتابي هاذا . . فاعتمدْ على أيّهِما شئتَ .

وما كتبَ بهِ جعفرُ بنُ يحيى لعاملٍ كَثُرَتْ منهُ الشَّكوىٰ : قد كَثُرَ شاكوكَ ، فإمَّا عدلتَ ، وإمَّا عُزلتَ .

وما كتبَ بهِ آخَرُ لوالي خَراجٍ ظهرَ منهُ تحاملٌ على الرعيةِ (''): أمَّا بعدُ: فإنَّ الخَراجَ عمودُ الملكِ ، وما استُغزِرَ بمثلِ العدلِ ، ولا استُنزِرَ بمثلِ الجورِ .

وقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ (<sup>٣)</sup>: يُختصَرُ الكلامُ ليُحفَظَ ، ويُبسَطُ ليُفهَمَ . ومِنْ هنا وضعَ الناسُ في العلوم متوناً وشروحاً .

وقيلَ لأبي عمرِو بنِ العلاءِ: هل كانَتِ العربُ تطيلُ ؟ قالَ: نعم ؛ كانَتْ تطيلُ ليُسمَعَ منها ، وتُوجِزُ ليُحفَظَ عنها .

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٧ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨ ) .

والإطنابُ إذا لم يكنْ منهُ بُدُّ . . وجب ، وهو في المواعظِ خاصَّةً محمودٌ ممدوحٌ زيادةً .

والموعظةُ: كقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَا أَيْهُم بَأْسُنَا بَيَتَا وَهُمُ نَابِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَا أَتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَلِيرُونَ ﴾ (١)، فتكريرُ ما كُرِّرَ مِنَ الألفاظِ ها هنا في غايةِ حسنِ الموقع.

وقيلَ لبعضِهِم: متىٰ يُحتاجُ إلى الإكثارِ ؟ فقالَ: إذا عَظُمَ الخَطْبُ، وأنشدَ (٢٠):

صَمُوتٌ إِذَا مَا ٱلصَّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ [ وَفَتَّاقُ ] أَبْكَارِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُحَبَّرِ

وقالَ آخُرُ (٣):

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

[ من الكامل ]

[من المتقارب]

وقالَ بعضُهُم (١):

إِذَا مَا ٱبْتَدَا خَاطِباً لَمْ يُقَلْ لَهُ أَطِلِ ٱلْقَوْلَ أَوْ أَقْصِرِ طَبِيبٌ بِدَاءِ فُنُونِ ٱلْكَلَا مِ لَمْ يَعْيَ يَوْماً وَلَمْ يَهْذِرِ فَا بِيبٌ بِدَاءِ فُنُونِ ٱلْكَلَا مِ لَمْ يَعْيَ يَوْماً وَلَمْ يَهْذِرِ فَإِنْ هُو أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى ٱلْمُقْصِرِ وَإِنْ هُو أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى ٱلْمُكْثِر

ووجدنا الناسَ إذا خطبوا في الصُّلْحِ بينَ العشائرِ . . أطالوا ، وإذا أنشدوا

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف : ( ٩٧ \_ ٩٩ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٨ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ١٩٨ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر «الصناعتين» (ص ١٩٨).

الشعرَ بينَ السماطَينِ في مديحِ الملوكِ . . أطنبوا ، والإطالةُ والإطنابُ في هاذهِ المواضع إيجازٌ .

وقيلَ لقيسِ بنِ خارجةَ : ما عندكَ في [حَمالاتِ داحسَ ] ؟ (١) ، قالَ : عندي قِرىٰ كُلِّ نازلٍ ، ورضا كلِّ ساخطٍ ، وخُطْبةٌ مِنْ لدنْ مطلعِ الشمسِ إلىٰ أن تغربَ ، آمرُ فيها بالتواصلِ ، وأنهىٰ عنِ التقاطع .

وقد رأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب . أخرج الكلام مُخرَج الإشارة والوحي ، فإذا خاطب بني إسرائيل ، أو حكى عنهم . . جعل الكلام مبسوطاً ؛ فممّا خاطب به أهل مَكّة : ﴿ إِنَّ ٱلّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللّهِ لَن يَخَلْقُواْ دُبَابًا وَلَو ٱجْتَمَعُواْ لَهُ ۗ وَإِن يَسَلّبُهُ مُ ٱلدُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسَتَنقِدُوهُ مِن دُونِ ٱللّهِ لَن يَخَلْقُواْ دُبَابًا وَلَو ٱجْتَمَعُواْ لَهُ ۗ وَإِن يَسَلّبُهُ مُ ٱلدُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسَتَنقِدُوهُ مِنْ دُونِ ٱللّهِ مِنَا فَلَقُ ضَعُفَ ٱلطّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (١) ، وقولِه تعالى : ﴿ إِذَا لّذَهَبَ كُلُ إللهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ (١) ، وأشباه هاذا كثيرة ، وقلّما تجد قصّة لبني إسرائيل إلّا مُطوّلة مشروحة ومُكرّرة في مواضع معادة ؛ لبعد فهمِهِم ، وتأخّرِ معرفتِهِم .

وكلامُ الفُصحاءِ إنَّما هوَ شوبُ الإيجازِ بالإطنابِ ، والفصيحِ العالي بما دونَ ذلكَ ؛ ليُستدَلَّ بهِ عليهِ ، وليَخرجَ السامعُ مِنْ شيءٍ إلىٰ شيءٍ ، ويزدادَ نشاطُهُ ، وتَتوفَّرَ رغبتُهُ ، فتَصرَّفوا في وجوهِ الكلامِ ؛ إيجازِهِ وإطنابِهِ ، حتى استعملوا التكرارَ ليَتوكَّدَ القولُ للسامع .

وقد جاءَ في القرآنِ وفي فصيحِ الشعرِ منهُ شيءٌ كثيرٌ ؛ فمِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ اللَّهِ سَوْفَ تَعَلَمُونَ ﴾ (١٤) ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ

<sup>(</sup>١) الحمالات: الدِّيَات يحملها قوم عن قوم.

<sup>(</sup>٢) سورة الحج : ( ٧٣ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة المؤمنون : (٩١).

<sup>(</sup>٤) سورة التكاثر : (٣ \_ ٤) .

ٱلْعُسِّرِيُسِّرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسِرِيُسِّرًا ﴾ (١) ، فتَكرَّرَ للتوكيدِ ، كما يقولُ القائلُ : ارمِ ارمِ ، اعجل اعجلْ ، وقد قالَ الشاعرُ (١) :

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ وَكَمْ [كَانَتْ وَكَمْ] وقالَ آخَرُ (٣):

هَ لَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْ لَهُ يَوْمَ وَلَّتْ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ

وربَّما جاؤوا بالصِّفةِ وأرادوا توكيدَها ، فكرهوا إعادتَها ثانيةً ، فغيَّروا منها حرفاً ، ثمَّ أتبعوها الأُولى ؛ كقولِهِم : عطشانُ نطشانُ ، كرهوا أن يقولوا : عطشانُ عطشانُ ، فأبدلوا مِنَ العين نوناً .

وكذالكَ قالوا: حسنٌ بسنٌ ، وشيطانُ ليطانُ ، وأشباهُ هذا كثيرةٌ ، فقد كَرَّرَ اللهُ جَلَّتْ قدرتُهُ في سورةِ (الرحمانِ) قولَهُ: ﴿ فَيَأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا فقد كَرَّرَ اللهُ جَلَّتْ قدرتُهُ في سورةِ (الرحمانِ) قولَهُ: ﴿ فَيَأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا ثُكَرِّ بَانِ ﴾ ( أ ) ؛ وذلكَ أنَّ الله تعالىٰ عدَّدَ فيها نَعماءَهُ ، وأذكرَ عبادَهُ آلاءَهُ ، ونَبَّهَهُم علىٰ قدرِها ، وقدرتِهِ عليها ، ولطفِهِ فيها ، وجعلَها فاصلةً بينَ كلِّ ونبَّهَهُم علىٰ قدرِها ، وقدرتِهِ عليها ، ولطفِهِ فيها ، وجعلَها فاصلةً بينَ كلِّ نعمةٍ ، ليُعرَفَ موضعُ ما أسداهُ إليهِم منها ، وقد جاءَ مثلُ ذلكَ عن أهلِ الجاهليةِ ، قالَ مهلهلٌ في شعرهِ ( ) :

عَلَىٰ أَنْ لَيْسَ عَدْلاً فِي كُلَيْبٍ

<sup>400</sup> 

<sup>(</sup>١) سورة الشرح : ( ٥ ـ ٦ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٩ ).

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٠٠ ) .

<sup>(</sup>٤) سورة الرحمان : (١٣).

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان مهلهل بن ربيعة » (ص ٤٠).

وكَـرَّرَهـا في أكثرَ مِـنْ عشرينَ بيتاً، وهاكذا قـولُ الـحارثِ بنِ [من الخفيف] عُبَادٍ ] (١):

قَرِّبَا مَرْبِطُ ٱلنَّعَامَةِ مِنِّي

كَرَّرَها في أكثرَ مِنْ ذلكَ لمَّا كانَتِ الحاجةُ إلى التكريرِ ماسَّةً ، والضَّرورةُ إليهِ داعيةً ؛ لعِظَم الخَطْبِ ، وشِدَّةِ موقع الفجيعةِ .

فهاذا يَدُلُّ على أنَّ الإطنابَ عندَهُم مُستحسَنٌ ، كما أنَّ الإيجازَ في مكانِهِ مُستحتَّ .

ولا بدَّ للكاتبِ في أكثرِ أنواعِ مكاتباتِهِ مِنْ شعبٍ مِنَ الإطنابِ ، يستعملُها إذا أرادَ المزاوجةَ بينَ الفصلَينِ ، ولا يُعابُ ذلكَ منهُ ، وذلكَ مثلُ أن يكتبَ : (عظمَتْ نعمُنا عليهِ ، وتظاهرَ إحسانُنا لديهِ ) ، فيكونُ الفصلُ الأخيرُ داخلاً معناهُ في الفصلِ الأولِ .

وقالَ مروانُ \_ آخِرُ ملوكِ بني أميةَ وقد أحاطَ بهِ أعداؤُهُ \_ لخادمِهِ باسلٍ : مَنْ أغفلَ القليلَ حتىٰ يكثرَ ، والصغيرَ حتىٰ يكبرَ ، والخفيَّ حتىٰ يظهرَ . . أصابَهُ مثلُ هلذا ، وهلذا كلامٌ في غايةِ الحسنِ ، وإن كانَ معنى الفصلينِ الأخيرَينِ داخلاً في الفصلِ الأولِ ، وقالَ أبو تمامٍ (٢) : [من الخفيف]

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ ٱلسُّرَىٰ وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ

الغَناءُ داخلٌ في الخفضِ ، والعَناءُ داخلٌ في السُّرىٰ .

وممَّا هُوَ أَجِدَىٰ مِنْ ذَٰلكَ كَلِّهِ: قُولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدَٰلِ وَالْإِحْسَانُ وَإِلْمَاكِمِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ (٣) ، والإحسانُ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ۲۰۰ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « ديوان أبى تمام » ( ۱۱۹/۱ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة النحل : ( ٩٠ ) .

داخلٌ في العدلِ ، وإيتاء ذي القربى داخلٌ في الإحسانِ ، والفحشاء داخلةٌ في المُنكر ، والبغيُ والمُنكَرُ داخلانِ في الفحشاءِ .

وهاذا يدلُّ على أنَّ عظمَ مدارِ البلاغةِ على تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المعانيَ إذا دخلَ بعضُها في بعضٍ هاذا الدخولَ ، وكانَتِ الألفاظُ مختارةً . . حَسُنَ الكلامُ ، وإذا كانَتِ المعاني مُرتَّبةً حسنةً ، والمعارضُ سيئةً . . كانَ الكلامُ مردوداً ، فاعتمدْ على ما مَثَّلتُهُ لكَ ، وقسْ عليهِ ، ومِنَ اللهِ الهدايةُ .

# [ مبادئ الكلام ومقاطعه ]

وقالَ أبو هلالٍ في بابِ القولِ عن مبادئ الكلامِ ومقاطعِهِ ، والخروجِ مِن فصلٍ إلى فصلٍ (١): قالَ بعضُ الكُتَّابِ: أحسنوا معاشرَ الكُتَّابِ الابتداءاتِ ؛ فإنَّهُنَّ دلائلُ البيانِ .

وقالوا: ينبغي للشاعرِ أن يَحترِزَ في أشعارِهِ ومُفتتَحِ أقوالِهِ ممَّا يُتطيَّرُ منهُ ويُستجفىٰ مِنَ الكلامِ والمُخاطَبةِ ؛ كالبكاءِ ، ووصفِ اقتفارِ الدارِ ، وتَشتُّتِ الأُلَّافِ ، ونعي الشبابِ ، لا سيما في القصائدِ التي تَتضمَّنُ المدائحَ والتهانيَ ، وليستعمَلُ ] ذلكَ في المراثي ، ووصفِ الخُطوبِ الحادثةِ ؛ فإنَّ الكلامَ إذا كانَ مُؤسَّساً علىٰ هاذا المثالِ . . تَطيَّرَ منهُ سامعُهُ وإن كانَ يعلمُ أنَّ الشاعرَ إنَّما يُخاطِبُ نفسَهُ دونَ الممدوحِ ، مثلُ ابتداءِ ذي الرُّمَّةِ (١٠) : [من البسط] مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلَىٰ مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

وكانَ بعينَيْ عبدِ الملكِ عِلَّةُ يدمعانِ منها ، فقالَ لهُ: ما لكَ وهنذا يا بغيضُ ؟!

وقد أنكرَ الفضلُ البرمكيُّ على أبي نُواسٍ (٣): [من الطويل]

أَرَبْعَ ٱلْبِلَىٰ إِنَّ ٱلْخُشُوعَ لَبَادِ

فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قولِهِ:

سَلَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمُ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحينَ وَغَادِي

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥١ ) .

<sup>(</sup>۲) تقدم ( ۱۲۳/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٢٦٣ \_ ٢٦٦ ) .

استحكمَ تطيُّرُهُ ، وقيلَ : إنَّهُ لم يمضِ أُسبوعٌ حتى نُكِبوا .

قلتُ (١): وإذا كانَ هاذا الشعرُ مِنْ أبي نُواسٍ مقصوداً أن يكونَ على هاذا النحوِ ، وأنَّهُ بهِ مأمورٌ ؛ تعجيلاً لإساءتِهِم ، ومبادرة بتنغيصِ حياتِهِم ، وإشعارِهِم بعزيمةِ الانتقامِ منهُم ، كما قيلَ ذلكَ . . لم يكنْ مثالاً لِمَا نحنُ فيهِ .

وحُكِي (١): أنّه لمّا فرغ المعتصم مِنْ بناء قصرِهِ بالميدانِ الذي كانَ للعبّاسةِ . . جلسَ فيهِ ، وجمعَ أهلَهُ وأصحابَهُ ، وأمرَ أن يُلبَسَ الناسُ كلُّهُم الديباجَ ، وجعلَ سريرَهُ في الإيوانِ المنفوشِ بالفسافسِ ، الذي كانَ في صدرِهِ صورةُ العنقاءِ ، فجلسَ على سريرٍ مُرصّع بأنواعِ الجوهرِ ، وجعلَ على رأسِهِ التاجَ الذي كانَتْ فيهِ الدُّرَّةُ اليتيمةُ ، وفي الإيوانِ أسِرَّةُ آبنوسَ عن يمينِهِ وعن يسارِهِ ، مِنْ عندِ السّريرِ الذي عليهِ المعتصمُ إلىٰ بابِ الإيوانِ ، وكلّ . رَتَّبَهُ هوَ بنفسِهِ في الموضعِ الذي يليقُ بهِ ، فما رأى فكلّما دخلَ رجلٌ . . رَتَّبَهُ هوَ بنفسِهِ في الموضعِ الذي يليقُ بهِ ، فما رأى الناسُ أحسنَ مِنْ ذلكَ اليومِ ، فاستأذنَهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصليُّ في الناسُ أحسنَ مِنْ ذلكَ اليومِ ، فاستأذنَهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصليُّ في النسيدِ ، فأذنَ لهُ ، فأنشدَهُ شعراً ما سمعَ الناسُ أحسنَ منهُ في صفتِهِ وصفةِ المحلسِ ، إلّا أنّ أوّلَهُ تشبيبُ بالدِّيارِ القديمةِ وبقيةِ آثارِها ، فكانَ أوّلُ ، الكامل ]

يَا دَارُ غَيَّرَكِ ٱلْبِلَىٰ وَمَحَاكِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَبْلَكِ

فتَطيَّرَ المُعتصِمُ مِنْ ذلكَ ، وتغامزَ الناسُ ، وعجبوا كيفَ ذهبَ على إسحاقَ معَ فهمِهِ وعلمِهِ وطولِ خدمتِهِ للملوكِ .

قالَ راوي الحكايةِ: فأقمنا يوماً وانصرفنا ، فما عادَ منَّا اثنانِ إلى

<sup>(</sup>١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العسكرى من « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥١ \_ ٤٥٢ ) .

ذُلكَ المجلسِ ، وخرجَ المعتصمُ إلى شُرَّ مَنْ رأى ، وخَرِبَ القصرُ .

وأنشدَ البحتريُّ أبا سعيدٍ قصيدةً أوَّلُها (١):

لَكَ ٱلْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَطَاوَلَ آخِرُهْ وَوَشْكِ نَوىً حَتَّىٰ تُزَمَّ أَبَاعِرُهُ

فقالَ أبو سعيدٍ : بلِ الويلُ والحربُ لكَ ، فغيَّرَهُ وجعلَهُ : لَهُ الويلُ ، وهوَ ردىءٌ أيضاً .

وأنشدَ [ابنُ مقاتلِ] الداعيَ (٢):

لَا تَقُلْ بُشْرَىٰ وَلَاكِنْ بُشْرَيَانْ فُرَّةُ ٱلدَّاعِي وَيَوْمُ ٱلْمَهْرَجَانْ

فأوجعَهُ الداعي ضرباً ، ثمَّ قالَ : هلَّا قلتَ :

إِنْ تَـقُـلْ بُشْـرَىٰ فَـهَاـٰذِي بُشْـرَيَـانْ ......

ولم يجزهِ ، وقالَ : جائزتُهُ تحسينُ أدبهِ .

فإن أرادَ أن يذكرَ داراً . . فليذكرُها كما ذكرَ [الخريميُّ] (٢): [من الوافر]

أَلَا يَا دَارُ دَامَ لَكِ ٱلْحُبُورُ وَسَاعَدَكِ ٱلْغَضَارَةُ وَٱلسُّرُورُ

وكما قالَ أشجعُ (١):

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ

وقالوا: أحسنُ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ (٥):

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان البحتري » ( ۸۷٦/۲ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥٣ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥٣ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٠).

وأحسنُ مرثيةٍ جاهليةٍ ابتداءً قولُ أوسِ بنِ حجرٍ ('': [من المنسر] أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعًا إِنَّ ٱلَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

وأحسنُ مرثيةٍ إسلاميةٍ ابتداءُ قولِ أبي تمامٍ (٢):

أَصَمَّ بِكَ ٱلنَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعًا وَأَصْبَحَ مَغْنَى ٱلْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وقد بكى امرُوُّ القيسِ واستبكى ، ووقفَ واستوقفَ ، وذكرَ الحبيبَ والمنزلَ في نصفِ بيتٍ (٣):

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِكِ

فهوَ مِنْ أَجودِ الابتداءاتِ ، وكرَّرَهُ في مطلعِ قصيدةٍ أخرىٰ ؛ وهوَ قولُهُ (١٠):

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ وهوَ أحسنُ وأتمُّ مِنَ الأوَّلِ.

ومِنْ أحكمِ ابتداءاتِ العربِ قولُ السَّمَوْءَلِ (°): [من الطويل] إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللَّوْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَـرْتَـدِيـهِ جَـمِـيـلُ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَىٰ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبيلُ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَىٰ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبيلُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان أوس بن حجر » ( ص ٥٣ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « ديوان أبي تمام » ( ۹۹/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) تقدم ( ٤١٧/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٨٩ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان السموءل » ( ص ١٠ ) .

وقالَ بعضُهُم: أحكمُ ابتداءاتِهم قولُ لبيدٍ (١): [من الطويل] أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيم لَا مَحَالَةَ زَائِلُ وبعضُهُم يجعلُ ابتداءَ هاذهِ القصيدةِ (٢): أَلَا تَسْأَلَانِ ٱلْمَرْءَ مَاذَا يُحَاولُ أَنَحْبُ فَيُقْضَىٰ أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ ومِنْ جِيادِ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ (٣) : [من الطويل] دَعَاكَ ٱلْهَوَىٰ وَٱسْتَجْهَلَتْكَ ٱلْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي ٱلْمَرْءِ وَٱلشَّيْبُ شَامِلُ قالوا : وكانَ عبدُ الحميدِ لا يبتدئ بر ( لولا ) ولا ( إن رأيتَ ) . وقد جعلَ الناسُ قولَ أبي تمام (١٠): [ من البسيط ] يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا مِنْ جيادِ الابتداءِ ، وقولَهُ : [من الخفيف] سَعِدَتْ غُرْبَةُ ٱلنَّوَىٰ بِسُعَادِ وسُئِلَ بعضُهُم عن أحذقِ الشعراءِ ، فقالَ : مَنْ يَتفقَّدُ الابتداءَ والمقطع (٥). ولمَّا نظرَ أبو العميثلِ في قصيدةِ أبي تمام: [ من الطويل ] هُنَّ عَوَادِي يُوسُفِ وَصَوَاحِبُهُ (١) انظر « ديوان لبيد » رضى الله عنه ( ص ٢٥٦ ) . (٢) انظر « ديوان لبيد » رضى الله عنه ( ص ٢٥٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ١١٥ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي تمام » ( ١٠/٢ ) ، والبيت بتمامه : يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا هِيَ ٱلصَّبَابَةُ طُولَ ٱلدَّهْرِ وَٱلسَّهَدِ

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٤ ) ، والسياق له .

فاسترذلَ ابتداءَها ، وأسقطَ القصيدةَ كلُّها ، حتى راجعَهُ أبو تمامٍ ، وأوقفَهُ على موضع الإحسانِ منها ، فراجعَ عبدَ اللهِ بنَ طاهرِ وأجازَهُ .

قلتُ (١): أبو العميثلِ هاذا كانَ مِنْ علماءِ الشعراءِ المقيمينَ في خدمةِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ ، وهوَ أميرُ خراسانَ إذ ذاكَ ، وكانَ الشُّعراءُ يقصدونَهُ مِنَ الجهاتِ البعيدةِ بمدائحَ يبتغونَ جوائزَهُ ، وللكنْ لم يكنْ ليسمعَ شعراً حتى يسمعَهُ أبو العميثلِ وأصحابُهُ ؛ فإنِ استجادُوهُ . . أبلغوهُ الأميرَ وأثنَوا على صاحبِهِ ، فيجيزُهُ ، وإن لم يستجيدوهُ . . ردُّوهُ صِفرَ اليدَين .

ومِنْ عيونِ أبياتِ هـٰذهِ القصيدةِ : قولُهُ في صفةِ مَشقَّةِ السفرِ وعُلُوِّ هِمَّةِ الرَّيْبِ : [من الطويل]

وَرَكْبٍ كَأَمْثَالِ ٱلْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهُ لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وقولُهُ في صفةِ الجملِ بالنُّحولِ والهُزالِ مِنْ شدائدِ السفرِ في الفيافي :

رَعَتْهُ ٱلْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ ٱلرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ

ولأبي تمام ابتداءاتٌ كثيرةٌ تجري هاذا المَجرى ، منها قولُهُ (١): [من الكامل] قَدْكَ ٱتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي ٱلْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ شُجَرَائِي

تفسيرُ هاذا البيتِ: أنَّهُ عَدَّدَ الألفاظَ الصَّادرةَ مِنَ العُذَّالِ على سبيلِ التعجُّبِ والاستهزاءِ ، وهي قولُهُم: (قَدْكَ) أي: حسبُكَ (اتَّعبُ) وأصلُهُ: ٱوْتَئِب؛ أي: استحي (أربيتَ في الغُلَواءِ) أي: زدتَ في الغُلُوِ والتغريرِ بنفسِكَ في أمرِ العشقِ ، ثمَّ التفتَ إلى العُذَّالِ فقالَ يخاطبُهُم: والتغريرِ بنفسِكَ في أمرِ العشقِ ، ثمَّ التفتَ إلى العُذَّالِ فقالَ يخاطبُهُم:

<sup>(</sup>١) القائل المؤلف ضمن نقله عن العسكري صاحب « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٢٠/١ ) .

	~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
خُلطائي ؛ جمعُ شجيرٍ بمعنىٰ مشاجرٍ .	(كم تعذلونَ وأنتُم شُجرائي) أي:
مِ (١):	ومِنَ الابتداءاتِ البديعةِ قولُ مسلمٍ
وَشَمَّرَتْ هِمَمُ ٱلْعُنَّالِ فِي عَذَلِي	أُجْرِرْتُ ذَيْلَ خَلِيعٍ فِي ٱلصِّبَا غَزِلِ
ِنْ كلامِكَ ، والمقطعُ آخِرُ ما يبقىٰ في جميعاً مُرتقَبَينِ (٢٠٠٠ .	والابتداءُ أوَّلُ ما يقعُ في السَّمعِ مِ النَّفسِ مِنْ قولِكَ ، فينبغي أن يكونا -
_ يعني : المتنبي _ ابتداءًهُ : [ من الطويل ]	
	أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ
ولهُ بعدَ ذلكَ ابتداءاتُ المصائبِ وفِراقُ الحبائبِ ، منها قولُهُ : [من الكامل]	
ثُمَّ ٱنْصَرَفْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا	هَاذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا
[ من الكامل ]	وقولُهُ :
	جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ ٱلتَّبْرِيحُ
[ من الوافر ]	وقولُهُ (٦) :
	أُحَادٌ أَمْ سُلَاسٌ فِي أُحَادِ
	(۱) انظر « ديوان صريع الغواني » ( ص ١ ) . (
بِفِيَّ بَــرُودٍ وَهْــوَ فِي كَـبِـدِي جَـمْـرُ	أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ
مامه : أَغِـــذَاءُ ذَا ٱلــرَّشَـاً ٱلْأَغَـــنِّ ٱلشِّـيــحُ	(٥) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٤٦ ) ، والبيت بته جَمَا لِي فَلْيَكُ ٱلتَّابْرِيحُ
مامه : لُيَيْلَتُنَا ٱلْـمَنُ وطَةُ بِٱلـتَّنَادِي	(٦) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٥٩ ) ، والبيت بتد أُحَـادٌ أَمْ سُــدَاسٌ فِـي أُحَـادِ
THE	

وقولُهُ : [ من الطويل ]

لِجِنِّيَّةٍ أَمْ غَادَةٍ رُفِعَ ٱلسَّجْفُ لِوَحْشِيَّةٍ لَا مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ

قلتُ (١): وهاذهِ القصيدةُ يقولُها في مدحِ قاضٍ فقيهٍ ، ومنها \_ وفيهِ قبحُ الاستعارةِ وسوءُ العبارةِ \_ قولُهُ:

فَقِيهٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالٌ جِبَالُ ٱلْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفُّ

وقولُهُ " : [ من الكامل ]

فِي ٱلْخَدِّ أَنْ عَزَمَ ٱلْخَلِيطُ رَحِيلً دَمْعٌ تَزِيدُ بِهِ ٱلْخُدُودُ مُحُولًا قِي ٱلْخُدُودِ مِنَ البديعِ المزورِ (''). قالَ إسماعيلُ بنُ عبادٍ: إنَّ المُحولَ في الخُدودِ مِنَ البديعِ المزورِ (''). فهاذهِ وما شاكلَها ابتداءاتٌ لا خلاقَ لها.

وإذا كانَ الابتداءُ حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً . . كانَ داعيةً لاستماع ما يجيءُ بعدَهُ مِنَ الكلام ، ولهاذا المعنىٰ يقولُ اللهُ تعالىٰ : ﴿ الْمَ ﴾ ، و﴿ حمٓ ﴾ ، و﴿ طسٓ ﴾ ، و﴿ طسٓ ﴾ ، و﴿ طسٓ ﴾ ، و﴿ طسّ ﴾ ، و﴿ طسّ أسماعَهُم بشيءٍ بديعٍ ليسَ لهُم بمثلِهِ عهدٌ ؛ ليكونَ ذلكَ داعيةً لهُم إلى الاستماع .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسَلَّمَ: « كُلُّ كَلَامٍ لَمْ يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ ٱللهِ . . فَهُوَ أَبْتَرُ » ( • ) .

※ ※ ※

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٧٧ ).

<sup>(</sup>Y) هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان المتنبى » ( ص ١١١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » : ( ص ٤٥٦ ) ، وفيه : ( المردود ) بدل ( المزور ) .

<sup>(</sup>٥) رواه أبو داوود ( ٤٨٠٧ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

# [القولُ في الفصلِ والوصلِ]

هذا؛ وقالَ أبو هلالٍ في بيانِ وجوبِ الاعتناءِ بمواضعِ فصلِ كلامٍ مِنْ كلامٍ ، ووصلِ الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ (١): قيلَ للفارسيِّ : ما البلاغةُ ؟ قالَ : معرفةُ الفصل مِنَ الوصل .

وقالَ المأمونُ لبعضِهِم: مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ: مَنْ قَرَّبَ الأمرَ البعيدَ المُتناوَلِ والصَّعبَ الدَّركِ بالألفاظِ اليسيرةِ ، قالَ: ما عَدَلَ سهمُكَ عنِ الغَرضِ ، ولاكنِ البليغُ مَنْ كانَ كلامُهُ في مقدارِ حاجتِهِ ، ولا يجيلُ الفكرةَ في اختلاسِ ما صَعُبَ عليهِ مِنَ الألفاظِ ، ولا يُكرِهُ المعانيَ بإنزالِها في غيرِ منازلِها ، ولا يتعمَّدُ الغريبَ الوَحْشيَّ ، ولا الساقطَ السُّوقيَّ ، والبلاغةُ إذا اعتزلَتْها المعرفةُ بمواضع الفصلِ والوصلِ . . كانَتْ كاللآلئ بلا نظام .

فقدِ استحسنَ المأمونُ الجوابَ ، وللكنَّهُ عَرَّفَهُ أنَّهُ غيرُ مقنعٍ ، فساقَ لهُ ما عندَهُ ، وينبغي أن يكونَ الجوابُ وصفةَ أبلغ الناسِ .

وقالَ أبو العباسِ السَّفَّاحُ لكاتبِهِ (١): قِفْ عندَ الكلامِ وحدودِهِ ، وإيَّاكَ أن تخلطَ المرعيَّ بالهملِ ، ومِنْ حليةِ البلاغةِ المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ مِنَ الوصلِ .

وقالَ الأحنفُ بنُ قيسٍ (٢): ما رأيتُ رجلاً تَكلَّمَ فأحسنَ الوقفَ عندَ مقاطع الكلام ولا عرفَ حدودَهُ إلَّا أبا عمرِو بنَ العلاءِ (١)، كانَ إذا تَكلَّمَ . .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥٨ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥٨ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥٨ ) .

<sup>(</sup>٤) في « الصناعتين » : ( إلا عمرو بن العاص ) .

تَفقَّدَ مقاطعَ الكلامِ ، وأعظمَ حقَّ المَقامِ ، وغاصَ في استخراجِ المعنىٰ بألطفِ مَخرجٍ ، حتىٰ كانَ يقفُ عندَ المقطعِ وقفاً يحولُ بينَهُ وبينَ بغيتِهِ مِنَ الألفاظِ ، وكانَ كثيراً ما يُنشِدُ:

إِذَا مَا بَدَا فَوْقَ ٱلْمَنَابِرِ قَائِلاً أَصَابَ بِمَا يُومِي إِلَيْهِ ٱلْمَفَاصِلاً وَحُكِي (١): أَنَّ شبيبَ بنَ شبة كانَ يوماً قاعداً ببابِ المَهديِّ، فأقبلَ عبدُ الصَّمدِ بنُ الفضلِ الرَّقَاشيُّ ، فلمَّا رآهُ شبيبٌ . قالَ : أتاكُم واللهِ كليمُ الناسِ ، فلمَّا جلسَ . قالَ شبيبُ : تَكلَّمْ يا أبا العباسِ ، فقالَ : أمعَكَ يا أبا معمرٍ وأنتَ خطيبُنا وسيِّدُنا ؟! قالَ : نعم ، واللهِ ؛ فقالَ : أمعَكَ يا أبا معمرٍ وأنتَ خطيبُنا وسيِّدُنا ؟! قالَ : في أيِّ شيءٍ ما رأيتُ قلباً أقربَ مِنْ لسانٍ مِنْ قلبِكَ مِنْ لسانِكَ ، قالَ : في أيِّ شيءٍ تحبُّ أن أتكلَّمَ ؟ قالَ : وإذا شيخُ يَتوكَّا على عصاً ، قالَ : صفْ لنا تحبُّ أن أتكلَّمَ ؟ قالَ : وإذا شيخُ يَتوكَّا على عصاً ، قالَ : صفْ لنا

فحمدَ الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليهِ ، ثمَّ ذكرَ السماءَ فقالَ : رفعَها اللهُ بغيرِ عمدٍ ، وجعلَ فيها نجومَ رجمٍ ونجومَ اهتداءٍ ، وأدارَ فيها سراجاً وقمراً منيراً ؟ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ ، وأنزلَ منها ماءً مباركاً أحيا بهِ الزَّرعَ والضَّرعَ ، وأدرَّ بهِ الأقواتَ ، وحفظَ بهِ الأرواحَ ، وأنبتَ منها أنواعاً مختلفةً يُصرِّفُها مِنْ وأدرَّ بهِ الأقواتَ ، تكونُ حَبَّةً ، ثمَّ يجعلُها عِرْقاً ، ثمَّ يقيمُها على ساقٍ ، فبينا حالٍ إلىٰ حالٍ ، تكونُ حَبَّةً ، ثمَّ يجعلُها عِرْقاً ، ثمَّ يقيمُها على ساقٍ ، فبينا تراها خضراءَ تَرِفُّ . . إذ تراها يابسةً تنقصفُ ؛ ليَنتفِعَ بها العبادُ ، وتَعمر بها البلادُ ، ثمَّ جعلَ مِنْ يُبْسِها هاذهِ العصا .

ثمَّ أقبلَ على الشيخِ وقالَ: وكانَ هاذا نطفةً في صلبِ أبيهِ ، ثمَّ صارَ عَلَقةً حينَ خرجَ منهُ ، ثمَّ مُضغةً ، ثمَّ عظماً ولحماً ، فصارَ جنيناً أوجدَهُ اللهُ بعدَ عدمٍ ، وأنشأَهُ مِنْ بدءٍ ، ووقفَهُ مكتهلاً ، ونقضَهُ شيخاً ، إلىٰ أن صارَ إلىٰ هاذهِ

هاذه العصا.

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٥٨ \_ ٤٥٩ ) .

الحالِ مِنَ الكبَرِ ، فاحتاجَ إلى هاذهِ العصافي آخرِ حالاتِهِ ، فتباركَ المُدبِّرُ للعبادِ .

قالَ شبيبٌ : فما سمعتُ كلاماً على بديهةٍ أحسنَ منهُ .

وقالَ معاويةُ ('): يا أشدقُ ؛ قمْ عندَ قُرومِ العربِ [ وجحاججها ] ('') ، فسُلَّ لسانَكَ ، وجُلْ في ميادينِ البلاغةِ ، وليكنِ التفقدُ لمقاطعِ الكلامِ منكَ على بالٍ ، فإنِّي شهدتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أملى [ على ] عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهِ السلامُ كتاباً ، فكانَ يَتفقَّدُ مقاطعَ الكلامِ كتفقُّدِ المصرمِ صرمتَهُ .

ولمَّا أقامَ أبو جعفرِ المنصورُ صالحاً خطيباً بحضرةِ شبيبِ بنِ شبَّةَ وأشرافِ قريشٍ فتَكلَّمَ . . أقبلَ شبيبٌ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما رأيتُ كاليومِ أبينَ بياناً ، ولا أربطَ جَناناً ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، إلَّا أنَّ الجوادَ عسيرٌ لم يُرضْ ، فحملَتْهُ القُوَّةُ علىٰ تَعسُّفِ الآكامِ وخبطِها ، وتركِ الطريقِ اللَّحبِ ، وأيمُ اللهِ ؛ لو عرفَ في خُطبتِهِ مقاطعَ الكلام . . لكانَ أفصحَ مَنْ نطقَ بلسانٍ (٣) .

وقالَ المأمونُ (\*): ما أعجبُ بكتابِ أحدٍ كإعجابي بكتابِ القاسمِ بنِ عيسىٰ ؛ فإنَّهُ يوجزُ في غيرِ عجزٍ ، ويصيبُ مقاطعَ الكلامِ ، ولا تدعوهُ المقدرةُ إلى الإطنابِ ، ولا تميلُ بهِ الغزارةُ إلى الإسهابِ ، يجلِّي عن مرادِهِ في كتبِهِ ، ويصيبُ المغزىٰ في ألفاظِهِ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩ ) .

<sup>(</sup>٢) الجحجاح: السيد السمح.

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩ \_ ٤٦٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٠ ) .

وكانَ يزيدُ بنُ معاويةَ يقولُ (١): إيَّاكُم أن تجعلوا الفصلَ وصلاً ؛ فإنَّهُ أشدُّ وأعيبُ مِنَ اللحن .

وقالَ أكثمُ بنُ صيفيِّ (١): كانَتْ ملوكُ الجاهليةِ تقولُ لكُتَّابِها: افصلوا بينَ كلِّ [معنىً منقضٍ]، وصلوا إذا كانَ الكلامُ معجوناً بعضُهُ ببعض.

وكانَ الحارثُ بنُ أبي شمرِ الغسانيُّ يقولُ لكاتبِهِ المرقِّش (٢): إذا نزعَ بكَ الكلامُ إلى الابتداءِ بمعنىً غيرِ ما أنتَ فيهِ . . فافصلْ بينَهُ وبينَ تبيعتِهِ مِنَ الألفاظِ ؛ فإنَّكَ إن مذقتَ ألفاظكَ بغيرِ ما يحسنُ أن تمذقَ بهِ . . نفرَتِ القلوبُ عن وعيهِ ، ومَلَّتُهُ الأسماعُ ، واستثقلتُهُ الرواةُ .

وكانَ بزرجمهرُ يقولُ (''): إذا مدحتَ رجلاً وهجوتَ آخرَ . . فاجعلْ بينَ القولَينِ فصلاً ؛ حتى يُعرَفَ المدحُ مِنَ الهجاءِ ؛ كما تفعلُ بكتبِكَ إذا استأنفتَ القولَ ، فأكملتَ ما سلفَ مِنَ اللفظِ .

وقالَ الحسنُ بنُ وهبٍ لكاتبِهِ الحرَّانيِّ (°): ما منزلةُ الكاتبِ في قولِهِ وفعلِهِ ؟ قالَ: أن يكونَ مطبوعاً ، مُحتنكِاً بالتجرِبةِ ، عالماً بحلالِ الكتابةِ وحرامِها وسنتِها ، وبالدُّهورِ في تداولِها وتصرُّفِها ، وبالملوكِ في سِيرِها وأيامِها ، معَ براعةِ اللفظِ ، وحسنِ التنسيقِ ، وتأليفِ الأوصالِ بمشاكلةِ الاستعارةِ ، وشرحِ المعاني حتى تُنصَبَ صورُها ، وبمقاطعِ الكلامِ ، ومعرفةِ الوصل مِنَ الفصل ، فإذا كانَ كذلكَ . . فهوَ كاتبٌ مجيدٌ .

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٠ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠ ).

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٠ ) .

<sup>. (</sup>  $\alpha$  ) انظر « الصناعتين » ( ص  $\alpha$  2 - 2 ) .

والقولُ إذا استكملَ آلتَهُ واستتمَّ معناهُ . . فالفصلُ عندَهُ .

وقالَ المأمونُ (١): ما أتفحّصُ مِنْ رجلٍ شيئًا كتفحُّصي عنِ الفصلِ والوصلِ في كتابِهِ ، والتخلُّصِ مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ ، فإنَّ لكلِّ شيءٍ جمالاً ، وحليةُ الكتابِ وجمالُهُ إيقاعُ الفصلِ في موقعِهِ ، وشحذُ الفكرةِ ، وإجالتُها في لطفِ التخلُّص مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ .

ومعنى المعقودِ والمحلولِ ها هنا: هوَ أَنَّكَ إذا ابتدأتَ بمخاطبةٍ ثمَّ لم تنتهِ إلى موضعِ التخلُّصِ ممَّا عقدتَ عليهِ كلامَكَ . . شُمِّيَ الكلامُ معقوداً ، فإذا شرحتَ المستورَ ، وأبنتَ عنِ الغرضِ المنزوعِ إليهِ . . شُمِّيَ الكلامُ محلولاً .

مثالُ ذلك : ما كتبَ بعضُهُم (١) : وجرى لكَ مِنْ ذكرِ ما خَصَّكَ اللهُ بهِ ، وأفردَكَ بفضيلتِهِ ؛ مِنْ شرفِ النفسِ والقدرةِ ، وبُعْدِ الهِمَّةِ والذِّكرِ ، وكمالِ الأداةِ والآلةِ ، والتمهُّدِ في السياسةِ والإيالةِ ، وحياطةِ أهلِ الدِّينِ والأدبِ ، وإنجادِ عظيمِ الحقِّ وتضعيفِ السببِ . . ما لا يزالُ يجري مثلُهُ عندَ كلِّ ذكرٍ يَتجَّدُد لكَ ، ويُؤثَرُ عنكَ .

فالكلامُ مِنْ أُوَّلِ الفصلِ إلىٰ قولِهِ: ( تضعيفِ السببِ ) معقودٌ ، فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ . . صارَ محلولاً .

وما كتبَ بعضُهُم (<sup>7</sup>): ربَّما كانَتْ مَودَّةُ السَّببِ أوكدَ مِنْ مَودَّةِ النَّسَبِ ؛ لأَنَّ المَودَّةَ التي تدعو إليها رغبةٌ أو رهبةٌ ، أو شكرُ نعمةٍ ، أو مشاركةٌ في صنعةٍ ، أو مناسبةٌ لمشاكلةٍ . . مَودَّةٌ معروفةٌ وجوهُها ، موثوقٌ بخلوصِها ، فتوكُّدُها

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٢).

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٢ ) .

بحَسَبِ السببِ الداعي إليها ، ودوامُها بدوامِهِ ، واتصالُها باتصالِهِ ، ومَودَّةُ القربىٰ مواتٌ ، وإن أوجبَتْها اللحمة . . فهيَ مشوبةٌ بحسدٍ ونفاسةٍ ، وبحَسَبِ ذلكَ يقعُ التقصيرُ فيما توجبُهُ الحالُ ، والإضاعةُ لِمَا يلزمُ مِنَ الشكرِ ، واللهُ يعلمُ أنِّي أودُّكَ مَودَّةً خالصةً لم تَدْعُ إليها رغبةٌ فيزيلَها استغناءٌ ، ولا اضطرَّ اليها رهبةٌ فيقطعَها أمنٌ منها ، وإن كنتَ مَرجوّاً للموهباتِ بحمدِ اللهِ تعالىٰ ، ومقصِداً مِنْ مقاصدِ الرغباتِ ، وكهفاً وحرزاً مِنَ المُوبقاتِ .

فهاذا الكلامُ معقودٌ إلى قولِهِ: ( لمشاكلةٍ ) فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ . . صارَ محلولاً .

وقالَ بعضُهُم ('): انظرْ سَدَّدَكَ اللهُ ألَّا تدعوَكَ مَقدِرتُكَ على الكلامِ إلى إطالةِ المعقودِ ؛ فإنَّ ذلكَ فسادُ ما أكننتَهُ في صدرِكَ ، وأردتَ تضمينَهُ كتابَكَ ، والمعقودِ ؛ فإنَّ ذلكَ فسادُ ما أكننتَهُ في صدرِكَ ، وأردتَ تضمينَهُ كتابَكَ ، وأرهنتَ بهِ واعلمْ : أنَّ إطالةَ المعقودِ تورثُ نسيانَ ما عقدتَ عليهِ كلامَكَ ، وأرهنتَ بهِ فكرَكَ .

وكانَ شبيبُ بنُ شبةَ يقولُ (٢): لمْ أَرَ مُتكلِّماً قطُّ أَذكرَ لِمَا عقدَ عليهِ كلامَهُ ولا أحفظَ لِمَا سلفَ مِنْ نطقِهِ . . مِنْ خالدِ بنِ صفوانَ ؟ يشبعُ المعقودَ بالمعاني التي يَصعُبُ الخروجُ منها إلىٰ غيرِها ، ثمَّ يأتي بالمحلولِ واضحاً بيّناً ، مشروحاً منثوراً ، فكانَ السامعُ لا يَعرِفُ مغزاهُ ومقصدَهُ في أوَّلِ كلامِهِ حتىٰ يصيرَ إلىٰ آخِرِهِ .

وقالَ بعضُهُم (٢): ليسَ يُحمَدُ مِنَ القائلِ أن يعميَ معرفةَ مغزاهُ على السامع لكلامِهِ في أوَّلِ ابتدائِهِ حتىٰ ينتهيَ إلىٰ آخِرِهِ ، بلِ الأحسنُ أن يكونَ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٣ ) .

في صدر كلامِهِ دالاً على حاجتِهِ ، ومُبيِّناً لمغزاهُ ومَقصِدِهِ ، كما أنَّ خيرَ [ أبياتِ ] الشعر ما إذا سمعتَ صدرَهُ . . عرفتَ قافيتَهُ .

وكانَ شبيبُ بنُ شَبَّةَ يقولُ (١): الناسُ مُوكَّلُونَ بتعظيمِ جودةِ الابتداءِ ، وبمدحِ صاحبِهِ ، وخيرُ وبمدحِ صاحبِهِ ، وخيرُ الكلام ما وُقِفَ عندَ مقاطعِهِ وبُيِّنَ موقعُ فصولِهِ .

ومثالُ ما لم يُبَنْ موضعُ الفصلِ فيهِ فأشكلَ الكلامُ: قولُ شاعرٍ يهجو ويمدحُ (۲):

وَأَبُوكَ بَدْرٌ كَانَ يَنْتَهِشُ ٱلْخِصَىٰ وَأَبِي ٱلْجَوادُ رَبِيعَةُ بْنُ قِتَالِ وَأَبِي ٱلْجَوادُ رَبِيعَةُ بْنُ قِتَالِ فَي صَفَةٍ .

وقلَّما رأينا بليغاً إلَّا وهوَ يقطعُ كلامَهُ على معنىً بديعٍ أو لفظٍ حسنٍ رشيقٍ ، قالَ لقيطٌ في آخِر قصيدتِهِ (١٠):

لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ وُدِّي بِلَا دَخَلٍ فَٱسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ ٱلْعِلْمِ مَا نَفَعَا

فقطعَها على كلمةِ حكمةٍ عظيمةِ الموقع.

ومثلُّهُ قولُ امرئ القيسِ (٥٠):

أَلَا إِنَّ بَعْدَ ٱلْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً وَبَعْدَ ٱلشَّبَابِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا

فقطعَ القصيدةَ أيضاً على حكمةٍ بالغةٍ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٣ ) .

<sup>(</sup>٣) في « الصناعتين » : ( كان ينتهس الحصي وأبي الجواد ربيعة بن قِبال ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٨ ) .

وقالَ أبو زبيدٍ الطائيُّ في آخِر قصيدةٍ (١):

كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ ٱلرِّجَالُ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنَايَا ٱحْتِيَالُ

[من الخفيف]

وقالَ أبو كبيرٍ الهذليُّ (١):

هَاذَا وَذَالِكَ لَــيْـسَ إِلَّا ذِكْـرُهُ وَإِذَا مَضَىٰ شَيْءٌ كَأَنْ لَمْ يُفْعَلِ

فينبغي أنْ يكونَ آخرُ بيتِ قصيدتِكَ أجودَ بيتِ فيها ، وأدخلَ في المعنى الذي قصدتَ لهُ في نظمِها ، كما فعلَ ابنُ الزِّبَعْرَىٰ في آخِرِ قصيدةٍ يعتذرُ فيها إلى النبيِّ صلَّى اللهُ تعالىٰ عليهِ وسَلَّمَ وشَرَّفَ وكَرَّمَ ويستعطفُهُ (٣):

فَخُذِ ٱلْفَضِيلَةَ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ وَٱقْبَلْ تَضَرُّعَ مُسْتَضِيفٍ ثَابِتِ

فجعلَ نفسَهُ مستضيفاً ، ومِنْ حقِّ المستضيفِ أن يُضافَ ، فإذا أضيفَ . . فمِنْ حقِّهِ أن يُصافَ ، واعداً بالثباتِ الذي مدارُ الأمرِ عليهِ ، مُخبِراً بصدقِ عزيمتِهِ ، جعلَ العفوَ عنهُ فضيلةً ، فجمعَ ما يُحتاجُ إليهِ في طلبِ [العفو] .

وقولُ تأبَّطَ شرّاً في آخِر قصيدةٍ (٥):

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ ٱلسِّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْماً بَعْضَ أَخْلَاقِي

هاذا البيتُ أجودُ بيتٍ فيها ؛ لصفاءِ لطفِهِ ، وحسنِ معناهُ ، وأحقُّ ما يُختَمُ كلامٌ في عتاب .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان الهذليين » ( ١٠٠/١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤ ).

<sup>(</sup>٤) في « الصناعتين » : ( تائب ) بدل ( ثابت ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان تأبط شراً » ( ص ١٤٤ ) .

ومثلُهُ قولُ الشنفريٰ في آخِرِ قصيدةٍ (١): [من الطويل]

وَإِنِّي لَحُلْوٌ إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرُّ إِذَا نَفْسُ ٱلْعَزُوفِ أَمَرَّتِ وَإِنِّي لَحُلُو إِنَّ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي إِلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي أَبِيُّ لِمَا آبَىٰ قَرِيبٌ مَقَادَتِي إِلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي وهلذانِ البيتانِ أجودُ ما فُخِرَ بهِ في هلذهِ القصيدةِ .

وقالَ بشرُ بنُ أبي حازمٍ في آخِرِ قصيدةٍ (١٠): [من الوافر]

وَلَا يُنْجِي مِنَ ٱلْغَمَرَاتِ إِلَّا بَرَاكَاءُ ٱلْقِتَالِ أَوِ ٱلْفِرَارُ

فقطعَها على مثلٍ سائرٍ ، والأمثالُ أحبُّ إلى النفوسِ ؛ لحاجتِها إليها عندَ المحاضرةِ والمجالسةِ .

وقالَ الهذليُّ (٢):

عَصَاكَ ٱلْأَقَارِبُ فِي أَمْرِهِمْ فَزَايِلْ بِأَمْرِكَ أَوْ خَالِطِ وَلَا تَسْقُطَنَّ سُقُوطَ ٱلنَّوَا قِمِنْ كَفِّ مُرْتَضِحَ لَاقِطِ

فقطعَها على تشبيهٍ مليحٍ ومثلٍ حسنٍ ، وهاكذا يفعلُ الكاتبُ الحاذقُ والمُترسِّلُ المُبرِّزُ ، ألا ترى ما كتبَ الصَّاحبُ في آخرِ رسالةٍ لهُ : فإن حنثتُ فيما حلفتُ . . فلا خطوتُ لتحصيلِ مجدٍ ، ولا نهضتُ لاقتناءِ حمدٍ ، ولا سعيتُ إلى مقامِ فخرٍ ، ولا [حرصتُ ] على عُلُوِّ ذكرٍ ، وهاذهِ اليمينُ لو سمعَها عامرُ بنُ الظَّربِ \_ أحدُ مشاهيرِ قضاةِ العربِ \_ لقالَ : هيَ الغَموسُ ، لا القسمُ باللَّاتِ والعُزَّىٰ ، ومناةِ الثالثةِ الأخرىٰ .

فأتى بأيمانٍ غريبةٍ ، ومعانٍ ظريفةٍ .

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان الشنفريٰ » ( ص ٩٩ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٥ ) ، والبراكاء : الثبات في الحرب .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٥ ) .

وكتبَ أيضاً في آخرِ رسالةٍ (''): وأنا مُتوقِّعٌ لكتابِكَ توقُّعَ الظمآنِ للماءِ الزلالِ ، والصُّوَّام لهلالِ شوالٍ .

وكتبَ آخَرُ أخرى (٢): وسألَ أن أخلفَهُ في تجشيمِ مولايَ إلى هاذا المجتمعِ ؛ ليَقرُبَ علينا تناولُ البدرِ بمشاهدتِهِ ، ولمسُ الشمسِ بغُرَّتِهِ .

فانظرْ كيفَ تقعُ كلماتُهُ على كلِّ معنى بديعٍ ، ولفظٍ شريفٍ .

\* \* \*

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٦ ).

# [حسنُ المقطع وجودةُ الفاصلةِ ]

هاذا ؛ وحسنُ المقطعِ وجودةُ الفاصلةِ وحسنُ تمكُّنِها في موضعِها علىٰ ثلاثةِ أضربٍ : فضربٌ منها : أن يضيقَ على الشاعرِ موضعُ القافيةِ ، فيأتي بلفظٍ قصيرٍ قليلِ الحروفِ ، فيُتِمَّ بهِ البيتَ ؛ كقولِ زهيرٍ (١) : [من الطويل] وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَاكِنَّنِي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِ

وقولِ النابغةِ (۱): [من الكامل]

..... جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [ نَدِي ]

وقولِ الأعشىٰ (""):

وَكَاْسٍ شَرِبْتُ عَلَىٰ لَذَّةٍ وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا وَكَاْسٍ شَرِبْتُ عَلَىٰ لَذَّةٍ وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا وبعَدَهُ:

لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنِّي ٱمْرُؤٌ أَتَيْتُ ٱللَّذَاذَةَ مِنْ بَابِهَا وقولِ امرئ القيس ( أ ) : [من الطويل ]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ وَقُولِ طُرِفَةً (°):

إِذَا ٱبْتَدَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلسِّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي

كَ ٱلْأُقْ حُوانِ غَداةَ غِبِ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهِ نَدِي

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلميٰ » ( ص ٣٥ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ٩٥ ) ، والبيت بتمامه :

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان الأعشىٰ » ( ١٢/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩).

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٣ ) .

٤٠٥

[ من الكامل ]	لُها (۱):	وقولِ النابغةِ مِنَ القصيدةِ التي أوَّ
		أَمِنَ ٱلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ
		[ قالَ ] :
نَ تَفْرِيقُ ٱلْأَحِبَّةِ فِي غَدِ	إِنْ كَارَ	لًا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلَا أَهْلاً بِهِ
لَـزَلْ بِرِحَـالِـهَـا وَكَـأَنْ قَـدِ	لَمَّا تَ	أَفِدَ ٱلتَّرَحُّ لُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا
		وقولِهِ:
، أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي	جَفَّتْ	كَ ٱلْأُقْحُوانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ
		وقولِهِ:
] بِبَرْدِ لِثَاتِهَا ٱلْعَطِشُ ٱلصَّدِي	[ يُشْفَىٰ	
[ من الطويل ]		وقولِ آخَرَ (۲):
جَمِيعاً بِٱلنَّوَىٰ وَقَعَا مَعَا	وَطِيرَا	أَلَا يَا غُرَابَيْ بَيْنِهَا لَا تَصَدَّعَا
[ من الطويل ]		وقولِ ابنِ أحمرَ (٣):
بِهَا فَأَجْزِ ٱلْمَطَالِبَ أَوْ زِدِ	فَمِثْلاً	وَإِنْ كَانَتِ ٱلنَّعْمَاءُ عِنْدَكَ لِأُمْرِئَ
[ من الطويل ]		وقولِ أبي حيَّةَ (١٠):
		[فَقُلُنَ ] لَهَا سِرّاً فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ

عَـجُـلَانَ ذَا زَادٍ وَغَــيْــرَ مُــزَوَّدِ أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ  $\phi_1$ 

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان النابغة الذبياني » ( ص ۸۹ ) ، والبيت بتمامه :

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٧ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٧ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي حية النميري » ( ص ٧٦ ) ، و« الصناعتين » ( ص ٤٦٧ ) ، والبيت بتمامه : صَحِيحاً وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي فَقُلْنَ لَهَا سِرًا فَدَيْنَاكِ لَا يَـرُحْ

الأبيات السالفة (١).

ومِنْ شعرِ المُحدَثينَ قولُ ابنِ عبدةً (٢):

دُنْيَا دَعَوْتُكِ مُسْمِعاً فَأَجِيبِي

دُومِي أَدُمْ لَكِ بِٱلْوَفَاءِ عَلَى ٱلْقَضَا

وقولِ آخَرَ (٢):

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي فِي ٱلْبُكَا وَقَالَتْ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ فَقُلْتُ إِذَا ٱسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ

(من الكامل عند من الكامل عند الكامل عند من الكامل عند من الكامل عند من الكامل عند الكام

إِنِّي بِعَهْ دِكِ وَاثِتٌ فَشِقِي بِي

[ من المتقارب ]

فَأَهْ لا بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانَا بِهَا أَمَرْتُ ٱلدُّمُ وعَ بِتَأْدِيبِهَا

والضَّرْبُ الآخَرُ: أن يَضيقَ بهِ المكانُ أيضاً ، ويَعجِزَ عن إيرادِ كلمةٍ سالمةٍ تَحتاجُ إلى إعرابٍ ، فيأتيَ بكلمةٍ ليسَتْ كذلكَ يُتِمُّ بها البيتَ ؛ مثلُ قولِ المرئ القيسِ (١٠):

..... كَذِئْبِ ٱلْغَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَاءَ وَيَتَّقِي

وقولِ زهيرٍ (\*):

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَقَدْ كَانَ لَا يَسْلُو

<sup>(</sup>۱) انظر ( ۲۸۲/۳ ).

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٦٧ ) ، وفيه : ( ابن أبي عيينة ) بدل ( ابن عبدة ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « الصناعتين » ( ص  $\Upsilon$ 3 ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ١٧٢ ) ، والبيت بتمامه : بَعَثْنَا رَبِيئًا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُخْمِلاً كَذِئْبِ ٱلْفَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَّاءَ وَيَتَّقِي

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمئ » ( ص ٨٣ ) ، والبيت بتمامه :

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلَّمَىٰ وَكَانَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى ٱلتَّعَانِيقُ فَٱلثِّقْلُ

ثمَّ قالَ:

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَىٰ سِنِينَ ثَمَانِياً وقولِهِ (۱):

لِذِي ٱلْحِلْمِ مِنْ ذُبْيَانَ عِنْدِي مَوَدَّةٌ لَنِي ٱلْحِلْمِ مِنْ ذُبْيَانَ عِنْدِي مَوَدَّةٌ مَخُوفاً كَأَنَّ ٱلطَّيْرَ فِي مَنْزِلَاتِهِ مَنْزِلَاتِهِ وَقُولِ ذِي الرُّمةِ (٣):

أَرَاحَ رِفَاقُ جِيرَتِكَ ٱلْجِمَالَا وَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حَزَنٍ عَلَيْهِمْ وَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حَزَنٍ عَلَيْهِمْ وقولِ الحطيئةِ (١٠):

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا

عَلَىٰ [صِيرِ] أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَلَا يَحْلُو

وَحِفْظٌ وَمَنْ يُلْحِمْ [ إِلَى ] ٱلشَّرِّ أَنْشُجِ عَلَىٰ جِيَفِ ٱلْحَسْرَىٰ مَجَالِسُ تَنْتَجِي عَلَىٰ جِيفِ ٱلْحَسْرَىٰ مَجَالِسُ تَنْتَجِي

كَأَنَّهُمُ يُرِيدُونَ ٱحْتِمَالَا وَلَمْ أَرَ حَادِيَ ٱلْأَظْعَانِ بَالَا وَلَمْ أَرَ حَادِيَ ٱلْأَظْعَانِ بَالَا

وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

والضَّرْبُ الثالثُ : أن تكونَ لفظةٌ لائقةٌ بما تَقدَّمَها مِنَ الألفاظِ ، وتكونَ مُستقِرَّةً في قرارِها ومُتمكِّنةً في موضعِها ، حتى لا يَسُدَّ مَسدَّها غيرُها ، وإن لم تكنْ قليلةَ الحروفِ ؛ كقولِ الحطيئةِ ( • ) : [من الوافر]

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا

AR AR

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلميٰ » ( ص ٢٣٨ ) .

<sup>(</sup>٢) في « الديوان » و « الصناعتين » : ( مخوف ) بدل ( مخوفاً ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان ذي الرمة » ( ١٥٠٦/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) تقدم ( ١٩٥/٢ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠ ) .

وقولِ آخَرَ (١):

صَلَّى ٱلْإِلَهُ عَلَى ٱمْرِئَ وَدَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا وَالْهَا وَقُولِ الْبحتريِّ (٢):

ظَلَلْنَا نُرَجِّمُ فِيكَ ٱلظُّنُونَ أَحَاجِبُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِمُهُ وقولِ أبي نُواسٍ (٣):

إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

## [ ذكرُ شيءٍ ممَّا عِيبَ مِنَ القوافي ]

وممَّا عِيبَ مِنَ القوافي: قولُ ابنِ الرُّقيَّاتِ وقدْ أنشدَ عبدَ الملكِ (١٠):

إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ بِٱلْمَدِينَةِ قَدْ أَوْجَعْنَنِي وَقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهُ إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ بِٱلْمَدِينَةِ قَدْ يَتْرُكُنَ رِيشاً فِي مَنَاكِبِيَهُ [ وَجَبَبْنَنِي ] جَبَّ ٱلسَّنَامِ فَلَمْ يَتْرُكُنَ رِيشاً فِي مَنَاكِبِيَهُ

فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : أحسنتَ ، إلَّا أَنَّكَ تَخنَّثَ في قوافيهِ ، فقالَ : ما عدوتُ قولَ اللهِ عنَّ وجلَّ : ﴿ مَا أَغَنَى عَنِي مَالِيَهٌ ﴿ هَا هَكَ عَنِي سُلطِيةٍ ﴾ ( ° ) ، وليسَ كما قالَ ؛ لأنَّ فاصلةَ الآيةِ حسنةُ الموقعِ ، وفي قوافي شعرِهِ لينٌ ، يُدرَكُ ذلكَ بالوجدانِ ، وسببُهُ اللفظيُّ : أنَّ فواصلَ الآيةِ كائنةٌ مِنْ مدَّةٍ وحركتَينِ وحرفِ السكتِ ، وقوافيهِ مِنْ ساكنِ يابسِ أو لينٍ ، وثلاثِ حركاتٍ ، وحرفِ السكتِ ، السكتِ ، وقوافيهِ مِنْ ساكنِ يابسِ أو لينٍ ، وثلاثِ حركاتٍ ، وحرفِ السكتِ ،

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٤٧٠ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « ديوان البحتري » ( 1/1/1 ) ، و« الصناعتين » ( ص 1/1/1 ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبى نواس » ( ٧١٤ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » ( ٩٨ ) .

<sup>(</sup>٥) سورة الحاقة : ( ٢٨ \_ ٢٩ ) .

فتجدُ في الآيةِ مِنَ الشدَّةِ بقدرِ ما تجدُ في أبياتِهِ مِنَ اللينِ ، ولذُلكَ وصفَهُ عبدُ الملكِ بالتخنُّثِ ، وهوَ التشبُّهُ بالمُخنَّثينَ في التلفُّظِ ، والمُخنَّثُ : الرجلُ في خلائق النساءِ طبعاً أو تطبُّعاً .

ومِنْ عيوبِ القوافي : أن تكونَ القافيةُ مستدعاةً لا تفيدُ معنى ، وإنَّما أُوردَتْ ليستويَ الرويُّ فقطْ .

قلتُ (١): وهاذا مِنْ أقبحِ عيوبِ الشعرِ ؛ فإنَّ الشعرَ إنَّما هوَ بالقوافي ، وإذا احتاجَ مَنْ يريدُ أن يقولَ الشعرَ لمثلِ ذلكَ . . فراحةُ الناسِ في سكوتِهِ ، مثلُ قولِ أبي تمام (١):

كَٱلظَّبْيَةِ ٱلْأَدْمَاءِ صَافَتْ وَٱرْتَعَتْ زَهْرَ ٱلْعَرَارِ ٱلْغَضِّ وَٱلْجَثْجَاتَا

ليسَ في وصفِ الظبيةِ بأنَّها ترتعي الجثجاثَ فائدةٌ ، وسواءٌ رعَتِ الجثجاثَ أو القلامَ أو غيرَ ذلكَ مِنَ النباتِ ، وإذا قصدَ لنعتِ الظبيةِ بزيادةِ حسنٍ . . قيلَ : إنَّها تعطو الشجرَ ؛ لأنَّها حينَئذٍ ترفعُ رأسَها فيطولُ جيدُها ، وتظهرُ محاسنُها ، كما قالَ :

وَٱلْجِيدُ مِنْهَا جِيدُ جَازِيَةٍ تَعْطُو إِذَا مَا طَالَهَا ٱلْمَرْدُ وقريبٌ منهُ قولُ الآخَرِ (٣):

وَسَابِغَةِ ٱلْأَذْيَالِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ يُكَفْكِفُهَا عَنِّي [بِجَادٌ] مُخَطَّطُ

وليسَ لتخطيطِ [ البجادِ ] معنى يرجعُ إلى السيفِ ، ولا إلى الدرع .

<sup>(</sup>١) هو المؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٣١٢/١ ) ، و « الصناعتين » ( ص ٤٧١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢ ).

قلتُ : وإذا انتهىٰ إلىٰ أن يقولَ كما يقولُ بعضُ المُصنِّفينَ : القيدُ لبيانِ الواقعِ . . يُقالُ : وما حيلةُ المُضطَرِّ إلَّا باردُ العذرِ ، ومثلُهُ قولُ آخَرَ (١٠) :

أَأَنْشُرُ ٱلْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَأَنْثُرُ ٱلدُّرَّ بَيْنَ ٱلْعُمْيِ فِي ٱلْغَلَسِ

وليسَ لذكرِ الغَلَسِ معَ العمى معنى ؛ لأنَّ الأعمى يستوي عندَهُ الغَلَسُ والهاجرةُ ، ولو قالَ : ( العُمُشِ ) . . لكانَ أقربَ مِنَ العمى ، على أنَّ الجميعَ لا خيرَ فيهِ .

وقولُ ابنِ الروميِّ (٢):

أَلَا رُبَّمَا سُؤْتُ ٱلْغَيُورَ وَسَاءَنِي

وَقَبَّلْتُ أَفْوَاهاً عِذَاباً كَأَنَّهَا

وَبَاتَ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ عَلَىٰ وَحْرِ

يَنَابِيعُ خَمْرٍ حُصِّبَتْ لُؤْلُوً ٱلْبَحْرِ

[من الطويل]

فقولُهُ: ( لؤلؤ البحرِ ) أفسدَ البيتَ وأطفاً نورَهُ ؛ لأنَّ اللُّؤلؤ لا يكونُ في النهرِ ولا غيرِهِ مِنَ المواضعِ ، فنسبتُهُ إلى البحرِ لا فائدةَ فيهِ إلَّا إقامةُ الرويّ .

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » (ص ۲۷۲ ).

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان ابن الرومي » ( ٩١٢/٣ ) .

## [ تمييزُ الكلام جيِّدهِ من رديئِهِ ]

هاذا كانَ الكلامُ كذاك . . صارَ بالقبولِ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ قولُهُ في تمييزِ الكلامِ جيدِهِ مِنْ رديئِهِ ، ونادرِهِ من باردِهِ ، قالَ (١) : الكلامُ - أيَّدَكَ اللهُ - بحسنِ سلاستِهِ ، وسهولتِهِ ، وصناعتِهِ (٢) ، وتخيُّرِ لفظِهِ ، وإصابةِ معناهُ ، وجودةِ مَطالعِهِ ، ولينِ معاطفِهِ ، واستواءِ تقاسيمِهِ ، وتعادلِ أطرافِهِ ، وتشبيهِ أعجازِهِ بهواديهِ ، وموافقةِ مآخيرِهِ لمباديهِ ، مع قِلَّةِ ضروراتِها بل عدمِها أصلاً ؛ حتى لا يكونَ لها في الألفاظِ أثرٌ ، فتجدُ المنظومَ مثلَ المنثورِ في سهولةِ مطلعِهِ ، وجودةِ مقطعِهِ ، وحسنِ رصفِهِ وتأليفِهِ ، وكمالِ صوغِهِ وتركيبِهِ ، فإذا كانَ الكلامُ كذلكَ . . صارَ بالقَبولِ حقيقاً ، وبالتحفُّظِ خليقاً ؛ كقولِ القائل (٣) :

فَمَا يُبَالُونَ مَا نَالُوا إِذَا حُمِدُوا [من الطويل]

وَلَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي وَلَا حَمَلَتْنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي وَلَا عَقْلِي مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتى قَبْلِي مِنْ ٱلْأَمْرِ لَا يَمْشِي إِلَىٰ مِثْلِهِ مِثْلِي وَأُوثِرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَىٰ أَهْلِي

هُمُ ٱلأُلَىٰ وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ وَقُولِ معن بنِ أوس (''):

لَعَمْرِي مَا [أَهْوَيْتُ] كَفِّي لِرِيبَةٍ وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصَرِي لَهَا وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصَرِي لَهَا وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيِيتُ لِمُنْكَرٍ وَلَا مُؤْثِر نَفْسِي عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ وَلَا مُؤْثِر نَفْسِي عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٦١ ) .

<sup>(</sup>۲) في « الصناعتين » : ( ونصاعته ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٦١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٦١ ) .

وقالَ الآخَرُ (١):

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَىٰ جَانِبِ ٱلْغِنَىٰ

وَقَالَ آخَرُ (٢):

ذَرِينِي أَسِيرُ فِي ٱلْبِلَادِ لَعَلَّنِي فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِعْ دِفَاعاً لِحَادِثٍ أَلَيْسَ كَثِيراً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ

أُصِيبُ فَتى فِيهِ لَدَى ٱلْحَقِّ مَحْمِلُ تَجِيءُ بِهِ ٱلْأَيَّامُ فَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْحُقُوقِ مُعَوَّلُ

إِذَا كَانَتِ ٱلْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ ٱلْفَقْر

[من الطويل]

[من الطويل]

[ من الطويل ]

ومـمَّـا هـوَ صحيحٌ في وصفِهِ ، جيدٌ في رصفِهِ . . قولُ الشنفريٰ (٣) :

أُطِيلُ مِطَالَ ٱلْجُوعِ حَتَّىٰ أُمِيتُهُ وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّمِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّمِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّمِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّمِّ مَا تُقِيمُ بِي

وقولُ بشارٍ (١٠):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَىٰ وقولُ دِعْبِلٍ (٥):

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْهُمُ

وَأَضْرِبُ عَنْهُ ٱلْقَلْبَ صَفْحاً فَيَذْهَلُ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَالُكُ لُ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَالُكَ لُ عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ وَمَالطويل]

[من الطويل]
ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاس تَصْفُو مَشَاربُهُ

وَلَكِنْ بِأُوْفَىٰ لِلطِّعَانِ وَأَكْرَمَا

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٢ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان الشنفرى » ( ص ٤٦ ) .

<sup>(</sup>٤) تقدم ضمن أبيات ( ٣٥/٢ \_ ٣٦ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » ( ص ٢٣٧ ) ، و« الصناعتين » ( ص ٦٢ ) ، وإنما البيت الأول لشاعر آخر كما يظهر في « الصناعتين » .

بِأَسْوَانَ لَمْ يَتْرُكُ لَهُ ٱلْحَزْمُ مَعْلَمَا وَيَعْجِزُ عَنْهُ ٱلطَّيْفُ أَنْ يَتَجَشَّمَا وَيَعْجِزُ عَنْهُ ٱلطَّيْفُ أَنْ يَتَجَشَّمَا

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخا لَا تُلِمُّهُ عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ

وليسَ لهنذا البيتِ نظيرٌ في كلامِ العربِ ، قالَ بعضُهُم : نظيرُهُ : قولُ أوسِ بنِ حجرٍ (٢) :

وَلَسْتُ بِحَابِسٍ أَبَداً طَعَاماً حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

هاذا ؟ وإن كانَ نظيرَهُ في التأليفِ ، فإنّهُ دونَهُ ؟ لِمَا تَكرَّرَ فيه مِنْ لفظِ (غدٍ) ، فإذا كانَ الكلامُ قد جمعَ العُذوبةَ والجَزالةَ والسُّهولةَ والرَّصانةَ معَ السلاسةِ والصناعةِ ، واشتملَ على الرونقِ والطُّلاوةِ ، وسَلِمَ مِنْ حيفِ التأليفِ ، وبَعُدَ مِنْ سماجةِ التركيبِ ، ووردَ على الفهمِ الثاقبِ . . قَبِلَهُ ولم يردُّهُ ، وعلى السَّمعِ المصيبِ استوعبَهُ ولم يمجُّهُ ، والنفسُ تقبلُ اللطيفَ ، يردُّهُ ، وعلى السَّمعِ المصيبِ استوعبَهُ ولم يمجُّهُ ، والنفسُ تقبلُ اللطيفَ ، وتنفرُ عمَّا تُضادُّهُ وتخالفُهُ ؛ فالعينُ تألفُ الحسنَ ، وتقذَىٰ بالقبيحِ ، والأنفُ وتنفرُ عمَّا تُضادُّهُ وتخالفُهُ ؛ فالعينُ تألفُ الحسنَ ، وتقذَىٰ بالقبيحِ ، والأنفُ يتشوَّفُ للصوبِ الرائعِ ، وينزوي عنِ الجهيرِ الهائلِ ، واليدُ تنعمُ باللِّينِ ، يتشوَّفُ للصوبِ الرائعِ ، وينزوي عنِ الجهيرِ الهائلِ ، واليدُ تنعمُ باللِّينِ ، وتتأذَىٰ بالخشنِ ، والفهمُ يأنسُ بالكلامِ المعروفِ ، ويسكنُ إلى المألوفِ ، ويصغي إلى الصَّوابِ ، ويهربُ مِنَ المحالِ ، وينقبضُ عنِ الوخمِ ، ويتأخَّرُ ويصغي إلى الطّوبِ ، ويهربُ مِنَ المحالِ ، وينقبضُ عنِ الوخمِ ، ويتأخَّرُ عنِ الجافي الغليظِ ، ولا يقبلُ الكلامَ المُضطرِبَ إلَّا الفهمُ المُضطرِبُ ، والمُوالِ ، والمُوالِ ، والمُوالِ ، والمُوالِ ، والمُؤلِ ، والمُوالِ ، والمُؤلِ الفهمُ المُضطرِبُ ، والله والمُؤلِ الفهمُ المُضطرِبُ ، والمؤلِ الفاسدةُ .

وَإِنَّ آمْراً أَمْسَتْ مَسَاقِطُ رَأْسِهِ

حَلَلْتُ مَحَلّاً يَقْصُرُ ٱلطَّرْفُ دُونَهُ

وقولُ النابغةِ (١):

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أوس بن حجر » ( ص ١١٥ ) ، و« الصناعتين » ( ص ٦٣ ) .

وليسَ الشأنُ في إيرادِ المعاني ؛ لأنَّ المعانيَ يعرفُها العربيُّ والأعجميُّ ، والقرويُّ والبدويُّ ، وإنَّما هوَ في جودةِ اللفظِ وصفائِهِ ، وحسنِهِ وبهائِهِ ، ونزاهتِهِ ونقائِهِ ، وكثرةِ طُلاوتِهِ ومائِهِ ، معَ صحةِ السبكِ والتركيبِ ، والحلوِ مِنَ النظمِ والتأليفِ ، وليسَ يطلبُ مِنَ المعنى إلَّا أن يكونَ صواباً ، ولا يقنعُ مِنَ اللفظِ بذلكَ حتى يكونَ على ما وصفناهُ مِنْ نعوتِهِ التي تَقدَّمَتْ ، ألا ترى إلى قولِ حبيبِ بنِ أوس (١):

مُستَسْلِمٌ لِلهِ سَائِسُ أُمَّةٍ لِنَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ لِنَّوِي تَجَهْضُمِهَا لَهُ ٱسْتِسْلَامُ فإنَّهُ أتى بصوابِ اللفظِ ، وليسَ هوَ بحسنِ ولا مقبولٍ .

وقالَ أبو داوودَ ('`): رأسُ الخطابةِ الطبعُ ، وعمودُها الدُّربةُ ، وجناحُها روايةُ الكلامِ ، وحليُها الإعرابُ ، وبهاؤُها تَخيُّرُ الألفاظِ ، والمحبةُ مقرونةٌ بقِلَّةِ الاستكراهِ ، وأنشدَ :

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

## [ مدارُ البلاغةِ علىٰ تحسينِ اللفظِ ]

ومِنَ الدليلِ على أنَّ مدارَ البلاغةِ تحسينُ اللفظِ: أنَّ الخطبَ الفائقة والأشعارَ الرائقة ما عُمِلَتْ لإفهامِ المعاني فقطْ ؛ لأنَّ الرديءَ مِنَ الألفاظِ يقومُ مقامَ الجيدِ منها في الإفهامِ ، وإنَّما يَدُلُّ حسنُ الكلامِ ، وإحكامُ الصنعةِ ، ورونتُ ألفاظِهِ ، وجودةُ مقاطعِهِ ، وبديعُ مباديهِ ، وغريبُ مبانيهِ . . علىٰ فضلِ قائلِهِ ، وفهمِ منشيهِ ، وأكثرُ هاذهِ الأوصافِ ترجعُ إلى الألفاظِ دونَ المعاني ، ولهاذا يتأنَّقُ الكاتبُ في الرسالةِ ، والخطيبُ في الخُطبةِ ، والشاعرُ المعاني ، ولهاذا يتأنَّقُ الكاتبُ في الرسالةِ ، والخطيبُ في الخُطبةِ ، والشاعرُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان أبي تمام » ( ١٥٣/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٤ ) .

في القصيدةِ ، ويبالغونَ في تجويدِها ، ويغلونَ في ترتيبها ؛ ليدلُّوا على براعتِهِم ، وحذقِهِم بصناعتِهِم ، ولو كانَ الأمرُ في المعاني . . لَطرحوا أكثرَ ذُلكَ ، فربحوا كدًّا كثيراً ، وأسقطوا عن أنفسِهم تعباً طويلاً .

ودليلٌ آخَرُ: أنَّ الكلامَ إذا كانَ لفظُهُ حلواً عذباً ، وسلساً سهلاً ، ومعناهُ وسطاً . . دخلَ في جملةِ الجيِّدِ ، وجرى معَ الرائع النادرِ ؛ كقولِ الشاعر 🗥 : [ من الطويل ]

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنيً كُلَّ حَاجَةٍ وَمسَّحَ بِٱلْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ وَلَمْ يَنْظُر ٱلْغَادِي ٱلَّذِي هُوَ رَائِحُ وَشُدَّتْ عَلَىٰ حُدْبِ ٱلْمَهَارِي رِحَالُنَا أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ ٱلْمَطِيِّ ٱلْأَبَاطِحُ

فليسَ تحتَ هاذهِ الألفاظِ كبيرُ معنى ، وهيَ رائقةٌ معجبةٌ ، وإنَّما المعنى : ولمَّا قضينا الحجَّ ومسَّحْنا ، وشُدَّتْ رحالُنا علىٰ مهاري الإبلِ . . سرْنا نتحدَّثُ في بطونِ الأوديةِ .

وباردُ الشعرِ مثلُ قولِ عمرِو بنِ معديكربَ (٢): [ من السريع ] قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَىٰ وَجَارَاتُهَا مَا قَطَّرَ ٱلْفَارِسَ إِلَّا أَنَا وَٱلْخَيْلُ تَعْدُو زيَماً حَوْلَنَا شَكَكْتُ بِٱلرُّمْحِ سَرَابِيلَهُ

> زيماً ؛ أي : مُتفرّقةً . وقولِ أبي العتاهيةِ (٢):

مَاتَ وَٱللهِ سَعِيدُ بْنُ وَهُبٍ رَحِمَ ٱللهُ سَعِيدَ بْنَ وَهُب

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٥ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبي العتاهية » ( ص ٤٩٥ ) .

<sup>[</sup>من المديد]

يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبْكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبْكَيْتَ قَلْبِي وَالْبَاعُثُمَانَ أَبْكَيْتَ قَلْبِي والباردُ في شعر أبي العتاهيةِ كثيرٌ.

والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نسجُهُ ولم يسخفْ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نسجُهُ ولم يسخفْ ، وحَسُنَ نظمُهُ ولم يهجنْ ، ولم يُستعمَلْ فيهِ الغليظُ مِنَ الكلامِ فيكونَ جلفاً بغيضاً ، ولا السُّوقيُّ مِنَ الألفاظِ فيكونَ مهلهلاً دُوَيناً ؛ فالبغيضُ كقولِ أبي تمام (١):

قَدْ كَانَ حُزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ حَتَّىٰ دَعَاهُ ٱلْحَيْنُ لِلْإِسْهَالِ جَعَلُوا ٱلْقَنَا ٱلدَّرَجَاتِ [لِلْكَذَجَاتِ] ذَا تِ ٱلْغِيلِ وَٱلْحَرَجَاتِ وَٱلْأَدْحَالِ

قلتُ : هاذانِ البيتانِ المُستكرَهانِ مِنْ أبياتِ قصيدةٍ فتحيَّةٍ معتصميةٍ ، مِنْ غررِ قصائدِ أبي تمامٍ ، البيتُ الأوَّلُ في صفةِ حالِ العدقِ أوَّلاً وآخراً ؛ وذلكَ أنَّهُ كانَ ممتنعاً بإقامتِهِ في أماكنَ مرتفعةٍ وعرةٍ ذاتِ أشجارٍ ومهاوي ، فكانَ لا يقدرُ عليهِ ، وهوَ معنى قولِهِ :

قَدْ كَانَ حَزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ

أي: أشدُّ الخطبِ في سكناهُ حزنَ الأرضِ ، وهوَ ضدُّ السهلِ ، والبيتُ الثاني في صفةِ عسكرِ المعتصمِ ؛ أي: جعلوا القنا سُلَّماً لهاذهِ المواضعِ المرتفعةِ الوعرةِ المشتملةِ على الشجرِ المُلتفِّ ؛ وهوَ الغيلُ والحرجاتُ ، ومهاوٍ ؛ وهيَ الأدحالُ ، وقولِهِ (٢٠):

يَا دَهْرُ قَوِمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَلْذَا ٱلْأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

ولا خيرَ في المعاني إذا استُكرِهَتْ قهراً ، والألفاظِ إذا أُجبِرَتْ قَسْراً ، ولا

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان أبي تمام » ( ۱۳۷/۳ \_ ۱۳۸ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٤٠٥/٢ ) .

خيرَ فيما أُجيدَ لفظُهُ إذا سَخُفَ معناهُ ، وللكنْ في غرابةِ المعنى إذا شَرُفَ لفظُهُ ، معَ وضوح المغزى ، وظهورِ المقصدِ .

وقدْ غلبَ الجهلُ على قومٍ فصاروا يستجيدونَ الكلامَ إذا لم يقفوا على معناهُ إلا بكدٍ ، ويستعظمونَهُ إذا وجدوا ألفاظَهُ كَزَّةً غليظةً ، ويستحقرونَ الكلامَ إذا رأَوهُ سلساً عذباً ، وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أنَّ السهلَ أمنعُ جانباً ، وأعزُ مطلباً ، وهوَ أحسنُ موقعاً ، وأعذبُ مستمعاً ، ولهاذا قيلَ : أجودُ الكلامِ السهلُ الممتنعُ .

ويُحكى ('': أنَّ الفضلَ بنَ سهلٍ وصفَ عمرَو بنَ مسعدةَ فقالَ: هوَ أبلغُ الناسِ ، ومِنْ بلاغتِهِ يَظُنُّ الظانُّ أنَّهُ يكتبُ مثلَ كتبِهِ ، فإذا رامَها . . تَعذَّرَتْ عليهِ .

وأنَّ إبراهيمَ بنَ العباسِ بنِ الأحنفِ أنشدَ يوماً بعضَ أصحابه (٢):

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلُ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبِ صَبُّ بِعِصْيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَسْرَبِ ٱلْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ

ثمَّ قالَ : هاذا واللهِ الشعرُ ، الحسنُ المعنى ، السهلُ اللفظِ ، العذبُ المُستمَعِ ، القليلُ النظيرِ ، العزيزُ الشبيهِ ، المُطمِعُ المُمتنِعُ ، البعيدُ معَ قربِهِ ، المُطمِعُ المُمتنِعُ ، البعيدُ معَ قربِهِ ، الصَّعبُ معَ سهولةٍ ، فجعلَ أصحابُهُ يقولونَ : هاذا الكلامُ واللهِ أحسنُ مِنْ شعرهِ .

وأنَّهُ قيلَ للسيدِ الحميريِّ: ألا تستعملُ الغريبَ في شعرِكَ ؟ فقالَ:

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٧ ) .

ذلك عِيُّ في زماني ، وتَكلُّفُ منِّي لو قلتُهُ ، وقد رُزِقتُ طبعاً واتساعاً في الكلام ، وأنا أقولُ ما يَعرِفُهُ الصغيرُ والكبيرُ ، ولا يحتاجُ إلى تفسيرٍ ، ثمَّ أنشدَ (١) :

أَيَا رَبِّ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِٱلَّذِي بِهِ مَدَحْتُ عَلِيّاً غَيْرَ وَجْهِكَ فَٱرْحَمِ فَهَاذًا كَلامُ عاقلِ يضعُ الشيءَ موضعَهُ ، ويستعملُهُ في إبَّانِهِ .

ومِنَ الكلامِ المطبوعِ السهلِ ('`): ما وَقَّعَ بهِ عليُّ بنُ عيسىٰ: قد بَلَّغتُكَ أقصىٰ طَلِبَتِكَ ، وأنتَ معَ ذلكَ تَستقِلُّ كثيري ، وأنتَ معَ ذلكَ تَستقِلُّ كثيري ، وتستقبحُ حسني فيكَ ، فأنتَ كما قيلَ:

كَالْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُكُلُهُمُهُ يُكُمِّ يَكُمُهُ يُكُمِّ فَكُمُهُ

ومِنَ المنظومِ المُطمِعِ المُمتنِعِ: قولُ البحتريِّ عفا اللهُ عنهُ (٣): [من الخفيف]

نَمْ هَنِيئاً فَلَسْتُ أَطْعَمُ غُمْضَا لَكَ نَوْمِي وَمَضْجَعاً قَدْ أَقْضَا وَفُ وَلَدِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقَضَّىٰ وَفُ وَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقَضَّىٰ وَأَثِبْنِي بِٱلْحُبِّ إِنْ كَانَ قَرْضَا بِجُفُونٍ فَوَاتِر ٱللَّحْظِ مَرْضَىٰ بِجُفُونٍ فَوَاتِر ٱللَّحْظِ مَرْضَىٰ

أَيُّهَا ٱلْعَاتِبُ ٱلَّذِي لَيْسَ يَرْضَىٰ إِنَّ بِي مِنْ هَوَاكَ وَجُداً قَدِ ٱسْتَهُ فَجُفُونِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْقَىٰ فَجُفُونِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْقَىٰ أَحْيِنِي بِٱلْوِصَالِ إِنْ كَانَ جُوداً بَأْبِي شَادِنٌ تَعَلَّقَ قَلْبِي

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٦٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٨ ) .

<sup>(7)</sup> انظر « ديوان البحتري » ( 1718/1 - 1717 ) ، و« الصناعتين » ( 0 - 17 - 17 = 17 ) .

يَتَشَنَّىٰ تَشَنِّي الْغُصْنِ غَضًا لِي عَنْ بَعْضِ مَا أَتَيْتُ وَأَغْضَىٰ لِي عَنْ بَعْضِ مَا أَتَيْتُ وَأَغْضَىٰ لَا وَلَتْما طَوْراً وَشَمّاً وَعَضَّا دَ فَأَبْكَىٰ كُومَ الْمَطَايَا وَأَنْضَىٰ وَسِعَ الرَّاغِبِينَ طُولاً وَعَرْضَا وَقَعَاتٍ مِنَ الْحُسَامِ وَأَمْضَىٰ وَقَعَرْضَا وَقَعْرَضَا وَقَعْرَضَا وَقَعْرَاتُ مُعَلَى النَّاسِ فَرْضَا وَقَعْرَاتُ مُعَلَى النَّاسِ فَرْضَا وَقَعْرَاتُ مُعَلَى النَّاسِ فَرْضَا وَقَعْرَاتُ مُعَلَى النَّاسِ فَرْضَا

لَسْتُ أَنْسَاهُ إِذْ بَدَا مِنْ قَرِيبٍ وَٱعْتِذَارِي إِلَيْهِ حِينَ تَجَافَىٰ وَٱعْتِلَاقِي تُفَّاحَ خَدَّيْهِ تَقْبِي وَاعْتِلَاقِي تُفَّاحَ خَدَّيْهِ تَقْبِي أَلْخُو أَلْذِي طَلَبَ ٱلْجُو أَيُّهَا ٱلرَّاكِبُ ٱلَّذِي طَلَبَ ٱلْجُو زُرْ حِياضَ ٱلْإِمَامِ تَلْقَ نَوَالاً هُو أَنْ حَيٰ هُو أَنْ دَىٰ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَأَوْحَىٰ هُو أَنْ دَىٰ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَأَوْحَىٰ يَتَوَلَّا وَفِعْلاً يَتَوَلَّا وَفِعْلاً يَتَوَلَّا وَفِعْلاً فَيْ الله جَعْفُ الله عَمْامِ وَأَوْحَىٰ فَيْ الله جَعْفُ الله عَمْامِ وَأَوْحَىٰ فَيْ الله وَيْ عَلا الله وَيْ الْمُوا وَيْ الْمُنْ الله وَيْ الْمُوا وَيُولُ وَيْ الْمُنْ الله وَيْ الله وَيْ الله وَيْ الله وَيْ الله وَيْ الله وَيْ الله وَالْمُوا وَيُعْلِقُولُ وَيْ الْمُنْ الله وَيْ الله وَيُعْلِقُولُ وَيْ الله وَالْمُوا وَالْمُوا وَيُولُ وَيُولُ وَيُعْلِمُ الله وَالْمُوا وَيُعْلِمُ الله وَالْمُوا وَلَا وَالْمُوا وَالْمُوا وَالْمُوا وَالْم

وَأَرَى ٱلْمَجْدَ بَيْنَ عَارِفَةٍ مِنْ لَكَ تُرَجَّىٰ وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تُمْضَىٰ

قلتُ : قولُ البحتريِّ : (أيُّها العاتبُ الذي ليسَ يرضىٰ) : لم يقلْ : أيُّها الساخطُ الذي ليسَ يرضىٰ ؛ ليحصلَ الطِّباقُ في كلامِهِ ، معَ ولوعِهِم بالبديعِ إذ ذاكَ ؛ لأنَّ لفظَ العاتبِ آدَبُ وأحشمُ ، معَ أنَّهُ لم يَفتْهُ الطِّباقُ ؛ فإنَّ العتبَ يستلزمُ السُّخطَ ، فاجتمعَ لهُ معَ الطِّباقِ المعنويِّ الكنايةُ الظريفةُ ، فهوَ مِنْ تخيُّرِ الألفاظِ ، ونبَّهتُكَ بهاذا لأن تصرِفَ التفاتكَ إلىٰ ملاحظةِ مثلِهِ ، فتلتزمَ التأنِّي في تَعرُّفِ لطائفِ الكلامِ ، فلا تدرسُهُ درساً وتمرَّ عليه مرّاً بحيثُ تفوتُكَ بغيتُكَ وأنتَ مكدودٌ في طلبِها .

وقولُهُ: ( أبكىٰ كومَ المطايا) ليسَ مِنَ البكاءِ ، وإنَّما هوَ مِنَ البكْءِ ؛ وهوَ ذهابُ اللبنِ ، بكأتِ الناقةُ كمَنَعَ ، فهوَ وما بعدَهُ عبارةٌ عن إهزالِ المطايا تدريجاً .

ومِنْ هلذا الموضعِ تَعرِفُ أنَّهُ ينبغي أن تكونَ الأمورُ على حَسَبِ الأزمنةِ ، فربَّما كانَ الأمرُ مستحسناً في زمنٍ حَسَبَ أحوالِ أهلِهِ ، ويصيرُ في زمنٍ آخَرَ غيرَ مستحسنٍ حَسَبَ تغيُّرِ الأحوالِ ، ألا ترىٰ أنَّ الشِّعرَ في الصَّدرِ الأوَّلِ كانَ على صورةٍ لم يكنْ عليها بعدُ ، حتى دخلَ في صورٍ شتَّىٰ ، وكانَ المُتأخِّرُ معيباً باستعمالِهِ في صورةِ الأوَّلِ .

ثمَّ هلذا لا يَخُصُّ الشعرَ والإنشاءَ ، فلقد سمعتَ قولَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : لا تَقسِروا أولادَكُم على آدابِكُم ، فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم (١٠).

وكانَ أَخذُ الأَجرةِ علىٰ تعليمِ القرآنِ محكوماً بحرمتِهِ ، ثمَّ أفتى العلماءُ بعدُ بجوازِهِ للضَّرورةِ ، ولذلكَ شواهدُ كثيرةٌ ، وهاذهِ الإشارةُ كافيةٌ ، ونرجعُ لِمَا نحنُ فيهِ ، قالَ أبو هلالٍ (١٠) : ومِنْ أمثلةِ السهلِ : قولُ محمدِ بنِ وهبِ (٢٠) :

مَا زَالَ يُلْشِمُنِي مَرَاشِفَهُ وَيُعِلُّنِي ٱلْإِبْرِيقُ وَٱلْقَدَحُ حَتَّى ٱسْتَرَدَّ ٱللَّيْلُ خِلْعَتَهُ وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ وَبَدَا ٱلصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ ٱلْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ أَنْتَ ٱلَّذِي بِكَ يَنْقَضِي [فَرَجاً] ضِيقُ ٱلْبِلَادِ لَنَا وَيَنْفَسِحُ نَشَرَتْ بِكَ ٱلدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَتَزَيَّنَتْ بِصِفَاتِكَ ٱلْمِدَحُ

<sup>(</sup>۱) تقدم ( ۱۹۳/۳ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر «الصناعتين» (ص ٦٩).

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩ ـ ٧٠ ) .

ومِنَ السهلِ المطبوعِ المختارِ الجيدِ : قولُ الآخَرِ (١) : [من مجزوء الوافر]

صَرَفْتَ ٱلدَّهْرَ فَانْصَرَفَا وَيَانْصَرَفَا وَيَانْتُ مَانْتُ مَانْتُ وَالْتُمْ أَذُبْ كَمَداً

كِ لَانَا وَاجِدٌ فِي ٱلنَّا سِ مِـمَّنْ مَـلَّـهُ خَـلَـفَا

وليسَ الغرضُ مِنْ سهولةِ الكلامِ وبيانِ معناهُ أن يبلغَ إلى حدِّ مثلِ قولِ بعضِهِم (٢٠):

يَا رَبِّ قَدْ قَالٌ صَبْرِي وَٱشْتَدَّ شَوْقِي وَوَجْدِي مُعْفَقًالٌ عَنْ عَدْابِي إِنْ كَانَ أُعْطِي ٱصْطِبَاراً أَنَا ٱلْفِي مِنْ قَرِيبِ

وَضَاقَ بِالْحُبِ صَدْرِي وَسَيِّدِي لَيْسَ يَدْرِي وَلَيْسَ يَرْحَمُ ضَرِي وَلَيْسَ يَرْحَمُ ضَرِي فَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي ذَنَا فَحَةَ بَّلُ نَحْرِي يَا لَيْتَ بَيْتَكَ قَبْرِي

وَلَـمْ تَـرْعَ ٱلَّـذِي سَـلَـفَـا

عَلَيْكَ وَلَمْ أَمُتْ أَسَفًا

فإنَّهُ إذا لانَ الكلامُ حتى يصيرَ إلى هذا الحدِّ . . فليسَ فيهِ خيرٌ ، لا سيَّما إذا ارتُكِبَتْ فيهِ مثلُ هذهِ الضَّروراتِ ؛ فإنَّ تسكينَ الياءِ مِنْ ( أُعطي ) غيرُ جائز ، والفداءُ ممدودٌ قصرَهُ .

وأمَّا الجزلُ المُختارُ مِنَ الكلام (٣) . . فهوَ الذي تَعرِفُهُ فُطناءُ العامَّةِ إذا

<sup>(</sup>۱) انظر «الصناعتين» (ص٧٠).

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠ ).

سمعوهُ ، ولا يستعملونَهُ في محاوراتِهِم ؛ كقولِ القائلِ (۱): [من البسيط] لا تَسْأَلِ الْقَوْمَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُقْتِرُ ٱلْمَرْءُ يَوْماً وَهُوَ مَحْمُودُ الْعَسْأَلِ الْقَوْمَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُقْتِرُ ٱلْمَرْءُ يَوْماً وَهُوَ مَحْمُودُ الْمَضِي عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ وَالِدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرُومَتِهِ مَا يُنْبِتُ ٱلْعُودُ وَمِن النشرِ (۲): قولُ يحيى بنِ خالدٍ: أعطانا الدهرُ فأسعف ، ثمَّ عطف علينا فعسف .

قلتُ : يحيى هاذا هو ابنُ خالدِ بنِ برمكَ ، أبو الفضلِ وجعفرٌ ، وهُمُ الوزراءُ المشهورونَ بالبرامكةِ ، وكانوا بلغوا مِنَ المنزلةِ وعُلُوِ الشأنِ مبلغاً لم يَصلْهُ غيرُهُم ، وكانَ الرشيدُ يقولُ ليحيىٰ : يا أبي ؛ لكونِهِ كانَ تولَّىٰ تربيتَهُ ، وكانَ يُسمِّي الفضلَ وجعفراً أخويهِ ، ثمَّ لم تزلْ بهِمُ الأيامُ حتى اقتضَتْ أسبابٌ تغيُّرُ قلبِ الخليفةِ عليهِم تغيراً أوجبَ حبسَهُم وإهانتَهُم ، وإخلاءَ الدنيا منهُم ، ومِنْ شعرِ يحيىٰ وهوَ في السِّجنِ :

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ مَنْ هَوَىٰ عَرْشُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا عَنَتُ ٱلدَّهُ لِ فَظَلْنَا لِحُكْمِهِ نَسْتَكِينُ

وجميعُ كلامِهِم نثراً ونظماً كانَ على هاذهِ الصُّورةِ ، فرحمَهُمُ اللهُ تعالى .

قالَ أبو هلالٍ (٣): ومِنْ شواهدِ ذلك : ما كتبَ [سعيدُ] بنُ حميدٍ في الاستعطافِ واسترجاعِ المَودَّةِ: وأنا مَنْ لا يُحاجُّكَ عن نفسِهِ ، ولا يُغالطُكَ عن جرمِهِ ، ولا يلتمسُ رضاكَ إلَّا مِنْ جهتِهِ ، ولا يستدعي هواكَ إلَّا مِنْ طريقتِهِ ، ولا يستميلُكَ إلَّا بالاعترافِ طريقتِهِ ، ولا يستميلُكَ إلَّا بالاعترافِ بالجُرْم ، نبَتْ بي عنكَ غِرَّةُ الحداثةِ ، ورَدَّتْني إليكَ الحنكةُ ، وباعدَتْني بالجُرْم ، نبَتْ بي عنكَ غِرَّةُ الحداثةِ ، ورَدَّتْني إليكَ الحنكةُ ، وباعدَتْني

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٧٢ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » ( ص ۷۲ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٧٢ ) .

منكَ الثقةُ بالأيامِ ، وقادَتْني إليكَ الضَّرورةُ ، فإن رأيتَ أن تستقبلَ الصَّنيعةَ بقَبولِ العذرِ ، وتُجدِّدَ النعمةَ باطراحِ الحقدِ ؛ فإنَّ قديمَ الحرمةِ وحديثَ التوبةِ يمحقانِ ما بينَهُما مِنَ الإساءةِ ، وإنَّ أيامَ القدرةِ إن طالَتْ قصيرةٌ ، [ والمتعة ] بها وإن كثرَتْ قليلةٌ . . فعلتَ .

وفي هاذا الكلام وما قبلَهُ قُوَّةٌ في سهولةٍ.

وممّا هوَ أجزلُ مِنْ هلذا (١): قولُ الشعبيِّ للحَجَّاجِ وأرادَ قتلَهُ ؛ لخروجِهِ عليهِ معَ ابنِ الأشعثِ : أجدبَ بنا الجنابُ ، وأحزنَ بنا المنزلُ ، فاستحلسنا الحذرَ ، واكتحلْنا السهرَ ، وأصابَتْنا فتنةٌ لم نكنْ فيها بررةً أتقياءَ ، ولا فجرةً أقوياءَ ؛ فعفا عنهُ .

فأجودُ الكلامِ (`` : ما يكونُ جزلاً سهلاً ، لا يَنغلِقُ معناهُ ، ولا يَستبهِمُ مغزاهُ ، ولا يَستبهِمُ مغزاهُ ، ولا يكونُ بريئاً مِنَ العثاثةِ ، عارياً مِنَ الرَّثاثةِ .

والكلامُ إذا كانَ لفظُهُ غثّاً ، ومعرضُهُ رثّاً . . كانَ مردوداً ولوِ احتوىٰ على أجلِّ معنى وأنبلِهِ وأرفعِهِ وأفضلِهِ ؛ كقولِ بعضِهِم (") : [من البسيط]

أَرَىٰ رِجَالاً بِأَدْنَى ٱلدِّينِ قَدْ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي ٱلْعَيْشِ بِٱلدُّونِ فَالْمَنْ بِٱلدِّينِ عَنْ دُنْيَا ٱلْمُلُوكِ كَمَا ٱسْ تَغْنَى ٱلْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ ٱلدِّينِ

قالَ أبو هلالٍ : فمثلُ هاذا لا يَدخُلُ في جملةِ المختارِ ، ومعناهُ كما تَراهُ نبيلٌ فاضلٌ جليلٌ .

<sup>. (</sup> VT - VT ) ( TV - VT ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٧٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣ ).

ولا أرى لمثلِ هاذا معنى (١) فهو كلامٌ مُنحرِفٌ وضيعٌ ، لم يجعلْ نفسهُ في الرُّتبةِ التي أعدَّها لهُ الدِّينُ ؛ فإنَّهُ لا ينبغي مِنَ العلماءِ أن يَنعزِلوا ناحيةً عن ساسةِ الناسِ ، بل يجبُ عليهِم أن يخالطوهُم مُخالطةً يَتحيَّنُونَهُم فيها بالموعظةِ ، ويُعطِّفونَهُم على الهدى ، ويرشدونَهُم لصنعِ الجميلِ ؛ فإنَّ الدِّينَ والدنيا لا يَصِحُّ فصلُهُما ، كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَا تَسُبُّوا ] ٱلدُّنيَا ، فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ ، عَلَيْهَا يَبْلُغُ ٱلْخَيْرَ ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِ » (١).

<sup>(</sup>١) القائل هنا هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .

<sup>(</sup>٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » ( ٢٠٥٢ ) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

## [ خطأً المعاني وصوابُها]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ (''): وللمعاني خطأٌ وصوابٌ ، وأنا مُنبِّهٌ عليهِما ؛ ليتتبعَ مَنْ يريدُ العملَ برسمِنا مواقعَ الصَّوابِ فيلزمَها ، ويقفَ على مواقعِ الخطأ فيجتنبَها ، فنقولُ:

إِنَّ الكلامَ أَلفاظٌ تَشتمِلُ على معانٍ تَدُلُّ عليها ، وتُعبِّرُ عنها ، فيَحتاجُ صاحبُ البلاغةِ إلى إصابةِ المعنى كحاجتِهِ إلى تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المَدارَ بعدُ على إصابةِ المعاني ؛ فإنَّها تَحُلُّ مِنَ الكلامِ مَحَلَّ الأبدانِ ، والألفاظُ تجري معَها مَجْرى الكسوةِ ، ومزيةُ إحداهُما على الأخرى معروفةٌ .

ومَنْ عرفَ ترتيبَ المعاني واستعمالَ الألفاظِ على وجوهِها بلغةٍ مِنَ اللغاتِ ، ثمَّ انتقلَ إلى لغةٍ أخرى . . تَهيَّأَ لهُ فيها مِنْ صنعةِ الكلامِ ما تَهيَّأَ لهُ فيها مِنْ صنعةِ الكلامِ ما تَهيَّأَ لهُ في الأولى ، ألا ترى أنَّ عبدَ الحميدِ الكاتبَ استخرجَ أمثلةَ الكتابةِ التي رسمَها لِمَنْ بعدَهُ مِنَ اللسانِ الفارسيِّ ، فحَوَّلَها إلى اللسانِ العربيِّ ؟! فلا يستكملُ صناعةَ الكلامِ إلَّا بإصابةِ المعنى ، وتصحيحِ اللفظِ ، والمعرفةِ بوجوهِ الاستعمالِ .

### والمعاني على ضربين

أحدُهُما: يبتدعُهُ صاحبُ الصِّناعةِ مِنْ غيرِ أَن يكونَ لهُ فيهِ إمامٌ يقتدي بهِ ، ولا رسومٌ قائمةٌ في أمثلةٍ ماثلةٍ يعملُ عليها ، وهاذا الضَّرْبُ ربَّما يقعُ عليهِ عندَ الخُطوب الحادثةِ ، ويَتبيَّنُهُ عندَ الأمور النازلةِ الطارئةِ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٧٥ ) .

والآخَرُ: ما يحتذيهِ على مثالٍ تَقدَّمَ ورسم فرطً.

وينبغي أن يطلبَ الإصابةَ في جميعِ ذلكَ ، ويَتوخَّىٰ فيهِ الصورةَ المقبولةَ ، والعبارةَ المستحسنةَ ، ولا يتكلَ فيما ابتكرَهُ على فضيلةِ ابتكارِهِ إيَّاهُ ، ولا يعتدَّ بابتداعِهِ لهُ ذلكَ الاعتدادَ ، فيساهلَ نفسَهُ في تهجينِ صورتِهِ ، فيُذهبَ حسنَهُ ويَطمِسَ نورَهُ ، ويكونَ فيهِ إلى الذمِّ أقربَ منهُ إلى المدح .

#### والمعاني بعدَ ذالكَ على وجوهٍ :

منها: ما هوَ قبيحٌ مستقيمٌ ؛ نحوُ قولِكَ : (قد زيداً رأيتُ ) ، وإنَّما قَبُحَ ؛ لأنَّكَ أفسدتَ النظامَ بالتقديم والتأخيرِ .

ومنها: ما هو مستقيمُ النظمِ وهوَ كذبٌ ؛ مثلُ قولِكَ: حملتُ الجبلَ ، وشربتُ ماءَ البحر.

[ ومنها ] : ما هو مُحالٌ ؛ كقولِكَ : آتيكَ أمسِ ، وأتيتُكَ غداً ، وكلُّ مُحالٍ فاسدٌ ، وليسَ كلُّ فاسدٍ مُحالاً ، ألا ترى أنَّ قولَكَ : (قامَ زيدٌ ) فاسدٌ ، وليسَ بمُحالٍ ، فالمُحالُ : ما لا يجوزُ كونُهُ ألبتةَ ؛ كقولِكَ : الدنيا [ في ] بيضةٍ ، وأمَّا قولُكَ : (حملتُ الجبلَ ) وأمثالَهُ . . فكذبٌ وليسَ بمُحالٍ ؛ لإمكانِ أن يزيدَ اللهُ في قُوَّتِكَ فتحملَهُ .

ويجوزُ أن يكونَ الكلامُ الواحدُ كذباً ومحالاً ؛ كقولِكَ : رأيتُهُ قائماً قاعداً ، ومررتُ بيقظانَ نائمٍ ، فتصلُ كذباً بمحالٍ ، فصارَ الذي هوَ الكذبُ هوَ المحالَ ؛ بالجمع بينَهُما ، وإن كانَ لكلِّ واحدٍ منهُما معنىً على حيالِهِ .

ومنها: الغَلَطُ؛ وهوَ أن يقولَ: ضربَني زيدٌ، وأنتَ تريدُ: ضربتُ زيداً، فغلطتَ، فإن تعمدتَ.. كانَ كذباً.

وللخطأ صورٌ مختلفةٌ أُنبِّهُكَ على أشياءَ منها ، وأُبيِّنُ وجوهَها ، وأشرحُ أبوابَها ؛ لتقفَ على أمثالِهِ ممَّا أبوابَها ؛ لتقفَ على أمثالِهِ ممَّا تركتُ ، ومَنْ لا يَعرِفُ الخطأ . . كانَ جديراً بالوقوع فيهِ .

فمِنْ ذٰلكَ : قولُ امرئ القيس (١) :

[ من الطويل ]

أَلَمْ تَسْأَلِ ٱلرَّبْعَ ٱلْقَدِيمَ بِعَسْعَسَا كَأَنِّي أُنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا

فهاندا فاسدٌ ؛ لأنَّهُ لا يُقالُ : كلمتُ حجراً فلم يجبْني ، فكأنَّهُ كانَ رجلاً .

وتبعَهُ أبو نُواسِ فقالَ يصفُ داراً (٢):

[ من السريع ]

كَأَنَّهَا [إِذْ] خَرِسَتْ حَازِمٌ بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ

والجيدُ قولُ كُثيرٍ في امرأةٍ (٣):

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا ٱلنَّفْسُ ذَلَّتِ

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنَ ٱلصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا ٱلْعُصْمُ زَلَّتِ

فَشَبَّهَ المرأةَ عندَ السكوتِ والتغافلِ بالصَّخرةِ ؛ يعني : أنَّ وضعَ التشبيهِ على أن يُشبَّهَ الضَّعيفُ بالقويِّ إذا لم يكنِ الغرضُ مُجرَّدَ التعريفِ كما سلفَ لكَ في البيانِ .

ولا يَحسُنُ التشبيهُ المقلوبُ إلَّا إذا اشتملَ على نكتةٍ كما سلفَ أيضاً ، وهلذانِ التشبيهانِ منهُ ، ولم تظهرُ نكتةٌ مُحسِّنةٌ لهُ فيهِما ظهورَها في قولِ ابن [ وُهَيبِ ] : ( وبدا الصباحُ ) ( على الموباحُ ) ( على ا

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٥ ) ، و« الصناعتين » (ص ٧٧ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » ( ص ۷۷ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان كثير عزة » ( ص ٩٧ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « معاهد التنصيص » ( ٥٧/٢ ) .

ومِنْ خطأ المعنىٰ قولُ الراعي (١٠):

يَكْسُو ٱلْمَفَارِقَ وَٱللَّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ مِنْ قُصْبِ مُعْتَلِفِ ٱلْكَافُورِ دَرَّاجِ

أرادَ المسكَ ، فجعلَهُ مِنْ قصبِ الظباةِ ، والقُصْبِ ـ بضمِّ فسكونٍ ـ : المعيُ ، جعلَ الظباءَ تعتلفُ الكافورَ ، فيَتولَّدُ منها لذلكَ المسكُ ، وهذا مِنْ طرائفِ الغَلَطِ .

وقريبٌ منهُ قولُ زهيرِ (۱):

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَاؤُهَا طَحِلٌ عَلَى ٱلْجُذُوعِ تَخَافُ ٱلْغَمَّ وَٱلْغَرَقَا

ظَنَّ أنَّ الضَّفادعَ يخرجنَ مِنَ الماءِ مخافةَ الغرقِ .

ومثلُهُ قولُ ابنِ أحمرَ (٣):

لَمْ يَدْرِ مَا نَسْجُ ٱلْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا ......

فظنَّ اليرندجَ منسوجاً ، وهوَ جلدٌ أسودُ يُعمَلُ منهُ الخفافُ ، وأصلُ الكلمةِ فارسيةٌ .

ومِنَ الغَلَطِ مثلُ قولِ امرئ القيسِ (١٠):

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي ٱلْقَلْبَ يَفْعَلِ

وإذا لم تغررُها هلذهِ الحالُ منهُ . . فما الذي يَغُرُّها ؟! وليسَ للمُحتجِّ عنهُ أن يقولَ : إنَّهُ إنَّما عنى بالقتلِ التبريحَ ؛ فإنَّ الذي يلزمُهُ معَ ذكرِ القتلِ يلزمُهُ أيضاً معَ ذكرِ التبريح .

وَرَاسُ أَعْــوَصَ دَارِسٍ مُـتَـخَـدِدِ

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان الراعى النميري » ( ص ٥٣ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلميٰ » ( ص ٤٥ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٨ ) ، والبيت بتمامه : لَـمْ يَـدُر مَا نَسْجُ ٱلْيَـرَنْدَج قَبْلَهَا

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ١٣ ) .

وممَّا أُخِذَ أيضاً على امرئ القيسِ: قولُهُ في الفرسِ ('): [من الطويل] فَلِلسَّوْطِ أُلْهُ وبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ فَلِلسَّوْطِ أُلْهُ وبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ فَلِلسَّوْطِ أُلْهُ وبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِللَّهُ مَا زادَ على ذلك ، فالجيدُ فلو وصفَ أخس حمارٍ وأضعفَهُ . . ما زادَ على ذلك ، فالجيدُ قولُهُ (''):

عَلَىٰ سَابِحٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ وَلَا وَانِ فَمَا سَمِعنا أَبِلغَ ولا أَجُودَ مِنْ قُولِهِ: (أَفانينَ جَرِي).

وقولُ علقمةً (٣):

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِياً مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ ٱلرَّائِحِ ٱلْمُتَحَلِّبِ فَالَّهُ وَلَم يَضرِبُ بسوطٍ ، ولم يُمْرِهِ بساقٍ ، ولم يَرْجُرُهُ بصوتٍ .

قلتُ : وكذلكَ الجَوادُ إنَّما يرفعُ رأسَهُ بشدِّ العنانِ ، فيَعرِفُ أن قد أُرِيدَ منهُ الجريُ ، فيخرِ ما عندَهُ .

ويُحكى: أنَّ امراً القيسِ لمَّا قالَ قصيدةَ هاذا البيتِ ، وقالَ علقمةُ الفحلُ قصيدتَهُ التي في رويِّها ووزنِها . . تحاكما إلى أُمِّ جندبِ زوجِ الفحلُ قصيدتَهُ التي في رويِّها ووزنِها . مرئ القيسِ بهاذَينِ البيتَينِ ، فحكمَتْ لعلقمة على امرئ القيسِ بهاذَينِ البيتَينِ ، فطَلَّقَها ، وتَزوَّجَها علقمةُ (1) ، وسنوردُ لكَ القصيدتَينِ بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ (0) .

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٥١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان علقمة بن عبدة » ( ص ١٧ ) ، و« الصناعتين » ( ص ٨٠ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « خزانة الأدب » ( ٢٨٣/٣ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر ما سيأتي من قصيدة امرئ القيس ( ١٤١/٤ ) ، وقصيدة علقمة الفحل ( ١٥٤/٤ ) .

وممَّا عيبَ ويُعابُ قولُ الأعشى (١٠):

وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُوم كُلَّ عَشِيَّةٍ بِقَتٍّ وَتَعْلِيفٍ وَقَدْ كَادَ يَسْنَقُ

أي : تصيبُهُ التخمةُ ، واليحمومُ : اسمُ فرس الملكِ ، يقولُ : إنَّهُ يأمرُ لفرسِهِ كلَّ عشيةٍ بقَتٍّ وتعليفٍ ، وهـٰذا ممَّا لا يُمدَحُ بهِ الملوكُ ، بل ولا رجلٌ مِنْ خساس الناس.

وقريبٌ منهُ قولُ الأخطل (٢):

وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ ٱلْخِلَافَةَ مِنْهُمُ لِأَبْلَجَ لَا عَارِي ٱلْخُوَانِ وَلَا جَدْب يقولُهُ في عبدِ الملكِ ، ومثلُ هلذا لا يُمدَحُ بهِ الملوكُ .

وأطرفُ منهُ قولُ كثيرِ بنِ عبدِ الرحمانِ الخزاعيّ (٢٠): [ من الطويل ]

غَزَا كَامِنَاتِ ٱلصَّدْرِ مِنِّي فَنَالَهَا وَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِلُطْفِهِ

فجعلَ أميرَ المؤمنينَ يَتودَّدُ إليهِ .

وقولُهُ لعبدِ العزيزِ بنِ مروانَ :

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضَبَابِي أَجَابَتْ حَيَّةٌ تَحْتَ ٱلْحِجَابِ وَتَرْقِينِي لَكَ ٱلرَّاقُونَ حَتَّىٰ

وإنَّما يُمدَحُ الملوكُ بمثل قولِ الشاعر (١٠): [ من الطويل ]

وَهِمَّتُهُ ٱلصُّغْرَىٰ أَجَلُّ مِنَ ٱلدَّهْر لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَىٰ لِكِبَارِهَا لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى ٱلْبَرِّ كَانَ ٱلْبَرُّ أَنْدَىٰ مِنَ ٱلْبَحْر

[ من الطويل ]

[من الطويل]

[ من الوافر ]

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان الأعشىٰ » ( ٦٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان الأخطل » ( ص ٣٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٨١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨١).

ومثلُ قولِ النابغةِ (١):

فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

ومِنْ غفلةِ كثيرٍ قولُهُ في المني (٢):

أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزُّ كُنَّا لِذِي غِنىً كِلَانَا بِهِ عَرُّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ كِلَانَا بِهِ عَرُّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغَفَّلٍ إِذَا مَا وَرَدْنَا مَنْهَلاً هَاجَ أَهْلُهُ

مَا وَرَدْنَا مَنْهَ لاً هَاجَ أَهْلُهُ إِلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نُرْمَىٰ وَنُضْرَبُ فَا اللهُ اللهُ وَنُضْرَبُ فَقَالَتْ لهُ عزَّةُ: لقد أردت بي الشقاءَ الطويلَ.

ومِنْ قبيح التمنِّي قولُ جنادةً (٢):

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّىٰ أَنْ يُلَاقِيَنِي

لِكَيْ يَكُونَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ

ومثلُ قبحِ هاذا التمنِّي قبحُ دعاءِ عبدِ بني الحسحاسِ إذ يقولُ ( \* ) : [من الطويل ] وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنَنِي وَأَحْمَىٰ عَلَىٰ أَكْبَادِهِنَّ ٱلْمَكَاوِيَا

[من الطويل]

[ من الطويل ]

[ من البسيط ]

وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَىٰ عَنْكَ وَاسِعُ

بَعِيرَيْنِ نَرْعَىٰ فِي ٱلْخَلَاءِ وَنَعْزُبُ

عَلَىٰ حُسْنِهَا جَرْبَاءُ [ تُعْدِي ] وَأَجْرَبُ

فَلَا هُوَ يَرْعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِهَا نَاعِ فَيَنْعَاهَا

وَتُضْمِرَ ٱلنَّفْسُ بَأْساً ثُمَّ تَسْلَاهَا

وللناسِ في المنى كلامٌ كثيرٌ ، بينَ مدحٍ لها واستحسانٍ ، وذمِّ واستهجانٍ ، قالَ الشاعرُ ( • ) :

أَمَانِيَّ مِنْ لَيْلَىٰ حِسَانٌ كَأَنَّمَا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلَىٰ عَلَىٰ ظَمَأُ بَرْدَا

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٨).

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان كثير عزة » ( ص ١٦١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٨٢ ) .

<sup>(4)</sup> انظر « ديوان سحيم عبد بني الحسحاس » ( ص  $\Upsilon$  ) .

<sup>( • )</sup> انظر « الصناعتين » ( ص ٨٣ ) .

مُنىً إِنْ تَكُنْ حَقّاً تَكُنْ أَحْسَنَ ٱلْمُنَىٰ وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَناً رَغْدَا [من البسيط]

وللطغرائيي (١):

مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَل أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا

ومِنْ ذمّ التمنِّي قولُ عنترةً (٢):

أَلَا قَاتَلَ ٱللهُ ٱلطُّلُولَ ٱلْبَوَالِيَا وَقَاتَلَ ذِكْرَاكَ ٱلسِّنِينَ ٱلْخَوَالِيَا

إِذَا هَويَتْهُ ٱلنَّفْسُ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَا تَنَالُهُ

ومِنْ خطأً الوصفِ: قولُ أبي ذؤيبٍ في صفةِ فرسِ (٢): [من الكامل]

[ من الطويل ]

بِٱلنَّيِّ فَهُوَ يَسُوخُ فِيهِ ٱلْإِصْبَعُ قَصَرَ ٱلصَّبُوحَ لَهَا [فَشَرَّجَ] لَحْمَهَا إِلَّا ٱلْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَنَصَّعُ تَأْتِي بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا ٱسْتُكْرِهَتْ

قالَ الأصمعيُّ ( أ ) : هلذهِ الفرسُ لا تساوي درهمَين ؛ لأنَّهُ جعلَها كثيرة اللحم ، رخوةً يدخلُ فيها الإصبعُ .

وإنَّما تُوصَفُ بهاذا الشاءُ يُضحَّىٰ بها ، وجعلَها لا تجري إلَّا بالاستقرار.

ومِنْ خطأ المعاني قولُ الأعشىٰ (٥): [ من الطويل ]

وَمَا رَابَهَا مِنْ ريبَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا رَأَتْ لِمَّتِى شَابَتْ وَشَابَتْ لِدَاتِيَا

وأيُّ ريبةٍ عندَ امرأةٍ أعظمُ مِنْ شيبٍ ؟!

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان الطغرائي » ( ص ٣٠٦ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان عنترة العبسى » ( ص ٢٢٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان الهذليين » ( ١٦/١ ـ ١٧ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨٤ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » ( ص ٨٩ ) .

[ من البسيط]

ومثلُهُ قولُ الآخَرِ (١):

مِنَ ٱلْحَوادِثِ إِلَّا ٱلشَّيْبَ وَٱلصَّلَعَا

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ ٱلَّذِي نَكِرَتْ وَمَا كَانَ ٱلَّذِي نَكِرَتْ وأَعْجِبُ مِنهُ قولُهُ (٢):

جَهْلاً بِأُمِّ خُلَيْدٍ حَبْلَ مَنْ تَصِلُ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَدَهْرٌ خَائِنٌ خَتِلُ

صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا أَعْ شَى أَضَرَّ بِهِ

وأيُّ شيءٍ أبغض عندَ النساءِ مِنَ العَشا ؟!

وأعجبُ ما في هاذا الكلامِ أنَّهُ قالَ: مَنْ تصلُ بعدي هاذهِ المرأةُ وأنا بهاذهِ الصفةِ مِنَ العشا والفقرِ والشيبِ ؟! فلا ترى كلاماً أحمقَ مِنْ هاذا !!

ومِنَ الخطأ قولُ مَنْ أرادَ أن يَفتخِرَ ، فأوقعَ نفسَهُ في أخسِّ تشبيهٍ حيثُ يقولُ (٣٠) :

تَعَرَّضَتْ تَيْمُ لِي عَمْداً لِأَهْجُوهَا كَمَا تَعَرَّضَ لِٱسْتِ ٱلْخَارِئُ ٱلْحَجَرُ

ومِنَ الخطأَ في التشبيبِ : قولُ كُثيرٍ (١٠) : [ من الطويل ]

وَمَا رَوْضَةٌ بِٱلْحَزْنِ [طَيِّبَةُ] ٱلثَّرَىٰ يَمُجُّ ٱلنَّدَىٰ جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا بِأَطْيَبَ مِنْ [أَرْدَانِ] عَزَّةَ مَوْهِناً وَقَدْ أُوقِدَتْ بِٱلْمَنْدَلِ ٱلرَّطْبِ نَارُهَا

يُقالُ: إِنَّ عجوزاً لقيَتْهُ وبيدِها روثةٌ عليها نارٌ وضعَتْ فيها مندلاً ، فقالَتْ لهُ: لم تزدْها في الصِّفةِ على هذا !!

<sup>(</sup>۱) هو للأعشى . انظر « ديوانه » ( ۲۸۰/۱ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان الأعشىٰ » ( ٢٠٦/١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ٩٤ ).

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان كثير عزة » ( ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ) .

والصَّوابُ في مثلِ ذلكَ قولُ امرئ القيسِ (١):

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ فَجِعْلَها طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ فَجعلَها طيبةَ الذاتِ .

[من الطويل]

[من المنسرح]

\*\*\*

ومِنْ عيوبِ المديحِ: عدولُ المادحِ عنِ الفضائلِ التي تَخُصُّ النفسَ ؛ مِنَ العقلِ ، والعِفَّةِ ، والعدلِ ، والشجاعةِ . . إلى ما هوَ مِنْ أوصافِ الجسمِ ؛ كقول ابن الرقيَّاتِ في ابن مروانَ (۲) :

يَأْتَلِقُ ٱلتَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَىٰ جَبِينٍ كَأَنَّهُ ٱلذَّهَبُ

فغضبَ عبدُ الملكِ وقالَ: قد قلتَ في مصعبٍ (٢):

إِنَّ مَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ ٱللهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ ٱلظَّلْمَاءُ

فأعطيتَهُ المدحَ بكشفِ الغممِ وجلاءِ الظلمِ ، وأعطيتَني ما لا فخرَ فيهِ ؟ وهوَ اعتدالُ التاجِ فوقَ جبيني الذي هوَ كالذهبِ في النضارةِ ، ذلكَ إلى ما رميتَني بهِ مِنْ صفةِ الأعاجم ؟!

وجيدُ المدح قولُهُ (١٠):

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا وَأَنَّهُمْ سَادَةُ ٱلْأَنَامِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ ٱلْعَرَبُ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٤١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٥ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » ( ص ٩١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٤).

ومِنَ التقصيرِ في المديحِ (١): ما تراهُ فيما يُحكى : أنَّهُ اجتمعَ جريرٌ والفرزدقُ عندَ الحَجَّاجِ ، فقالَ : مَنْ مدحَني منكُما بشعرٍ يُوجِزُ فيهِ ويُحسِنُ القولَ في صفتي . . فهاذهِ الخِلْعةُ لهُ ، فقالَ الفرزدقُ : [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ وَٱلطَّيْرُ يَتَّقِي عُقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفُ ٱلْعَزَائِمِ

فقالَ جريرٌ : [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ فَـمُرُّ وَأَمَّا عَـقْدُهُ فَـوَثِيـتُ يُومَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ فَـمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيتُ يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيتُ

فقالَ الحَجَّاجُ للفرزدقِ : ما عملتَ شيئاً ؛ فإنَّ الطيرَ يتَّقي مِنَ الصَّبيِّ والخشبةِ ، ودفعَ الخلعةَ إلى جريرِ .

ومِنْ خطأ المدحِ: قولُ مروانَ بنِ أبي حفصةَ في المأمونِ (''): [من البسيط] أَضْحَىٰ إِمَامُ ٱلْهُدَى ٱلْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً بِٱلدِّينِ وَٱلنَّاسُ بِٱلدُّنْيَا مَشَاغِيلُ

وحينَ أُنشِدَ هاذا البيتُ لعمارةَ بنِ عقيلٍ . . قالَ لهُ : ما زدتَهُ على أن وصفتَهُ بصفةِ عجوزٍ في يدِها سُبحةٌ ، هلّا قلتَ كما قالَ جدِّي \_ يعني : جريراً \_ في عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ (٣) : [من الطويل]

ومِنَ الغَلَطِ: قولُ أبي تمامٍ (١٠): [من الطويل]

رَقِيقُ حَوَاشِي ٱلْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَّيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٠٧ ).

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان ابن أبي حفصة » (ص ١١٧ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان جرير » ( ٧٠٣/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي تمام » ( ۸۸/۲ ) .

وما وصفَ أحدٌ مِنْ أهلِ الجاهليةِ ولا أهلِ الإسلامِ الحِلْمَ بالرِّقَّةِ ، وإنَّما يصفونَهُ بالرُّقَةِ ، والرزانةِ ، كما قالَ الشاعرُ (١): [من الكامل]

أَحْ لَامُنَا تَزِنُ ٱلْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى ٱلْجُهَّالِ

### [ مرجع أسبابِ الخطأ في المعاني]

هنذا ؛ ومرجعُ أسبابِ الخطأ في المعاني : إلى الجهلِ بالأحوالِ ، والغفلةِ عمَّا ينبغي أن يُقالَ ، ومَنْ لم يَتكلَّمْ إلَّا بعدَ علمٍ ، ولم يُخاطِبْ إلَّا بعدَ صحَّةِ فهم . . نجا مِنَ الوقوع في مثلِ ما وقعَ فيهِ أولئكَ .

وحَسْبُكَ هاذا دليلاً مرشداً إلى اعتبارِ غيرِهِ بهِ ، فيقوى التفاتُكَ ، ويزيدُ انتباهُكَ ؛ حتى تعتبرَ كلَّ مَقامٍ ، وتَنطِقَ فيهِ بما يليقُ بهِ ، وتهتدي إلى ذلك تمامَ الاهتداء ؛ بمطالعةِ أقوالِ مَنِ اتفقَ الناسُ على استحسانِ أقوالِهِم ، والمبالغةِ في تأمَّلِها ، ذاكراً تلكَ الانتقاداتِ وما أشبهَها ، ممَّا لا يَصعُبُ عليكَ ملاحظتُهُ ، معَ ما ضُربَ لكَ مِنَ الأمثلةِ .

فإذا رعيتَ ذلك ، وقد وجدتَ مِنْ طبعِكَ استعداداً لإنشاءِ الكلامِ وتحريرِ النظامِ ؛ بأن تكونَ قويَّ الحافظةِ والذاكرةِ ، بحيثُ يكونُ استحضارُكَ لِمَا تَمَسُّ إليهِ الحاجةُ مِنَ الألفاظِ ومصنوعِ العباراتِ كالأمثالِ أسرعَ مِنَ البرقِ . . فأقبلُ على ذلكَ ، وإلَّا . . فدعِ التكلُّف ؛ فإنَّهُ ليسَ يأتي منكَ بخيرٍ ، تكدُّ فكرَكَ ، وتُضيِّعُ وقتَكَ ، وتؤذي سامعَكَ ، وقلْ : إنَّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ .

وتَذكَّرْ مَا رُوِيَ عَنِ المُبرِّدِ حَيثُ يقولُ (٢): لا أحتاجُ إلى وصفِ نفسي ؛

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ١٢٦ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٦٠ ) .

لأنّ الناس يعلمون أنّه ليس أحدٌ مِن الخافقين يَختلِجُ في نفسِهِ مسألةٌ مشكلةٌ إلّا لقيَني بها ، وأعدّني لها ، فأنا عالمٌ ومُتعلّمٌ ، وحافظٌ ودارسٌ ، لا يَخفىٰ عليّ مُشتبِهٌ مِنَ الشعرِ والنحوِ والكلامِ المنثورِ والخُطَبِ والرسائلِ ، ولَربّما احتجتُ إلى اعتذار مِنْ فلتةٍ ، والتماسِ حاجةٍ ؛ فأجعلُ المعنى الذي أقصدُهُ نصبَ عيني ، ثمّ لا أجدُ سبيلاً إلى التعبيرِ عنهُ بيدٍ ولا لسانٍ ، ولقد بلغني أنّ عبدَ اللهِ بنَ سليمانَ ذكرَني بجميلٍ ، فحاولتُ أن أكتبَ إليهِ رقعةً أشكرُهُ فيها ، وأُعرّضَ ببعضِ أموري ، فأتعبتُ نفسي يوماً في ذلكَ ، فلم أقدرْ علىٰ ما أرتضيهِ منها ، وكنتُ أحاولُ الإفصاحَ عمّا في ضميري ، فيَنحرِفُ لساني الىٰ غيرهِ .

وما حُكِي عن بعضِ أكابرِ العلماءِ وقد قيلَ لهُ: لِمَ لا تقولُ الشعرَ ؟ فقالَ : ما أرضاهُ لا يَجيئني ، ويَجيئني ما لا أرضاهُ (١).

وعنِ اليونانيِّ الذي كانَ يُعلِّمُ الشعرَ ، فتَبرعُ فيهِ تلامذتُهُ وهوَ لا يقولُهُ ، فسُئِلَ في ذلكَ ، فقالَ : أنا كالمِسَنِّ ؛ أرهفُ ولا أقطعُ (١).

فهاذا اعترافُ العُقلاءِ الراضينَ بما قُسِمَ لهُم ، الواقفينَ عندَ حدودِهِم ، المُتحقِّقينَ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ . . تَعِبَ وَلَمْ يُرْزَقْ » (٣) .

ثمَّ ليكنْ أمرُ الكاتبِ في الكتابةِ على ما وصفَ أبو هلالٍ ؛ حيثُ يقولُ ( \* ) : واعلمْ : أنَّ المعانيَ التي تُنْشَأُ الكتبُ فيها مِنَ الأمرِ والنهي . . سبيلُها أن

<sup>(</sup>١) هو ابن المقفع . انظر « البيان والتبين » ( ٢٠٨/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الحيوان » للجاحظ ( ٢٩٠/١ ) .

<sup>(</sup>٣) أورده العلامة نظام الدين النيسابوري في « تفسير غرائب القرآن » ( ٣٠/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ١٦٢ ) .

تُوكَّدُ غاية التوكيدِ بجهةِ كيفيةِ نظمِ الكلامِ ، لا بجهةِ كثرةِ اللفظِ ؛ لأنَّ حكم ما يَنفُذُ مِنَ السُّلطانِ في كتبِهِ شبيهُ بحكمِ توقيعاتِهِ ؛ مِنِ اختصارِ اللفظِ ، وتأكيدِ المعنى ، هذا إذا كانَ الأمرُ والنهيُ واقعَينِ في جملةٍ واحدةٍ لا تقعُ فيها وجوهُ التمثيلِ للأعمالِ ، فأمَّا إذا وقعا في ذلكَ الجنسِ . فإنَّ الحكم فيها يخالفُ ما ذكرناهُ ، وسبيلُ الكلامِ فيها : أن يُحمَلَ على الإطالةِ والتكريرِ دونَ الحَدفِ والإيجازِ ؛ وذلكَ مثلُ ما يُكتَبُ عنِ السُّلطانِ في أمرِ الأموالِ وجبايتِها واستخراجِها ، فسبيلُ الكلامِ أن تُقدِّمَ فيهِ ذكرَ ما رآهُ السُّلطانُ في وجبايتِها واستخراجِها ، فسبيلُ الكلامِ أن تُقدِّمَ فيهِ ذكرَ ما رآهُ السُّلطانُ في ذلكَ حتىٰ ذلكَ حتىٰ تكرِّرَ وتُؤكِّدَ ؛ لتتأكَّدَ الحُجَّةُ على المأمورِ بهِ ، ويَحذَرَ معَ ذلكَ مِنَ الإخلالِ والتقصيرِ .

ومنها: الإحمادُ والإذمامُ ، والثناءُ والتقريظُ ، والذَّمُّ والاستصغارُ ، والعذلُ والتوبيخُ ، وسبيلُ ذلكَ : أن يُشبِعَ الكلامَ فيهِ ، ويَمُدَّ القولَ حَسَبَ ما تقتضيهِ والتوبيخُ ، وسبيلُ ذلكَ : أن يُشبِعَ الكلامَ فيهِ ، ويَمُدَّ القولَ حَسَبَ ما تقتضيهِ آثارُ المكتوبِ إليهِ في الإحسانِ والإساءةِ ، والاجتهادِ والتقصيرِ ؛ ليَرتاحَ بذلكَ قلبُ المُسيءِ ويأخذَ نفسَهُ بالارتداع .

فأمّا ما يَكتبُهُ العُمّالُ إلى الأُمراءِ ومَنْ فوقَهُم. . فإنّ سبيلَ ما كانَ واقعاً منها في إنهاءِ الأخبارِ ، وتقريرِ صورةِ ما يَلونَهُ مِنَ الأعمالِ ، ويجري على أيديهِم مِنْ صُنوفِ الأموالِ : أن يَمُدَّ القولَ حتى يبلغَ غايةَ الشفاءِ والإقناعِ وتمامَ الشرحِ والاستقصاءِ ؛ إذ ليسَ للإيجازِ والاقتصارِ فيهِ موضعٌ ، ويكونُ ذلكَ بالألفاظِ السهلةِ ، القريبةِ المأخذِ ، السريعةِ إلى الفهمِ ، دونَ ما يقعُ فيهِ استكراهٌ وتعقيدٌ .

وربَّما تَعرِضُ الحاجةُ في إنهاءِ الخبرِ إلى استعمالِ الكنايةِ والتوريةِ عنِ الشيءِ دونَ الإفصاحِ بهِ ؛ لِمَا في التصريحِ مِنْ هَتْكِ [الستر] ، وفي حكايتِهِ عن عدقِ ما أطلقَ لسانَهُ بهِ ؛ مِنِ اطِّراح مَهابةِ الرئيسِ ، فيجبُ إجلالُهُ عنهُ ،

وفي الصِّدقِ ما يَسوءُهُ سماعُهُ ، ويقعُ بخلافِ مَحبَّتِهِ ، فيَحتاجُ منشئُ الكتابِ إلى استعمالِ لفظٍ في العبارةِ لا [تنخرقُ] معَهُ هيبةُ الرئيسِ ، ولا يَعرِضُ فيهِ بما يشتدُّ عليهِ ، ولا يكونُ أيضاً معَها خيانةٌ في طيِّ ما يجبُ نشرُهُ ، ولا يكملُ لهاذا إلَّا المُبرّزُ الكاملُ المُقدَّمُ .

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في بابِ الشكرِ: ألّا يقعَ فيهِ إسهابٌ ؛ فإنّا إسهابَ المبالغِ في الشكرِ يرجعُ إلى نوع مِنَ الإبرامِ والتثقيلِ ، ولا يَحسُنُ منهُ أن يَستعمِلَ الإكثارَ مِنَ الثناءِ والدعاءِ أيضاً ؛ فإنّا ذلكَ فعلُ الأباعدِ الذينَ لم يَتقدّمْ لهُم وسائلُ مِنَ الخدمةِ ، ومُقدِّماتُ مِنَ الحرمةِ ، وتكونُ صناعتُهُم التكسبَ بتقريظِ الملوكِ ، وإطراءِ السلاطينِ ، فلا يقبحُ إكثارُ الثناءِ مِنْ هلؤلاءِ .

وليسَ يَحسُنُ تكريرُ الدعاءِ في صُدورِ الكتبِ والرِّقاعِ ، وعندَ ما يجريهِ مِنْ ذكرِ الرئيسِ ؛ فإنَّ ذلكَ مَشغلةٌ وكُلفةٌ ، وحكمُ ما يُستعمَلُ مِنْ ذلكَ في الكتبِ حكمُ ما يُستعمَلُ شفاهاً منهُ .

ويَقبُحُ مِنْ خادمِ السُّلطانِ أن يشغلَ سمعَهُ في مخاطبتِهِ إيَّاهُ بكثرةِ الدعاءِ لهُ ، وتكريرهِ عندَ استئنافِ كلّ لفظةٍ .

وسبيلُ ما يَكتبُ بهِ التابعُ إلى المتبوعِ في معنى الاستعطافِ ومسألةِ النظرِ: ألَّا يكثرَ مِنْ شكايةِ الحالِ ورقَّتِها ، واستيلاءِ الخصاصةِ عليهِ فيها ؛ فإنَّ ذلكَ يجمعُ إلى الإضجارِ والإبرامِ شكايةَ الرئيسِ بسوءِ حالِهِ وقِلَّةِ ظهورِ نعمتِهِ عليهِ ، وهاذا عندَ الرُّؤساءِ مكروهٌ جدّاً ، بل يجبُ أن يجعلَ الشِّكايةَ ممزوجةً بالشكرِ والاعترافِ بشمولِ النعمةِ وتوفيرِ الفائدةِ .

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في الاعتذارِ مِنْ شيءٍ: أن يَتجنَّبَ الإطنابَ والإسهابَ الله إيرادِ النكتِ التي يَتوهَّمُ أنَّها مُقنِعةٌ في إزالةِ الموجدةِ ، ولا يمعنَ في تبرئةِ ساحتِهِ مِنَ الإساءةِ والتقصيرِ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا يَكرهُهُ الرُّؤساءُ ، والذي

جرتْ بهِ عادتُهُمُ استحسانُ الاعترافِ مِنْ خَدَمِهِم وخَوَلِهِم بالتقصيرِ والتفريطِ في قضاءِ حقوقِهِم ، وتأديةِ فروضِهِم ؛ ليكونَ لهُم فيما يعقبونَ بهِ ذلكَ مِنَ العفوِ والتجاوزِ موضعُ مِنَّةٍ مستأنفةٍ تستدعي شكراً ، وعارفةٍ مُستجدةٍ تقتضي نشراً ، وأمَّا إذا بالغَ المُتنصِّلُ في براءةِ ساحتِهِ مِنْ كلِّ ما قُذِفَ بهِ . . فلا موضعَ للإحسانِ إليهِ في إعفائِهِ مِنْ تركِ التسخُّطِ ، بل ذلكَ أمرٌ واجبٌ لهُ ، وفي منعِ الرئيسِ حِصَّتَهُ منهُ ظلمٌ وإساءةٌ .

وينبغي ألَّا يكثرَ الألفاظَ عندَهُ ، وإنِ احتاجَ إلىٰ إعادةِ المعاني . . أعادَ ما يعيدُهُ منها بغيرِ اللفظِ الذي ابتدأَهُ بهِ ؛ مثلُ ما قالَ معاويةُ : مَنْ لم يكنْ في بني عبدِ المطلبِ جواداً . . فهوَ دخيلٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ بني الزبيرِ شجاعاً . . فهوَ لزيتٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ المنيدُ ] (١٠) .

والمعنى واحدٌ ، والكلامُ على ما تراهُ حسنٌ ، ولو قالَ : (لزيقٌ ) ثمَّ أعادَهُ . . لسَمُجَ هلذا .

قلتُ: فهاذا مثالٌ رسمَهُ أبو هلالٍ ؛ ليكونَ عملُ الكاتبِ على موجبِهِ ، ويهتديَ بهِ إلى رعايةِ مقاماتِ الخطابِ في سائرِ أصنافِ المعاني ، وليسَ على المُؤلِّفِ أن يُبيِّنَ لكَ عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وإنَّما عليهِ أن يُعيِّنَ لكَ الطريقَ التي ينبغي أن تَسلكَها ، ثمَّ تستعملَ ذوقَكَ وقُوَّةَ فكرِكَ في تمييزِ الأشياءِ ، وإعطاءِ كلِّ شيءٍ حقَّهُ ، حَسَبَ ما تقفُ عليهِ مِنَ الآدابِ التي أودعَتُها أسلافُكَ في منشآتِهِم نثراً ونظماً ، وما يَخصُّكَ بهِ الفتاحُ العليمُ ممَّا يشاكلُ ذلكَ وينتظمُ في سلكِهِ .

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ١٦٤ ) .

# [حسن النظم وجودة الرَّصفِ والسَّبكِ]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ في الإبانةِ عن حسنِ النظمِ وجودةِ الرَّصفِ والسَّبكِ ('': أَجناسُ الكلامِ المنظومةِ ثلاثةٌ: الرسائلُ، والخُطَبُ، والشعرُ، وجميعُها يحتاجُ إلىٰ علم حسنِ التأليفِ وجودةِ التركيبِ.

وحسنُ التأليفِ يزيدُ المعنى وضوحاً ، ومع سوءِ التأليفِ ورداءةِ الرَّصفِ والتركيبِ شعبةٌ مِنَ التعميةِ ، فإذا كانَ المعنى سيئاً ، ورصفُ اللفظِ جيداً . . كانَ أحسنَ موقعاً ، وأطيبَ مسمعاً ، فهوَ بمنزلةِ العقدِ ؛ إذا جعلَ كلُّ خرزةٍ إلى ما يليقُ بها . . كانَ رائقاً في المرأى وإن لم يكنْ مرتفعاً نبيلاً ، وإنِ اختلَّ نظمُهُ ؛ فضُمَّتِ الحبَّةُ إلى ما لا يليقُ بها . . اقتحمتْهُ العينُ وإن كانَ فائقاً ثميناً .

وحسنُ الرصفِ: أن تُوضَعَ الألفاظُ في مواضعِها ، وتُمكَّنَ مِن أماكنِها ، ولا يُستعمَلَ فيها التقديمُ والتأخيرُ ، والحذفُ والزيادةُ ، إلَّا حذفَ ما تقتضيهِ الأحوالُ المبينةُ بعلمِ المعاني ، ويُضَمَّ كلُّ لفظةٍ منها إلى شكلِها ، وتُضافَ إلىٰ وَفقِها .

وقالَ العتابيُّ (۱): الألفاظُ أجسادٌ ، والمعاني أرواحٌ ، وإنَّما نراها بعيونِ القلوبِ ، فإذا قَدَّمتَ منها مُؤخَّراً ، أو أَخَّرتَ منها مُقدَّماً . . أفسدتَ الصُّورةَ ، وغَيَّرتَ المعنى ، كما أنَّهُ لو حُوِّلَ رأسٌ إلى موضعِ يدٍ ، أو يدٌ إلى موضعِ رأس أو رجل . . لتَحوَّلَتِ الحليةُ ، وتَغيَّرَتِ الخِلْقةُ .

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ١٦٧ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر الصناعتين » (ص ١٦٧ ).

وقد أحسنَ في هاذا التمثيلِ ، ونَبَّهَ بهِ علىٰ أنَّ الذي ينبغي في صنعتِهِ وضعُ كلِّ شيءٍ موضعَهُ ؛ ليخرجَ بذلكَ مِنْ سوءِ النظمِ .

فمِنْ سوءِ النظمِ: المعاظلةُ ؛ وقد مدحَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ زهيراً بمجانبتِها ؛ إذ قالَ حينَ فَضَّلَهُ على الشُّعراءِ (١): كانَ لا يعاظلُ في شعرهِ ، ولا يمدحُ الرجالَ إلَّا بما في الرجالِ .

وأصلُ هاذهِ الكلمةِ مِنْ قولِهِم: تعاظلَتِ الجرادتانِ ؛ إذا رَكِبَتْ إحداهُما على الأخرىٰ ، وعاظلَ الرجلُ على المرأةِ ؛ إذا ركبَها .

فَمِنَ المعاظلةِ قولُ الفرزدقِ (٢):

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

وقولُهُ (٢) : [من الطويل]

تُخَامِصُ عَنْ بَرْدِ ٱلْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ تَخَامُصَ حَافِي ٱلْخَيْلِ فِي ٱلْأَمْعَزِ ٱلْوَجِي

أي: تخامص حافي الخيلِ الوجي في الأمعزِ.

وقولُ لبيدٍ (١٠): [من الرمل]

وَشَـمُ ولِ قَـهْ وَةٍ بَاكَـرْتُهَا فِي ٱلتَّبَاشِيرِ مِنَ ٱلصُّبْحِ ٱلْأُولْ

وقولُ أبي حيَّةَ النُّميريِّ (\*):

كَمَا خُطَّ ٱلْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً يَهُ ودِيٍّ يُفَارِبُ أَوْ يَنِيلُ

قَلَّمَا عَـرَّسَ حَتَّىٰ هَجَتْهُ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ١٦٨ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان الفرزدق » ( ٥٩٠/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) هو للشماخ . انظر « ديوانه » ( ص ٧٥ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه ( ص ١٨٢ ) ، وصدره فيه :

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » ( ص ١٧١ ) .

وقولُ امرأةٍ مِنْ قيسٍ (١):

هُمَا أَخَوَا فِي ٱلْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْماً نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا هُمَا أَخَوا فِي ٱلْحَرْبِ مَنْ لا أَخالهُ في الحرب.

وليسَ للمُحدَثِ أَن يقولَ : هاذهِ الأبياتُ حُجَّةٌ ، ويَبني عليها ؛ فإنَّهُ لا يُعذَرُ في شيءٍ منها ؛ لإجماعِ الناسِ اليومَ على مجانبةِ أمثالِها ، واستجادةِ ما يَصِحُّ مِنَ الكلام ، واسترذالِ ما يُشكِلُ ويَستبهِمُ .

قلتُ : وذلكَ لأنَّ الشعرَ وإن كانَ للعربِ صناعةً كما هوَ لغيرِهِم . . فإنَّهُم هُمُ المُخترِعونَ لهُ ، والسنةُ الإلهيَّةُ على أنَّ الفكرَ الإنسانيَّ لا يحيطُ بجميعِ ما يَحسُنُ في أمرٍ ويَقبُحُ ، وللكنْ يُلقىٰ في فكرٍ ما فاتَ غيرَهُ ، ولذلكَ كانَ شعراءُ العربِ ينتقدُ بعضُهُم على بعضٍ ، ومنهُ حصلَ التفاوتُ في البلاغةِ ، واختلفَ الناسُ في تفضيلِ شاعرٍ على شاعرٍ ، حتى تَبيَّنَتْ محاسنُ الصِّناعةِ واختلفَ الناسُ في تفضيلِ شاعرٍ على شاعرٍ ، حتى تَبيَّنَتْ محاسنُ الصِّناعةِ ومساويها ، فمَنْ أرادَ أن يكونَ مِنْ أهلِها . . فعليهِ أن ينتهيَ مِنَ التعلُّمِ إلى غايتِهِ ؛ حتىٰ يَتمكَّنَ مِنْ إعطاءِ الصِّناعةِ حقَّها ، فقد نُصبَتْ لهُ الأمثلةُ ، وعُينَتْ لهُ الحدودُ .

قال أبو هلالٍ (''): فمِنَ الكلامِ المستوي النظمِ ، الملتئمِ الرَّصفِ: قولُ أختِ طريفٍ ترثيهِ: [من الطويل]

كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ وَلَا ٱلْمَالَ إِلَّا مِنْ قَناً وَسُيُوفِ مَقَاماً عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفِ

[من الطويل]

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً فَتَى لا يُحِبُّ ٱلزَّادَ إِلَّا مِنَ ٱلتُّقَىٰ كَانَّكَ لَمْ تَشْهَدْ طِعَاناً وَلَمْ تَقُمْ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ١٧١ ).

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ١٧١ ) .

فَلَا تَجْزَعَا يَا بْنَيْ طَرِيفٍ فَإِنَّنِي أَرَى ٱلْمَوْتَ حَلَّالاً بِكُلِّ شَرِيفِ

والمنظومُ الجيدُ : ما خرجَ مَخرجَ المنثورِ في سهولتِهِ وسلاستِهِ وسيولتِهِ وسيولتِهِ وقَلَّةِ ضروراتِهِ ، ومِنْ ذلكَ قولُ بعض المُحدَثينَ (١) : [من المتقارب]

وُقُوفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلسُّيُوفِ أَقَـرَّ ٱلْحِلَافَةَ فِي دَارِهَا

كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي ٱلْقُلُوبِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا

وَكَرَّاتُ طَرْفِكَ مَرْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِغَامِضٍ أَخْبَارِهَا

وَفِي رَاحَتَيْكَ ٱلرَّدَىٰ وَٱلنَّدَىٰ وَكِلْتَاهُمَا طَوْعُ مُمْتَارِهَا

وَأَقْضِيَةُ ٱللهِ مَحْتُومَةٌ وَأَنْتَ مُنَفِّذُ أَقْدَارِهَا

ولا تكادُ القصيدةُ تستوي أبياتُها في حسنِ التأليفِ ، ولا بدَّ أن تتخالفَ في ذلك ؛ كقولِ عبيدِ بنِ الأبرصِ (٢٠): [من البسيط]

ي عَلَى اللهِ عَلَا لِمَّتِي شَيْبٌ فَوَدَّعَنِي لَهُ ٱلْغَوانِي وَدَاعَ ٱلصَّارِم ٱلْقَالِي

وَقَدْ أُسَلِّي هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي بِجَسْرَةٍ كَعَلَاةِ ٱلْقَيْنِ شِمْلَالِ

زَيَّافَةٍ بِقَتُودِ ٱلرَّحْلِ نَاجِيَةٍ تَنْفِي ٱلْهَجِيرَ بِتَبْغِيلٍ وَإِرْقَالِ

فهاذا نظمٌ حسنٌ ، وتأليفٌ مختارٌ ، وفيها ما هوَ رديءٌ لا خيرَ فيهِ ؛ كقولِهِ : بَانَ ٱلشَّبَابُ فَآلَىٰ لَا يُلِمُّ بِنَا وَٱحْتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ

وقولِهِ :

فَبِتُّ أَلْعَنُهَا طَوْراً وَتَلْعَنُنِي ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ وَهِي مِنِّي عَلَىٰ بَالِ فَعِي مِنِّي عَلَىٰ بَالِ فقولُهُ: ( واحتلَّ بي مِنْ مشيبِ كلَّ مِحلالِ ) بغيضٌ خارجٌ عن طريقِ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » (ص ۱۷۲ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان عبيد بن الأبرص » ( ص ٢٣ ـ ٢٤ ) .

الاستعمالِ ، وأبغضُ منه قولُهُ : ( وهيْ منِّي على بالِ ) بتسكينِ ( هي ) ضرورةً .

وقولِهِ:

وَكَبْشِ مَلْمُومَةٍ بَادٍ نَوَاجِذُهَا شَهْ بَاءَ ذَاتِ سَرَابِيلٍ وَأَبْطَالِ السَّرابِيلِ وَأَبْطَالِ السَّرابِيلُ: الدُّروعُ ، فلو وضعَ الشَّيوفَ معَ الدرعِ . . لَكانَ أجودَ ، ومثلُ هاذا النقدِ ممَّا سبقَتْ بهِ العربُ .

وقولِهِ:

وَقَهْوَةٍ كَرُضَابِ ٱلْمِسْكِ طَابَ بِهَا فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ هَا دَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ هَاذَا البيتُ متوسِّطٌ.

وقولِهِ :

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو ٱلصَّبَاحُ لَنَا فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ ٱلْكَفَّيْنِ مِفْضَالِ النصفُ الثاني خيرٌ مِنَ الأولِ ؛ فإنَّ قولَهُ : (باكرتُها) كافٍ ، وما بعدَهُ فضاً.

وكقولِ النَّمِرِ بنِ تولبٍ (۱): لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي وَرَابَنِي فُضُولٌ أَرَاهَا فِي أَدِيمِي بَعْدَمَا وَبُطْءٍ عَنِ ٱلدَّاعِي فَلَسْتُ بِآخِذٍ كَأَنَّ مِحَطًّا فِي يَدَيْ حَارثِيَّةٍ

[من الطويل] مَعَ ٱلشَّيْبِ إِبْدَالُ ٱلَّتِي أَتَبَدَّلُ يَكُونُ [كِفَافَ] ٱللَّحْمِ أَوْ هُوَ أَجْمَلُ سِلَاحِي إِلَيْهِ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي بِهِ ٱلْجِلْدَ مِنْ عَلُ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي بِهِ ٱلْجِلْدَ مِنْ عَلُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان النمر بن تولب » ( ص ٩٨ ) .

تَدَارَكَ مَا قَبْلَ ٱلشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَوادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ جَاهِداً فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ فَعَلُ فَهَادُهِ الأبياتُ جيدةُ السَّبكِ ، حسنةُ الرَّصفِ ، وقولُهُ:

فَلا ٱلْجَارَةُ ٱلدُّنْيَا لَهَا تُلْحِيَنَّهَا وَلَا ٱلضَّيْفُ عَنْهَا إِنْ أَنَاخَ مُحَوَّلُ

فالنصفُ الأوَّلُ مُختلُّ ؛ لأنَّهُ خالفَ فيهِ وجهَ الاستعمالِ ، ووجهُ الكلامِ : ولا تلحي جارتَها الدنيا ؛ أي : القريبةَ ، وأعطى المرأةَ في النصفِ الثاني ما ليسَ مِنْ صفتِها ، وقولُهُ :

إِذَا هَتَّكَتْ أَطْنَابَ بَيْتٍ وَأَهْلَهُ بِمَعْطِنِهَا لَمْ يُورَدُوا ٱلْمَاءَ قَيَّلُوا

هاذا مُضطرِبٌ ؛ لتناولِهِ المعنى مِنْ بُعدٍ ، ووجهُ الكلامِ : أن يقولَ : إذا دنت إبلُنا مِنْ حيِّ ولم تَرِدْ إبلُهُمُ الماءَ . . قَيَّلُوا ، والقَيْلُ : شربُ نصفِ النهارِ ؛ يعني : أنَّهُم لعِزِّهِم وشِدَّةِ بأسِهِم متى وردوا ماءً وعندَهُم مَنْ سبقَهُم النهارِ ؛ يعني : قَدَّموهُم ولم يجسروا أن يَتقدَّمُوهُم ، بل يُضطَرُّونَ إلى تأخيرِ السَّقيِ الغيرِ وقتِهِ ؛ وهوَ نصفُ النهارِ ، ووقتُهُ الغداةُ .

ومثالُ حسنِ الرَّصفِ مِنَ المنثورِ: قولُ القائلِ: ولولا أنَّ أجودَ الكلامِ ما يَدُلُّ قليلُهُ علىٰ كثيرِهِ ، وتغني جملتُهُ عن تفصيلِهِ . . لَوَسَّعتُ نطاقَ القولِ فيما انطوىٰ عليهِ ؛ مِنْ خُلوصِ المَودَّةِ ، وصفاءِ المَحبَّةِ ، فجالَ مَجالَ الطَّرفِ في ميدانِهِ ، وتَصرَّفَ تَصرُّفَ الرَّوضِ في افتنانِهِ ، للكنِ البلاغةُ بالإيجازِ أبلغُ مِنَ البلاغةِ بالإطناب .

ومِنْ تمامِ حسنِ الرَّصفِ: أن يَخرجَ الكلامُ مَخرجاً يكونُ لهُ فيهِ طُلاوةٌ وماءٌ ، فربَّما كانَ الكلامُ مستقيمَ الألفاظِ ، صحيحَ المعاني ، ولا يكونُ لهُ رونتٌ ولا رُواءٌ ؛ وذلكَ بأن يَخرُجَ في غيرِ تَكلُّفٍ وكَدٍّ وشَدٍّ وتَفكُّرٍ وتَعمُّلٍ ،

ويكونَ سلسلاً سهلاً ، ولهُ ماءٌ ورُواءٌ ورقراقٌ ، وعليهِ فريدٌ لا يكونُ على غيرِهِ ممّا عَسُرَ بروزُهُ ، واستُكرِهَ خروجُهُ ، تدركُ ذلكَ بالوجدانِ بعدَ كثرةِ قراءةِ مختلفاتِ الأشعارِ ، فإنَّكَ تجدُ لنفسِكَ مِنَ الفرحِ عندَ قراءةِ بعضِها ما لا تجدُهُ عندَ قراءةِ غيرهِ ، واعتبرْ ذلكَ بمثل قولِ الحطيئةِ (١): [من الوافر]

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا وقولِهِ (۲):

لَهُ فِي بَنِي ٱلْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا تَسَاقُطُ ماءِ ٱلْمُزْنِ فِي ٱلْبَلَدِ ٱلْقَفْرِ وَفِي الْبَلَدِ ٱلْقَفْرِ وَقُولِ أَشْجِعَ (٣):

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ وَإِذَا سُيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ ٱلْعِدَا بَرَقَتْ سَمَاؤُكَ لِلْعَدُوِّ فَأَمْطَرَتْ وَعَلَىٰ عَدُوِّكَ يَا بْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا

[من الكامل]

نَشَرَتْ عَلَيْهِ جِمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ
طَارَتْ لَهُنَّ عَنِ ٱلْفِرَاخِ ٱلْهَامُ
هَاماً لَهَا ظِلُّ ٱلسُّيُوفِ غَمَامُ
رَصَدَانِ ضَوْءُ ٱلصُّبْحِ وَٱلْإِظْلَامُ
سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ ٱلْأَحْلَامُ

ففي هلذهِ الأبياتِ مع جودتِها رونقٌ ليسَ في غيرِها ممَّا يجري مَجراها ؟ مِنْ صحةِ المعنىٰ ، وصوابِ اللفظِ .

<sup>(</sup>۱) تقدم ( ٤٠٨/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » (ص ۱۷۷ ).

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٧ ).

#### [حسن الأخذ ]

هاذا ؛ وممَّا ينبغي أن نطلعَكَ عليهِ معَ ما سبقَ تتميماً لمعرفتِكَ ، ودلالةً لكَ على ما يَعترِضُكَ في الطريقِ التي تَسلكُها لمعرفةِ إنشاءِ الكلامِ نثراً ونظماً : أنَّ المعاني دائرةٌ بينَ الناسِ ، يتفاوتونَ في التعبيرِ عنها ، ومنهُ نشأَ القولُ بأنَّ الناسَ يأخذُ بعضُهُم مِنْ بعضٍ ، وتنويعُ ذلكَ الأخذِ إلى حسنِ وغيرِ حسنٍ ، فوجبَ أن نسوقَ لكَ أمثلةً مِنْ ذلكَ ؛ لتطلبَ الحسنَ ، وتجتنبَ غيرَهُ .

### [ أمثلةٌ في حسن الأخذِ ]

قالَ أبو هلالٍ (١): ليسَ لأحدٍ مِنْ أصنافِ القائلينَ غنىً عن تناولِ المعاني ممَّنْ تَقدَّمَهُم ، والصَّبِ على قوالبِ مَنْ سبقَهُم ، وللكنْ عليهِم إذا أخذوها أن يكتبوها عندَهُم ، ويبرزُوها في معارضَ مِنْ تأليفِهِم ، ويُؤدُّوها في غيرِ حليتِها الأولى ، ويزيدوا في حسنِ تأليفِها ، وجودةِ تركيبِها ، وكمالِ حليتِها ومَعرِضِها ، فإذا فعلوا ذلكَ . . فهُم أولى بها ممَّنْ سبقَ إليها ، ولولا أنَّ القائلَ يُؤدِّي ما سمعَ ما كانَ في طاقتِهِ أن يقولَ ، وإنَّما يَنطِقُ الطفلُ بعدَ استماعِهِ مِنَ البالغينَ .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (٢): (لولا أنَّ الكلامَ يُعادُ . . لَنَفَدَ ) .

علىٰ أنَّ المعانيَ مُشترَكةٌ بينَ العقلاءِ ، وربَّما وقعَ المعنى الجيدُ للسُّوقيّ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ۲۰۲ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢ ) .

والنبطيِّ والزَّنجيِّ ، وإنَّما يتفاضلُ الناسُ في الألفاظِ ورصفِها ، وتأليفِها ونظمِها ، وقد يقعُ للمُتأخِّرِ معنى سبقَهُ إليهِ المُتقدِّمُ مِنْ غيرِ أَن يُلِمَّ بهِ ، ونظمِها ، وقد يقعُ للمُتأخِّرِ معنى سبقَهُ إليهِ المُتقدِّمُ مِنْ غيرِ أَن يُلِمَّ بهِ ، وللكنْ كما وقعَ للأولِ وقعَ للآخِرِ .

وهاذا أمرٌ عرفتُهُ مِنْ نفسي (١)، فلستُ أمتري فيهِ ؛ وذلكَ أنِّي كنتُ عملتُ في صفةِ النساءِ :

سَـفَـرْنَ بُـدُوراً وَٱنْـتَـقَـبْـنَ أَهِـلَّـةً ......

وظننتُ أنِّي سبقتُ إلى جمعِ هلذَينِ التشبيهَينِ في نصفِ بيتٍ ، إلى أن وجدتُهُ لبعضِ البغداديينَ ، فكَثُرَ تعجُّبي ، وعزمتُ على ألَّا أحكمَ على المُتأخِّرِ بالسَّرَقِ مِنَ المُتقدِّم حكماً حتماً .

وقد قيلَ : إنَّ مَنْ أَخذَ المعنى ، فكساهُ لفظاً مِنْ عندِهِ . . كانَ هوَ أُولَىٰ بهِ مَمَّنْ تَقدَّمَهُ .

وقالوا: إنَّ أبا عُذْرَةِ الكلامِ مَنْ سبكَ لفظَهُ على معناهُ ، ومَنْ أخذَ معنىً بلفظِهِ كلِّهِ أو بعضِهِ . . فذلكَ هوَ السارقُ ؛ كقولِ النابغةِ (١) : [من الطويل] بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقد سبقَهُ إليهِ رَجلٌ مِنْ كندةَ في عمرِو بنِ هندٍ حيثُ يقولُ ('': [من الطويل] هُوَ ٱلشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَىٰ كُلِّ ضَوْءٍ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

والحاذقُ يخفي دبيبَهُ إلى المعنى حتى يأخذَهُ في سترٍ ، فيَحكُمُ لهُ بالسَّبقِ إلى والحاذقُ يمرُّ بهِ ، وأحدُ أسبابِ إخفاءِ السَّرَقِ : أن يأخذَ المعنى المستعملَ في

<sup>.</sup> (1) سياق الكلام لصاحب (1)

<sup>(</sup>۲) تقدم ( ۳۰/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٠٣ ) .

صفةِ خمرٍ فيجعلَهُ في مديحٍ ، أو مِنْ مديحٍ فينقلَهُ إلى وصفٍ مثلاً ، إلَّا أنَّهُ لا يَكمُلُ لهلنذا إلَّا المُبرِّزُ الكاملُ المُقدَّمُ ، فممَّنْ أخفىٰ دبيبَهُ إلى المعنىٰ وسترَهُ غايةَ السَّترِ أبو نُواسِ في قولِهِ (١):

أَعْطَتْكَ رَيْحَانَهَا ٱلْعُقَارُ ......

إذ كانَ قد أخذَهُ مِنْ قولِ الأعشىٰ علىٰ ما قالوا: [من الكامل]

وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ كَدَمِ ٱلذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

سُئِلَ الأعشىٰ عن (سلبتُها جِريالَها) والجِريالُ: حُمرةُ المُدامِ ، أو هيَ المُدامُ الحمراءُ ، فقلَ : شربتُها حمراءَ ، وبُلتُها بيضاءَ ، فبقيَ حسنُ لونِها في بدنى .

ومعنى : ( أعطتْكَ ريحانَها العُقارُ ) أي : شربتَها فانتقلَ إليكَ ، وكذلكَ قولُهُ :

لَا يَنْزِلُ ٱللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شُرَّابِهَا نَهَارُ لَا يَنْزِلُ ٱللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهُ مُ شُرَّابِهَا نَهَارُ المنسرح ]
مِنْ قولِ قيس بن الخطيم (٢):

قَضَى لَهَا ٱللهُ حِينَ صَوَّرَهَا ٱلْ حَالِقُ أَلَّا تُجِنَّهَا ٱلسُّدَفُ

فنقلَ ذلك أبو نُواسٍ مِنْ صفةِ المرأةِ إلى الخمرِ.

وكقولِ أبي تمامٍ (٣): [من الطويل]

جَمَعْتَ عُرَىٰ أَعْمَالِهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ ٱلْأَنَابِيبَ عَامِلُ

أَعْطَتْكَ رَيْحَانَهَا ٱلْعُقَارُ وَحَسانَ مِنْ لَيْلِكَ ٱنْسِفَارُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ۹۸ ) ، والبيت بتمامه :

<sup>(</sup>۲) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٤).

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبي تمام » ( ١٢٢/٣ ) .

قيل : نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ أبي حالٍ الربعيِّ في الرثاءِ ('' : [من الطويل] أُولَائِكَ إِخْ وَانُ ٱلصَّفَاءِ رُزِئْتُهُمْ وَمَا ٱلْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ أُولَائِكَ إِخْ وَانُ ٱلصَّفَاءِ رُزِئْتُهُمْ وَمَا ٱلْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ وَمَا ٱلْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعُ ثُمَّ إِصْبَعُ وَمَا ٱلْكَفَ إِلَّا إِصْبَعُ ثُمَّ إِصْبَعُ وَمَا ٱلْكَفَ إِلَّا إِصْبَعُ ثُمَّ إِصْبَعُ وَمَا ٱلْكَفَ إِلَّا إِصْبَعُ ثُمَّ إِصْبَعُ وَالْكَامِلِ ] وكقولِ البحتريّ (''):

وَلَوَ أَنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وُسْعِهِ لَسَعَىٰ إِلَيْكَ ٱلْمِنْبَرُ

نقلَهُ إلى المدح مِنْ قولِ العرجيّ فِي الغزلِ (٢٠): [من الكامل]

لَوْ كَانَ حَيَّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِناً حَيَّا ٱلْحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ

إِلَّا أَنَّهُ غيرُ خافٍ ، ثمَّ المَدارُ في حسنِ الأخذِ على أن يَشتمِلَ كلامُ الآخذِ على ما لم يَشتمِلُ عليه كلامُ المأخوذِ منهُ ؛ مِنْ حسنِ تركيبٍ ، أو اختصارِ عبارةٍ ، أو زيادةِ معنىً ، وتستبينُ ذلكَ فيما تراهُ مِنَ الأمثلةِ ، قالَ مسلمُ بنُ الوليدِ ( أ ) :

أُحِبُ ٱلرِّيحَ مَا هَبَّتْ شِمَالاً وَأَحْسِدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبَا

أَخذَهُ مِنْ قُولِ جِرانِ الْعَوْدِ ( \* ) : [من الطويل ]

إِذَا هَبَّتِ ٱلْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَدْتُ لِرَيَّاهَا عَلَىٰ كَبِدِي بَرْدَا

وقالَ أيضاً (٢٠): [من البسيط]

وَيُغْمِدُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱلنَّحْرِ وَٱلْجِيدِ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٠٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان البحتري » ( ١٠٧٣/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان العرجي » ( ص ١٩١ ) ، و« الصناعتين » ( ص ٢٠٧ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان صريع الغواني » ( ص ٢٧٤ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨ ) .

أَخذَهُ مِنْ قولِ بعض الفرسانِ (١٠): [من الوافر]

جَعَلْتُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱللِّيتِ مِنْهُ وَبَيْنَ سَوَادِ لِحْيَتِ مِ غَذَارَا

فإغمادُ السَّيفِ أقوى مِنْ جعلِهِ عذاراً ، وقالَ أبو نُواسٍ (٢): [من الكامل] سَبْطُ ٱلْبَنَانِ إِذَا ٱحْتَبَىٰ بنِجَادِهِ غَمَرَ ٱلْجَمَاجِمَ وَٱلسِّمَاطُ قِيَامُ

يصفُ ممدوحَهُ ببسطةِ القامةِ ، فيقولُ : إنَّهُ وهوَ قاعدٌ محتبٍ بنِجادِهِ يَطولُ مَنْ حولَهُ مِنَ العسكرِ وهُم قيامٌ ، وكانَ الخليفةُ إذا جلسَ مجلسَ المَهابةِ . . قامَ بجانبَيهِ صفَّانِ مُمتدَّانِ إلى مسافةٍ مِنَ العسكرِ يمشي بينَهُما المارُّ إليهِ ، وهُما السِّماطانِ ، وكانَ يُقالُ : قالَ فلانٌ القصيدةَ الفلانيةَ ، وأنشدَها بينَ السِّماطين ، أخذَ أبو نُواس قولَهُ مِنْ قولِ جرير (٣) : [من البسيط]

وَقَدْ أَطُولُ نِجَادَ ٱلسَّيْفِ مُحْتَبِياً مِثْلَ ٱلرُّدَيْنِيِّ هَزَّتْهُ ٱلْأَنَابِيبُ

وقالَ أيضاً في هذا المعنى (١٠):

أَشَمُّ طَوِيلُ ٱلسَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُلاَثُ نِجَاداً سَيْفُهُ بِلِوَاءِ

أَخذَهُ مِنْ قولِ عنترةً (٥):

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذَىٰ نِعَالَ ٱلسِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَم

وقالَ محمدُ بنُ عطيةَ العدويُّ (١٠):

مَا ٱلْعَيْشُ إِلَّا فِي جُنُونِ ٱلصِّبَا فَإِنْ تَقَضَّىٰ فَجُنُونُ ٱلْمُدَامُ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٠٨ ) ، والليت : أدنى صفحتى العنق ، وعنده : ( لحييه ) بدل ( لحيته ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٣٤٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان جرير » ( ٣٤٨/١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٢٤٨ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان عنترة العبسي » ( ص ٢١٢ ) .

<sup>. (</sup> 10 - 109 ) ( 10 - 109 ) .

اً تَـرَدَّىٰ بـردَاءِ ٱلْـغُـلَامْ [ من الخفيف] وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونَا [ من الكامل] مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأُوَّلِ وَحَنِينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنْزِلِ [ من الطويل ] أَبَيْنَا وَقُلْنَا ٱلْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ [ من الطويل ] عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ [من الطويل] بخَاشِعَةِ ٱلْأَرْجَاءِ غُبْر صُحُونُهَا [ من الوافر ] فَخَانَ بَلَاءَهُ ٱلزَّمَنُ ٱلْخَؤُونُ

رَاحٌ إِذَا مَا ٱلشَّيْخُ وَالَىٰ بِهَا قَيلَ: أَخَذَهُ مِنْ قُولِ حَسانَ ('': قِيلَ: أَخَذَهُ مِنْ قُولِ حَسانَ (''): إِنَّ شَرْخَ ٱلشَّبَابِ وَٱلشَّعَرَ ٱلْأَسْ وَقَالَ أَبُو تَمامٍ (''): نَقِّلْ فُؤَادَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْهَوَىٰ كَمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ كَمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ

إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا وقالَ أبو تمام أيضاً (١٠):

أخذهُ مِنْ قولِ كثير (٢):

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ

أخذَ البيتَ الأولَ مِنْ قولِ البعيثِ (٥٠):

أَطَافَتْ بِرَكْبٍ كَٱلْأَسِنَّةِ هُجَّدٍ

والبيتُ الثاني مِنْ قولِ أعرابيِّ (٢):

غُلَامُ وَغَيَّ تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَي

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه ( ٢٣٦/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٢٥٣/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان كثير عزة » ( ص ٢٥٥ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٢٢١/١ ) .

<sup>(°)</sup> انظر « ديوان البعيث المجاشعي » ( ص ٩٨ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢ ) .

وَكَانَ عَلَى ٱلْفَتَى ٱلْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ ٱلْمَنُونُ

وقالَ في رثاءِ ولدَين لعبدِ اللهِ بنِ طاهر (١):

نَجْمَانِ شَاءَ اللهُ أَلَّا يَطْلُعَا إِلَّا ارْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّىٰ يَأْفِلَا إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِراً لَأَجَلُّ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلَا إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِراً لَأَجَلُّ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلَا لَهُ فِي عَلَىٰ تِلْكَ الْمَخَايِلِ فِيهِمَا لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّىٰ تَكُونَ شَمَائِلَا لَهُ فِي عَلَىٰ تِلْكَ الْمَخَايِلِ فِيهِمَا لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّىٰ تَكُونَ شَمَائِلَا لَوْ يُنْسَأَانِ لَكَانَ هَاذَا عَارِباً لِلْمَحْرُمَاتِ وَكَانَ هَاذَا كَاهِلَا إِنَّا اللهِ لَلَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُولًا عَارِباً لِيقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كَامِلَا إِنَّا اللهِ لَلَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُولًا فَارْبَا لَيُ الْفَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كَامِلَا

أَلمَّ في هَاذهِ المعاني بقولِ الفرزدقِ وأجادَ ما شاءَ (٢): [من الطويل]

وَجَفْنُ سِلَاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ ٱلْبَوَاكِيَا وَجَفْنُ سِلَاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ لَيَالِيَا وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِم ذُو حَفِيظَةٍ لَوَ ٱنَّ ٱلْمَنَايَا أَنْسَأَتُهُ لَيَالِيَا

ويُحكىٰ عن أبي نُواسٍ أنَّهُ كانَ يقولُ: ما زلتُ أستهجنُ قولَ الشَّمَاخِ (٣):

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَٱشْرَقِي بِدَمِ ٱلْوَتِينِ

وموافقةُ ذي الرُّمَّةِ إِيَّاهُ في قولِهِ (١٠):

إِذَا ٱبْنَ أَبِي مُوسَىٰ بِلَالًا بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ عَيْنَيْكِ جَازِرُ

<sup>(</sup>١) هو أبو تمام . انظر « ديوانه » ( ١١٤/٤ \_ ١١٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٢١٢ ) .

<sup>(</sup> $\mathbf{r}$ ) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » (  $\mathbf{r}$  ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان ذي الرمة » ( ١٠٤٢/٢ ) .

حتى سمعتُ قولَ الفرزدقِ ('': عَلَامَ تَلَفَّ تِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي مَتَى تَردِي ٱلرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي فتبعتُهُ في قولي (''):

وَإِذَا ٱلْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ ٱلْحَصَىٰ وقلتُ (٣):

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذْ بَلَّغَتْنِي فَلَمْ أَجْعَلْكِ لِلْغِرْبَانِ نُحْلاً حَرُمْتِ عَلَى ٱلْأَزِمَّةِ وَٱلْوَلاَيَا

[من الوافر]
وَخَيْرُ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمُ أَمَامِي
مِنَ ٱلتَّهْجِيرِ وَٱلدَّبَرِ ٱلدَّوَامِي
مِنَ ٱلتَّهْجِيرِ وَٱلدَّبَرِ ٱلدَّوَامِي
[من الكامل]
فَظُهُ ورُهُنَّ عَلَى ٱلرِّحَالِ حَرَامُ
فَظُهُ ورُهُنَّ عَلَى ٱلرِّحَالِ حَرَامُ

لَقَدْ أَصْبَحْتِ عِنْدِي بِٱلثَّمِينِ وَلَا قُلْتُ ٱشْرَقِي بِدَمِ ٱلْوَتِينِ وَأَعْلَقِ ٱلرَّحَالَةِ وَٱلْوَضِين

[ من الوافر ]

فأنتَ تراهُ قدِ اعترفَ بالمتابعةِ ، ولم يخشَ فيها معابةً ؛ لِمَا عرفتَ مِنِ استحسانِ سلوكِهِم تلكَ السبيلَ إذا أحسنوا وأجادوا .

وقد شَرَّفَ هاذا المعنى صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ لامرأةٍ قالَتْ: نجوتُ على هاذهِ النجيبةِ ، ونذرتُ إن بلَّغَتْني أن أنحرَها: «بِئْسَ مَا جَزَيْتِهَا » ( ) .

ويُحكى (٥٠): أنَّ دِعْبِلاً كانَ جالساً يوماً في جماعةٍ ، فجرى ذكرُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان الفرزدق » ( ٥٣٣/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبى نواس » ( ص ٣٤١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ١٥١ ) .

<sup>(</sup>٤) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٧٠٩ ) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

<sup>(</sup>٥) انظر « الصناعتين » ( ص ٢١٩ ) .

أبي تمام ، فوقعَ فيهِ كما هوَ شأنُ أكثرِ المتعاصرينَ المشتركينَ في صناعةٍ ، وقالَ : إنَّه يتتبعُ معانيَ فيأخذُها ، فقالَ رجلٌ : ما مِنْ ذاكَ أعزَّكَ اللهُ ؟ فقالَ : قلتُ (١) :

وَإِنَّ ٱمْرَأً أَسْدَىٰ إِلَى بِشَافِعٍ إِلَيْهِ وَيَرْجُو ٱلشُّكْرَ مِنِّي لَأَحْمَقُ وَإِنَّ ٱمْرَأً أَسْدَىٰ إِلَى بِشَافِعِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ شَفِيعَكَ فَٱشْكُرْ فِي ٱلْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ فَي فَالَ (٢):

[من الكامل]

فَمَتَىٰ أَقُومُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إِذْ جَنَتْ بِٱلْغَيْبِ كَفُّكَ لِي ثِمَارَ نَوَالِهِ فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطَائِهِ وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُرَّ سُؤَالِهِ وَإِذَا ٱمْرُؤُ أَسْدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

فقالَ الرجلُ : أحسنَ واللهِ ، فقالَ دِعْبِلٌ : كذبتَ قَبَّحَكَ اللهُ ، فقالَ الرجلُ : إن كانَ سُبِقَ إلىٰ هاذا المعنىٰ فتبعتَهُ . . لما أحسنتَ ، وإن أخذَهُ منكَ . . لقد أجادَهُ ، فصارَ أُولىٰ بهِ منكَ ، فغضبَ دِعْبلٌ وقامَ .

فانظرْ \_ هداكَ اللهُ \_ في مثل هنذا . . يُفِدْكَ أدباً ، فأيَّ إساءةٍ أساءَ وعْبِلٌ ؛ فإنَّ مَنْ أسدى . يستوجبُ الشُّكرَ على أيِّ حالٍ ، ولِمَنْ أسدى بشفيعٍ مِنَّتانِ ، وما على المحسنينَ مِنْ سبيلٍ ، وقد أظهرَ دِعْبِلٌ حماقته في قولِهِ : ( أحمقُ ) و( يخلقُ ) ، وكانَ طبعُ دِعْبِلٍ لا يصبرُ عنِ الهجاءِ ، وبقي مُدَّةً مستخفياً يدورُ في البلادِ ؛ لهجائِهِ الملوكَ ، وكانَ يقولُ : أنا منذُ كذا وكذا أحملُ خشبتي على كتفي ؛ يعني : خشبةَ الصَّلْبِ ؛ لكونِهِ كانَ يَتوقَعُ ذلكَ ؛ لإفراطِهِ في التشيُّع ، وذمِّهِ خلفاءَ وقتِهِ ، لكونِهِ كانَ يَتوقَعُ ذلكَ ؛ لإفراطِهِ في التشيُّع ، وذمِّهِ خلفاءَ وقتِهِ ،

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » ( ص ١٩٣ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « دیوان أبی تمام » ( ۵۹/۳ م - ۲۰ ) .

وأيَّ إحسانٍ أحسنَ أبو تمامٍ في سلاسةِ عبارتِهِ ، وتمامِ أدبِهِ .

وسمعَ بشارٌ قولَ المجنونِ (١):

[ من الطويل ]

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَىٰ عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِٱلْأَكُفِّ تَلِينُ

فقالَ : واللهِ ؛ لو جعلَها عصاً مِنْ زبدٍ أو مخٍّ . . لَمَا أحسنَ ، ألا قالَ مثلَ ما قلتُ (٢٠) :

وَحَوْرَاءُ ٱلْمَدَامِعِ مِنْ مَعَدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ ٱلْجِنَانِ إِذَا قَامَتْ بِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتُ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ إِذَا قَامَتْ بِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتُ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

واستهجنَ الناسُ قولَهُ : ( عظامَها ) .

ولمَّا قالَ بشارٌ (٢):

[ من البسيط ]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِٱلطَّيِّبَاتِ ٱلْفَاتِكُ ٱللَّهِجُ

تبعَهُ سَلْمٌ الخاسرُ فقالَ: [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْجَسُورُ

فلمَّا سمعَ بشارٌ هلذا البيتَ . . قالَ : ذهبَ ابنُ الفاعلةِ ببيتي ، وكانَ تلمبذَهُ .

ومِنْ حسنِ الاتباعِ (''): قولُ إبراهيمَ بنِ العباسِ الصُّوليِّ: إذا كانَ للمحسنِ مِنَ الثوابِ ما يُقنِعُهُ ، وللمُسيءِ مِنَ العقابِ ما يَقمَعُهُ . . ازدادَ المُحسِنُ في الإحسانِ رغبةً ، وانقادَ المُسيءُ للحقّ رهبةً .

<sup>(</sup>١) انظر « ديوان قيس بن الملوح » ( ص ٢٦٤ ) .

 $<sup>(\</sup>Upsilon)$  انظر « دیوان بشار بن برد » (  $\Upsilon$ ۲۰/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان بشار بن برد » ( ٥٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٢٠ ) .

اتَّبَعَ فيهِ عليّاً كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ حيثُ يقولُ: يجبُ على الوالي أن يَتعهَّدَ أمورَهُ، ويَتفقَّدَ أعوانَهُ، حتى لا يخفى عليهِ إحسانُ مُحسِنٍ، ولا إساءةُ مُسيءٍ، ثمَّ لا يتركُ واحداً منهُما بغيرِ جزاءٍ، فإن تركَ ذلكَ . . تَهاونَ المُحسِنُ، واجترأَ المُسيءُ، [ وفسدَ ] الأمرُ، وضاعَ العملُ .

وقالَ بعضُهُم (١):

[ من الكامل]

بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ

مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَافُ إِزَاءَهُ وقالَ نصيبٌ (٢):

أَأْقَاتِلُ ٱلْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ ٱلْحَقَائِبُ

أي: ولو سكتوا . . أثنَتْ عليكَ العطايا الظاهرةُ ، وقيلَ : شهادةُ الأحوالِ أعدلُ مِنْ شهادةِ الأقوالِ .

فكتبَ مَنْ كتبَ اتباعاً لذلكَ : لو أمسكَ لساني عن شُكرِكَ . . لنطقَ أثرُكَ عليَّ .

وفي موضع آخَرَ: ولو جحدتُ إحسانَكَ . . لأكذبَتْني آثارُكَ ، ونَمَّتْ عليَّ شواهدُهُ .

وقالَ أبو نُواسٍ (٢):

قُ ولَا لِهَ ارُونَ إِمَامِ ٱلْهُ دَىٰ أَنْتَ عَلَىٰ مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ

[ من السريع ]

عِنْدَ ٱحْتِفَالِ ٱلْمَجْلِسِ ٱلْحَاشِدِ فَلَسْتَ مِثْلَ ٱلْفَضْلِ بِٱلْوَاجِدِ

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٢١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠ ).

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبي نواس » ( ص ٢٦٢ ) .

أَنْ يَجْمَعَ ٱلْعَالَمَ فِي وَاحِدِ [ من الوافر ] وَجَدْتُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا [من مخلع البسيط] دَعَا إِلَى أَكْلِهِ ٱصْطِرَارُ [ من الطويل ] إِلَىٰ سَيّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بسَيّدٍ [ من مجزوء المتقارب ] تَـقَـاصَـرَ عَـنْهَا ٱلْـمَـثَـلُ وَسَطْوَتُهَا لِللَّاجَلْ وَظَاهِرُهَا لِلْقُبَلُ

وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُ مَا يَمُوتُ هَزِيلًا بَذُلَ ٱلنَّوَالِ وَظَهْرُهَا ٱلتَّقْبِيلًا

[ من الكامل]

لَيْسَ عَلَى ٱللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ أَخْذًا مِنْ قولِ جرير (١):

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيَّ بَنُو تَمِيمٍ إِذَا غَضِبَتْ عَلَيَّ بَنُو تَمِيمٍ وقالَ ابنُ [ أبى ] عيينةَ (٢):

مَا كُنْتَ إِلَّا كَلَحْمِ مَيْتٍ أَخَذَهُ مِنْ قولِ الأولِ<sup>(٣)</sup>:

وَإِنَّ بِـقَـوْمٍ سَـوَّدُوكَ لَـفَاقَـةً وقالَ إبراهيمُ بنُ العباس (''):

لِفَضْلِ بْنِ سَعْدٍ يَدٌ فَبَسْطَتُهَا لِلْغِنَى وَبَاطِنُهَا لِلنَّذَىٰ وَبَاطِنُهَا لِلنَّذَىٰ فقالَ ابنُ الروميّ (٥):

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَتَجَمُّلِ فَامْدُدْ إِلَيَّ يَداً تَعَوَّدَ بَطْنُهَا

وللكنْ قولُ إبراهيمَ: (باطنُها) و(ظاهرُها) أحسنُ مِنْ (تَعوَّدَ بطنُها).

<sup>(1)</sup> انظر « ديوان جرير » ( 1/2/4 ) ، و« الصناعتين » ( 1/2/4 ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٨ ).

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٢٨ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٠ ) ، وفيه : ( سهل ) بدل ( سعد ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان ابن الرومي » ( ١٩٠١/٥ ) .

وقالَ بشارٌ (١):

اَلدَّهْ رُطَلَّعٌ بِأَحْدَاثِ وَرُسْلُهُ فِيهَا ٱلْمَقَادِيرُ مَحْجُوبَةٌ تَنْفُذُ أَحْكَامُهَا لَيْسَ لَهَا عَنْ ذَاكَ تَأْخِيرُ

فتبعَهُ ابنُ الروميّ حيثُ يقولُ في المدح (٢): [من الطويل]

يَظَلُّ عَنِ ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِمَعْزِلٍ وَآثَارُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهَّدُ كَمَا ٱحْتَجَبَ ٱلْمِقْدَارُ وَٱلْحُكُمُ حُكْمُهُ عَلَى ٱلنَّاسِ طُرّاً لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدُ

قال أبو هلالٍ $\binom{"}{}$ : إلَّا أنَّ قولَ بشار أكثرُ ماءً وطلاوةً .

وقالَ أبو تمام (١٠):

وَجَدْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ ٱلنَّاسِ مَطْمَعُ

قالَ أبو هلالٍ (٥): أخذهُ البحتريُّ واختصرَهُ (٦): [من الطويل]

ثَنَى أَمَلِي وَٱحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ وَٱلْآمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ وَعَجبتُ مِنْ قولِ أبي هلالٍ ؛ فقد نزلَ البحتريُّ عن أبي تمام درجاتٍ .

فأينَ هوَ مِنْ قولِهِ: ( وحدَكَ هِمَّةً ) ، ومِنْ قولِهِ: ( في سائرِ الناسِ ) ؟! وكيفَ يقولُ: ( ثنىٰ أملي واحتازَهُ عن معاشرٍ يبيتونَ ) ؟!

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان بشار بن برد » ( ٦٣/٤ ) .

<sup>(</sup>۲) انظر « ديوان ابن الرومي » ( ۲۰۰/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٣٣٣/٢ ) .

<sup>(•)</sup> انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٣ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « ديوان البحتري » ( ١٣٠٣/٢ ) .

وتبعَهُمُ ابنُ الروميّ في هـٰذا المعنى حيثُ يقولُ (١): [من الطويل] وَقَدْ مَرَّ دَهْرٌ وَٱلْأَمَانِي وَسَاوِسُ [من الخفيف]

آلِفٌ لِلْحَضِيض فَهْوَ حَضِيضُ [ من الكامل]

فِي كُلّ نَائِبَةٍ وَجِدٍّ قَاعِدِ [ من الكامل]

لِللهِ فِي طَيِّ ٱلْمَكَارِهِ كَامِنَهُ [من البسيط]

وَيَبْتَلِي ٱللهُ بَعْضَ ٱلْقَوْم بٱلنِّعَم

[من الخفيف]

رَافِعاً كَفَّهُ لِبرِّي فَمَا أَحْ سِبُهُ جَاءَنِي لِغَيْر ٱللِّطَام أخذَهُ البحتريُّ فأوضحَهُ وأحسنَ العبارةَ عنهُ (٧): [ من الوافر ]

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ بِأَوْجُهِ هِمْ أَوَعْدٌ أَمْ وَعِيدُ

بهِ صَدَّقَ ٱللهُ ٱلْأَمَانِي حَدِيثَهَا وقالَ أبو تمام (٢):

هِمَّةٌ تَنْطَحُ ٱلنُّجُومَ وَجِلٌّ وتبعَهُ البحتريُّ فلمْ يُسِعْ (٢):

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْم قَائِم وقالَ أبو العتاهية (١٠):

كَمْ نِعْمَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا فتبعَهُ أبو تمام بقولِهِ (٥):

قَدْ يُنْعِمُ ٱللهُ بِٱلْبَلْوَىٰ وَإِنْ عَظُمَتْ للكنَّهُ وإن زادَ فقولُ أبي العتاهيةِ أجملُ .

وقالَ أبو تمام (١٠):

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان أبى تمام » ( ٢٨٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان البحتري » ( ٥٠٧/١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي العتاهية » ( ص ٦٥٠ ) .

<sup>( • )</sup> انظر « ديوان أبى تمام » ( ٢٨٠/٣ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « ديوان أبي تمام » ( ٢١٠/٣ ) .

<sup>(</sup>۷) انظر « ديوان البحتري » ( ٥٨١/١ ) .

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان ابن الرومي » ( ۱۲۲٤/۳ ) .

وقالَ عربيٌّ (١):

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ٱبْنَيْ هُتَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو ٱلسَّلِيبَ إِزَارَهُ العاندُ: الدمُ الشديدُ الخروجِ ، فأخذَهُ البحتريُّ وقالَ (٢): [من الكامل] سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ ٱلدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ ٱلدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ

علىٰ أنَّ ( محمرةً ) حشوٌ ، وكفاكَ هـٰذا القدرُ مُنبِّهاً على اعتبارِ أمثالِهِ [ عن ] قراءةِ الأشعار ، متىٰ كنتَ مُستحضِراً .

## [ أمثلةٌ في قُبح الأخذِ ]

وهاكَ أمثلةً لقبيحِ الأخذِ: فمِنْ ذلكَ ـ لو لم يكنْ مِنْ تواردِ الخواطرِ ـ وهاكَ أمثلةً لقبيحِ الأخذِ: [من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ

أخذاً مِنْ قولِ امرئ القيسِ بتغييرِ القافيةِ (١٠): [من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وقولُ الفرزدقِ ( • ) : [ من الطويل ]

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعاً كِبَارُهَا

مِنْ قولِ البعيثِ (١٠): [ من الطويل ]

أَتَرْجُو كُلَيْباً أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلَيْباً قَدِيمُهَا

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٣ ) ، وفيه : ( إزارها ) بدل ( إزاره ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان البحتري » ( ٧٦/١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٦).

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان امرئ القيس » ( ص ٩ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان الفرزدق » ( ٤٤٧/١ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « ديوان البعيث المجاشعي » ( ص ٩٢ ) .

وفي تواردِ الحواظرِ يقول أبو عمرِو بن العلاءِ وقد سيِّل عنِ الشَّاعرينِ
يَتَّفقانِ (١): عقولُ رجالٍ توافَتْ على ألسنتِها .
وفي تحقيقِ تواردِ الخواطرِ (٢): يُروىٰ : أنَّهُ لمَّا أنشدَ عمرُ بنُ أبي ربيعة
عبدَ اللهِ بنَ العباسِ رضيَ اللهُ عنهُما قولَهُ :
تَـشِطُّ غَـداً دَارُ جِـيـرَانِـنَـا
سبقَهُ لتتميمِ البيتِ فقالَ :
وَلَـلدَّارُ بَـعْـدَ غَـدٍ أَبْـعَـدُ
فقالَ عمرُ : هلكذا قلتُ ، فقالَ : هلكذا ينبغي أن يُقالَ .
وإنَّ جريراً والفرزدقَ حضرا مَرَّةً مجلسَ هشامٍ أو غيرِهِ وعديُّ بنُ الرقَّاعِ
يُنشِدُ قصيدتَهُ التي أوَّلُها (٣):
عَرَفَ ٱلدِّيَارَ تَوَهُّماً فَاعْتَادَهَا
فلمَّا وصلَ إلى قولِهِ في صفةِ الغزالةِ وابنِها :
تُـزْجِـي أَغَـنَّ كَـأَنَّ إِبْـرَةَ رَوْقِـهِ
عرضَ للملكِ شغلٌ عنِ الاستماعِ ، فقالَ الفرزدقُ لجريرٍ : ماذا تُراهُ يقولُ ؟
فقالَ جريرٌ : أراهُ يستلبُ مثلاً ، قالَ الفرزدقُ : إنَّهُ يقولُ :
قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ ٱلدَّوَاةِ مِدَادَهَا
فلمَّا عادَ عديٌّ للإنشادِ وأتمَّ البيتَ هنكذا قالَ جريرٌ : لقد

عَـرَفَ ٱللِّيَارَ تَوَهُّماً فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ ٱلْبِلَىٰ أَبْلَادَهَا

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٥ ).

<sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » ( ص  $\Upsilon$ ۳٦ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان عدي بن الرقَّاع » ( ص ٨٢ ) ، والبيت بتمامه :

حسدتُ الفرزدقَ على إدراكِهِ فوقَ ما حسدتُ عديّاً على شعرِهِ .

ومثلُ ذلك وقع كثيراً ، سيَّما في الأشعارِ المحكمةِ التي تُنبِئ صُدورُها عن أعجازها .

وخطبَ النابغةُ بينَ يدَيِ النعمانِ ، فقالَ يُفضِّلُهُ على ملكِ غسانَ (١): أيفاخرُكَ ابنُ جفنة ؟! واللَّاتِ ؛ لأَمْشُكَ خيرٌ مِنْ يومِهِ ، ولَقَذالُكَ أحسنُ مِنْ وجهِهِ ، ولَيسارُكَ أسمحُ مِنْ يمينِهِ ، [ ولعبيدُكَ أكثرُ ] مِنْ قومِهِ ، ولَنفسُكَ أكبرُ مِنْ [ جندِهِ ] ، ولَيومُكَ أشرفُ مِنْ دهرِهِ ، ولَوعدُكَ أنجزُ مِنْ رفدِهِ ، ولَهزلُكَ أضربُ مِنْ جِدِّهِ ، ولَكرسيُّكَ أرفعُ مِنْ سريرِهِ ، ولَفِترُكَ أبسطُ مِنْ شبرِهِ ، ولَأُمُّكَ خيرٌ مِنْ أبيهِ .

فَأَخِذَ الشَّعِراءُ قُولَ النابِغَةِ: ( ولَقَذَالُكَ أَحَسَنُ مِنْ وجهِهِ ) ، قَالَ أَبُو نُواسٍ (٢٠):

..... بَذَّ حُسْنَ ٱلْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكا

وقالَ عبدُ الصَّمدِ بنُ المعذلِ (٢):

لَحَّا رَأَيْتُ ٱلْبَدْرَ فِي وَرَأَيْتُ قَرْنَ ٱلشَّهْمُ سِ فِي وَرَأَيْتُ قَرْنَ ٱلشَّهُمُ سِ فِي شَكَ ذَاكَ وَهَاذِهِ

وَجْهُ ٱلْحَبِيبِ إِذَا بَدَا

[ من الكامل ]

أُفُتِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَعَلَّىٰ أُفُتِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَعَلَّىٰ أُفُتِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَدَلَّىٰ وَأَرَىٰ شَبِيهَ هُمَا أَجَلَّا وَقَفَا ٱلْحَبِيبِ إِذَا تَوَلَّىٰ وَقَفَا ٱلْحَبِيبِ إِذَا تَولَّىٰ

<sup>(</sup>۱) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٧ ) .

 <sup>(</sup>۲) انظر « الصناعتين » ( ص ۲۳۷ ) ، والبيت بتمامه :
 بِــأَبِـــي أَنْـــتَ مِــنْ مَـلِــــحِ بَـدِيــعِ
 بَــنَّ حُـسْنَ ٱلْــوُجُــوهِ حُـسْنُ قَـفَاكَـا

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذِّل » ( صَّ ١٥٣ ) .

قالَ أبو هلالِ ('': لا يَحسُنُ أن يُقالَ للرجلِ : قَفاكَ حالُهُ كذا وكذا . فعبارةُ النابغةِ أحسنُ .

وسمعَ الحسنُ بنُ وهبٍ قولَ أعرابيّ : جمعَتْني وإيَّاها ظلمةُ الليلِ ، وكانَ البدرُ يُزيّنُها ، فلمَّا غابَ . . أرتْنيهِ ، فقالَ (١) :

أَرَانِي ٱلْبَدْرُ سُنَّتَهَا عِشَاءً فَلَمَّا أَزْمَعَ ٱلْبَدْرُ ٱلْأُفُولَا أَرْسَعَ ٱلْبَدْرِ ٱلْمُنَوَّرِ لِي بَدِيلَا أَرَتْنِيهِ بِسُنَّتِهَا فَكَانَتْ مِنَ ٱلْبَدْرِ ٱلْمُنَوَّرِ لِي بَدِيلَا

فأساءَ بالإطالةِ والتكريرِ وسوءِ العبارةِ ، فقد فاتَهُ قولُ الأعرابيِّ : وكانَ البدرُ يزينُها .

وقالَ البحتريُّ (٢):

أَضَرَّتْ بِضَوْءِ ٱلْبَدْرِ وَٱلْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ ٱلْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا قَالَ أبو هلالٍ (١٠): زادَ البحتريُّ على الأعرابيّ في قولِهِ: (أضرَّتْ).

قلتُ : ولم يصبْ ، فليسَ قولُهُ : ( أَضرَّتْ ) واقعاً مِنَ الحسنِ موقعَ قولِ الأعرابي .

وسمعَ بعضُهُم قولَ محمودٍ الوراقِ ( • ) : [من الطويل]

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ ٱللهِ نِعْمَةً وَلَلْهِ نِعْمَةً وَاللهِ نِعْمَةً وَاللهِ نِعْمَةً وَاللهِ نِعْمَةً وَاللهِ نِعْمَةً وَاللهِ وَاللّهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَال

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٨ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٨ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان البحتري » ( ١٩٧/١ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان محمود الوراق » ( ص ١٢١ ) .

وَإِنْ مَسَّ بِٱلضَّرَّاءِ أَعْقَبَهُ أَجْرُ تَضِيتُ بِهَا ٱلْأَوْهَامُ وَٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرُ [ من البسيط ]

لَمْ يُحْصِهَا عَدَداً بِٱلشُّكْرِ مَنْ حَمِدَا شُكْرٌ يَكُونُ فَمَا لِلشُّكْرِ فِيهِ مَدَىٰ

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ: قيمةُ كلّ امرئ ما يُحسِنُهُ ، فقالَ ابنُ طباطبا [ من الطويل ]

فَقِيمَةُ كُلِّ ٱلنَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ [من المتقارب]

فَقِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِئَ عِلْمُهُ

فأساءَ كلُّ ، وإساءةُ الأوَّلِ أشدُّ ؛ فإنَّ قولَهُ : ( كلُّ الناسِ ) ليسَ كقولِهِما : (كلُّ امرئً ).

وقالَ عربيٌّ (٢): [ من الوافر ]

دَنَوْتُ لَـهُ بِأَبْيَضَ مَـشْرَفِيّ كَمَا يَدْنُو ٱلْمُصَافِحُ لِلْعِنَاقِ

فأساءَ في أخذِهِ أبو تمام حيثُ يقولُ (١٠): [ من البسيط ]

بأنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إِلَىٰ وَطَن حَنَّ إِلَى ٱلْمَوْتِ حَتَّىٰ ظَنَّ جَاهِلُهُ

إِذَا مَسَّ بِٱلسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهُ

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ

اَلْـحَـمْـدُ لِللهِ إِنَّ ٱللهَ ذُو نِـعَـم

شُكْري لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ

فَيَا لَائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيمَتِي

فقالَ وأساءَ (١):

العلويُّ (٢):

وقالَ آخَرُ:

<sup>(</sup>١) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٨ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان ابن طباطبا » ( ص ١٢٦ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٣٩ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان أبي تمام » ( ١٤٠/٤ ) .

[من الطويل] لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِب [ من الطويل ]

بِأَرْبَعَةٍ وَٱلشَّخْصُ فِي ٱلْعَيْنِ وَاحِدُ وَأَسْمَرُ خَطِّيٌّ وَأَبْيَضُ مَاجِدُ

[ من البسيط ]

ثَلَاثَةٌ أَبَداً يُفْرَنَّ فِي قَرَنِ فقولُهُ: ( والليلُ التمامُ معاً ) ، وقولُهُ: ( ثلاثةٌ أبداً ) ، وقولُهُ: ( يقرنَّ في قرنِ ) . . كلُّها عباراتٌ قبيحةٌ .

[ من الخفيف ] رَابِعُ ٱلْعِيسِ وَٱلدُّجَىٰ وَٱلْبِيدِ

[ من الكامل ]

مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِن ٱلْكِتْمَانِ قَـوْمٌ تَـرَىٰ أَرْمَاحَـهُـمْ يَـوْمَ ٱلْـوَغَـىٰ

فقصرَ عن أصلِهِ ؛ وهوَ قولُ عمرو بنِ معديكربَ (١٠): [ من الكامل ]

وَٱلطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ ٱلْأَضْغَانِ وَٱلضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ

وأحسنَ البحتريُّ أخذَهُ في قولِهِ (١): تَسَرَّعَ حَتَّىٰ قَالَ مَنْ شَهدَ ٱلْوَغَىٰ وقالَ ذو الرُّمةِ <sup>(۲)</sup> :

وَلَيْل كَجِلْبَابِ ٱلْعَرُوس ٱدَّرَعْتُهُ أَحَـةُ عِـلَافِـيٌّ وَأَبْـيَـضُ صَـارمٌ

فأساء في أخذِهِ أبو تمام في قولِهِ (٢):

اَلْبِيدُ وَالْعِيسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعاً

وأجادَ البحتريُّ الاتباعَ بعضَ الإجادةِ في قولِهِ (1): أطْلُبَ اثَالِثاً سِوَايَ فَإِنِّي وقالَ البحتريُّ (٥):

(١) انظر « ديوان البحترى » ( ١٧٨/١ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان ذي الرمة » ( ١١٠٨/٢ \_ ١١٠٩ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان أبى تمام » ( ٣٣٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « ديوان البحتري » ( ٦٣٣/١ ) .

<sup>(</sup>٥) انظر « ديوان البحترى » ( ٢٣٦٥/٤ ) .

<sup>(</sup>٦) تقدم ( ٦٢/٢ ) .

فقولُهُ: (مجامعَ الأضغانِ) أجودُ مِنْ قولِهِ: (مواطنَ الكتمانِ) لأنّهُم إنّما يطاعنونَ الأعداءَ مِنْ أجلِ أضغانِهِم، فإذا وقع الطّعنُ في موضعِ الضّغْنِ.. فذاكَ المرادُ، وقالَ البحتريُّ أيضاً (١٠):

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوَ ٱنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ

مُنِعَتْ: بصيغةِ فعلِ المجهولِ؛ أي: منعَها أهلُها، وكذلكَ ( بُلِلَتْ) أي: لو بذلُوها، فقَصَّرَ فيهِ عن قولِ عبدِ الصَّمدِ بنِ المُعذِّلِ لاختصارِهِ وظهورِ أي: المعنىٰ فيهِ (۱):

ظَ بْعِيٌ كَ أَنَّ بِ خَصْرِهِ مِنْ دِقَّةٍ ظَ مَا وَجُوعَا وَمَا وَجُوعَا وَمَا وَجُوعَا وَمَا وَمُ وَعَا وَمَا وَمِن الْسَبَالِيَّةِ أَنَّانِي عُلِّقْتُ مَمْنُوعاً مَنُوعا وَغَا مَنُوعا وَغِيرُ حسن قولُهُ: (ظمأً وجوعاً).

وقد يتفقُ الشاعرانِ الآخذُ والمأخوذُ منهُ في سوءِ العبارةِ ؛ كقولِ ابنِ أذينةَ (٣):

كَأَنَّـمَا عَائِبُهَا دَائِباً زَيَّنَهَا [عِنْدِي] بِتَزْيِينِ وقولِ أبي نُواس (۱۰):

كَأَنَّهُمْ أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِأَلَّذِي عَابُوا وربَّما اتفقا في الإجادة ؛ كقولِ أعرابيّ ( • ) : [من الطويل]

..... فَنَمَّ عَلَيْهَا ٱلْمِسْكُ وَٱللَّيْلُ عَاكِفُ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان البحترى » ( ۱۷٤۲/۳ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذِّل » ( ص ١٣٥ ) .

<sup>(</sup>۳) انظر « الصناعتين » ( ص ( ۲٤۱ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٤١ ) .

<sup>(•)</sup> انظر « الصناعتين » ( ص ٢٤١ ) .

وقولِ البحتريّ (١):

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ ٱلتَّرَحُّلِ فِي ٱلدُّجَىٰ وَعَالَ أيضاً (٢):

فَكَانَ ٱلْعَبِيرُ بِهَا وَاشِياً وزاحمَهُما المتنبي بقولِهِ (٣):

قَلَقُ ٱلْمَلِيحَةِ وَهْيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا فَجَمَعَ شَيْحُهَا فَجَمَعَ شَيئين كما فعلَ البحتريُّ ف

فجمعَ شيئينِ كما فعلَ البحتريُّ في بيتِهِ الثاني ، وللكنَّهُ سقطَ في أسفلِ لرابيةِ .

وقالَ عربيٌّ (١٠):

حَرَامٌ عَلَىٰ أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدْبِرٍ مُسَلَّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِيَ فِي ٱلْوَغَىٰ وقالَ أبو تمام (٥):

أُنَاسٌ إِذَا مَا ٱسْتَحْكَمَ ٱلرَّوْعُ كَسَّرُوا فَأَنَاسٌ إِذَا مَا ٱسْتَحْكَمَ ٱلرَّوْعُ كَسَّرُوا فَأَحْسنا جميعاً.

ومِنْ وادي هلذا الكلام قولُ بعضِهِم (١٠):

يَلْقَى ٱلسُّيُوفَ بِوَجْهِهِ وَبِنَحْرِهِ

[ من الطويل ]

[من الطويل]

[من المتقارب]

[ من الكامل ]

وَتَنْدَقُ قِدْماً فِي ٱلصُّدُورِ صُدُورُهَا مُكَلَّمَةٌ لَبَّاتُهَا وَنُحُورُهَا

فَنَمَّ بِهِنَّ ٱلْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا

وَجَرْسُ ٱلْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيبًا

وَمَسِيرُهَا فِي ٱللَّيْل وَهْيَ ذُكَاءُ

[من الطويل]

صُدُورَ ٱلْعَوَالِي فِي صُدُورِ ٱلْكَتَائِبِ

[ من الكامل ]

وَيُقِيمُهَا مِنْهُ مُقَامَ ٱلْمِعْفَرِ

<sup>(</sup>۱) انظر « ديوان البحتري » ( 1777/1 ) .

<sup>(</sup>٢) انظر « ديوان البحتري » ( ١٥٠/١ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « ديوان المتنبي » ( ص ٩٣ ) .

<sup>(</sup>٤) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٤٣ ) .

<sup>(</sup>a) انظر « ديوان أبي تمام » ( 1.07/1 ) ، و « الصناعتين » ( 0.07/1 ) .

<sup>(</sup>٦) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٤٣ ) .

وَيَقُولُ لِلطِّرْفِ ٱصْطَبِرْ لِشَبَا ٱلْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ ٱلْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ

وفي قولِهِ : ( ويقيمُها ) استخدامٌ ؛ فإنَّ الكناية لسيوفِ الممدوح .

وقولُ أبي بكرِ بنِ النطَّاحِ (١): [من الخفيف]

يَتَلَقَّى ٱلنَّدَىٰ بِوَجْهٍ حَيِيٍّ وَصُدُورَ ٱلْقَنَا بِوَجْهٍ وَقَاحِ

وهاذا كلُّهُ مأخوذٌ مِنْ قولِ كعبِ بنِ زهْيرٍ (٢): [من البسيط]

لَا يَقَعُ ٱلطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ ٱلْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أو مِنْ قولِ حسَّانَ (٣):

وَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَاكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا

هلذا ما أردتُ نقلَهُ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ ، فاستوعِهِ .

تمّ المحب لّدالثّالث ويليه المحب لّدالرّابع ، وأوّله .. (نفدالشّعر)

<sup>(</sup>۱) انظر «الصناعتين» (ص ٢٤٣).

<sup>(</sup>٢) انظر « الصناعتين » ( ص ٢٤٣ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر « خزانة الأدب » ( ٤٩٠/٧ ) ، وهو للحصين بن الحمام ، وقد تقدم ( 779.7 - 777 ) ضمن أسات .

## محتوى المحب لّدالثّالث

٧	المقصد الرابع: في الكتابة وقرض الشعر والإنشاء
٩	الكتابة
١١	<b>ـ</b> تعريف الكتابة
	الباب الأول: في الهمزة والألف ونون التوكيد والتنوين ، ونون إذاً ، وهاء
۱۲	التأنيث
۱۲	ـ الكلام على الهمزة
۱۲	- أحوال الهمزة من حيث الرسم
۱۳	تنبيه: في رسم الهمزة الواقعة بعد همزة الاستفهام
١٤	ـ رسم الهمزة الواقعة آخر الكلمة
۱۷	ـ الكلام على الألف
۱۹	_ الكلام على نون التوكيد ونون ( إذاً ) والتنوين
۲.	_ الكلام على هاء التأنيث
۲۱	الباب الثاني : في زيادة حروف
۲۱	_ مواضع زيادة الألف
۲۱	ـ مواضع زيادة الواو
۲۱	ـ مواضع زيادة هاء السكت

الباب الثالث: في حذف بعض الحروف٢٢
ـ مواضع حذف الهمزة
_ مواضع حذف همزة الوصل
ـ مواضع حذف الألف
_ مواضع حذف ياء المنقوص٢٦
ـ مواضع حذف الواو
ـ مواضع حذف اللام
ـ مواضع حذف التاء
_ مواضع حذف النون
الباب الرابع: في وصل بعض الكلم ببعض علىٰ خلاف الأصل الذي هو
الفصل ليناسب الخط اللفظ
<b>-</b> وصل ( ما ) بما بعدها وضابط الوصل
كت بنه الإنشاء
_ إضاءة على كتابة الإنشاء
_ طريقتان لتعلم الإنشاء
_ حصر تعلم الإنشاء في جهات ثلاث
الجهة الأولى: فيما يجب تحصيله على من يريد أن يكون كاتباً حسب ما
كانت تقتضيه أحوال الأزمنة السالفة٣٦

۳٦ .	<b>ـ</b> إجادة النحو
٣٧ .	ـ تحصيل علوم البلاغة
۳۹ .	ـ حفظ القرآن الكريم
٤٠.	ـ الإكثار من حفظ صحاح الأحاديث
٤٠.	ـ قراءة التاريخ مع الاعتبار
٤٠.	ـ معرفة الأمثال العربية
٤١.	• ذكر بعض الأمثال العربية
٤١.	* إن من البيان لَسِحْراً
٤٢.	* إِنَّ المُنْبِتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى
٤٢.	* إنَّ المُوَصَّيْنَ بنو سَهْوان
٤٢.	* إنَّ المعافيٰ غيرُ مخدوع
٤٤.	* إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلح
٤٤.	* إنَّ الدواهيَ في الآفاتِ تهترسُ
٤٤.	* إنَّ العصا من العُصيَّة
٤٧.	* إِنَّ البِلاءَ مُوكَّلٌ بِالمنطق
٤٩.	* أُمٌّ فرَشَتْ فأنامَتْ أُمٌّ فرَشَتْ فأنامَتْ
٤٩.	* إِذَا تَرِضَّيتَ أَخَاكَ فلا أَخَا لكَ
٤٩.	* أَنْ تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيسُ
٥.	* إحدى حُظَيَّات لقمانَ
٥٢.	* إنَّكَ خيرٌ من تفاريقِ العصا
٥٣.	* إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذُو البشرة
<del>OnOnOn</del>	·

* إِنَّ العصا قُرِعت لذي الحِلْم
* أنا النذيرُ العُرْيانُ٧٥
* إِيَّاكِ أَعني واسمعي يا جارة٥٨
* إِنَّ غداً لناظرِهِ قريب
* إِنَّ أَخَاكَ مَن آساكَ
* أَلَا مَن يشتري سهراً بنومٍ ٦٥
* إِنْ كَنْتَ كَذُوباً فَكُنْ ذَكُوراً
* إذا اشتريتَ فاذكرِ السُّوقَ ٢٦
* بِلَغَ السَّيلُ الزُّبِيٰ
* بخِ بخِ ساقٌ بخَلْخال
* أَبِلُغُ مِن قُسٍّ ٨٦
<ul> <li>* أبخلُ مِن مادرٍ</li> </ul>
* تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثدييها٧٣
* تطلبُ أثراً بعدَ عينٍ*
* تسمعُ بالمُعَيديِّ خيرٌ من أن تراه٧٦
* ترى الفتيان كالنخل وما يُدريك ما الدَّخْل
* تعِسَتِ العَجَلة
* تجمعينَ خِلابةً وصُدوداً
* أَتْيَهُ من فقيدِ ثقيف ٨٤
* أَتْيَهُ من أحمقِ ثقيف ٨٥
* ثُكْلٌ أرأمها ولداً

 $h_{\rm CM}$ 

* جَرْيُ المُذكِّياتِ غِلابِ
* جاورينا وٱخبُرينا
* جدعَ الحلالُ أنفَ الغَيْرة٨٨
* جَوِّعْ كَلْبَكَ يِتْبَعْكَ
* أجناؤُها أبناؤُها ٨٩
* الجَرْعُ أروىٰ والرشيفُ أنقع٩٠
* الجارُ ثمَّ الدَّارُ
* جفَّ حِجْرِكِ وطاب نشركِ ، أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قِمْشاً ٩١
* حرِّك لها حُوَارَها تحنُّ
* حسبُكَ من شرٍّ سماعُهُ ٩٢
* حِلْمي أصمُّ وأُذني غيرُ صمَّاء ٩٣
* حسبُكَ مِن غِنىً شِبعٌ ورِي ٩٣
* الحديثُ ذو شُجونٍ ٩٤
* الحزم حفظُ ما كُلِّفتَ وتركُ ما كُفيتَ ٩٥
* خُذِ الأمرَ بقوابلِهِ ٩٥
* خطبٌ يسير في خطبٍ كبير ٩٥
* الدِّينُ النصيحةُ
* رُبَّ أَخٍ لك لم تلده أمك
* رُبَّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً
* رُبَّ ساعٍ لقاعد * رُبَّ ساعٍ لقاعد
* رُبَّ زارعٍ لنفسه حاصدٌ سواه

١.٨	<ul><li>* زینبُ سترة</li></ul>
١٠٨	<ul> <li>* زُرْ غبّاً تزدَدْ حبّاً</li> </ul>
11.	<ul><li>* زوجٌ من عود خيرٌ من قعود</li></ul>
117	* سقطَ العَشاءُ به على سِرْحان
114	* أساءَ سمعاً فأساءَ جَابِةً
118	* سمِّنْ كلبَكَ يأكُلْكَ
	* السليمُ لا يَنام ولا يُنيم
۱۱۷	* اسعَ بجَدِّك لا بكَدِّك
۱۱۸	* سِرْ عنكَ
١٢.	* صدقَني سِنَّ بَكْرِهِ
	* صارتِ الفتيانُ حُمَماً
۱۲۳	* صُغراهُنَّ شُرَّاهُنَّ
178	* صحيفةُ المُتلمِّس
١٢٨	<ul> <li>* طالَ الأبد علىٰ لُبَد</li> </ul>
179	* أظن ماءكم هاذا ماءَ عِنَاق
۱۳.	* عندَ الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرىٰ
۱۳۱	* عندَ جُهينةَ الخبرُ اليقين
١٣٣	* العاشية تُهيِّجُ الآبية
١٣٦	<ul> <li>* في بيته يُؤتَى الحَكَم</li> </ul>
۱۳۸	* في سبيلِ الله سَرْجي وبغلي
129	* قد حِيلَ بين العَير والنَّزَوانِ
	EVV DODGO DO DOGGO DO DOGGO DO DOGGO DO DOGGO DO DOGGO DO DOGGO DOGGO DO DOGGO DOGGO DO DOGGO DO DOGGO DO DOGGO DOGGO DO DOGGO

<u> </u>		<del>\</del>
١٤٠		د أنصفَ القارة مَن راماها
١٤١		د قيل ذٰلك إِنْ حقًّا وإِنْ كذباً
١٤٤		للُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبة
187		للُّ شاةٍ برِجْلها معلَّقة
۱٤٧		ليف أُعاودُك وهـٰـذا أثرُ فأسِك
١٤٨		للاهُما وتمرأ
١٥.		ن يَهْلِكَ امرؤٌ عرفَ قَدْره
101		` ماءَكِ أبقيتِ ولا حركِ أنقيتِ
104		لَا يَكُنَ حَبُّكَ كَلَفاً ولا بِغَضُكَ تَلَفاً
104		ناقتي في هـٰـذا ولا جملي
100	حيل	` تراهن على الصَّعبةِ ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يـ
١٥٨		· غزوَ إلا التعقيبُ·
١٦.		تجزعَنْ من سُنَّةٍ أنت سِرْتَها
177		ا وراءَكِ يا عصامُ
178		قتلُ الرجلِ بين فكَّيهِ
177		ن صدقَ اللهَ نجا
۱٦٨		نكَ أَنْفُكَ وإن كانَ أجدع
١٧.		ىن يَرَ يوماً يُرَ به
۱۷۱		ن يشتري سيفي وهلذا أثره
۱۷۲		صر أخاك ظالماً أو مظلوماً
		ξ YΛ <b></b>

# CHONGO TO THOM ON TH

* هلمَّ جرّاً
* يسارُ الكواعب
• نخب من كلام الفصحاء والبلغاء
ـ من كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
• أرجوزة ابن حجَّة الحموي
• وظائف مريد صناعة الإنشاء
نبذة من أشعار « ديوان الحماسة »
- نبذة من أشعار الرثاء من « ديوان الحماسة » ٢٤٦
- نبذة من أشعار الأدب والفضائل من « ديوان الحماسة » ٢٥٨
- نبذة من أشعار النسيب من « ديوان الحماسة » ٢٧٤
- نبذة من أشعار الهجاء من « ديوان الحماسة »
- نبذة من أشعار المديح من « ديوان الحماسة » ٢٩٦
- نبذة من أشعار الصفات من « ديوان الحماسة »
- نبذة مما قيل في السير والنعاس من « ديوان الحماسة » ٣٠٨
<b>-</b> ذكر طرف من باب الملح
فنّ القريض
<b>-</b> قرض الشعر
_ البلاغة
* حد البلاغة عند ابن المقفع
* حد البلاغة عند حكيم الهند

۳٤٧	* حد البلاغة عند جعفر بن يحيي
۳٥٤	* حد البلاغة عند بعضهم
۳٦٤	<u>ـ إي</u> جاز القصر
۳٦٧	* من أمثلة الإيجاز
۳۷۲	<u>ـ</u> المساواة
	_ إيجاز الحذف
۳۷۹	_ الإطناب
۳۸۷	ـ مبادئ الكلام ومقاطعه
۳۹٥	ـ القول في الفصل والوصل
٤٠٥	ـ حسن المقطع وجودة الفاصلة
٤٠٩	* ذكر شيء مما عيب من القوافي
٤١٢	ـ تمييز الكلام جيده من رديئه
٤١٥	* مدار البلاغة على تحسين اللفظ
	_ خطأ المعاني وصوابها
٤٣٧	* مرجع أسباب الخطأ في المعاني
	_ حسن النظم وجودة الرصف والسبك
	<b>ـ</b> حسن الأخذ الأخذ
٤٤٩	* أمثلة في حسن الأخذ
٤٦٣	<ul><li>* أمثلة في قبح الأخذ</li></ul>
٤٧٢	محتوى المجلد الثالث
	No. Alle Me

(III) ACTION CHOLOUGE CHOUGH CHOUGH